63
HIWAR ALFIKR
مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار
حوار الفكر
أيلول 2022
السنة السابعة عشر - صفر ١٤٤٤ هـ - أيلول ٢٠٢٢

ازمة المياه العراقية

بين الاهمال الحكومي ونقص الاطلاقات المائية

المشاركة السياسية للشباب العوائق القانونية والسياسية

التقييم الأكاديمي: تنظير التكامل الأوروبي

قراءة في نشاط الحركات السلفية الجهادية في افريقيا

EARTHLINK

الراعي الرسمي لـ

المعهد العراقي للحوار

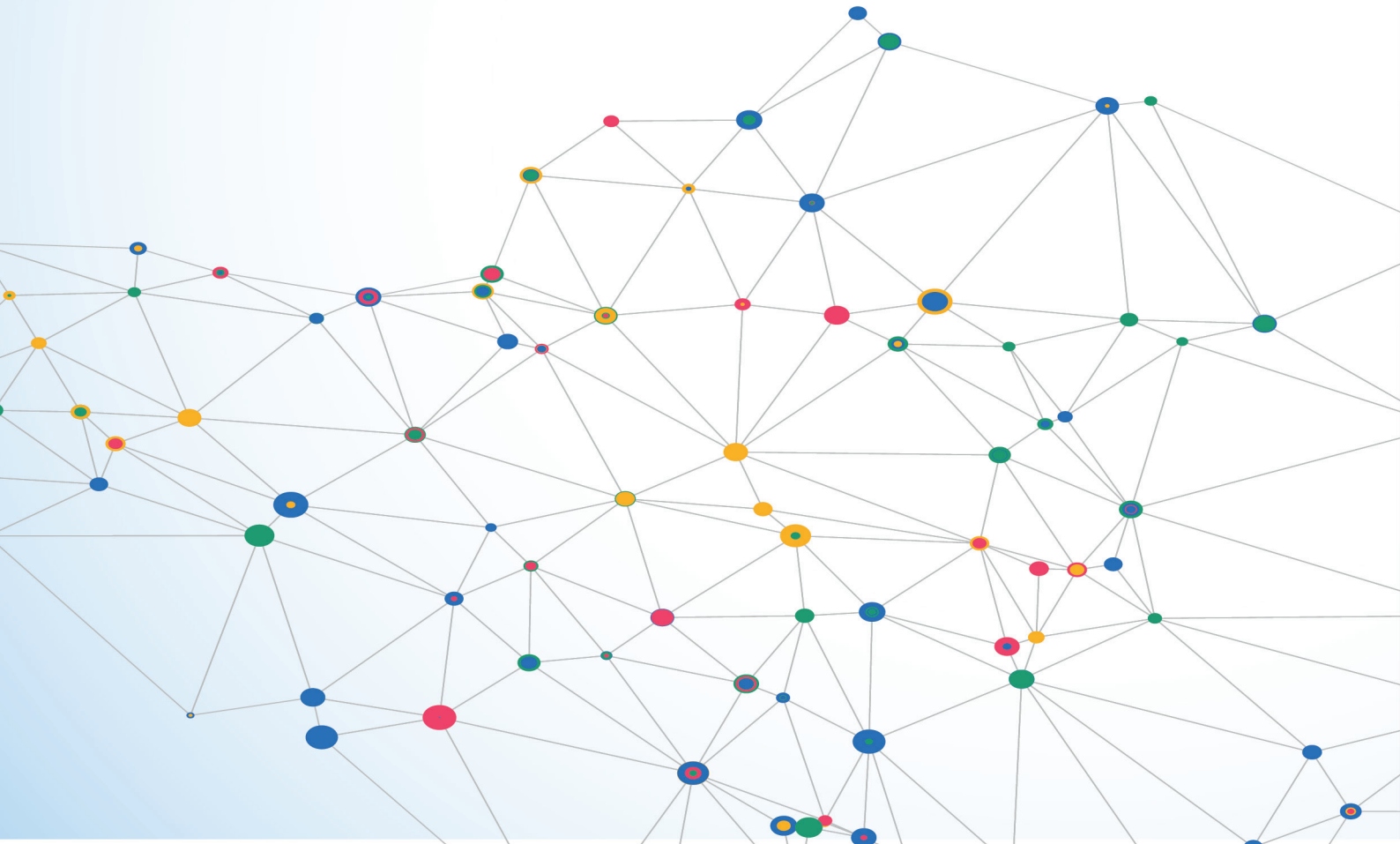

الان صار بامكانك
اقتناء كل اعداد
مجلة حوار الفكر
وجميع اصدارات
المعهد العراقي
للحوار
للمزيد من المعلومات | 964 781 116 7230

ملف العدد

27-6
أسباب تغيّر المناخ

حوار الفكر

مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار

المشرف العام
الشيخ د٠همام باقر حمودي

رئيس التحرير
عباس راضي العامري

نائب رئيس التحرير
أ٠د٠ علي عبدالامير ساجت

الهيئة الاستشارية

معالي أ٠د٠صالح الحسناوي	أ٠د٠عامر حسن فياض
د٠مظهر محمد صالح	د٠يوسف محمد صادق
أ٠د٠صلاح الجابري	أ٠د٠عبدالجبار احمد
د٠فرح ضياء	د٠حيدر سعيد

هيئة التحرير

د٠عادل بديوي	د٠علي فارس حميد
د٠كرار انور البديري	د٠سهاد اسماعيل العزاوي
د٠خالد عبدالاله عبدالستار	د٠جمال ناصر الزيداوي

الترجمة
قسم الترجمة في المعهد العراقي للحوار

الادارة والعلاقات
سدير غازي - حسن محسن حسن
عبدالله رشيد

- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ١٠٦١
- معتمدة في نقابة الصحفيين العراقيين تحت الرقم ٤٥٦

- جميع الحقوق محفوظة
- لايحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون استئذان إدارتها
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة دون ذكر المصدر
- الافكار الواردة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المعهد او مجلة حوار الفكر

07905400123
Head@hewariraq.com
hewarelfikr@gmail.com

السنة السابعة عشر - صفر ١٤٤٤هـ - أيلول ٢٠٢٢م

الافتتاحية

تغيرات المناخ والتنافس الجيوسياسي الجديد ٦
عباس راضي العامري- رئيس التحرير

ملف العدد

أسباب تغيّر المناخ
والعلاقة بين التغيرات المناخية والنزاعات المسلحة ١٠
م.م علي محمد الناصري

حماية البيئة في اوقات النزاعات المسلحة والحروب ١٨
م. م حسين خضير ياس

ازمة المياه العراقية
بين الاهمال الحكومي و نقص الاطلاقات المائية ٢٢
م.م. عماد فارس البياتي

المشاركة السياسية للشباب العوائق القانونية والسياسية.. ٣٠
د. رياض مهدي الزبيدي

السلام السلبي والعنف غير مرئي
في ظل الدكتاتورية و شمس الديمقراطية ٣٤
خديدا خلف برجس

العراق بين جدلية الدولة والمجتمع..... ٤٠
د.سيماء علي مهدي- د. شاكر رزيج محمد

جرائم الإرهاب (الداعشي) وفكره المتطرف تجاه دور العبادة في
المحافظات العراقية التي سيطر عليها هذا التنظيم ٤٨
أ . م د . انتظار جاسم جبر- م . د شروق نعيم جاسم

ظاهرة أطفال الشوارع الأسباب والنتائج ٦٦
فلاح التميمي

التعاون العسكري في الشرق الأوسط
عدم اليقين في مواجهة التهديدات المتغيرة ٧٠
انتوني هـ كوردسمان- ترجمة وتحرير: م.م محمد صابر الجبوري

إيران والغرب: ماراثون المفاوضات ٧٦
اعداد: إ. علي ياس اللهيبي

التقييم الأكاديمي: تنظير التكامل الأوروبي ٨٤
لودجر كونهاردت- ترجمة: م.م محمد صابر الجبوري

مصادر مخاوف روسيا من الناتو ١٠٢
اعداد: د. طارق ياس-

الأزمات الدولية وأثرها على مكانة الولايات المتحدة والنظام
العالمي ١١٦
م.م عمر عبدالله محمد الكروش- م.م دعاء حميد إبراهيم

مفهوم الأمن الطاقي:
أبعاده وتجلياته واستراتيجيات تعزيزه ١٣٦
اعداد : م.م حنين محمد الخفاجي

الأنظمة الدولية: الاستمرارية والتغيير ١٤٦
د. محمد كاظم علاوي

قراءة في نشاط الحركات السلفية الجهادية في افريقيا ١٥٦
إعداد: اللواء الركن المتقاعد الدكتور عماد علوّ

تركيا وديناميكية ادارة التغيير ١٧٢
أ.د منعم صاحي العمار

تحذير مبكر: كيف يتسنى للعراق التأقلم مع التغير المناخي؟ ١٩٢
نسيبة يونس- ترجمة: د. نصر محمد- فيصل عبد اللطيف

السعي لدفع العراق
نحو تطبيع العلاقات مع اسرائيل اتى بنتائج عكسية ٢٠٨
ثانيسيس كامباني - ترجمة: فيصل الياسري

ناديا اوربيناتي: «أنا الشعب» كيف حولت الشعبوية مسار
الديمقراطية؟ ٢١٢
عرض الكتاب: نور خالد .

تغيرات المناخ والتنافس الجيوسياسي الجديد

عباس راضي العامري
رئيس التحرير

اشارت وثيقة الامن القومي للمملكة المتحدة قبل اكثر من عشرة اعوام الى شدة في التنافس الدولي على الطاقة سيحدثه الطلب العالمي المتزايد عليها ، بالاضافة الى ان موضوع الطاقة يرتبط به موضوع هام، هو موضوع التغير المناخي فاحتمالات ان ينعكس التغير المناخي على نوعية وجغرافية انتشار الصراع وشدته باتت كبيرة جداً، فمن المتوقع ان يؤدي تغير المناخ الى ندرة شديدة في الموارد الى حد يمكن ان تفضي الى اندلاع حروب من اجل الغذاء والماء والطاقة. من هنا فان الطاقة والتغيرات المناخية ستنعكس على الامن بشكل كبير، وهذا ما يؤدي بدوره الى تغير مفهوم الامن.

ان الاستعمال المفرط للطاقة وخصوصاً الفحم والنفط احدث تغيرات مهمة في طبيعة المناخ وتحولاته وانعكاساته وسيمر العالم بموجة جفاف بدأت حتى في اوربا بوادر لها، وبالمقابل فان دولاً وفي مقدمتها روسيا ستشهد تحولاً من الحالة المنجمدة الى بيئة زراعية مميزة، وان الغطاء الجليدي في القطب الشمالي سيذوب بشكل مفاجيء مما يؤدي الى ظهور كميات هائلة من الطاقة والتي كانت مدفونة تحت الجليد مما يجعل هذه الكميات من الطاقة في متناول اليد، الامر الذي يؤدي الى تغير – ربما – في مناطق النفوذ وستبدأ مرحلة تنافس جيوسياسي جديدة ومختلفة عن السابق في مناطق الشمال العليا، وقد يؤدي ذلك الى نشوب صراعات جديدة بنوع جديد.

والعـراق واحـد مـن الـدول التـي سـتتأثر بالتغيـر المناخـي بشـكل عـالٍ جـداً بـل تـم تصنيـف العـراق فـي مقدمـة الـدول التـي سـتعاني مـن التغيـرات المناخيـة، وفقـاً لتقريـر المنـاخ الامريكـي والـذي عـد فيـه التغيـرات المناخيـة مـن قضايـا الامـن القومـي الامريكـي.

يحتـاج العـراق الـى التعامـل مـع التغيـرات المناخية كمتغيـر أمنـي قومـي ويقـوم مـن اجـل ذلـك بمـا يتناسـب وكونـه تهديـداً واقعـاً للأمـن القومـي وفـق منطـق تقييـم المخاطـر وقيـاس اوزانهـا، وعلـى المخطـط الاسـتراتيجي العراقـي ان يبـدأ بمصفوفـة تفاهمـات وتبـادل مصالـح وربما اسـتخدام كل اوراق ضغطـه مـن اجـل ادارة الخطـر الكبيـر الذي سـيدهم العـراق قريبـاً والـذي بـدأت بـوادره جليـة علـى نهـري دجلـة والفـرات والموسـم الترابـي ودرجـة الحـرارة المرتفعـة الصيـف الـذي انقضـى.

السياسـة الخارجيـة الجديـدة التـي تعتمـد المصلحـة المتبادلـة مـع الجيـران خصوصـاً تركيـا يجـب ان تفضـي الـى اطـلاق حصـص مائيـة اضافيـة مقابـل السـماح بالتجـارة والعكـس بالعكـس فـان اغـلاق المنافـذ الحدوديـة بوجـه التجـارة التركيـة يعـد اهـم عنصـر ضغـط، وداخليـا يفتـرض ان يقـوم العـراق بسياسـة اروائيـة متطـورة وكـري الانهـر وبنـاء السـدود والخزانـات بشـكل عاجـل.

وفيمـا يتعلـق بالصحـارى المشـتركة مـع العربيـة السـعودية والاردن فـان خطـة اسـتثمارية زراعيـة كبـرى يجـب ان تبـدأ الان لتحويـل الصحـراء الـى غابـات واحزمـة خضـراء تسـهم فـي تخفيـف درجـات الحـرارة وتقليـل العواصـف الرمليـة والترابيـة.

وفيمـا يتعلـق بالاسـتعمال الكبيـر للطاقـة خصوصـاً مـا يتعلـق منهـا بتشـغيل مولـدات الكهربـاء الاهلية والتـي تفـوق اعدادهـا اعـداد الشـجر فـي كثيـر مـن المـدن فـان تطويـر قطـاع الكهربـاء والتقليـل وانهـاء ظاهـرة المولـدات تدريجيـاً يعـد مسـاهمة مهمـة فـي الامـن الصوتـي وامـن المنـاخ. وفـي نفـس السـياق فـان الشـيء الحسـن فـي العـراق مناخيـاً وفيمـا يتعلـق بموضوعنـا هـو ان ليس لدينـا مصانع عملاقـة ومـع وجـود نيـة لتفعيـل قطـاع الصناعـة فانـه مـن الواجـب امنيـاً ان يتـم تشـغيل المصانـع بطاقـة صديقـة للبيئـة واسـتثمار حملـة كـري الانهـر وبنـاء السـدود لتوليـد كهرومائـي للطاقـة.

عـوداً علـى التنافـس الجيوسياسـي فـان منطقتنـا ستشـهد تحـولاً فـي اللاعبيـن الاساسـيين فـي المنطقـة تبعـاً لطبيعـة امـدادات الطاقـة وخطوطهـا عالميـاً خصوصـاً مـع دخـول الحـرب الاوكرانيـة الروسـية مرحلـة عـدم التوقـف وسـيلعب العـراق – لـو اسـتثمرنا ذلـك – دوراً هامـاً ليكـون بديـلاً لتوريـد النفـط والغـاز الـى اوربـا سـواء مـن انتاجـه او كونـه ممـراً لذلـك مـن النفـط والغـاز الايرانـي والقطـري وحتـى الكويتـي.

وفيمـا لـو اسـتثمر العـراق هـذه المفـردة بشـكل صحيـح فسـتكون لـه مـوارد هائلـة يسـتغني مـن خلالهـا حتـى عـن امـوال بيـع النفـط والاسـتفادة منـه كخزيـن اسـتراتيجي وطنـي.

ملف العدد

أسباب تغيّر المناخ و العلاقة بين التغيرات المناخية والنزاعات المسلحة

حماية البيئة في اوقات النزعات المسلحة والحروب

ازمة المياه العراقية بين الاهمال الحكومي و نقص الاطلاقات المائية

ملف العدد

م.م علي محمد الناصري

أسباب تغيّر المناخ

والعلاقة بين التغيرات المناخية والنزاعات المسلحة

تعدّ الأنشطة البشرية السبب الرئيسي لتغيّر المناخ وزيادة درجة حرارة الأرض على مدى الخمسين سنة الماضية، إذ أدّت الأنشطة الصناعية التي تعتمد عليها طبيعة الحياة الجديدة إلى رفع مستويات غازات الدفيئة -مثل: غاز ثاني أكسيد الكربون، والميثان، وأكسيد النيتروجين - في الغلاف الجوي بشكل كبير جداً، فقد بدأ الإنسان منذ بداية الثورة الصناعية بحرق كميات متزايدة من الوقود الأحفوري، ممّا أدّى إلى تراكم غاز ثاني أكسيد الكربون (CO_2) في الجوّ، والذي ينتج من عملية الحرق التي تحدث بين الكربون والأكسجين في الهواء، بالإضافة إلى قطع الإنسان للأشجار، وتحويله لمساحات شاسعة من أراضي الغابات إلى أراضٍ زراعية، والعديد من الأنشطة الأخرى التي أدّت إلى الاحتباس الحراري، وفيما يأتي بعض أهمّ الأنشطة البشرية المسبّبة لتغيّر المناخ.

إزالة الغابات؛ تعدّ إزالة الغابات أحد الأسباب البشرية الرئيسية لتغيّر المناخ، إذ يزيل الإنسان الأشجار في معظم الغابات لخلق مساحة للزراعة، وإنشاء المباني، وغير ذلك من الأنشطة، ممّا يساهم في حدوث الاحتباس الحراري، فالأشجار تستهلك غاز ثاني أكسيد الكربون في عملية البناء الضوئي، كما تخزّن الفائض منه لدعم نموّها وتطوّرها، وعند قطعها ينبعث ثاني أكسيد الكربون المخزّن فيها ليتراكم في الغلاف الجوي، بالإضافة إلى أنّ إزالة الغابات يؤثّر على أنماط هطول الأمطار على مستوى العالم، فللأشجار دور في منع حدوث الفيضانات والجفاف من خلال تنظيم هطول الأمطار، كما تساهم إزالة الغابات أيضاً في تغيّر طبيعة سطح الأرض، فتصبح مكشوفة أكثر لأشعة الشمس، ممّا يؤدّي إلى زيادة في امتصاص سطح الأرض للطاقة الحرارية، وهذا بدوره يسبّب الاحترار العالمي.

الزراعة؛ تعدّ الزراعة أحد أهمّ الأسباب البشرية لتغيّر المناخ، وذلك بسبب ما يتمّ فيها من إزالة الغابات لغاية استغلال أراضيها وتحويلها إلى أراضٍ زراعية، إلى جانب الممارسات الزراعية الحديثة - مثل اللجوء إلى الأسمدة الصناعية، واستخدام الآلات لتكثيف الإنتاج الزراعي - التي تعدّ من العوامل المساهمة بشكل كبير في زيادة انبعاث غازات الدفيئة، وحدوث الاحتباس الحراري، وتغيّر المناخ، عدا عن الكميات الكبيرة من الغازات التي تُطلق خلال المراحل المتعدّدة المتعلّقة بإنتاج الغذاء، والتي تشمل التحضير، والتخزين، والمعالجة، والتغليف، والنقل، أمّا في مجال تربية الماشية فينتج غاز الميثان من أجساد بعض الحيوانات بسبب عملية التخمّر المعوي التي تحدث أثناء هضم الطعام، بالإضافة إلى الانبعاثات الكبيرة لهذا الغاز من حقول زراعة الأرز، ويجدر بالذكر أنّ النفايات الكيميائية التي تنتج عن بعض الممارسات الزراعية تساهم في تغيّر المناخ من خلال ما تتسبّب به من فقدان التنوّع الحيوي، وتسريع تآكل التربة، وزيادة حموضة مياه المحيطات.

التصنيع؛ ترتبط الثورة الصناعية وأنشطة التصنيع المختلفة: بالآثار البيئية الضارّة التي تسبّب التغيّرات المناخية، إذ أدّت الابتكارات التكنولوجية الحديثة إلى استبدال العمالة البشرية بآلات تستهلك كميات كبيرة من الطاقة، ومع زيادة التصنيع ازداد استخدام الوقود، ممّا نتج عنه الكثير من الانبعاثات المباشرة وغير المباشرة لغازات الدفيئة، وقد رافق نموّ الأنشطة الصناعية انتقال الناس إلى المناطق الحضرية بحثاً عن عمل، ممّا ساهم في اكتظاظ السكان، وزيادة التلوّث، بالإضافة إلى ما تسبّب به التوسّع العمراني الهائل من إزالة الغابات، وبالتالي زيادة تراكم غازات الدفيئة في الغلاف الجوي، وحدوث الاحتباس الحراري، وتغيّر المناخ. أسباب طبيعية مرّ كوكب الأرض قبل وقت طويل من وجود البشر بتغيّرات مناخية طبيعية، ولكن تشير الدراسات إلى أنّ الاحترار المناخي الحالي لا يمكن أن يُعزى للأسباب الطبيعية وحدها، فتأثيرها ضئيل جداً ولا يفسّر الاحترار السريع الذي تشهده الأرض في العقود الأخيرة، أي أنّ السبب الرئيسي لتغيّر المناخ هو الأنشطة البشرية، وما ينتج عنها من انبعاثات غازات الدفيئة.

ومع ذلك فهناك العديد من الأسباب الطبيعية التي تؤدّي أيضاً إلى تغيّر المناخ، مثل التأثيرات والدورات الطبيعية التي تمرّ بها الأرض، وفيما يأتي بعض منها: **الإشعاع الشمسي:** (Solar Irradiance) أثّرت الطاقة المتغيّرة من الشمس في الماضي على درجة حرارة الأرض، ولكنّها لم تكن كافية لتغيير المناخ، فأي زيادة في الطاقة الشمسية ترفع من حرارة الغلاف الجوي للأرض، ولكنّها تتسبّب باحترار الطبقة السفلية منه فقط. **الانفجارات البركانية:** (Volcanic Eruptions)، تطلق البراكين بعض الغازات الدفيئة مثل غاز ثاني أكسيد الكربون، ولكن كميته تكون أقلّ بخمسين مرّة من الكمية التي تنتجها الأنشطة البشرية، ولذلك لا تعدّ البراكين السبب الرئيسي للاحتباس الحراري، وفي المقابل قد يكون لها تأثيراً مختلفاً على مناخ الأرض، فالجزيئات الصغيرة المسمّاة بجزيئات الهباء الجوي (Aerosol Particles) التي تُطلقها البراكين تساهم في تبريد الأرض، ولذلك يعدّ التأثير السائد للانفجارات البركانية هو التبريد وليس الاحترار.

دورات ميلانكوفيتش: (Milankovitch cycles) هي التغيّرات القليلة التي تحصل لميلان محور كوكب الأرض ومساره أثناء دورانه حول الشمس، إذ تؤثّر هذه التغييرات على كمية ضوء الشمس الساقط على الأرض، ممّا يتسبّب في تغيير درجة حرارة الأرض، إلّا أنّ هذه الدورات تحدث على مدى عشرات أو مئات الآلاف من السنين، ومن غير المحتمل أن تكون المسبّب للتغيّرات الكبيرة التي نشهدها اليوم في مناخ الأرض. ظاهرة التذبذب الجنوبي: (ENSO) هي دورة مناخية تحدث بسبب النمط المتغيّر لدرجة حرارة المياه في المحيط الهادئ، وتُعرف مرحلة الزيادة في درجة حرارة البحر بالنينو، بينما تُعرف مرحلة التبريد بالنينا، ويكون تأثير هذه الأنماط على درجة الحرارة العالمية لفترة قصيرة من الوقت، أي لأشهر أو سنوات، ولا تفسّر الاحترار المستمرّ الذي يحدث اليوم.

أبرز الغازات المسبّبة لتغيّر المناخ يبيّن ما يأتي بعض من أهمّ الغازات التي تساهم في ظاهرة الاحتباس الحراري وتغيّر المناخ: **بخار الماء: (Water vapor)** يعدّ بخار الماء من أكثر الغازات الدفيئة وفرة، ويتميّز أنّه يزداد مع ارتفاع درجة حرارة الغلاف الجوي للأرض، وبالتالي تزداد احتمالية حدوث السحب وهطول الأمطار، ممّا يجعلها إحدى النتائج المباشرة لتأثير الاحتباس الحراري. ثاني أكسيد الكربون: (Carbon dioxide)، يُطلق غاز ثاني أكسيد الكربون إلى الغلاف الجوي من خلال العمليات الطبيعية؛ مثل التنفّس، وثوران البراكين، أو بفعل الأنشطة البشرية؛ مثل إزالة الغابات،

وحرق الوقود الأحفوري، فقد تسبّب الإنسان بزيادة تركيز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي بنسبة ٤٧٪، ممّا تسبّب بتغيير طويل الأمد على المناخ. الميثان: (Methane)، هو غاز هيدروكربوني ينتج من المصادر الطبيعية، والأنشطة البشرية، مثل تحلّل النفايات، كما ينتج من الزراعة، أو من عملية هضم الطعام الذي تقوم به الحيوانات المجترّة، أو تحلّل المخلفات العضوية للحيوانات، ويعدّ الميثان أكثر تأثيراً كغاز دفيئة من ثاني أكسيد الكربون، ولكنّه يتوفّر بتركيز أقلّ في الغلاف الجوي. أكسيد النيتروجين: (Nitrous oxide) ينتج أكسيد النيتروجين من بعض الممارسات، مثل استخدام الأسمدة الصناعية والعضوية في الزراعة، واحتراق الوقود الأحفوري، وعملية إنتاج حمض النيتريك، وغيرها من المصادر، ويُعرف أكسيد النيتروجين بتأثيره القوي كأحد الغازات الدفيئة.

مركّبات الكلوروفلوروكربو

(Chlorofluorocarbons): هي مركّبات اصطناعية تستخدم في العديد من التطبيقات، وقد مُنع وتحدّد إنتاجها وإطلاقها للغلاف الجوي بموجب اتّفاقية دولية؛ لما لها من تأثير مدمّر على طبقة الأوزون، ولأنّها أيضاً من الغازات الدفيئة. نظرة عامة عن تغيّر المناخ تشكّل ظاهرة تغيّر المناخ تهديداً على مستوى العالم؛ لما لها من آثار كبيرة وواسعة النطاق، فعلى الرغم من أنّ كوكب الأرض تعرّض لتغيّرات طبيعية في درجات الحرارة على مدى عشرات الآلاف من السنين، إلّا أنّ معدّل الارتفاع الحالي في متوسّط درجة حرارة سطحه غير مسبوق، إذ تساهم هذه الطاقة الحرارية الزائدة في الكثير من التغييرات على الكوكب، منها: التغيّر في الأنماط المناخية ونسبة هطول الأمطار، ممّا يهدّد إنتاج الغذاء، إلى جانب تغيّرات في دورة حياة ومواطن العديد من النباتات والحيوانات، وارتفاع مستوى مياه البحار، الأمر الذي يزيد من خطر حدوث الفيضانات، كما يمكن أن يتسبّب الاحترار الحالي أو المستمرّ في تغييرات غير متوقّعة، بحيث يجد العديد من الكائنات الحية بما فيهم البشر صعوبة في التكيّف معها.

يثقل التغير المناخي كاهل المدنيين الرازحين تحت نير الحروب، ذلك لأن النزاع المسلح يحد من قدراتهم على مواجهة التغيرات المناخية. ويُعزى هذا جزئيًّا إلى كون النزاعات، ولا سيما طويلة الأمد منها، تفرض على المجتمعات تحديات جمَّة، فهي تقوض البنية التحتية وتسبب أضرارًا جسيمة للمؤسسات ورأس المال الاجتماعي وسبل العيش، ما يجعل من عملية التكيف مع تغير المناخ أمرًا عسيرًا.

قبل عقدين من الزمان، وفي محفل دولي كبير في مجال العمل الإنساني، أبدى مشاركون في هذا المحفل استغرابهم من أن يتناول «المؤتمر الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر»، قضية تغير المناخ. إذ كان الانطباع آنذاك أن التغير المناخي موضوع علمي بحت، ويخص قضايا بيئية سنلمس آثارها بعد أمد بعيد. لكن، وخلال بضع سنوات، أصبحت قضية التغير المناخي إحدى أهم القضايا على الأجندة الدولية. فقد راقب العاملون في المجال الإنساني من كثب، التأثيرات السلبية التي يحدثها التغير المناخي على السكان المدنيين ضحايا النزاعات المسلحة وأشكال العنف الأخرى، أو المتضررين من الكوارث الطبيعية. صار تغير المناخ أمرًا ملموسًا وله أثر واضح في تفاقم المخاطر الاجتماعية والاقتصادية القائمة.

للعلاقة بين التغير المناخي والنزاعات المسلحة وجهان. فمن ناحية أولى، يمكن أن يؤدي تغير المناخ إلى اندلاع نزاعات مسلحة أو أعمال عنف، وهو ما تظهره دراسات عدة بحثت عن العلاقة بين تقلب المناخ وبين العنف، وبينت أن زيادة هطول الأمطار أو نقصانها في الاقتصادات المعتمدة اعتمادًا كليًّا على الموارد الطبيعية يعزز من مخاطر العنف المحلي، لا سيما في المجتمعات

الرعوية الأفريقية. ففي منطقة الساحل الأفريقي مثلا، رأينا كيف ألحقت التغيرات المناخية أضرارًا بالغة بالمجتمعات المحلية، ما دفع بعضها إلى الانخراط في أعمال عنف ونزاعات مسلحة. كما أن ارتفاع درجة الحرارة وعدم انتظام هطول الأمطار وما رافق ذلك من تصحر للأراضي وتقلص في المساحات القابلة للاستغلال أدى إلى تفاقم الصراعات وخير مثال على ذلك منطقة بحيرة تشاد.

من ناحية أخرى، فدور التغير المناخي أكثر وضوحًا في مفاقمة معاناة السكان المدنيين الذين يثقل النزاع المسلح كاهلهم. يقدم مؤشر جامعة نوتردام العالمي للتكيف مع التغيرات المناخية صورة ذات دلالة للدور السلبي الذي يؤديه التغير المناخي في إطالة أمد النزاعات المسلحة. يحدد هذا المؤشر، وفقًا لعوامل فرعية عدة، مدى قدرة الدول على التعاطي مع التحولات التي ترافق تغير المناخ. ويخلص المؤشر إلى تحديد ثلاثين بلدًا هي الأكثر عرضة للتأثيرات السلبية لتغير المناخ. وليس غريبًا أن تكون معظم تلك البلدان دولاً ترزح بالفعل تحت نير النزاعات المسلحة كالصومال وإثيوبيا والكونغو الديمقراطية والنيجر وتشاد ومالي، وكذلك اليمن وميانمار.

إذ تفتقر هذه البلدان إلى القدرة على تحمل آثار تغير المناخ. وبفعل تراكم آثار النزاع، يتضرر الفقراء والأطفال وكبار السن أكثر من غيرهم، وتستمر معاناتهم من انعدام الأمن الغذائي وسوء التغذية والفقر وفقد فرص كسب العيش والوقوع فريسة للأمراض. وتقول «منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة» (الفاو) إن السبب الرئيس في ارتفاع مستويات انعدام الأمن الغذائي يكمن في ثلاثة عوامل (قد تتداخل أحيانًا) وهي: النزاعات المسلحة والأزمات الاقتصادية والتغيرات المناخية العميقة، لاسيما موجات الجفاف الطويلة في بعض المناطق في القارة الأفريقية كشرقي القارة أو حول بحيرة تشاد. وتظهر تقديرات "الفاو" أن عدد الأشخاص الذين يعانون من نقص التغذية ارتفع لأول مرة منذ عقد من الزمان، إذ إن العدد يتراوح الآن حول ٨١٥ مليون شخص يوميًّا عالميا. فيما تظهر تقديرات الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC) أن تقلب المناخ ربما يرفع من خطر الجوع وسوء التغذية بنسبة ٢٠ في المائة بحلول ٢٠٥٠.

| نماذج صارخة

تمثل الصومال نموذجًا كلاسيكيًّا للدائرة المفرغة التي تربط ما بين النزاع وتغير المناخ. فقد هوت البلاد في أوائل تسعينيات القرن الماضي في جحيم نزاع مسلح ممتد لا يرحم تسبب في إضعاف مؤسسات الدولة، وإجبار ملايين السكان على النزوح أو الهجرة، وإثقال كاهلهم، لاسيما أولئك الذين يعتمدون على الزراعة والرعي.ومر هؤلاء بتجارب مؤلمة من الجفاف الكارثي بسبب انخفاض معدلات الأمطار في موسم هطول الأمطار، وهو المعروف محليًّا باسم «غو» (يمتد من نيسان/ أبريل إلى أيار/ مايو)، قبيل موسم الحصاد السنوي في تموز/ يوليو. وتتوقع منظمات أممية أن يتسبب الجفاف الكارثي الذي ضرب البلاد خلال العام الجاري (٢٠١٩) في معاناة أكثر من مليوني شخص من الجوع الحاد، هم يمثلون نحو خمس عدد سكان البلد الفقير. وتقول دراسات إنه يمكن التغلب على بعض هذه المشاكل من خلال توزيع أكثر كفاءة للمياه، واستنبات سلالات نباتية تقاوم الجفاف، لكن ضعف مؤسسات الدولة، والنزاع المسلح، يجعل من هذه الحلول حلمًا بعيد المنال.

يقدم جنوب السودان مثالًا آخر لدور تغير المناخ في مفاقمة معاناة السكان المدنيين. شهدت هذه الدولة الفقيرة في السنوات الأخيرة تذبذبا

في هطول الأمطار الموسمية ما أدى إلى تكرر مواسم الجفاف في البلاد. هذا التقلب المناخي معطوفًا على اضطراب اقتصادي كبير، وآثار سنوات طويلة من النزاع المسلح المستمر حتى الآن، أفضى إلى تعطيل الحياة الاقتصادية تقريبًا وسبل العيش ورفع من مستويات انعدام الأمن الغذائي الحاد. وتوقعت منظمات أممية في حزيران/ يونيو الماضي أن يرتفع عدد الأشخاص الذين يواجهون نقصًا كارثيًّا في الغذاء إلى سبعة ملايين، أي أكثر من نصف سكان البلاد البالغ عددهم نحو ١٣ مليونًا.

تقدم منطقة الساحل الأفريقي مثالًا دالًّا آخر على الكيفية التي تفاقمت فيها الصراعات بفعل الآثار الناجمة عن تغير المناخ. تشمل منطقة الساحل حزامًا جغرافيًّا مترامي في الغرب الأفريقي، يشمل موريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وتشاد. وخلال العقود الماضية، انحسرت الأراضي القابلة للاستغلال مع تقلب مستويات هطول الأمطار وتقلص المواسم المطيرة علاوة على العجز عن التنبؤ بتوفر موارد المياه. وأظهرت الأمم المتحدة أن درجات الحرارة ما برحت ترتفع في منطقة الساحل بمعدل أسرع مرة ونصفًا عن متوسط ارتفاع درجات الحرارة عالميًّا. وتشير تقديرات الأمم المتحدة إلى تدهور ما يقرب من ٨٠ في المئة من الأراضي الزراعية بينما يتنافس في الوقت ذاته حوالي ٥٠ مليون شخص على الأراضي في منطقة الساحل الأفريقي والذين يعتمدون في معيشتهم على تربية الماشية.

ومنذ أواخر العام ٢٠١٨، يُصنف ما يُقدر بنحو ٣٣ مليون شخص في منطقة الساحل بأنهم يفتقرون إلى الأمن الغذائي. ورصدت اللجنة الدولية للصليب الأحمر كفاح هذه المجتمعات المحلية الفقيرة من أجل الحصول على خدمات رعاية صحية آمنة أو إيجاد مدارس لأطفالهم أو تأمين دخل أساسي. ولا تجد تلك المجتمعات أمامها بُدًّا من خياراتٍ صعبة في البحث عن سبل لإعالة أسرهم، من بينها الهجرة عبر طرقٍ محفوفة بالمخاطر أو الانضمام إلى جماعات مسلحة. ويتخذ العنف مسارًا مثيرًا للقلق الشديد. وكشفت مجموعة البحث لمشروع بيانات مواقع وأحداث الصراعات المسلحة "ACLED" أن عدد الوفيات المسجلة في مالي بلغ ١,٦٨٦ شخصًا في العام ٢٠١٨ مقارنةً بـ ٩٤٩ في العام ٢٠١٧ و٣٢٠ في العام ٢٠١٦. كذلك تتسع رقعة المناطق الساخنة من شمال مالي إلى وسطها وعلى طول الحدود بين النيجر ومالي وبوركينا فاسو.

| ضحية صامتة

في كثير من الأحيان تكون البيئة الطبيعية ضحية صامتة للنزاع المسلح. وعلى حين يحظر القانون الدولي الإنساني استخدام البيئة باعتبارها سلاحًا، أي يحظر تدمير الموارد الطبيعية، لكن تلجأ الأطراف المتحاربة كثيرًا إلى الإفراط في استخدام استراتيجيات عسكرية تشكل تهديدًا بيئيًّا. فعلى سبيل المثال، يؤدي إشْعال النار في حقول النفط (أو تدمير المنشآت الصناعية الكبيرة) إلى إطلاق كميات كبيرة من الغازات الدفيئة والتلوث المحمول في الغلاف الجوي، ما يؤدي إلى عواقب مدمرة. وما يزيد الطين بلّة، إسهام ذلك أيضًا في تغير المناخ، إذ قد تزداد انبعاثات كميات كبيرة من الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي. كما يمكن أن يكون لتدمير مساحات شاسعة من الغابات عواقب وخيمة مترتبة على تغير المناخ. وتقول تقديرات إن النزاعات المسلحة تُعد أهم المؤشرات على انخفاض عدد الكائنات الحية في الحياة البرية في الفترة من العام ١٩٤٦ وحتى العام ٢٠١٠. والحرب الأهلية في موزمبيق مثال كاشف على دور النزاع في تهديد التنوع البيولوجي على الأرض. فخلال الحرب الأهلية التي دامت ١٥ عامًا في

موزمبيق، فقدت حديقة جورونغوسا الوطنية أكثر من ٩٠ في المئة من حيواناتها، إذ انخفضت أعداد الجاموس الأفريقي من ١٤٠٠٠ إلى ١٠٠، وفرس النهر من ٣٥٠٠ إلى ١٠٠. فيما انخفض عدد الأفيال من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠، وذلك لأن لحومها كانت تُقدم طعامًا للجنود، فيما كان يُباع عاجها لتمويل شراء الأسلحة والذخيرة والإمدادات.

استراتيجية اللجنة الدولية

يتوقع أن تتزايد الاحتياجات الإنسانية بشكل كبير بسبب تأثير ظاهرة الاحتباس الحراري. ولا تستطيع المنظمات الإنسانية وحدها التصدي للاحتياجات الإنسانية القائمة. وقد وطنت اللجنة الدولية نفسها كي تستوعب تأثير تغير المناخ على التدهور البيئي واستنفاد الموارد (مثل التصحر، انخفاض خصوبة التربة، تدهور إمدادات المياه العذبة) وأثر ذلك كله في المجتمعات المتضررة من النزاعات المسلحة. والنقطة المركزية هنا هي دعم محاولات السكان المدنيين في التأقلم والتكيف مع البيئات المتدهورة والمخاطر المتزايدة لحدوث فيضانات وجفاف وتعرضهم للحرارة المفرطة والفقر من خلال البحث عن استراتيجيات جديدة تتيح سبل كسب الرزق.

وربما تتطلب هذه الاستراتيجيات تغييرات اجتماعية أو ثقافية أو سياسية أو اقتصادية من أجل تمكين الناس من التكيف مع آثار التغير المناخي، والتخفيف من وطأة آثاره السلبية. ومن أمثلة ذلك، ما تؤديه وحدات الأمن الاقتصادي والمياه والإسكان في اللجنة الدولية من تنفيذ مشاريع تدعم السكان المدنيين وتساعدهم على التكيف مع تأثير تغير المناخ، كمساعدة المزارعين على التحول إلى المحاصيل التي تتحمل الجفاف أو مساعدة المجتمعات على إيجاد سبل لتحسين استخدام الموارد المائية.

وفي هذا السياق، بلورت اللجنة الدولية في استراتيجيتها المؤسسية للأعوام من ٢٠١٩ حتى العام ٢٠٢٢، هدف الحد من الآثار السلبية للتغير المناخي في دول النزاعات المسلحة، وتعزيز قدرة المجتمعات المتضررة على استيعاب الآثار المجتمعية للنزاع أو العنف والصدمات المناخية، وبناء تأثير إنساني أكثر استدامة.

وتعمل اللجنة الدولية على دعم المجتمعات المتضررة من النزاعات كي تتمكن من مواجهة الضغوط التي قد تنشأ في المستقبل نتيجة الآثار المتراكمة للنزاعات وتغيُّر المناخ. كما تعمل اللجنة الدولية على إعادة تخطيط برامجها لتضمن منع تدهور البيئة التي يعتمد عليها السكان المتضررون في كسب عيشهم، علاوة على تحسين السياسات البيئية للجنة الدولية عبر تعزيز فعالية استخدامها للطاقة وخفض اعتمادها على الوقود الأحفوري وخفض النفايات الخطرة في الميدان.

والنزاعات المسلحة

ملف العدد

م. م حسين خضير ياس

حماية البيئة

في اوقات النزاعات المسلحة والحروب

العديد من المبادئ القانونية والأعراف الإنسانية إلى جانب نصوص اتفاقية تضمنت حماية للبيئة الطبيعية من آثار العمليات العدائية أثناء النزاعات المسلحة، إلا أنه من الواضح عدم كفايتها لمنع الانتهاكات الجسيمة بها خاصة في ظل التطور الهائل للوسائل والأساليب القتالية.

لم تعد آثار الحرب مقصورة على إيذاء الإنسان وإلحاق الضرر به وبممتلكاته فقط، بل أصبح مداها يتجاوز ذلك، معرضة كل ما يلزمه لاستمرار حياته بشكل طبيعي للفناء عبر تدمير البيئة الطبيعية وتعريضها للخطر. ولعل الخطر المترتب على النزاعات المسلحة اليوم يكمن في كون آثارها الكارثية على البيئة وملحقاتها ممتدة ومستمرة لا تنتهي بانتهاء النزاع – بالرغم من ازدياد وتيرة حاجة الإنسان لها يومًا بعد يوم – وإنما تبقى وتظل تلك الآثار شاهدة وحاضرة على مأساة الإنسان عشرات السنين، خاصة في ظل التطور التقني الهائل في فنون التسلح وفي استخدام أساليب وأدوات قتالية ضارة جدًّا.

وبسبب تلك الآثار الكارثية التي تخلفها النزاعات المسلحة وتصيب في جزء كبير منها البيئة ومشتملاتها، وفي ظل تعذر إبعاد الخطر عنها، لم يعد موضوع حماية البيئة أمرًا ثانويًّا، بل أصبحت وبحكم طبيعتها وارتباطها الوثيق بالإنسان مباشرة موضوعًا يستدعي وجود سياسة عامة دولية ولم يعد يكفي لها السياسات الوطنية. من هنا يتبادر للذهن تساؤل هام حول الدور الذي يضطلع به القانون الدولي الإنساني في حماية البيئة؟ وإلى أي مدى تبدوالنصوص الواردة في هذا الإطار كافية اليوم؟

في البداية لا بد من الإشارة إلى أن الغرض والهدف الرئيس لقواعد القانون الدولي الإنساني هو التخفيف مما يترتب على النزاعات المسلحة من آثار ولا يتحدث إطلاقًا عن نهايتها أو القضاء عليها. ومن خلال فحص قواعد القانون الدولي الإنساني وتتبعها يتبين أنه فرض نوعيتين من الحماية، إحداهما بموجب الأحكام العامة في حين كانت الثانية بمقتضى بعض الأحكام الإضافية الخاصة. وبالتالي تكون الأولى محلًّا للانطباق فيما يتعلق بسير العمليات العدائية على البيئة، انطلاقًا من كونها ذات طبيعة مدنية، ولا يمكن بذلك شن هجمات ضدها إلا في حال تم تحويلها إلى هدف عسكري من خلال مساهمتها في تحقيق مزايا عسكرية. كما يلزم مراعاة التدمير الذي تتعرض له البيئة

عندما تكون محلًّا للاستهداف العسكري من خلال عملية تقييم لمبدأ التناسب بين فكرتين هما كيفية تحقيق التوازن بين الأضرار العرضية غير المفرطة وبين الميزة العسكرية المرجوة.

| حماية فعلية

جرى الحديث عن الحماية الفعلية للبيئة في ضوء القانون الدولي الإنساني بشكل واضح من خلال نصوص البروتوكول الإضافي الأول ١٩٧٧ لاتفاقيات جنيف ١٩٤٩ بمقتضى المادة ٣٥ والمادة ٥٥. فالفقرة ٣ من المادة ٣٥ من البروتوكول نصت على أنه «يحظر استخدام وسائل أو أساليب للقتال، يقصد بها أو قد يتوقع منها أن تلحق بالبيئة الطبيعية أضرارًا بالغة واسعة الانتشار وطويلة المدى» أما نص المادة ٥٥ فكان كالتالي: «تراعى أثناء القتال حماية البيئة الطبيعية من الأضرار البالغة واسعة الانتشار وطويلة الأمد". وتتضمن هذه الحماية حظر استخدام أساليب أو وسائل القتال التي يقصد بها أو يتوقع منها أن تسبب مثل هذه الأضرار بالبيئة الطبيعية ومن ثم تضر بصحة أو بقاء السكان، في حين أشارت الفقرة الثانية من ذات المادة إلى حظر هجمات الردع التي تشن ضد البيئة الطبيعية. وبنظرة سريعة على نص المادتين يمكن تدوين وتسجيل عدة ملاحظات هامة في إطار الحماية المفترضة من القانون الدولي الإنساني للبيئة:

- أي ضرر يصيب أو يلحق بالبيئة بشكل مباشر هو محظور بموجب نصوص البروتوكول الإضافي الأول ١٩٧٧ لاتفاقيات جنيف ١٩٤٩ وبالتالي مسؤولية أي طرف من أطراف النزاع عن أي انتهاك.
- أي ضرر يصيب أو يلحق بالبيئة بشكل غير مباشر في إطار استهداف هدف عسكري لا يعتبر محظورًا بصورة واضحة ودقيقة طالما أنه كان عرضيًّا غير مقصود ولم يكن مفرطًا، انطلاقًا من قاعدة التناسب أو الحد الأدنى المفترض للأضرار التي قد تصيب البيئة، فإلحاق الضرر بها قد يكون مسموحًا في انتظار ميزة عسكرية محققة ما كانت لتكون دون وجود أضرار عرضية.

وبالتالي يمكن القول هنا إن القانون الدولي الإنساني تغاضى بشكل من الأشكال، أو لم يرتب أية مسؤولية، انطلاقًا من صعوبة تحقيق معادلة التناسب بصورة مقبولة بين الأضرار المفترضة والمزايا العسكرية المرجوة. إلا أن هذه المواءمة قد تفتح الباب واسعًا أمام احتجاج أطراف الصراع بكون تدميرهم أو تعديهم على نصوص حماية البيئة قد تم أو كان في إطار ما يعرف بالأضرار العرضية ليس إلا، كما أن هناك إشكالية كبرى تتمثل في الجهة التي سيكون من حقها تحديد ما إذا كان الضرر عرضيًّا في إطار استهداف هدف عسكري أم لا.

ما يلاحظ على نص المادة ٣٥ وكذلك المادة ٥٥ كونها قيدت الضرر المحظور جراء استخدام سلاح معين بثلاثة شروط تبدو مبالغًا فيها ولا يكفي توفر أحدها فقط ليكون هذا النص مفعلًا أو قيد التطبيق، وهي ضرورة أن يكون «بالغًا واسع الانتشار وطويل المدى». إضافة إلى ذلك هناك صعوبة واضحة لإعمال النص كون من المستحيل أن يكون الضرر بالغًا، واسع الانتشار، وطويل المدى في ذات الوقت، كما أن هناك صعوبة في قياس ذلك. فكيف يعرف ضرر ما كونه بالغًا أم لا؟، وعلى أي أساس سيقاس كون الضرر طويل المدى أم لا؟، فهل يقاس على سبيل المثال بعدم إمكانية استغلال الأرض من قبل المدنيين لمدة عشر سنوات فقط أم بضرورة مرور عقدين؟ أم ماذا؟ في سياق هذه النقطة يشار إلى أن اتفاقية حظر استخدام تقنيات التغيير في البيئة لاغراض عسكرية أو لأية أغراض عدائية أخرى تطلبت فقط توفر شرط واحد من الشروط بالغًا أو واسع الانتشار أو طويل المدى حتى يتم اعتبار أن الضرر قد تحقق.

ربما ما يميز نص المادتين أن التوقع فقط بحدوث الضرر كافٍ لتحقق أركان المسؤولية عن الفعل إذا ترتب عليه ضرر لحق بالبيئة، إلا أنه من جانب آخر يقترح البعض انطلاقًا من طبيعة البيئة، كونها تندرج ضمن الأعيان المدنية، مد الحماية التي تتمتع بها الأعيان

كي تستفيد منها عناصر البيئة في ظل عدم كفاية النصوص الخاصة بها. ومع صحة فرضية هذا القول إلا أنه يتلاشى كون حتى الحماية التي تتمتع بها الأعيان المدنية ليست دائمة على اعتبار أنها قد تصبح أهدافًا عسكرية بمجرد أن تساهم في العمل العسكري وبالتالي تصبح محلًّا للاستهداف، ومع ذلك يرى البعض أن الحماية الممنوحة للأماكن المجردة من وسائل الدفاع قد تجد مجالًا للتطبيق هنا. وفي ذات الإطار لا بد من التنويه على أن أطراف النزاع تظل ملزمة بضرورة اتخاذ كل التدابير الممكنة والمناسبة التي يترتب عليها إبعاد الضرر عن البيئة ولا يكفي لنفي المسؤولية التذرع بعدم الدراية أو المعرفة.

إن ما يثير الانتباه وما يحتاج للمعالجة أيضًا هو أن الحماية التي تضمنتها قواعد القانون الدولي الإنساني لا يمكن أن تتعدى من حيث تطبيقها الصراعات المسلحة الدولية، فالنزاعات المسلحة غير الدولية بالرغم من كون معظم النزاعات في العالم تقريبًا من هذا النوع لا يمكن أن يتم إعمال هذا النص – نص الحماية المفترضة – أو تطبيقه. وتظل قواعد القانون الدولي العرفي وتحديدًا المواد ٤٣-٤٤-٤٥ محلًّا للتطبيق – بصرف النظر عن نوعية النزاع – وهي تلك القواعد التي تفرض تقريبًا مضمون الحماية نفسها الواردة للبيئة في المادتين ٣٥- ٥٥ من البروتوكول الإضافي الأول ١٩٧٧.

| استفادة محتملة

وبالرغم من ذلك تظل هناك إمكانية كبيرة جدًّا للاستفادة من الحماية غير المباشرة للبيئة التي توفرها بعض الاتفاقيات في ظل قصور وعدم فعالية ما هو موجود من نصوص للقانون الدولي الإنساني عبر وضعها موضع التنفيذ مثل: اتفاقية ١٩٧٦ الخاصة بحظر استخدام أي عمل عسكري أو عدائي آخر لتقنيات تغيير البيئة، واتفاقية ١٩٨٠ الخاصة بحظر وتقييد استخدام أي أسلحة تقليدية، وكذلك بروتوكول ١٩٩٩ الملحق باتفاقية لاهاي ١٩٥٤ كأساس لحماية التراث الثقافي الطبيعي.

وفي الختام لا بد من القول إن النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية أورد نصًّا خاصًّا بحماية البيئة تحديدًا في المادة ٨ الفقرة ٢/ب/٤ عندما اعتبر أن الأعمال التي تلحق ضررًا واسع النطاق وطويل الأجل وشديدًا بالبيئة الطبيعية وتنتهك مبدأ التناسب هي جريمة حرب تستوجب المساءلة والعقاب، ويبدو إلى حد بعيد أن مضمون النص يتشابه مع المادتين ٣٥ و ٥٥ من البروتوكول الإضافي الأول ١٩٧٧، وبالتالي ينطبق ما قيل آنفًا على هذا النص أيضًا.

وعلى كل حال تبقى مسألة حماية البيئة والتقيد ربما بالنصوص الواردة واللجوء لما توفره نصوص القانون الدولي للبيئة من حماية – في ظل عدم كفاية نصوص القانون الدولي الإنساني– متوقفًا على إرادة الدول وتحديدًا أطراف النزاع، فخطورة إيذاء البيئة كبيرة وآثارها وخيمة على الأجيال اللاحقة، وكل الآمال تظل معقودة على تضافر كل الجهود من أجل بيئة آمنة.

ولا بد أن ننوه للدور الهام الذي تضطلع به اللجنة الدولية للصليب الأحمر في إطار احترام البيئة وحمايتها أثناء النزاعات المسلحة عبر تذكير الدول وأفراد قواتها المسلحة بالتزاماتهم، وهو ما انتهى باعتماد ما يعرف بـ «المبادئ التوجيهية للأدلة والتعليمات العسكرية بشأن حماية البيئة في أوقات النزاع المسلح» والتي أوصت الجمعية العامة للأمم المتحدة بضرورة الاهتمام بها وتقديم الاحترام الكامل لها منذ ١٩٩٤.

ملف العدد

م.م. عماد فارس البياتي

ازمة المياه العراقية

بين الاهمال الحكومي و نقص الاطلاقات المائية

| المقدمة:

إن المياه تختلف عن غيرها من الموارد الطبيعية. ففي كل الأحوال، دوما ما يكون هناك بدائل للعديد من الموارد، ولكن لا توجد بدائل للمياه الذي يعد المورد الأهم في الأساس على نطاق واسع ولفترات طويلة ناهيك عن كونها غير دائمة. وإن افترضنا عملية الاستيراد للمياه بتوظيف تقنية «تجارة المياه الافتراضية» ([1]*) ، لكن ذلك يعرض البلدان المعتمدة لـ(ازمة الغذاء) خاصة إذا البلد المصدر تعرض للتهديدات الامنية الذي بدوره يدمر اقتصاده, أو اختل توازن العلاقات بين تلك الدول.

ولهذا تعد قضايا المجاري المائية الدولية من أكثر القضايا الساخنة التي تشهدها الساحة الدولية، بسبب الخلافات بين دول المنبع والمصب، ولعل أبرزها الخلافات على الأنهار الواقعة في منطقة الشرق الأوسط بنحو عام, إذ يشهد ملف الموارد المائية العراقية الكثير من الأزمات ذات البعد الخارجي، لوقوع منابع نهر الفرات في الدول المجاورة له، ووقوع اغلب منابع نهر دجلة خارجه، فضلاً عن كون العراق هو المصب الأخير للنهرين, أذ يأتي معظم مياه النهرين من تركيا بنسبة (٧١٪) ، وتليها إيران (٩. ٦٪) ، ثم سوريا (٤٪) ، والمتبقي من داخل العراق, وعند تحليل هذه النسب نجد أن ١٠٠٪ من مياه نهر الفرات و٦٧٪ من مياه نهر دجلة تأتي من خارج العراق، أما تصاريف نهري دجلة والفرات فتصل إلى معدل قدره ٣٠ كيلومترا مكعبا سنويًّ إلا أن هذا الرقم يتذبذب بين ١٠ إلى ٤٠ كيلومترا مكعبا اعتمادا على الظروف المناخية. وفيما يتعلق ببقية مصادر المياه في العراق غير نهري دجلة والفرات، فهي تحديدا المياه الجوفية، لكن كمياتها محدودة جدا، وتدفع صانعي تلك السياسات لرسم سياساتهم وفقاً لما يمليه عليهم البعد الخارجي، في ظل إنجاز تركيا لمشاريعها التي جعلتها تتحكم في إيراد المياه الواصلة إلى العراق، فضلاً عن تحويل إيران لأغلب روافد نهر دجلة الى داخل اراضيها.

كما يلعب القانون دوراً مهماً في تحديد ملكية الموارد المائية وتنظيم استغلالها سواء داخل حدود الدولة الواحدة أو بين عدة دول ويؤكد هذا المبدأ المادة الثالثة من ميثاق الامم المتحدة للحقوق والواجبات الاقتصادية للدول عام ١٩٧٤» لدى استغلال الموارد الطبيعية التي تتقاسمها دولتان أو أكثر ينبغي على كل دولة أن تتعاون مع غيرها على أساس نظام للمعلومات والتشاور المشترك بغية تحقيق أفضل استخدام لهذه الموارد من غير أن يتسبب ذلك في الحاق الضرر بأية مصالح مشروعة للآخرين» وكثير من الدول، باتت مصالحها مهددة بسبب القيود التي تتلقاها من جراء التصرفات التي تقوم بها الدول المجهزة للمياه مخالفة بها للقوانين والمعاهدات والاتفاقات الدولية، والعراق ليس بعيداً

عـن كل مـا يـدور فـي تلـك السياسـات المائيـة، وقـد تضـرر كثيـراً مـن سـلوك دول الجـوار ونزعتهـا الفرديـة بالأخـص مـن تركيـا وايـران وسـنوضحها لاحقـاً.

الفرع الاول: أزمة المياه بين تركيا والعراق

تكتسـب الميـاه فـي منطقـة الشـرق الاوسـط عمومـاً والعـراق خصوصـاً أهميـة بالغـة وذلـك لنـدرة الميـاه وعـدم انتظـام توزيعهـا فـي الزمـان والمـكان وهـي عرضـة للتصحـر والجفـاف, وفـي الآونـة الاخيـرة فرضـت الميـاه كإحـدى الموضوعـات الرئيسـية التـي تحمـل بعـداً محتمـلاً للنـزاع. نتيجـة لزيـادة عـدد السـكان ممـا يزيـد مـن اسـتهلاك الفـرد للميـاه أضافـة لمحاولـة بلـد المنبع مـن اسـتغلال مواردهـا الطبيعيـة لتحقيـق مشـاريعها الخاصـة مـن توليـد الطاقـة الكهربائيـة وتوفيـر خزيـن مائـي يكفـي حاجـة سـكانها[٢] عـدا أنها وسـيلة سياسـية للضغـط علـى الـدول المشـاركة لهـا. ويبقـى السـؤال فـي الذهـن باعتبـار للعـدو اهـداف مسـتقبلية تعـزز مـن وجـوده عـن طريـق إلهـاء محيطـه بمشـاكل تعزلهـم عنـه, هـو هـل لإسـرائيل دور رئيسـي فـي اشـعال حـرب الميـاه مسـتقبلا فـي المنطقـة العربيـة عمومـا وفـي العـراق خصوصـاً؟. منـذ أن خطـرت للصهيونيـة العالميـة فكـرة زرع إسـرائيل فـي قلـب الوطـن العربـي فـي أواخـر القـرن التاسـع عشـر وحتـى إنشـاء هـذه الدولـة رسـمياً عـام ١٩٤٨ كانـت المـوارد العربيـة وبخاصـة منهـا المائيـة ملازمـة لأحـلام الحركـة الصهيونيـة, وتجسـدت هـذه الأحـلام عبـر سـرقة هـذه الدولـة للميـاه الفلسـطينية أولا ثـم لميـاه البلـدان العربيـة المجـاورة ثانيـاً (سـوريا ولبنـان والأردن) ، بـل أخـذت تنظـر بعيـداً إلـى الأنهـر الدوليـة التـي تمـر بالبلـدان العربيـة كنهـري دجلـة والفـرات الماريـن فـي سـوريا والعـراق، ونهـر النيـل المـار فـي مصـر والسـودان. وأخـذت تنمـي علاقاتهـا السياسـية والاقتصاديـة والعسـكرية والتقنيـة مـع منبـع هـذه الأنهار (تركيـا وإثيوبيـا والـدول الأفريقيـة الأخـرى المتشـاطئة مـع نهـر النيـل) بهـدف الضغـط علـى البلـدان العربيـة التـي تمـر فيهـا هـذه الأنهـار للموافقـة علـى أحـلام إسـرائيل[٣] .

ولأن تركيـا لا تعتـرف بـأن الفـرات ودجلـة نهريـن دولييـن، وإنمـا تعدهمـا نهريـن عابريـن للحـدود، إذ تسـتخدم فـي خطابهـا مصطلـح «الميـاه العابـرة للحـدود»، بـدلاً مـن «الأنهُـر الدوليـة»، بمـا يتبـع ذلـك مـن خضوعهمـا للسـيادة المطلقـة للدولـة التركيـة، ويبيـح لهـا ذلـك حق التصـرف فـي كميـة الميـاه التـي تمنحهـا للـدول الأخرى، فـي حيـن تسـتخدم هـي مـا تشـاء لسـد حاجتهـا مـن ميـاه النهريـن[٤] ، وحسـب قـول (سـليمان ديميـرل) الرئيـس التركـي السـابق فـي ٦ أيـار١٩٩٠» إن ميـاه الفرات ودجلـه تركيـة ومصـادر هـذه الميـاه هـي مـوارد تركيـة كمـا أن آبـار النفـط تعـود ملكيتهـا إلـى العـراق وسـورية ونحـن لا نقـول لسـورية والعـراق إننـا نشـاركهما مواردهما النفطيـة ولا يحـق لهمـا القـول إنهمـا تشـاركانا مواردنـا المائيـة إنهـا مسـألة سـيادة إن هـذه أرضنـا ولنـا الحـق فـي أن نفعـل مـا نريـد, ويجـب أن يـدرك الجميـع أن نهـري الفـرات ودجلـة مـن الانهـار التركيـة حتـى النقطـة التـي يغـادران فيهـا الاقليـم التركـي» [٥] .

ورغـم الاعتراضـات المتكـررة لـكل مـن العـراق وسـوريا ومطالبتهـا تركيـا بالتوقـف عـن اقامـة المشـاريع علـى نهـري دجلـة والفـرات لحيـن التوصـل الـى اتفـاق ثلاثـي، لتقسـيم الميـاه بينهمـا، اسـتمرت مشـاريعها فـي جنـوب شـرق الاناضـول علـى حسـاب مصالـح الدولتيـن المتشـاطئتين معهـا, ومـن الجديـر بالذكـر، ان لجنـة فنيـة تكونـت فـي العـام ١٩٨٢ بيـن تركيـا والعـراق، ثـم انضمـت اليهـا سـوريا فـي العـام ١٩٨٣، غيـر انهـا لـم تتوصـل الـى اتفـاق نهائـي حـول « اقتسـام عـادل « لميـاه دجلـة والفـرات مـع انهـا عقـدت ١٦ اجتماعـا [٦] . وجـاءت الأفـكار الأولـى للاسـتفادة مـن ميـاه نهـري دجلـة والفـرات مـن (مصطفـى كمـال أتاتـورك) مؤسـس الجمهوريـة التركيـة، وقتهـا الحاجـة إلـى الكهربـاء مسـألة تحظـى بالأولويـة فـي العشـرينات والثلاثينـات مـن القـرن العشـرين ولـذا أنشـأت إدارة الدراسـات الكهربائيـة عـام

١٩٣٦ لدراسة مدى إمكانية الاستفادة من مياه الأنهار داخل الدولة في توليد الكهرباء[٧] . فبعد أن اقيمت شركة شؤون الكهرباء في عام ١٩٣٦ بأمر منه, بدأت الشركة بأعمال مكثفة في مشروع «سد كبان» وأقامت المزيد من المحطات لرصد ومراقبة مياه الفرات. وفي عام ١٩٣٨ بدأت أعمال المسح الجيولوجي والطبوغرافي في خليج كبان، ونفذت شركة ادارة شؤون الكهرباء أعمال سبر في نهري دجلة والفرات, ونتيجة للاحتياجات الجديدة تأسست المديرية العامة للمياه عام ١٩٥٤، وقسّمت تركيا إلى ٢٦ حوضاً مائياً في عام ١٩٦١، وأقيمت في ديار بكر دائرة تخطيط الفرات. وفي عام ١٩٦٤ أعدت الدائرة تقريراً حول استطاعة حوض الفرات في ميداني الري والطاقة. وفي عام ١٩٦٦ اعدت تقريراً آخر أسمته تقرير كشف الفرات الأدنى. وفي عام ١٩٧٧ توضّح الشكل النهائي للمشروع الذي سيستفاد خلاله من حوضي الفرات ودجلة، واطلق عليه اسم "مشروع جنوب شرق الأناضول" الذي يرمز اليه الاحرف الثلاثة الأولى من الكلمات التركية المشكلة لاسمه(Guneydogu Adulu Projes-GAP) وأحيل عام ١٩٨٦ إلى هيئة تخطيط الدولة، وأوكلت الحكومة التركية لهذه الهيئة مهمة الاشراف الفعلي على تنفيذه وتنسيق جميع الفعاليات الخاصة به وتوجيهها[٨] . وهو مشروع ضخم متعدد الجوانب والأغراض يتضمن إقامة ٢١ سداً منها ١٧ سداً على الفرات، و٤ سدود على دجلة و١٧ محطة للطاقة الكهربائية ومشروعات أخرى متنوعة في قطاعات الزراعة والصناعة والمواصلات والاتصالات وغيرها, وتعلق عليه آمالا كبيرة في تنمية المحافظات الست الواقعة في الجنوب الشرقي لتركيا، التي تعد أكثر المناطق تخلفًا فيها وهي (ديار بكر) ، (غازي عنتاب) ، (سيرت) ، (شانلي أورفا) ، (أريمان) ، (ماردين) [٩] . ويبين جدوا رقم(١) توضح لوحدات مشروع جنوب شرق الاناضول(الغاب) :

جدول رقم (١)

وحدات مشروع جنوب شرق الاناضول(الغاب) :

	اسم الوحدة	انتاج الطاقة الكهربائية/ مليار سنوياً	المساحة المروية/ ألف هكتار
١	مشروع الفرات الادنى	٨, ٢٤٥	٧٠٦, ٢٠٤
٢	مشروع قره قايا	٧, ٣٤٥	-
٣	مشروع الفرات الحدودي	٣, ١٧٠	-
٤	مشروع سروج يازاكي	٠, ١٠٧	١٤٦, ٥٠٠
٥	مشروع غوكصو-اريان	-	٨٢, ٦٨٥
٦	مشروع ادي يامان	٠, ٥٠٩	٧٧, ٤٠٩
٧	كاهنا	-	٠, ٨٩
٨	مشروع غازي عينتاب	٠, ٤٤٢	١٤٦, ٠٨٠
٩	مشروع دجلة-قرال قيزي	٠, ٤٨٣	٣٧, ٧٤٤
١٠	مشروع باطمان	١, ٥	٢١٣, ...
١١	مشروع باطمان-سيلوان	٠, ٣١٥	٦٠, ...
١٢	مشروع جرزان	٣, ٧٣٠	-
١٣	مشروع اليسو	١, ٢٠٨	١٢١, ...
١٤	مشروع جزرة		

المصدر/ عبد العزيز شحادة, المسألة المائية في السياسة السورية تجاه تركيا, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ٢٠٠٠, ص١٦٧.

وتعد المشاريع الاتية اهم المشاريع التركية[١٠] :

١. **مشروع سد اتاتورك:** يشكل هذا المشروع، أهم وحدات مشروع (الغاب) ، وتم تشييده على نهر الفرات قرب بلدة (بوزقا) التابعة لمحافظة شانلي أورفه، التي لاتبعد عن الحدود التركية - السورية

سوى (٦٠) كم. ويرتفع السد عن مجرى النهر (١٦٩) متراء ويمثل خامس أكبر سد في العالم. تبلغ مساحة بحيرة السد (٨١٧) كم ٢ وطاقتها التخزينية الكلية (٤٨. ٧) مليار م ٢، وله ست بوابات فولاذية ابعادها (١٦ × ١٧) متر، وقد تم انجازه ما بين عامي ١٩٨٣-١٩٩٢.

٢. **مشروع نفق « شانلى اورفه »:** يعد هذا المشروع منشأة مهمة لتحويل مياه نهر الفرات الى سهول ماردين وشانلي أورفه، وحران، وجيلان بينار. ويتألف من نفقين متوازيين طول كل منهما (٢٦, ٤) كم بقطر داخلي (٧. ٦٢) متراً، ويبلغ التصريف الأقصى للنفقين (٣٢٨) مترا مكعبا في الثانية.

٣. **مشروع سد « قره تابا »:** بدأت تركيا في بناء هذا السد في عام ١٩٧٦ على نهر الفرات قرب بلدة « ثون جوش » بمحافظة ديار بكر، وقد تم انجازه عام ١٩٨٦، وبلغ ارتفاع السد (١٧٣) مترا بطاقة تخزينية (٩. ٥) مليار م ٣، وتقدر الاراضي التي سيرويها بـ (١٦٠) الف هكتار.

٤. **منظومة سد(اليسو-الجزرة) التركي:** وهي المنظومة الخائفة للعراق والتي سماها الرئيس التركي اردوغان بانه تحقيق حلم دام اكثر من سبعون عاماً, إكمال تركيا لمشروع « منظومة سد اليسو- الجزرة التركي الذي سيعمل على تقليل تصاريف نهر دجلة الى أدنى مستوياته وهي بحدود ٦٠ متر مكعب في الثانية وهذا ما يسمى بالجريان او التدفق البيئي للنهر[١١] , وبحسب وكالة «رويترز»، ومن الاضرار كثرة بناء السدود على المواطن التركي, فقد تسبب السد(اليسو) في تشريد نحو ٨٠ ألف شخص من ١٩٩ قرية، الذي قررت الحكومة التركية إنشاؤه في عام ١٩٩٧ من أجل توليد الكهرباء, والذي يعد أكبر السدود المقامة على نهر دجلة، وعلى بعد أقل من ٧٠ كم من الحدود العراقية وتبلغ سعته التخزينية ١٠, ٤٠ مليار متر مكعب وتبلغ قدرة محطته الكهرومائية حوالي ١٢٠٠ ميغاوات, وبطول ١٨٢٠ مترا وارتفاع ١٣٥ مترا وعرض كيلومترين، وتقدر مساحة حوضه بـ(٣٠٠ كيلومتر مربع) [١٢] . أما سد الجزرة, فيعد مكملًا لسد إليسو, يقع إلى جنوب إليسو بمسافة ٣٥ كم وعلى مسافة ٤ كم شمال مدينة الجزرة قرب الحدود السورية. ويبلغ حجم الخزان الكلي للسد ١, ٢ مليون م٣ وتبلغ قدرة محطته الكهرومائية ٢٤٠ ميغاوات[١٣] .

وإذا اخذنا موقف الجانب العراقي من بناء السدود المضرة بمياهه خاصة بعد ٢٠٠٣, لم تكن دبلوماسية المياه قوية ولا فعالة في التوصل إلى قرار من شأنه يوقف تركيا, واستكملت مشاريعها دون الحصول على الموافقات القانونية اللازمة من المجتمع الدولي على الرغم من تزايد الاحتجاجات من الجانب العراقي، وبعض الدول الإقليمية الأخرى [١٤] .

وأزمة المياه مع تركيا ليست بالحديثة, فقد حدثت الازمة الاولى للمياه في عام ١٩٧٤ عندما تم افتتاح سد كيبان في تركيا على نهر الفرات لتوليد الطاقة الكهربائية وتزامنت مع مليء بحيرة الأسد في سوريا، أذ خزنت سوريا أكثر من حاجتها في تلك السنة وقد ادى ذلك الى موت المحاصيل الزراعية والمواشي في المناطق التي تروى من نهر الفرات وجف النهر تماما وانقطع جريانه، اما الازمة الكبيرة الثانية فقد حدثت في ١٣ كانون الثاني ١٩٩٠ عندما بدأت تركيا بملئ سد اتاتورك اكبر السدود التركية؛ حيث قامت بإغلاق النهر لمدة (٢٧) يوما وتحججت بأن كمية المياه في النهر قبل قطعه كانت أكثر من المعتاد[١٥] .

ووجد العراق وسوريا بأن الهدف المباشر من مشروع جنوب شرق الأناضول، يكمن في أنه سيترك آثاراً سلبية على الموارد المائية لهما، وأن الدول الأوروبية شجعت ومولت المشروع كونها كانت تهتم أن تنخرط تركيا في صراع مع العرب حول المياه – وهو ما تحقق بالفعل – حتى لا تتفرغ للصراع مع اليونان حول جزر بحر إيجة أو في قبرص[١٦] .

الفرع الثاني: أزمة المياه بين العراق وإيران

هناك مياه مشتركة بين العراق وإيران في بعض روافد دجلة إضافة إلى وجود العديد من المجاري المائية المشتركة، وان طبيعتها إما حدودية تفصل الحدود بين الدولتين، او انها متتابعة تنبع من إيران وتدخل الأراضي العراقية، وهذه الأنهار واقعة على امتداد الحدود بين الدولتين من الشمال إلى الجنوب وتقدر عددها بـ (٤٣) نهراً ووادياً، لم تعقد الدولتين اتفاقات خاصة بشأن هذه الأنهار إلا انه تمت الإشارة إلى بعض منها في محاضر جلسات الحدود عام ١٩١٤, ومنها محاضر جلسة (٢٨) الذي تناول تقسيم مياه نهر الكنكير مناصفة بين الدولتين، ومحاضر جلسات (٧ و ٨ و ١٢) بشأن مياه نهر دويريج، ومحضر جلسة (١٤) بشأن نهر الطيب، ومحضر جلسة (٢١) بشأن نهر كنجان جم، والذي اعتبر بموجب تلك المحاضر منتصف تلك الأنهر خط حدودي بين الدولتين لمسافات محددة وبالرغم من هذه الاتفاقات الموقعة إلا إن الجانب الإيراني لم يلتزم بها. أما بخصوص نهر شط العرب فقد وقعت الدولتان عدة اتفاقات خاصة بشأنه فيما بينهما، من بين تلك الاتفاقات معاهدة ارضروم الثانية (١٨٩٧) , ومعاهدة أستانه ١٩١٣ ومحاضر تثبيت الحدود ١٩١٤، معاهدة ١٩٣٧, اتفاقية الجزائر (١٩٧٥) [١٧] .

رغم أن السياسة المائية الإيرانية، أقل تأثيرا من التركية، لكنها تشكل خطرا على الزراعة وخصوصا في المنطقة الجنوبية، حيث أقامت إيران عدة مشاريع أهمها تلك المقامة على نهر الكارون الذي يعد الرافد الرئيسي لشط العرب، مما زاد من نسبة الملوحة فيه. ووفق هذا، وعلاوة على تصحر مساحات من الأراضي العراقية، فإن الأهوار الجنوبية الممتدة على ستة آلاف ميل مربع لن يكون بمقدورها إعانة المساحات الزراعية الكبيرة بسبب تعرضها إلى الجفاف هي الأخرى. وقد بدأ منذ أعوام تقلص مساحات الزراعة في بعض المحافظات الجنوبية والوسطى وبدأت إيران بعد عام ٢٠٠٣ بالضغط على الحكومة العراقية، وسط صمت مطبق، عبر منافذ المياه التي يمتلكها، وحوّلت ٩٠٪ من أنهرها الصغيرة الجارية في العراق إلى داخلها، أو أنشأت سدوداً عليها من دون إشعار الجانب العراقي بذلك. ويذكر من هذا الجانب بما فعله الشاه الإيراني عام ١٩٦٠، حين أنشأ سداً على نهر الوند ليقطع المياه عن خانقين ومندلي، لتعود اليوم مرة أخرى بقطع إمداد نهر الزاب الصغير في السليمانية، ليحتفظ اقليم كُردستان بخزينه المائي لمواجهة الأزمة من خلال سدوده، الأمر الذي زاد تعقيدا على نهر دجلة وتأثير المناطق الوسطى والجنوبية بالجفاف السريع[١٨] .

تجلب الوديان ومجاري السيول والأنهار الموسمية بين البلدين في مواسم الفيضان كميات كبيرة من المياه الجارفة، بعضها يصب في هور السناف ثم هور الحويزة، كما في حالة نهر دويريج والطيب اللذين يزيد إيرادهما السنوي على مليار متر مكعب احيانا، وبعضها الآخر يندفع الى العمق العراقي في محافظة واسط، ويغطي مساحات واسعة من الأراضي بسبب انبساطها، فتتحقق معه فوائد بيئية وايكولوجية مهمة، الا انه يسبب في بعض الأحيان إضرارا كبيرة في الممتلكات والمزارع والإحياء والقرى المنتشرة في المساحات المنخفضة، كما حدث في أواخر العام ٢٠١٢ ومؤخرا في العام ٢٠١٣. من الجدير ملاحظته انه لم تنشئ أي من الدولتين منشآت هيدروليكية على هذه الوديان وبالتالي فان فيضانها او جفافها يعتمد على العوامل الطبيعية، علما ان العراق قام بإنشاء سداد حماية للمدن والقرى والطرق من فيضانات السيول القادمة من الجانب الإيراني، إلا أنها لم تصمد كثيرا إزاء الأمطار التي حصلت في نهاية العام ٢٠١٢ والعام ٢٠١٣ بسبب تهالكها وعدم استخدامها لفترة طويلة [١٩] .

في صيف ٢٠١٨، نُقل ١١٨ ألف شخص على الأقل إلى المستشفى في البصرة وهم يُعانون من الطفح الجلدي، وآلام في البطن، والقيء، والإسهال، بشكل

يفوق طاقة موظفي المستشفيات ومخزونات الأدوية المتوفرة ويعود لتلوّث المياه، إذ انخفضت المياه المتدفقة إلى شط العرب وقنواته من الأنهار في المنابع، مما أدى إلى ارتفاع مستويات مياه الصرف الصحي، والتلوّث الزراعي والصناعي، وملوحة المياه. سبقت أزمة ٢٠١٨ أزمات صحية مماثلة متعلقة بالمياه في ٢٠٠٩ و٢٠١٥، لكن السلطات المحلية والاتحادية تقاعست بعد هذه الأزمات عن معالجة أسبابها، أو في وضع إجراءات لحماية السكان عند حدوث أزمة جديدة خلال أزمة ٢٠١٨، كما أنها لم تُعلن بعد عن سبب الأمراض المرتبطة بالمياه. ولم تُنشَر نتائج الاختبارات التي أجريت على عينات المياه التي أخذتها السلطات خلال أزمة صيف ٢٠١٨ على طول شط العرب، وفي محطات المعالجة، بما فيها تلك التي تمت بالشراكة مع «جامعة بغداد». كما لم تُنشَر التقارير التي أعدتها الجامعة أو «منظمة الصحة العالمية» في أعقاب الأزمة. واكتفت بالقول لـ «هيومن رايتس ووتش» إن النتائج والتقارير سرية! ! [٢٠] .

الخاتمة

إن تركيا وسوريا والعراق وإيران في صراع خفي على مياه نهري دجلة والفرات، وتظهر بوادر هذا النزاع رويداً رويداً خاصة بعد إكمال إيران مشروعها المسمى بمشروع « المياه الإستوائي » في غرب إيران وعلى طول حدودها مع العراق والذي سيؤدي تجفيف معظم روافد نهر دجلة وإخراج سدي دوكان ودربنديخان من الخدمة الفعلية كسدود للخزن الإستراتيجي وتوليد الطاقة الكهرومائية, ومن جانب آخر دولة سوريا التي تشارك حوض نهر دجلة بحدود ٥٠ كيلومتر, السؤال الذي يتبادر إلى الذهن ماذا سيؤول اليه الواقع المائي في نهر دجلة، إذا كانت هناك حقيقة لمشروع ستعكف سوريا على تنفيذه عبر سحب مياه نهر دجلة إلى أراضيها بهدف ري حوالي ٢٠٠ ألف هكتار من أراضيها متى ما تحسن الوضع السياسي فيها. لهذا فإن إسترداد الحقوق المائية العراقية يجب أن يصبح من أهم الأولويات في منهاج الحكومات العراقية المتعاقبة, وإلا اصبح العراق صحراء لا يصلح للعيش البشري.

ولهذا يمر العراق حاليا بأزمة مائية حادة لم يسبق لها مثيل، وللتعرف على أسباب الأزمة لابد أن نطلع على تفاصيلها، كالآتي:

١. الاسباب الخارجية للازمة المتمثلة بـ(التغيير المناخي- المشاريع المائية لدور الجوار) .
٢. الاسباب الداخلية للازمة المتمثلة بـ(شبكات توزيع المياه والصرف الصحي(رديئة) - التصحر- سوء ادارة الموارد المائية عبر ترشيد الاستهلاك- عدم استخدام وسائل بديلة حديثة عبر(الاستمطار الصناعي) التي تقلل من حدة الجفاف بسبب قلة الامطار) .

| الهوامش:

[1]*) تـم تقديـم مفهـوم التجـارة الافتراضيـة للميـاه للإشـارة إلى فكـرة أن البلـدان يمكـن أن توفـر الميـاه المحليـة عـن طريـق اسـتيراد المـواد الغذائيـة. ومـع ذلـك ، يـأتي الطعـام المسـتورد مـن مـكان مـا, أي عندمـا يسـتورد بلـد مـا طنًـا واحـدًا مـن القمـح بـدلاً مـن إنتاجـه محليـا ، فإنـه يوفـر حـوالي ١٣٠٠ متـر مكعـب مـن الميـاه المحليـة الحقيقيـة. إذا كانـت هـذه الدولـة تعـاني مـن نـدرة الميـاه ، فيمكـن اسـتخدام الميـاه التـي يتـم توفيرهـا لتحقيـق أهـداف أخـرى. وصـاغ جـون أنتـوني آلان (تـوني آلان) مفهـوم الميـاه الافتراضيـة ، المعـروف أيضًـا باسـم الميـاه المجسـدة ، في عـام ١٩٩٣. وقـد حصـل عـلى جائـزة سـتوكهولم للميـاه عـن هـذا المفهـوم المبتكـر في أواخـر عـام ٢٠٠٨,ينظـر الى: الميـاه الافتراضيـة, نـشر عـلى الرابـط: https://stringfixer.com/ar/Embodied_water, كذلـك: فاطمـة بكـدي, تجـارة الميـاه الافتراضيـة: الحـدود والابعـاد, مجلـة الاسـتراتيجية والتنميـة, المجلـد١٠, العـدد٥, الجزائـر, ٢٠٢٠, ص٢٧٩ ومـا بعدهـا.

[2]١) قضايـا الميـاه بـين تركيـا وسـوريا والعـراق, وزارة الخارجيـة التركيـة , إدارة مجـاري الميـاه الاقليميـة والعـبرة للحـدود, ١٩٩٧, ص١ومـا بعدهـا.

[3]٢) محمـود الاشرم, اقتصاديـات الميـاه في الوطـن العـربي والعـالم, مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة, بـيروت, ٢٠٠١, ص٢١٥.

[4]٣) تركيـا وإيـران وأزمـات الميـاه في سـوريا والعـراق, مركـز الامـارات للسياسـات, نـشر بتاريـخ ٣١آب٢٠٢٠, عـلى الرابـط: https://epc.ae/ar/brief/turkey-iran-and-water-crises-in-syria-and-iraq

[5]٤) طـارق عبـده إسـماعيل, عـشرات السـدود تُبنـي في منابـع الفـرات الجبليـة الآن فهـل سَـيُحسر الفـرات عـن جبـل مـن ذهـب؟, موقـع اعجـاز القـران والسـنة, نـشر بتاريـخ ايلـول ٢٠١٩, عـلى الرابـط: https://quran-m.com, كذلـك: محمـود عبـد الرحمـن خلـف الزيـدي, سياسـة تركيـا الخارجيـة مـع دول الجـوار العـربي (العـراق وسـوريا)١٩٨٠-١٩٩٣, رسـالة قدمـت الى معهـد القائـد للدراسـات القوميـة والاشـتراكية العليـا-الجامعـة المسـتنصرية, ٢٠٠٢, ص١٧٦.

[6]٥) محمـود عبـد الرحمـن خلـف الزيـدي, سياسـة تركيـا الخارجيـة مـع دول الجـوار العـربي (العـراق وسـوريا)١٩٨٠-١٩٩٣, المصـدر سـبق ذكـره, ص١٧٢.

[7]٦) مـشروع جنـوب شرق الأناضـول, الموسـوعة الحرة(ويكيبيديـا), نـشر بتاريـخ ٤آب٢٠٢٠, عـلى الرابـط: https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title

[8]٧) مـشروع جنـوب شرق الأناضـول, شـبكة المعرفـة, نـشر بتاريـخ ٢٣حزيـران٢٠٢٠, عـلى الرابـط: https://www.marefa.org/index.php?title=

[9](٨) فـرح عبـد الكريـم محمـد, النـزاع عـلى الميـاه بـين العـراق وتركيـا(٢٠٠٣-٢٠١٤), جامعـة الـشرق الاوسـط, رسـالة ماجسـتير, كليـة الآداب والعلـوم, قسـم العلـوم السياسـية, ٢٠١٤, ص٨٢

[10]٩) محمـود عبـد الرحمـن خلـف الزيـدي, سياسـة تركيـا الخارجيـة مـع دول الجـوار العـربي (العـراق وسـوريا)١٩٨٠-١٩٩٣, المصـدر سـبق ذكـره, ص١٧١.

[11]١٠) لـؤي ماهـر و رمضـان حمـزة, الامـن المـائي العراقـي الى أيـن؟ في ظـل النـدرة المائيـة, دار أمجـد للنـشر والتوزيـع, ٢٠٢٢, ص٢٢.

[12]١٣) "سـد إليسـو".. مـشروع يـشّرد آلاف الأتـراك ويهـدد العـراق بالعطـش, سـكاي نيـوز عربيـة, نـشر بتاريـخ ١٩أيـار٢٠٢٠, عـلى الرابـط: https://www.skynewsarabia.com/middle-east/, كذلـك: العـراق: مـشروع سـد الجـزرة الـتركي يـضر بمياهنـا, العربيـة, نـشر بتاريـخ ١٧تشريـن الثـاني٢٠٢١, عـلى الرابـط: https://www.alarabiya.net/arab-and-world/iraq/٢٠٢١/١١/١٧/

[13]١٣) العراق: مشروع سد الجزرة التركي يضر بمياهنا, المصدر نفسه.

[14]١٤) حيـدر الخفاجـي, مـشروع سـد إليسـو الـتركي سـيؤدي إلى حـرب ميـاه أخـرى, مركـز البيـان للدراسـات والتخطيـط, نـشر بتاريـخ ٢١-١٠-٢٠١٩, عـلى الرابـط: https://www.bayancenter.org/٢٠١٩/١٠/٥٤٩٥/

[15]١٥) سـلمان عـلي حسـين, الميـاه في العلاقـات العراقيـة التركيـة, مجلـة قضايـا سياسـية, المجلـد١ , العـدد ٥٩, ٢٠١٩, ص٤.

[16]١٥) فـرح عبـد الكريـم محمـد, النـزاع عـلى الميـاه بـين العـراق وتركيـا(٢٠٠٣-٢٠١٤), رسـالة ماجسـتير, كليـة الاداب والعلـوم, جامعـة الـشرق الاوسـط, ٢٠١٤, ص١٢٣.

١٦ سـلوى احمـد ميـدان و محمـد سـليم محمـد امـين, اشـكالية ازمـة الميـاه المشـتركة بـين العـراق ودول الجـوار -دراسـة قانونيـة, مجلـة الكوفـة للعلـوم القانونيـة والسياسـية, المجلـد ١, العـدد ٤٦, ٢٠٢٠, ص١٤.

[17]١٧) كفـاح صالـح الاسـدي و وسـن هـادي, الأمـن المـائي في العـراق – المشـكلات والمعالجـات (محافظـة البـصرة أنموذجـاً), مجلـة اداب الكوفـة, المجلـد ١, العـدد ١٥, ٢٠١٣, ص٩٥-٩٧.

[18]١٨) حسـن الجنـابي, ملـف الميـاه المشـتركة بـين العـراق وإيـران, شـبكة DW , نـشر بتاريـخ٢-١-٢٠١٢, عـلى الرابـط: https://www.dw.com/ar

[19]٢٠) عـلاء المرجـاني, "البـصرة عطشـانة" تقاعـس العـراق عـن مُعالجـة أزمـة الميـاه, Human Rights Watch, نـشر بتاريـخ ٢٢تمـوز٢٠١٩, عـلى الرابـط: https://www.hrw.org/ar/report/٢٠١٩/٠٧/٢٢/٣٣١٩٨٧

سلسلة دراسات عراقية

د. رياض مهدي الزبيدي

المشاركة السياسية للشباب

العوائق القانونية والسياسية

تجدر الاشارة في البدء الى ان الجمعية العامة للأمم المتحدة حددت عند إعلانها العام الدولي للشباب عام ١٩٨٥، أربعة أبعاد أساسية لمشاركة الشباب، وهي:
-المشاركة الاقتصادية المتمثلة فى فرصة عمل
-المشاركة السياسية فى صنع القرار والسلطة
-المشاركة المجتمعية والتطوع بهدف خدمة المجتمع وتنمية البيئة
-المشاركة الثقافية
وفي الاعوام الاخيرة عززت الامم المتحدة من دورها في التوجه نحو ادماج دور الشباب ضمن اهداف التنمية المستدامة لاسيما ٢٠٣٠، وذلك من خلال مبادرات وبرامج واستراتيجيات عديدة.

| ارقام ومؤشرات عن الشباب:

-ووفقا لتعريف الأمم المتحدة، يشكل الشباب الناس الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر وأربعة وعشرين عاما. وهذا ما يقارب ١٨ ٪ من سكان العالم. وهنالك تصنيفات اخرى تعتمد العمر ما بين ١٨ و٣٠ عام، وبعضها يصل الى عمر ٣٥ سنة. وفي العراق تم اعتماد العمر ما بين ١٨ و٢٩ عام.
-حسب التقديرات والمسوحات الصادرة عن الجهاز المركزي للاحصاء التابع لوزارة التخطيط فان نسبة الشباب في العراق تتجاوز ٦٠٪.
- نسبة المشاركة في انتخابات عام ٢٠٠٥ كانت ٧٩٪، اما انتخابات عام ٢٠١٠ فقد انخفضت الى ٦٣٪، اما انتخابات ٢٠١٤ فانخفضت نسبة المشاركة الى ٦٠٪.
مفهوم المشاركة السياسية: تعرف المشاركة السياسية على أنها ((تلك المجموعة من الممارسات التي يقوم بها المواطنون، أو بها يضغطون بغية الاشتراك في صنع وتنفيذ ومراقبة تنفيذ، وتقييم القرار السياسي اشتراكا خاليا من الضغط الذي قد تمارسه السلطة عليهم)) وهذا يعني أن للمواطن حقا ودورا يمارسه في عملية صنع القرارات، ومراقبة تنفيذها، وتقويمها بعد صدورها. فهي اذن مساهمة الفرد في أحد الأنشطة السياسية التي تؤثر في عملية صنع القرار و/أو اتخاذه، والتي تشمل التعبير عن رأي في قضية عامة، والعضوية الحزبية، والانضمام لمؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني أو التعاون معه، والترشيح في الانتخابات، وتولي أي من المناصب التنفيذية والتشريعية.
وسيتم التطرق الى العوائق القانونية لممارسة الشباب للانشطة السياسية التي منها (تولي منصب تنفيذي_ تولي منصب تشريعي_ الترشيح للانتخابات_ عضوية الاحزاب)

اولا: القيود القانونية على اشغال الشباب الوظائف التنفيذية العامة:

عند اجراء مراجعة سريعة للمنظومة الدستورية والقانونية التي تنظم آلية اشغال الوظائف العامة في السلطة التنفيذية يتضح ان هنالك منع تام

لتولي شريحة الشباب لهذه الوظائف بحكم المواد الدستورية والقانونية التي تضع قيد العمر المطلوب في المرشح لشغل الوظيفة العامة، والذي يتجاوز (٣٠) عام في معظم الاحيان ان لم يكن اكثر من ذلك، وهو ما يتعارض مع سن الشباب الذي يتراوح ما بين ١٨ و٣٠ عام . ونورد بعض الامثلة على ذلك وكما ياتي:

الشروط الواجب توفرها في رئيس الوزراء والوزراء في السلطة التنفيذية وفقا للدستور:

المادة (٧٧):اولاً :ـ يشترط في رئيس مجلس الوزراء ما يشترط في رئيس الجمهورية، وان يكون حائزاً الشهادة الجامعية او ما يعادلها، واتم الخامسة والثلاثين سنةً من عمره.

ثانياً :ـ يشترط في الوزير ما يشترط في عضو مجلس النواب، وان يكون حائزاً الشهادة الجامعية أو ما يعادلها.

الشروط الواجب توفرها في المحافظ وفقا لقانون المحافظات غير المنتظمة باقليم:

المادة (٢٥) اولاً : يشترط في المرشح لمنصب المحافظ تحقق الشروط المطلوب توفرها في عضو مجلس المحافظة ، وان يكون حاصلا على الشهادة الجامعية او ما يعادلها .

الشروط الواجب توفرها في اعضاء الهيئات المستقلة(مفوضية الانتخابات نموذجا):

عراقياً مقيماً في العراق إقامة دائمة، وحاصل على الشهادة الجامعية الأولية في الأقل، وأن لا يقل عمره عن خمسة وثلاثين عاماً.

ثانيا: القيود القانونية على اشغال الشباب الوظائف التشريعية العامة:

عند اجراء مراجعة سريعة للمنظومة الدستورية والقانونية التي تنظم آلية اشغال الوظائف العامة في السلطة التشريعية يتضح ان هنالك ايضا منع تام لتولي شريحة الشباب لهذه الوظائف بحكم المواد الدستورية والقانونية التي تضع قيد العمر المطلوب في المرشح لشغل الوظيفة العامة، والذي يتجاوز (٣٠) عام في معظم الاحيان ان لم يكن اكثر من ذلك، وهو ما يتعارض مع سن الشباب الذي يتراوح ما بين ١٨ و٣٠ عام . ونورد بعض الامثلة على ذلك وكما ياتي:

شروط عضو مجلس النواب في السلطة التشريعية وفقا لقانون انتخابات مجلس النواب العراقي لعام ٢٠١٣:

مادة (٥(يشترط في الناخب آن يكون :

ثالثاً- أتم الثامنة عشر من عمره في السنة التي تجري فيها الانتخابات .

حق الترشيح

مادة (٨) يشترط في المرشح لعضوية مجلس النواب أضافة للشروط الواجب توفرها في الناخب ما يلي :-

اولاً- ان لايقل عمره عن (٣٠) ثلاثين سنة عند الترشيح.

شروط عضو مجلس المحافظة وفقا لقانون انتخابات مجالس المحافظات النافذ:

المادة (٥) :يشترط في المرشح لعضوية المجالس تحقق الشروط الآتية :

اولاً : أن يكون عراقيا كامل الأهلية اتم الثلاثين سنة من عمره عند الترشيح .

ثالثا: القيود القانونية على عضوية الشباب في عضوية الاحزاب السياسية:

بالرغم من ان التجربة الحزبية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ شابها الكثير من الخلل بسبب عدم وجود قانون ينظم عملية تاسيس الاحزاب وهيكليتها ونظامها الداخلي ومصادر تمويلها، وهو ما اثر على مخرجات العملية السياسية الا ان صدور قانون جديد

للاحـزاب فـي السـنوات الاخيـرة نظـم هـذه العمليـة واتـاح لشـريحة الشـباب فرصـة الانتسـاب والعضويـة للاحـزاب السياسـية بعمـر (١٨) عـام، الا انـه توجـد اعتراضـات كثيـرة علـى بعـض بنـوده ولا سـيما مـا يخـص ادراج شـرط العمـر بالنسـبة للاعضـاء المؤسسـين بسـن (٢٥)، وذلـك كمـا ياتـي:

شـروط تاسـيس الحـزب وفقـا لقانـون الاحزاب السياسـية النافذ لسـنة ٢٠١٥:

المـادة -٩- يشـترط فـي مـن يؤسـس حـزب او التنظيـم السياسـي أن يكـون -:

ثانيـاً: أكمـل الخامسـة والعشـرين مـن العمـر، ومتمتعاً بالأهليـة القانونية.

المـادة -١٠- يشـترط فيمـن ينتمـي لعضويـة أي حـزب او تنظيـم سياسـي أن يكـون:

ثانيـاً: أكمـل (١٨) الثامنـة عشـرة سـنة مـن العمـر ومتمتعـاً بالأهليـة القانونيـة.

رابعا: القيود السياسية على مشاركة الشباب في الاحزاب السياسية:

افـرزت التجربـة الحزبيـة فـي العـراق مـا بعـد ٢٠٠٣ بشـكل عـام عـن تهميـش شـريحة الشـباب ضمـن قيـادات الاحـزاب السياسـية ، والاقتصـار علـى اسـتغلال هـذه الشـيرحة اثنـاء فتـرات التنافـس الانتخابـي لاغتنـام اصواتهـم، فضـلا عـن مجموعـة أسـباب ادت الـى عـزوف الشـباب عـن المشـاركة السياسـية الفاعلـة داخـل هـذه الاحـزاب ومنهـا مايلـي:

١- غياب الديمقراطية داخل الأحزاب.

٢- غياب حرية تعبير منخرطي هذه الأحزاب.

٣- هيمنة العلاقات الأسرية والعائلية داخل الأحزاب.

٤- تمسـك «زعمـاء الأحـزاب» بالقيـادة بشـكل بيروقراطـي وغيـر ديمقراطـي.

٥- اقتنـاع أغلبيـة الشـباب بعـدم جـدوى الانخـراط فـي العمليـة السياسـية، لمـا يـروه واقعـاً ملموسـاً مـن ممارسـات غيـر مسـؤولة، وانتهازيـة لبعـض الزعمـاء والمناضليـن.

٦- غيـاب برامـج حزبيـة واضحـة المعالـم ومتميـزة تختلـف مـن حـزب لآخـر.

٧- عـدم منـح الشـباب الفرصـة داخـل الأحـزاب السياسـية للترشـح للانتخابـات التشـريعية.

التوصيات:

-تعديـل النصـوص القانونيـة التـي تحـد مـن مشـاركة الشـباب فـي عمليـة الترشـيح للانتخابـات التشـريعية علـى المسـتوى الاتحـادي والمحلـي، وكذلـك الحـال تعديـل النصـوص القانونيـة التـي تمنـع تولـي الشـباب للمناصـب التنفيذيـة علـى كافـة المسـتويات وابدالهـا بالحـد الأدنـى لسـن التصويـت.

-اسـتحداث كوتـا لتمثيـل الشـباب اسـوة بالكوتـا الموجـودة لتمثيـل المـراة او الاقليـات فـي القوانيـن المنظمـة للانتخابـات او لتولـي الوظائـف العامـة لضمان اشـراك الشـباب فـي العمـل السياسـي، وكذلـك الحـال ينصـرف الـى الكوتـا داخـل الاحـزاب السياسـية لتمثيـل الشـباب وتوليهـم مهـام قياديـة فـي الحـزب السياسـي.

-فسـح المجـال للطاقـات الشـابه للتصـدي للمواقـع القياديـة فـي الاحـزاب السياسـية مـن خـلال تفعيـل الاليـات الديمقراطيـة فـي الترشـيح والعضويـة داخـل الحـزب وتبـادل السـلطة، وكذلـك الترشـيح للانتخابـات والمناصـب التنفيذيـة، ومغـادرة البروقراطية والشـخصنة والهيمنـة العائليـة علـى قيـادة الحـزب.

- ضـرورة ان يبـادر الشـباب الـى خـوض التجربـة الحزبيـة والتحلـي بالايجابيـة والمطالبـة بالحقـوق وعـدم العـزوف عـن العمـل السياسـي بـكل اشـكاله والضغط المسـتمر باتجـاه منـح الشـباب فـرص اكثـر لاثبـات اهليتهـم وجدارتهـم فـي ادارة مفاصـل الدولـة بكافـة قطاعاتـها.

سلسلة دراسات:

خديدا خلف برجس

السلام السلبي والعنف غير مرئي

في ظل الدكتاتورية و شمس الديمقراطية

(العراق مثالا)

مقارنة تحليلية مبسطة اعتمادا على بعض المصادر والدراسات في مجال السلام وادواة تحليل النزاع والعنف

| المقدمة

لا شك ان العراق كبقية دول العالم و منها الدول الأقليمية مرت شعوبها تحت حكم الاستبداد و الانقلابات التي حكمت فيما بعد متسلطا و متمسكا في الحكم مما كان تشكيل و تأسيس و بناء المؤسسات مرتبطة بالشخص الحاكم بشكل مباشر و هو يعتبر الحاكم المطلق او شبه المطلق في اتخاد القرارات المصيرية و المتعلقة بالأمن الوطني و الأقليمي في ذلك الحين.

و الدكتاتورية هي شكل من أشكال الحكم المطلق حيث تكون سلطات الحكم محصورة في شخص واحد كالملكية أو مجموعة معينة كحزب سياسي أو ديكتاتورية عسكرية. كلمة ديكتاتورية مشتقة من الفعل (لاتينية: dictātus ديكتاتوس) بمعنى يُملي أو يفرض أو يأمر[١] وللديكتاتورية أنواع حسب درجة القسوة فالأنظمة ذات المجتمعات المغلقة التي لا تسمح لأي أحزاب سياسية ولا أي نوع من المعارضة وتعمل جاهدة لتنظيم كل مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية وتضع معاييرا للأخلاق .

و من انماط الدكتاتوريات :

١-الديكتاتورية الفردية. وتكون بتسلط فرد على مقومات الدولة تسلطاً شاملاً معتمداً على القوة العسكرية التي للدولة. ويقصد بالمقومات (الأرض، الثروة، الشعب، الحكم)، وغالباً ما يتصور الدكتاتور نفسه هنا بأن له صلة روحية بالله الذي يلهمه ما يجب أن يفعل، أو أنه يتصور نفسه أنه هو الإله، ولذا يحيط نفسه بهالة من الحصانة والعصمة.

٢-الدكتاتورية الجماعية. وتكون بتسلط جماعة على مقومات الدولة.

وكلا النوعين السابقين يكون في الدولة ذات طابع الملكية المطلقة، أو الدولة ذات طابع الجمهورية. وتختلف فيه الدولة الملكية عن الجمهورية بفرض قدسية الأسرة الحاكمة على الشعب وادعاء الحصانة المطلقة لها. والطبيعة الاجتماعية للدكتاتورية تظهر في المجتمعات المتخلفة والمتقدمة أيضاً، إلا أن في المجتمعات المتخلفة يتحمل المجتمع أكبر قدر من صناعة ذلك الاستبداد نتيجة التقوقع الاجتماعي والتعصب العشائري والقبلي. أما في

المجتمعات المتقدمة فيحدث الطغيان والاستبداد الواعي بأسباب عديدة، منها : غياب الوعي الجماعي عن السلطة الفوقية، وتحول المجتمع إلى آلة عمل متناسقة ومتناغمة للعيش وإشباع الغرائز فقط، ففي المجتمعات المتقدمة يكون الاستبداد فكري وليس عملي، فهو لا يقتل الإنسان ويحفر مقابر جماعية، بل يقتل الروحية المتحركة والفكر المتطور بحجج وأساليب خفية تسبق الزمن الاني (مستقبلية)، وهناك نموذج اخر للدكتاتورية يشترك في صنعها الفرد والمجتمع هذا النموذج موجود حالياً في الدول والأنظمة الشرقية وبعض الدول النامية إذ يعمل الحاكم الفرد أو الحزب والمجموعة الحاكمة على فصل شخصية الحاكم وصفته وامتيازاته عن طبيعية المجتمع بالتقديس عندها لا يستطيع المجتمع أن ينهض من سباته الاجتماعي ولا الحكام يتركون الكراسي والعروش و من ضمن هذه الدول العراق و عبر التاريخ حيث مرت بأنظمة دكتاتورية و اخرى ديمقراطية في الأونة الأخيرة.

العنف الهيكلي في النظاميين في العراق

لا شك ان الكثير من مواطني العراق يعانون من العنف الهرمي الهيكلي او التي يستخدم بشكل غير مرئي و هو يمر عبر المؤسسات الرسمية والذي يشير إلى الطريقة التي تضر بها بعض المؤسسات أو الهياكل الاجتماعية بأفراد معينين ، وتمنعهم من التطور والإدارة لتغطية جميع احتياجاتهم. والعنف الهيكلي سيمنع تحقيق المساواة بين المواطنين. يمكن أن يكون لبعض الهياكل الاجتماعية (سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو طبية أو قانونية) تأثير سلبي للغاية على بعض الجماعات أو المجتمعات المحددة. وبالتالي ، فإن مشاكل مثل الكلاسيكية أو من المهم أن تضع في اعتبارك أن المصطلح لا يشير إلى أي نوع من الأضرار المادية التي لحقت بالأقلية. على العكس من ذلك ، كان غالتونغ يشير إلى السبب الأساسي للفرق بين إمكانات الناس والنتائج الفعلية التي يحصلون عليها في مجالات مختلفة من حياتهم..

وفقًا لبعض المؤلفين ، لا ينبغي أن يُطلق على العنف الهيكلي مجرد ظلم ، لأنه يتسبب في ضرر حقيقي جدًا للأشخاص الذين يعانون منه. هذا المفهوم هو أساس العديد من الحركات الحديثة التي تسعى إلى تحقيق المساواة بين المجموعات المختلفة.

منذ أعمال غالتونغ، تطورت نظرية العنف الهيكلي كثيرًا. في الوقت الحاضر ، نتحدث عن عدد كبير من الأنواع ، اعتمادًا على المجموعات التي تتأثر به. بالتالي سوف نرى بعض من الأكثر الانواع شيوعاً.

الطبقية العنصرية:

أحد الأنواع الأولى من العنف الهيكلي الموصوف يتعلق بالاختلافات التي تحدث اعتمادًا على الحالة الاجتماعية والاقتصادية للشخص .

وبالتالي ، يمكن لأفراد الطبقات العليا الوصول إلى كمية غير متناسبة من الموارد ، بينما سيواجه أفراد الطبقات الدنيا صعوبة كبيرة في العيش بشكل جيد تماما مثل النظام الحالي التي يحكمه مجموعة احزاب يتم فيه تقسيم المناصب و موارد الوزارات على اساس المكونات و التي بالأخير لا تصل اي خدمة الى المواطن انما تكون موزعة على الطبقة العليا فقط ..

الجندر:

يعتقد العديد من المفكرين أن النساء يعانين جميع أنواع المشاكل بسبب وجود الهياكل الاجتماعية والثقافية التي تمنعهن من الوصول إلى كامل إمكاناتهن ان العديد من هذه المظاهر موجودة في الدولة العراقية في الانظمة السابقة و الحالية ايضا مما يشير الى وجود عنف غير مرئي ضد المواطنين و بالتالي يشير الى ان العنف التي كان

قائمـا فـي ظـل الانظمـة الدكتاتوريـة ربمـا كان درجـة المسـاواة فـي تقسـيم العنـف علـى المواطنييـن اكبـر مـن النظـام الحالـي و التـي يتميـز بالفسـاد الاداري و الشـفافية المشـوهة و الاعـلام المتحيـز لصالـح اطـراف او طوائـف دون الاخـرى كمـا يمكـن ان نصـف المواطـن الذيـلا يملـك طابـو البيـت بأنـه مـن اعنـف المظاهـر الغيـر مرئيـة حيـث تعتبـر عـدم الالتـزام مـن قبـل المسـؤولين فـي المؤسسـات الرسـمية بمنـح المواطنييـن وثيقـة تملـك الأرض و ذلـك لاعتبـارات ثقافيـة و دينيـة يسـتخدم فيهـا المشـاعر و التفكيـر الثقافـي الضيـق فـي شـرعنة امتنـاع تملـك للأخرييـن الذيـن يختلفـون عنـه فكريـا كان ام دينيـا ,لغويـا , ثقافيا, عرقيا....هـذه الظواهـر يمكـن وصفـا بشـرعية اسـتخدام العنـف الثقافـي عبـر المؤسسـات الرسـمية و بالتالـي شـرعنة عـدم التعامـل بالمسـاواة او التميـز العنصـري و هـذا مـا يطرحـه غالتونـك حيـث يفسـر التعامـل مـن قبـل المسـؤولين فـي الدوائـر و الهيـاكل الاجتماعيـة علـى اسـاس الاختلافـات الثقافيـة بشـرعية اسـتخدام العنـف الثقافـي عبـر العنـف الهيكلـي او المؤسسـاتي .. يمكننـا أن نجـد أمثلـة أخـرى للعنـف الهيكلـي فـي جميـع الحـالات التـي لا يسـتطيع فيهـا الشـخص الوصول إلـى نـوع مـن الوظيفـة أو الخدمـة أو الخدمـة بسـبب جانـب مـن جوانـب هويتـه مثـل العـرق أو الجنـس أو الديـن ...

ففـي كلا النظاميـن الدكتاتـوري و الديمقراطـي فـي شـكله الحالـي السـلام السـلبي و العنـف غيـر مرئـي موجـود مـن خـلال الفسـاد و الدونيـة فـي التعامـل مـع الأخـر و إتخـاد المؤسسـات بطابـع ثقافـي و فئـوي و دينـي او حزبـي .

| الديمقراطية و حقوق الانسان

ان للديمقراطيـة دور مهـم فـي تعزيـز و حمايـة حقـوق الانسـان فـي الـدول الديمقراطيـة التـي وصلـت الـى الانظمـة الحديثـة وتعتبـر الديمقراطيـة، كشـكل مـن أشـكال الحكـم، مرجعـاً أساسـياً للجميـع وهـي توفـر بيئـة لحمايـة حقـوق الإنسـان وإعمالهـا إعمـالاً فعليـاً. واليـوم، بعـد مضـي فتـرة علـى تحقيـق الديمقراطيـة في مختلـف أنحـاء العالـم، يبـدو أن العديـد مـن النظـم الديمقراطيـة تتراجـع. ويظهـر أن بعـض الحكومـات تتعمـد إضعـاف إجـراء عمليـات تحقـق مسـتقلة بشـأن سـلطاتها، والقضـاء علـى أي نقـد، وتفكيـك الرقابـة الديمقراطيـة وضمـان حكمهـا لمـدة طويلـة، مـع أثـر سـلبي علـى حقـوق الشـعب. و اثنـاء مقارنتنـا للنظـام الحالـي و السـابق فـي العـراق مـن ربـط الحقـوق و الحريـات بالانظمـة نلاحـظ وجـود الكثيـر مـن المـواد القانونيـة و البـاب الثانـي مـن الدسـتور يتضمـن فصليـن احدهمـا للحقـوق و الثانـي للحريـات و لكـن هـذه المواد و كمشـاريع منفـذة يتمتـع بـه المواطـن اتلعراقـي قليلـة و حتـى بعـض المشـاريع و ان كان قـد نفذت كان الفسـاد مـن المعرقـلات التـي تمنـع وصولهـا للمواطـن و هـذا مـا فسـرناه مـن قبـل بوجـود ثقافـة الفسـاد و التوافقيـة فـي تقسـيم تالمناصـب و المـوارد و التعامـل علـى اسـاس المكونـات و التقسـيم بيـن الطبقـة العليـا دون ايصالهـا للمواطـن يعتبـر عنفـا هيكليـا قـد لا يتواجـد هـذا العنـف حتـى فـي الانظمـة الدكتاتوريـة .

| الوعي الاجتماعي والديمقراطية

ان النظـر الـى الـدول الديمقراطيـة التـي خاضـت ثـورات و حـروب دمويـة و التـي خرجـت مـن تحـت السـلطة الدينيـة اليـوم و المواطـن الـذي يعـي بالنظـام البرلمانـي و الـذي يقـف فـي الشـارع ضـد أي سياسـات او قـرارت تشـريعية او تنفيذيـة او حتـى قضائيـة عندمـا يتعلـق بشـكل مباشـر بحيـاة الفـرد او مجموعـة افـراد و الـذي يكـون محميـا فـي التعبيـر عـن رفـض ذلـك، يصبـح المسـار الديمقراطـي حينهـا فـي مكانتهـا الصحيحـة و التـي يعنـي بـه الديمقراطيـة بـأن السـلطة للشـعب عبـر ادارات ديمقراطيـة يملـك الثقافـة الديمقراطيـة مـن يديـره و فـي هـذا الشـكل مـن الحكـم و الـذي يعتبـر

اسلوب حياة يساهم به المواطن بدرجة كبيرة في صنع القرار و ليست مجرد شكل من اشكال الحكم فقط.

اما بالنسبة لمواطني العراق و الذين عانوا من ويلات الحروب المذهبية و الطائفية و الغزو الامريكي و سوء ادارة الحكم الديمقراطي التي جاء به الغرب كعملية غرس النبات في ارض غير مهيئة لهذا النوع من النبات و اليوم نرى الفساد في هذه المؤسسات التي أتت بديمقراطية كوضع كعكة على طاولة يستفاد منه طبقة سياسية عبر تقسيمها على شكل قطع على اساس المذهب و اللغة و الجغرافية بدون اذنى استفادة من كيفية صنع الكعك و هذه التجربة التي يعتبر البعض ديمقراطية و التخلص من الانظمة الاستبدادية ربما صحيحة و لكن الانظمة السابقة كان تقسيم الحرمان من الحقوق فيها بشكل متساوي و اليوم و تجارب العراق من انتخابات نرى الساسة في العهد الجديد اكبر و اعظم وعد يقطعه للمواطن هو تبليط شارع او تجهيز منطقة صغيرة بمحولة كهربائية او ربما عودة نازح الى دياره بل من الغرائب جدا و هي تعتبر تجربة شخصية انا لاحظته مرشحة عن حزب معيين وعد بعض من اهالي المخيم بتبليط شارع المخييم و كأنه تمهيد لبقاء حياة المواطن بأذنى مستوى من السلام الايجابي كالتعايش و الأمن و التنمية و الأقتصاد و المساواة و فرص عمل ....ان هذه المظاهر هي يعبر عن مستوى ثقافة القادة الذي يقودون الديمقراطية العراقية .

التحليل الشخصي اعتمادا على نظرية غالتونك للعنف ونظرية جون لوك العقد

الاجتماعي

الاحتجاجات الحالية في المضي نحو تغير النظام

ان لتشرين أثر كبير على مستوى العراق و الموازين الاقليمية و الدولية الا إن أحزاب السلطة في العراق لم تتبنَّ مطالب حركة الإحتجاج بتغيير حكومة المحاصصة بأخرى مستقلة من رحم حركة الإحتجاج مع تشريعات تضمن إنتخابات مبكرة نزيهة تعزز التمثيل الحقيقي للشعب العراقي، بل استمرت بالمماطلة وبالقمع وإستعمال العنف ضد المتظاهرين، وتحيّن الفرص لتمرير تشريعات على مقاس مصالحها لإبقاء سلطتها ولو بالغش والتزييف. وهذ أدّى الى تعقيد مسار المرحلة الإنتقالية التي ستحدد مخرجات التغيير السياسي الناتج عن ثورة تشرين، والتي زادها تعقيداً تدّخل أجندات القوى الخارجية المتصارعة على الساحة العراقية، واحتمالات أن تستغل السلطة و«الطرف الثالث» أي فراغ دستوري لتشتيت قوى الثورة وبناء الثورة المضادة. ويتضح ذلك بشكل خاص عند الأخذ بالحسبان قوة الدولة العميقة لسلطة الأحزاب التي تستميت في الدفاع عن غنائمها التي إكتسبتها خلال ال ١٦ سنة الماضية.

إلا أن أهم ميزة لإحتجاجات تشرين عن مثيلاتها في الربيع العربي، إنها لا تحتاج الى تعليق الدستور أو إجراء تعديلات دستورية من أجل المرور الآمن خلال المخاض الوعر للتغيير السياسي نحو الوصول الى تحقيق أهداف حركة الإحتجاج في إلغاء المحاصصة المكوناتية والحزبية ومحاربة الفساد وتحصين سيادة الدولة. فكل ما تحتاجه هذه الاحتجاجات لتحقيق هذه الأهداف هو تشريعات برلمانية لإصلاح المنظومة الإنتخابية مع سلطة تنفيذية مستقلة وفعالة تدير الفترة الإنتقالية التي تنتهي بإنتخابات عادلة وحيادية تعكس التمثيل الحقيقي للشعب العراقي بما يغير من موازين القوى في العملية

السياسية لصالح إرادة الشعب وتقليص نفوذ أحزاب السلطة.

لكن حركة الإحتجاج ستكون هي الخاسر الأكبر إذا ما دخلت طرفاً في أي أمور خلافية أو معقدة مثل تعديل الدستور أو أجندة حوار وطني أو مصالحة سياسية يتم طرحها خلال الفترة الإنتقالية بسبب إنقسامها السياسي المتوقع مما يتيح الفرصة للقوى المضادة من العمل على تشتيتها. فعفوية تشكيل الحركة الإحتجاجية و ضيق الوقت منذ تشكيلها تعوق دون تكوين هيكلية تنظيمية وقيادة فعالة لها ، في حين أن بقية الأطراف السياسية الأخرى هي أكثر تنظيماً وخبرة واستثماراً لمواردها.

أمّا في احتجاجات تشرين، فقد أدّى التنظيم العالي والتكافل والتعاون بين المحتجين الشباب وإندفاعهم ومبادراتهم الخلاقة الى كسب عقول وقلوب شرائح مختلفة من المجتمع العراقي إلى جانب الثورة، ما أدام زخم التظاهرات ووسع قاعدتها الى أبعد الحدود، وأعطى إشارات طمأنة إيجابية لمساندي الاحتجاجات باستمرارها وديمومتها.

كما إن المستوى الأفقي واللامركزي في قيادة حركة الإحتجاج أثبت نجاحه ليس فقط في مرحلة التحشيد للمزيد من الاحتجاجات، وإنما أيضاً في الفوز في عدد من الجولات المهمة في مرحلة بناء منظومة التغيير السياسي للثورة مثل إسقاط حكومة عبدالمهدي وتشريع قانون مفوضية الإنتخابات المستقلة، ومؤخراً في تشريع قانون إنتخابات يمكن أن يؤدي الى تمثيل حقيقي للشعب العراقي مع بعض التعديلات. فقد كان لاستخدام ستراتيجية فرض المعايير والشروط مع الإحتفاظ بحق الرفض دوراً فعالاً في نجاح حركة الإحتجاج في هذه الجولات لأنها رمت الكرة في ملعب أحزاب السلطة في حين استمرت هي بتصعيد الفعل الإحتجاجي – و هو أمر أثبتت الحركة أنها تجيده – لزيادة الضغط على أحزاب السلطة للتنازل ودفع المترددين على حسم موقفهم لصالح الثورة. كذلك ساهم في نجاح ستراتيجية حركة الإحتجاج هذه إعتمادها على مفاهيم مبتكرة مثل «الوعي قائد» و«لا أحد يمثلني» مع هيكلية جماعية تنسيقية خلاقة تعمل على توضيح المطالب وتحديد خطة المسار للتغيير السياسي.

وإذا كانت هيكلية حركة الإحتجاج وستراتيجيتها للصراع السياسي مع أحزاب السلطة تبدو موفقة في الوقت الحالي، غير أن هذا لا يعني عدم إحتمالية فشل هذه الستراتيجية في هزيمة أحزاب السلطة في الإنتخابات القادمة أو في الحصول على كامل إستحقاق الحركة السياسي في عملية التغيير المنشودة، وذلك بسبب تطلب المرحلة القادمة الى مهارات وهيكلية وستراتيجية جديدة لحركة الإحتجاج تختلف عن ما كان مطلوباً في المرحلة السابقة.

| الهوامش:

-١https://www.dictionary.com/browse/dictate

٢ Pipes, Richard (١٩٩٥), Russia Under the Bolshevik Regime, New York: Vintage Books, Random House Inc., ISBN ٦-٥٠٢٤٢-٣٩٤-٠ p.٢٨١–٢٤٠

Sondrol, P. C. (٢٠٠٩). "Totalitarian and Authoritarian Dictators: A Comparison of Fidel Castro and Alfredo Stroessner". Journal of Latin American Studies :(٣) ٢٣ ٥٩٩

"ما هو العنف الهيكلي؟» في: Thought Co. Retrieved: ٢٢ December ٢٠١٨ from Thought Co: thinkco.com.

العنف الهيكلي» في: العنف الهيكلي. تم الاسترجاع: ٢٢ كانون" الأول (ديسمبر) ٢٠١٨ من العنف الهيكلي :structuralviolence. org.

ما هو العنف الهيكلي؟» في: الصحة العامة العالمية. تم" استرجاعه في ٢٢ ديسمبر ٢٠١٨ من Global Public Health: saludpublicaglobal.org.

مثلث العنف» في: ويكيبيديا. تم الاسترجاع: ٢٢ ديسمبر ،" ٢٠١٨: en.wikipedia.org. من ويكيبيديا

العنف الهيكلي» في: ويكيبيديا. تم الاسترجاع: ٢٢ ديسمبر ،" ٢٠١٨: en.wikipedia.org من ويكيبيديا

شؤون عراقية

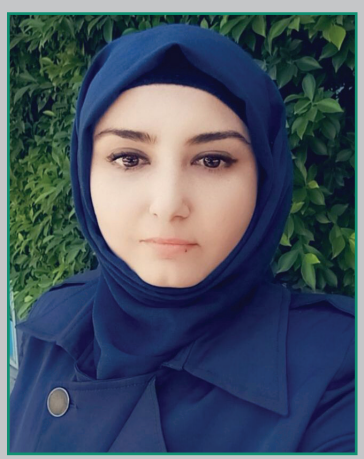

د.سيماء علي مهدي

اعداد

د. شاكر رزيج محمد

العراق بين جدلية الدولة والمجتمع

المقدمة:

دون شك لا يمكن التوقف عند موضوعة العلاقة الجدلية بين الدولة والمجتمع (ايهما يسبق الآخر كعملية بناء) من خلال بضعة صفحات، لاسيما ان الكتابة حول الوضع العراقي الجديد يعد معقداً ، ولأن قوام بناء الدولة يعتمد على (المجتمع والأمن والاقتصاد والسياسة)، فبعد أن أنهت الولايات المتحدة الاميركية في ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ أعمال الحاكم المدني (بول بريمر) للعراق، وسمحت بتشكيل حكومة مؤقتة فيه، تدار من قبل عراقيين، تم اختيارهم بالتعاون مع الامم المتحدة، ومنحوا سلطة ادارة الحكم في العراق، ليؤسسوا بعدها نظاماً سياسياً ما زال مستمراً لليوم. ومنذ تبلور ذلك النظام، ولا زال العراق يعيش معضلة حقيقية سواء تلك المتعلقة بتعريف هويته، إذ إن التيارات السياسية فيه متباينة ومتناقضة لا تنتظمها رؤية ولا يجمع بينها تصور، كما أن ما تم وضعه من اطار دستوري لبناء الدولة العراقية لم يسهم في حل المعضلة، مما أدى الى ظهور الاضطرابات السياسية وانعدام السلم الاجتماعي والمدني، وتعدد الولاءات والقيم والمرجعيات الوطنية، وكثرة الصراعات والتناقضات. كذلك ما يزال ملف الجماعات المسلحة خارج إطار الدولة يمثل الهاجس الرئيس في العراق دون حلول حقيقية من شأنها إنهاء وجودهم في البلاد، كذلك وتتباين الآراء بشأن الحلول التي من شأنها إنهاء تلك الإشكالية التي تشعبت بشكل كبير، حتى باتت تمثل كيانات موازية للدولة وطرفاً بارزاً في الساحة السياسية والاجتماعية، فضلاً عن كونها عاملاً من عوامل التوتر الرئيسة التي يعيشها العراق . كما وإن الإشكالية لا ترتبط فقط بإعطاء تلك الجماعات عنواناً رسمياً فحسب، بل في القدرة على إخضاعها للدولة العراقية وتأهيل عناصرها وإعادة دمجها في المجتمع مرة أخرى.

الفرع الاول: الثقافة السياسية للمجتمع وعلاقتها ببناء الدولة

تؤدي الثقافة السياسية دوراً مهماً في عملية بناء الدولة ، إذ تمثل نسقاً متبادلاً بين النظام السياسي والمجتمع ، فعلى الرغم من أن هذه العملية (بناء الدولة) تجري بتخطيط من النظام السياسي ، وتهدف إلى تكوين وحدة مجتمعية حول الكيان الذي تقوم عليه ، إلا أن المجتمع يسهم بشكل كبير في هذه العملية ، إذ إنه في الوقت الذي يقوم النظام بصوغ المخرجات يسهم المجتمع بصوغ المدخلات، ولأن الثقافة السياسية جزء من الثقافة العامة فهي مهمة للنظام السياسي لأنه تساعده في تغيير قناعات الافراد بما يتوافق مع أهدافه(١). ولأن المجتمع العراقي متكون من عدة فئات فيمكن توضيح ثقافة كل فئة منه:

أولاً/ ثقافة البسطاء : فئة من الشعب محصور اهتمامهم بالحياة العامة و تبعد عن ما يدور في الحياة السياسية و ذلك إما لجهلهم أو لتدني تعليمهم.

ثانياً/ ثقافة التابعين: خاصة للموالين للأحزاب السياسية فتراه يدافعه عن انتماءه الحزبي وأحياناً دون وعي(كونه مصدر رزقه وليس حباً بقادته أو أحياناً يأخذ طابعاً دينياً خاصة في الاحزاب الاسلامية العراقية ذات التوجه السياسي).

ثالثاً/ ثقافة المشاركين: لديهم دراية سياسية يبدون رأيهم و يقدمون مطالبهم و ينتخبون القادة الذين يناسبوهم وتراهم من الفئة المتعلمة أو بفضل التنشئة العائلية مما ولد لهم ادراك حقيقي لما يجول في محيطه السياسي.

حقيقة الامر إن الحديث عن المواطنة لا يستقيم إلا في سياق الدولة الوطنية، التي تحضر فيها المواطنة بوصفها «علاقة سياسية بين أفراد المجتمع، وبين دولة يشاركون في شؤونها العامة من مدخل كون الفرد مخلوق سياسي يترك تأثيره على الحياة السياسية التي تشترط عليه ضرورة الخضوع للعديد

من الالتزامات من أجل اكتساب هوية «المواطن»؛ على اعتبار أن الفردانية في معناها الأصلي تُحيل إلى الرغبة في الانفصال- الانسحاب-العزوف-الاستقلال عن الجماعة، وهي الوضعيات السلوكية التي يمكن أن تشكل خطرا على المجتمع، وقد سبق لجون جاك روسو أن حذر من خطورة ارتفاع منسوب النزعات الفردية في المجتمع بالقول: «وحالما يقول أحد عن مصلحة الدولة «ما شأني بها؟» عندئذ يعتبر أن الدولة قد فقدت»([٢])، وهذا يعني أن الفساد المدني سيكون النتيجة المحتومة للحسابات الشخصية البحتة والمصلحة الفردية؛ في حين أن المواطنة تحيل إلى المشاركة والانتماء والالتزام بالتشريعات، وهو الأمر الذي يؤشر على سلامة الجسد السياسي وانسجام عناصره.

الفرع الثاني: موقف المجتمع العراقي من النزاعات السياسية

عندما تكون القيادة السياسية غير منسجمة ويسودها ثقافة الصراع والاتهامات المتبادلة علنياً يتبادر في ذهن المواطن بل يكون متيقناً بأنهم لا يصلحون لقيادته،ولهذا فالعراق بعد ٢٠٠٣م ، خرج من ثلاثية أيديولوجية ميزت العهود الجمهورية السابقة له بالصراع مع: (الصراع البعثي بين الشيوعين تارة والاسلاميين تارة أخرى)، ليدخل بعد ٢٠٠٣ في تعددية مفتوحة ومشهد فوضوي مترهل لا يخلو من العنف والعنف المضاد، فقد تميزت إدارة صناعه بنقل الصراعات والممارسات الحزبية إلى مؤسسات وإدارات الدولة، ولم يستفيدوا بشكل جيد من الانفراج الدولي تجاههم، ولا من المناخ الديموقراطي الجديد مما قلل من ثقة المواطن العراقي بهم([٣]).

الفرع الثالث: تحديات النظام السياسي العراقي

إن النموذج الديمقراطي الذي سيق لتطبيقه في العراق نموذج فريد من نوعه ، والأحزاب التي تشكلت فيه لتدخل العملية السياسية مبنية على ايديولوجيات حزبية ضيقة وليس على أسس أو أفكار منهجية محددة(أي أن كل الأحزاب التي دخلت العملية السياسية لم تكن الديمقراطية في جدول أولوياتها وإنما الوصول الى السلطة كان أولى الأولويات، مع غياب ثقافة المعارضة السياسية في المفهوم الديمقراطي)([٤]). أما التحديات فتشمل: أولاً- المحاصصة: ومن الازمات التي تسببها المحاصصة السياسية هي:

١. أزمة الهوية: إن الانقسامات في المجتمعات سواء على النحو(العرقي- ديني-ثقافي...) ظاهرة إنسانية تاريخية في كل المجتمعات، لكن؛ المحاصصة السياسية وظفتها بشكل يبرز الهويات الفرعية على الهوية الوطنية.
٢. أزمة توزيع الموارد: تعد ازمة التوزيع أحد نتائج المحاصصة السياسية في العراق ، اذ ان هذه الازمة تتأثر بنوع التغير الاجتماعي الذي يمر به المجتمع ، وأن غياب العدالة التوزيعية عن المجتمع يترتب عليها آثار اجتماعية من أبرزها ضعف الاندماج الاجتماعي بين الفئات الاجتماعية نتيجة هيمنة بعضها التي تتمتع بالجاه والنفوذ على فئات أخرى ، ما يهدد التماسك الاجتماعي.
٣. أزمة المشاركة السياسية: تنشأ هذه الأزمة عندما يعجز النظام السياسي عن إعادة رسم عملية التفاعلات السياسية بين القوى السياسية المختلفة داخل المجتمع من أحزاب وجماعات ضغط وغيرها ، عندما تتزايد رغبتها في العمل السياسي ، وتدخل قوى جديدة إلى عملية التفاعل السياسي هذه يعني ازدياد المطالب السياسية مع ضعف النظام السياسي في

استيعاب هذه المطالب وتمثيلها سياسياً ؛ الذي يؤدي إلى تهديد استمرارية عمله وحيويته ، مما يؤثر على مجمل مسيرة التنمية السياسية التي تتصف بطابع التغيير(٥). عدا ذلك، فإنه يودي الى ظاهرة العزوف الانتخابي، ولأن المشاركة السياسية لا تكون فقط عبارة عن الانتخابات العامة التي يدلي فيها الناخبون بأصواتهم يوم الاقتراع، بل عديدة هي المجالات التي يمكن من خلالها ممارسة النشاط السياسي(٦)، وعرفها (weiner) بأنها « كل عمل إرادي ناجح أو فاشل ، منظم أو غير منظم، مرحلي أو مستمر ، وتنفيذه بوسائل شرعية أو غير شرعية بهدف التأثير في السياسة أو الشؤون العامة، أو اختيار الحكام وعلى كل المستويات الحكومية، محلية أو وطنية »(٧). وهناك ثلاث مراحل لها وهي(٨):

المرحلة الاولى/ الاهتمام السياسي : ويندرج هذا الاهتمام من مجرد الاهتمام ومتابعة القضايا العامة وعلى فترات مختلفة قد تطول أو تقصر ، بالإضافة إلى متابعة الأحداث السياسية ، إذ يميل الأفراد إلى الاشتراك في المناقشات السياسية مع أفراد عائلاتهم أو بين زملائهم في العمل ، وتزداد المشاركة في أوقات الأزمات أو أثناء الحملات بعض الانتخابية .

المرحلة الثانية/ المعرفة السياسية: والمقصود هنا هو المعرفة بالشخصيات ذات الدور المؤثر في المجتمع.

المرحلة الثالثة/ التصويت والمطالب السياسية : ويتمثل في المشاركة في الحملات الانتخابية بالدعم والمساندة المادية من خلال تمويل الحملات ومساعدة المرشحين والمشاركة في التصويت ، اما المطالب السياسية فتتمثل في الاتصال بالأجهزة الرسمية وتقديم الشكاوى والاشتراك في الأحزاب والجمعيات التطوعية.

والعزوف أو الامتناع عن التصويت هو جزء من المشاركة في الحياة السياسية، والتصويت في الانتخابات يعد أسلوباً منفصلاً من أساليب المشاركة السياسية عن أنشطة الأحزاب والحملات الانتخابية (٩)، ويأخذ مفهومين:

المفهوم الأول : واسع ، ويعني عدم وصول المواطن الذي هو في سن التصويت إلى مرحلة الإدلاء بصوته لفائدة معينة أو مرشح معين ، بحركته الحرة ودون وجود عائق قانوني أو مادي، أو تعمده في افساد الورقة الانتخابية التي تبطل اعترافه بالصوت الانتخابي(١٠).

المفهوم الثاني: ضيق ويحصره في حالة الناخب الذي يمتنع عن المشاركة في الاقتراع لأسباب قانونية وتنظيمية ((١١)) .

فقد أكدت إحصائيات المفوضية العليا المستقلة للانتخابات أن نسبة العزوف بالمشاركة في الانتخابات النيابية الأولى (٢٠٠٥) تقدر بـ (٢٣,٦٤ ٪) لتصل إلى (٣٧,٦١ ٪) في الانتخابات النيابية الثانية عام (٢٠١٠)، أما الانتخابات النيابية الثالثة عام (٢٠١٤) فقد سجلت نسبة عزوف انتخابي تقدر بـ(٣٨،٢٤ ٪) في حين سجلت الانتخابات النيابية الرابعة عام ٢٠١٨ أكبر نسبة عزوف تصل الى (٥٥٪)(١٢). أما في انتخابات ٢٠٢١ بلغت نسبة العزوف الانتخابي حوالي(٥٦٪) والمشاركة (٤٤٪). وهناك أسباب للعزوف عن الانتخابات العامة وحلول لمعالجتها.

٤. أزمة الاندماج والتكامل: تعد المفتاح الرئيس لحل أزمتي الاندماج والمشاركة ، إذ إنها تتعلق بكيفية تنظيم الوحدات الاجتماعية الوطنية بكل أشكالها الاقتصادية والسياسية والعرقية والدينية والطائفية ، وإدماجها في كتلة متجانسة ومنسجمة ، وتتطلب مواجهة هذه الأزمة وجود نخبة سياسية حاكمة تتجاوب مع قيم الأصالة والحداثة ، فضلاً عن تجاوبها مع تنوعات المجتمع المختلف((١٣)).

ولم يشهد العراق تاريخياً إفراطاً سياسياً تعلق بالتعددية السياسية إلا بعد العام ٢٠٠٣ ، إذ عملت الأحزاب والقوى السياسية على اتساع الهوة بين فئات المجتمع وبين المجتمع والنظام السياسي

وتعميقها، لكونها لم تندمج اندماجاً عمودياً مع النظام السياسي عبر اندماجها مع احزاب تشبهها بالأفكار والبرامج السياسية، وإنما اخذت تلك القوى تمارس أدواراً أعلى من الدولة والنظام السياسي، وهذا الأمر يدل على حقيقة وهي عدم إيمان تلك الأحزاب والقوى السياسية ببناء الدولة، مما انعكس ذلك على انعدام الوضع في التكامل السياسي بالمواقف والرؤى في إدارة مؤسسات الدولة. ويأخذ هذا العامل مظهراً آخراً يندرج في المجال السياسي، و يدور بين القوى السياسية والمجتمع، عبر تقسيم المجتمع ضمن دائرة المفاهيم الضيقة منها: (المذهب - الفئة - المظلومية – الأحقية...) . وهذا ما نلحظه عند توجه الناخبين للاقتراع متناسين اختيار الكفاءة والشخصيات الوطنية الخدمية، بهذا يكمن الاهتمام المصالح الفئوية دون المصالح الوطنية (١٤).

ثانياً- غياب المعارضة البرلمانية الوطنية: يعد دور المعارضة الرقابي للبرلمان الصمام الأمان من تعسف السلطة التنفيذية في الدول الديمقراطية لهذا قلما نشهد تظاهرات تنظمها المعارضة لأن أصوات ممثليها ترتفع بشدة في البرلمان نفسه، لكن؛ في مجلس النواب العراقي الكتل نفسها موجودة في الحكومة ، مما أفضى الى غياب دور المعارضة البرلمانية ، ومن هنا لم يجرؤ أي عضو او كتلة نيابية على تحريك الدور الرقابي لخشيتها من اقدام الاعضاء او الكتل الأخرى للقيام بالدور ذاته ضدها، و لاسيما أن معظم هؤلاء النواب اضحت غايتهم الاساسية حماية مصالحهم الخاصة أو الحزبية ، ولعل ما يدعو للدهشة في سياق الصحوة التي نشهدها أن يدعو بعض السياسيين العراقيين حول حل أزمة تشكيل الحكومة إلى إعادة العمل بمبدأ التوافق وتشكيلها بحيث تضم جميع الكيانات الفائزة في الانتخابات بحجة «عدم توافر أو اكتمال ثقافة المعارضة الآن ولا حتى في المنظور القريب نتيجة الظروف والتحديات التي يعيشها العراق»(١٥).

ثالثاً: ازمة السلاح المنفلت: لايزال العراقيون يموتون جسدياً او نفسياً من سيطرة السلاح المنفلت، إذ بالأمس عانى من قسوة حكم البعث، واليوم من الجماعات المسلحة(١٦) ، التي لها تاريخ في العراق خاصة بحقبة الاستعمار، فمنذ انطلاق حملة الجيش البريطاني لاحتلال العراق اثناء الحرب العالمية الأولى، عمدت القوات البريطانية الى تشكيل ميليشيات محلية لتساندها في التجسس والاستطلاع والعمليات العسكرية والأمنية المحدودة، وقد زادت أهمية تلك الميليشيا مع ادراك بريطانيا أن مكافحة الانتفاضات العراقية بجنود بريطانيين يعد أمرا مكلفا، فعزمت على بلورة ميليشيا أقوى حملت اسم «المجندون العراقيون» او قوات الليفي. بنتها على أساس طائفي، فقد كان ما يقرب ثلاثة ارباع عناصرها من الاشوريين المسيحيين الذين ساعدتهم في النجاة من مذابح الجيش التركي، فملكت ولائهم وزادته بتغذية خوفهم من الدولة والجيش العراقي، في عام ١٩٣٣، ظن هؤلاء أن ما لهم من سلاح وتدريب ومكانة عند بريطانيا سيشفع لهم عند الصدام مع الجيش العراقي، ونشب القتال بين الطرفين، وما كان أن سحقهم الجيش العراقي في أيام معدودة، وتبخرت كل الهالة التي احيطوا بها الى الأبد، وقد كان الجيش بمجمله وقتها مكونا من فرقتين بتعداد ناقص، ولا يملك قوة جوية مقاتلة، ولا دبابات أو مدرعات. بعدها خرج التمرد بعد عامين من بعض العشائر في الفرات، فدعمته دول كإيران والكويت والاتحاد السوفياتي بالمال والسلاح، وقد جمعت العشائر للجيش قوة قوامها ١٠ آلاف، وهو تقريبا تعداد الجيش في كل العراق وقتها، فتحصنوا بغابات النخيل والأهوار، ولم يختلف الأمر في شيء، فقد تمكنت قوة اقل عددا منهم من الجيش من التخلص منهم ، وطاردت فلولهم الهاربة في القصبات والأحراش، فعادوا الى أحجامهم ورمى شيوخهم بأنفسهم على السياسيين والأعيان يتوسلونهم بغية أن يكف الجيش عنهم مدافعه. لهذا فإن الجيش العراقي ليس عصابة لكي يتحرك من تلقاء نفسه،

فهو مقيد بانضباطه لمراجعه وقيادته السياسية([١٧]).

الفرع الرابع: تأثير البعد الاقليمي على الداخل العراقي

مما لا شك فيه ان العامل الخارجي بشقية الدولي والاقليمي يمكن ان يتجسد من الخلال الدور الذي يمارسه الفاعلون الاقليميون (الدول المجاورة) والفاعلون الدوليون من خلال تدخل القوى العظمى والمنظمات ذات الطابع الدولي والاقليمي ، فالسياسة التي اتبعتها الولايات المتحدة الامريكية منذ احتلال العراق عام ٢٠٠٣ ساهمت بشكل او بأخر الى ارتفاع نسبة تدخل تلك الدول في الشؤون الداخلية للعراق. ونتيجة لذلك اصبح العراق في ضل تلك السياسات ملتقى تقاطع مصالح المتخاصمين في مختلف الدول الاقليمية والولايات المتحدة الامريكية ، وساهم ايضا الى ايجاد موطأ قدم لدول الجوار والدول الاقليمية في العراق من خلال التعامل من القوى السياسية وتعزيزهم او اضعافهم بغية الرضوخ لمطالب القوى الخارجية ، فضلا عن التدخلات التي قامت بها الجهات الخارجية في العملية السياسية ، وكانت عاملا سلبيا في مواضع وعاملا ايجابيا في موضوعات اخرى ِ ([١٨])

اذ ان الامريكيون لم يكونوا واضحين مع انفسهم بشأن المتطلبات والموارد اللازمة لبناء الدولة العراقية ، حيث ركزوا وفق مشروعهم على بناء الامة بدلا من بناء الدولة الذي يجب ان يكون من الاولويات لبناء الدولة وفق ما حصل في اعادة بناء كل من اليابان والمانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وبالنتيجة شكل ذلك عاملا سلبيا على المجتمع اذ لم يتم التعامل معه بشكل ملائم ، ومن ثم اعادة بناء الامم يجب ان يكون مشروعا طويل الامد يتعين فيه بذل جهود منسقة من قبل الجهات المعنية على المستوى الداخلي والخارجي ، فالأطراف الدولية بما في ذلك الولايات المتحدة كانت لهم اهداف طموحة جدا وغير واقعية بالنسبة للعراق ، وكان من الواضح ان الخطط الامريكية لمرحلة ما بعد حرب العراق لم يكن كاملا ، واعطت الاولوية للأهداف قصيرة الامد على رؤى طويلة الاجل ، ولم تفهم جذور اسباب الصراع بين المكونات وفي ضمن كل مكون واقترن ذلك مع السذاجة الميدانية من قبل اصحاب المصلحة او الجهات المعنية في تنفيذ مشاريع اعادة تطوير الدولة الرئيسة . ([١٩])

أما التداخل بين العامل الاقليمي والاجندات الداخلية مازال يلقي بضلاله على عملية التحول السياسي في العراق ، وما زال يعرقل بشكل او بأخر عملية الاصلاح الحكومي ، لان المشكلة اليوم في الاصلاح الداخلي تتمثل في التدخل الاقليمي الذي يسعى الى ان تكون الاصلاحات متماشية مع مصالحة ، بغض النظر عن المصلحة الوطنية ، بمعنى ان الاصلاح لابد ان يتماشى مع الرؤى الاقليمية المتصارعة ، وبالتالي تحقيق نوع من التوازن بين تلك الرؤى ، فضلا عن الرؤى الضيقة ومصالح بعض القوى السياسية المنقسمة داخليا واقليميا ، مما يربك الشأن الداخلي ويحرك الورقة الطائفية الداخلية ، ويخلق حالة من عدم الثقة بين الفرقاء والسياسيين .

لقد لعبت السياسات الاقليمية ادوارا واضحة في تفكيك اواصر المجتمع مستفيدة من الفشل الحكومي في اسلوب ادارة التنوع المذهبي ، وذلك في اقدام الجماعة الحاكمة على تهميش ما عداها من الجماعات الاخرى ، وقد تفاوتت محاور ذلك التهميش والاقصاء من اقتصادي الى ثقافي ومن ثم سياسي . ونتيجة لذلك تحول التنوع الاثني والطائفي الى عامل اضعاف لمكانة وقوة ونضج الدولة ، ففي الفترة التي تلت الاحتلال الامريكي للعراق تمت تغذية ذلك التناحر من قبل الدول الاقليمية لتتحول فيها الاصرة الاجتماعية الى ادنى درجات الهشاشة امام تلك التدخلات الخارجية ، واوضحت هشاشة البنيان الاجتماعي وكانت عنوانا لعزل طائفي واثني

خطير لم تشهده بلدان كثيرة في العالم . ([٢٠])
وقد شكل الصراع والتنافس الاقليمي والدولي عاملا مؤثرا على طبيعة المجتمع العراقي ، حيث ان تلك الصراعات الدائرة والتي تدور على الساحة العراقية هي ليست ذات صبغة داخلية فحسب، انما تتداخل معها صبغات ومستويات اخرى اقليمية ودولية فرضتها طبيعة الواقع العراقي، ومعطيات الساحة الاقليمية والدولية وتشابك مصالح لاعبيها وأطرافها ، فقد امتازت الساحة العراقية كونها شكلت مركزا للتقاطع الاستراتيجي اقليميا ودوليا ، ويكمن السبب في تدويل القضية العراقية في تداخلها مع قضايا الصراعات الاقليمية والدولية على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية([٢١]).
بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ، شهدت الساحة العراقية تحولات جذرية في غاية الاهمية داخل المجتمع العراقي وفي منظومة السلطة ايضا ، حيث افرزت تلك التحولات مخاوف الانتقال الى الدول المجاورة التي حاولت من جانبها التدخل لوضع حد لها ، ووفقا لتلك الرؤية يمكن القول بأن التركيبة المجتمعية العراقية فتحت منافذ ا للتدخل الخارجي نتيجة عدم التوافق بالنسبة للقوى المؤلفة له ، فضلا عن سيولة العلاقات الناشئة بين اطرافها مع بعضهم البعض ، وقد ارتبطت هذه التدخلات بالقدرة على توظيف هذا المكون أو ذاك داخل المجتمع العراقي وبفاعلية وقدرة عالية من اجل ترجيح كفتها في ميزان القوى وبما يصب بالنهاية لتحقيق اهدافها ومصالحها على حساب مصالح العراق وشعبه . ([٢٢])
ان التدخل الخارجي بشقيه الاقليمي والدولي قد تأثر بدرجة او بأخرى بالموجه الطائفية التي شهدها العراق ، ونتيجة لذلك فقد شعرت بعض الدول الاقليمية بالاحباط لدى بعض القوى الداخلية وعملت على اشاعة الفتنة الطائفية والمذهبية ، بحيث لعب التدخل الخارجي دورا محوريا في تفجير الصراعات الداخلية ، وبهذا يمكن القول بأن التدخل يحدث غالبا عندما يعاني المجتمع المستهدف بالتدخل من عدم استقرار سياسي داخلي يهيأ الظروف الملائمة والمناسبة للتدخل الخارجي([٢٣]).

الخاتمة:

إن من متطلبات بناء الدولة، بنيان قاعدتها الاقتصادية والاجتماعية والامنية وقدرتها على إقامة علاقات دولية متوازنة مع غيرها من وحدات المجتمع الدولي، وبحكم كون النخب السياسية هي التي تضع الهيكل الرئيس للنظام السياسي فهي المتحكمة فيه، فبعد عام ٢٠٠٣م اتجهت النخب السياسية العراقية الى المحاصصة التي أصبحت احد اهم المعوقات التي تواجه النظام السياسي العراقي. ولهذا ، فإن ضعف النظام السياسي العراقي وعدم استقراره ، يعود لأسباب داخلية منها (سياسية، دستورية، اقتصادية، ثقافية، اجتماعية) ، والتدخلات الخارجية منها (إقليمية ودولية) ؛ لكن المسببات الداخلية في النظام السياسي هي الأساس، ولولاها لما تمكن العامل الخارجي ان يجد فرصة له للتدخل في الشأن العراقي الداخلي. لهذا لايزال العراقيين يأملون بتشكيل حكومة قوية تنهي صراع المصالح بين الاحزاب والجماعات المسلحة المستفيدة من الفوضى، وأن تكون الدولة المالك الشرعي الوحيد للسلاح .

الهوامش:

1. عبد الغفار رشاد, التطور السياسي والتحول الديمقراطي : التنمية السياسية, الجزء الاول, ط٢, جامعة القاهرة, القاهرة, ٢٠٠٦, ص١٨١.
2. ينظر الى: عبد الإله بلقزيز, الجماعة السياسية والمواطنة, المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع, الدار البيضاء, المغرب, ٢٠٢٠, ص ١١ .
3. عباس عبود سالم, الأحزاب العراقية من سطوة الأيديولوجيا إلى سلطة الفوضى, نشر بتاريخ ٧أيار٢٠٢١, على الربط: https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/alahzab-alraqyt-mn-stwt-alaydywlwjya-aly-sltt-alfwdy
4. سناء كاظم كاطع, تحديات بناء الدولة العراقية المعاصرة.: رؤية فكرية, مجلة العلوم السياسية, جامعة بغداد, العدد٤١, ٢٠١٠, ص٣٥٨.
5. محمد شطب عيدان المجمعي, النخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية, مجلة جامعة تكريت للحقوق, المجلد١, العدد٤, ٢٠٠٩, ص١٤٨.
6. ينظر فليب برو ، علم الاجتماع السياسي ، ترجمة : محمد عرب صاصيلا ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨ ، ص ٣٣٧ .
7. انور محمد فرج ، دور التنشئة الاجتماعية في المشاركة السياسية للشباب، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، المجلد الخامس, العدد ١ , جامعة كركوك, ٢٠١٠ ، ص ٤ .
8. هناء حسني محمد النابلسي ، دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي والمشاركة السياسية ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ٢٠١٠ ، ص ١٢٩ . و كذلك: علي هادي عطية, ظاهرة العزوف عن المشاركة في الانتخابات العامة وتأثيرها على شرعية السلطة, منشورات زين الحقوقية, بيروت-لبنان, ٢٠١٩, ص٣٧
9. أمل لطفي جاب الله ، اثر الجرائم الانتخابية على مشروعية الانتخابات التشريعية ، دار الفكر الجامعي ، الاسكندرية – مصر ، ٢٠١٣ ، ص ١٤٣ ..
10. محمد صالح شطيب, ظاهرة العزوف عن الانتخابات في الدول العربية عام ٢٠١٨ (العراق انموذجا), مجلة دراسات اقليمية, جامعة الموصل, المجلد ١٤, العدد ٤٥, ٢٠٢٠, ص١٢٩.
11. الفقيرة سميحة ، العزوف السياسي ، دراسة ميدانية لمدينة طنجة انموذجاً ، رسالة ماجستر في القانون العام ، مقدمة إلى كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ، جامعة عبدالمالك السعدي, طنجة ، للعام الدراسي ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٧.
12. همسة قحطان خلف, العملية السياسية الديمقراطية في العراق بين الاصلاح والتمكين والمراجعة الشاملة بعد انتخابات عام ٢٠١٨, مجلة تكريت للعلوم السياسية, جامعة تكريت, , المجلد ١, العدد ١٦, ٢٠١٩, ص٥١.
13. محمد شطب عيدان المجمعي, النخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية, المصدر سبق ذكره, ص١٤٧
14. أمير الشبلي, العراق: دولة من دون اندماج اجتماعي, موقع العربية, نشر على الرابط: https://www.alarabiya.net/politics/٢٠٢٠/١٠/١٨
15. محمد عاكف جمال, العراق وغياب ثقافة المعارضة, صحيفة البيان, نشرت بتاريخ ٧أيلول٢٠١٨, على الرابط: https://www.albayan.ae/opinions/articles/٢٠١٨-٠٩-٠٧-١٣٣٥١٣٩٧,
16. مصطفى مهدي, داعش والميليشيات المسلحة قنابل موقوته في العراق, بلا,٢٠١٧, ص٨٩.
17. لجيش العراقي.. والميليشات الطائفية.. والسلاح المنفلت, الخلية التكتيكية, نشر على الرابط: https://www.facebook.com/pfbid٠٢٣SiUYinWUPs٥L٥pFsW٢/١٠٤٥٦٠٦٧٨١٦٣٣٤٥/posts/٤٨xKy٥SUZi٢X٩pibegjPPzUVtLF٨KVPdgZAjr٤SdKgTjl
18. عامر حاجي سليمان حاجي ، الديمقراطية التوافقية في العراق بعد ٢٠٠٣ (الفرص والتحديات) رسالة ماجستير منشورة ، جامعة الشرق الادنى ، الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية ، ٢٠٢٠، ص٣٤-٣٥ .
19. لقمان عبدالرحيم الفيلي ، بناء العراق – الواقع والعلاقات الخارجية وحلم الديمقراطية ، مركز الرافدين للحوار ، بيروت / لبنان ، ط١ ، ٢٠١٩ ، ص٢٣-٢٤ .
20. حسين حافظ وهيب ، تحليل العناصر السلبية والايجابية في الواقع الاستراتيجي العراقي ، مجلة العلوم القانونية والسياسية جامعة ديالى ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ٢٠١٥ ، ص٢٥-٢٦ .
21.) ايناس عبد السادة علي العنزي ، الاستراتيجية الامريكية وادارة صراع الارادات على الساحة العراقية ، مجلة دراسات دولية كلية العلوم السياسية ،جامعة بغداد ، العدد ٤١ ، ٢٠٠٩ ، ص٧٣ .
22. المصدر نفسه ، ص٧٩ .
23. المصدر نفسه ، ص٧٩ .

أ . م د . انتظار جاسم جبر

م . د شروق نعيم جاسم

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الجغرافية

جرائم الإرهاب (الداعشي)

وفكره المتطرف تجاه دور العبادة في المحافظات العراقية التي سيطر عليها هذا التنظيم

المستخلص: -
شهد العراق خلال عام ٢٠١٤ م تفاقماً كبيراً للعمليات الإرهابية وانتشاراً واسعا للمجاميع الإرهابية لعصابات داعش الإجرامية لارتكابها أبشع الجرائم المخالفة لكافة أحكام الشرائع السماوية والمواثيق الدولية الراعية لحقوق الإنسان تمثلت بعمليات التدمير والقتل والخطف والتفجير والتهجير وغيرها من الأفعال التي يندى لها جبين الإنسانية وانعكاساتها الوخيمة على امن البلاد وحياة المواطن العراقي, فضلا عن سيطرة هذه العصابات على أجزاء واسعة من الأراضي العراقية بسقوط ثلاث محافظات تعد من كبرى محافظات العراق المتمثلة ب (الانبار, صلاح الدين, نينوى, وبعض القرى والأرياف التابعة لمحافظتي ديالى وكركوك. لقد أقدمت هذه العصابات الإجرامية على تفجير وتهديم وحرق العشرات من المعالم الدينية في المحافظات التي سيطرت عليها والتي كانت إما جامع أو مسجد أو حسينية أو حتى معالم دينية أخرى كالكنائس ومعابد الديانة الايزيدية وغيرها, إن ما أقدمت عليه هذا العصابات إنما انعكاس لفكرها الإرهابي المتطرف الذي لا يتقبل الآخر والذي يدفعها إلى ارتكاب عمليات إبادة ضد الإنسان ومعتقداته وحرية ممارساته العبادية.
على مدار التاريخ تعرض كثير من التراث الثقافي والإنساني إلى عمليات إبادة وتدمير لأسباب مختلفة وضمن سياقات متعددة ولكن تبقى النتيجة واحدة وهي إن البشرية خسرت جزءاً مهماً من ذاكرتها الحضارية وارثها الإبداعي.

إن استهداف الجماعات الإرهابية على اختلاف مسمياتها وأبرزها عصابات (داعش) الإرهابية للاماكن المقدسة والشعائر والممارسات الدينية كان اغلبها خلال النصف الثاني من عام ٢٠١٤ حيث كان هدفهم تدمير هذه المعالم الدينية والأثرية بحجج وفتاوى تكفيرية لا تمت بأية صلة بالأحكام الإلهية التي جاء بها رسولنا الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) .
إن تنظيم (داعش) قام بتفجير ممنهج لمعظم المعالم التاريخية والدينية في الموصل وأبرزها مرقد النبي يونس فضلا عن تجريف مدنه التاريخية و أبرزها الحضر والنمرود وعدة حسينيات ومساجد تاريخية وكنائس وهي معالم فريدة من نوعها ويعود تاريخها لقرون من الزمن بحجة أنها مظاهر للشرك.
إن ما أقدمت عليه هذا العصابات إنما انعكاس لفكرها الإرهابي المتطرف الذي يرفض الآخر فكرا ومعتقدا ووجودا وهذا ما دفعها إلى ارتكاب عمليات إبادة ضد الإنسان ومعتقداته وحرية ممارساته العبادية فكانت جرائم إبادة رموز الديانات ودور العبادة معبرا حيا عن الفكر الإرهابي الهدام الذي تتبناه هذه العصابات المجرمة المتطرفة.

| المقدمة: -

شهد العراق خلال عام ٢٠١٤ م تفاقماً كبيراً للعمليات الإرهابية وانتشاراً واسعا للمجاميع الإرهابية لعصابات داعش الإجرامية لارتكابها أبشع الجرائم المخالفة لكافة أحكام الشرائع السماوية والمواثيق الدولية الراعية لحقوق الإنسان تمثلت بعمليات التدمير والقتل والخطف والتفجير والتهجير وغيرها من الأفعال التي يندى لها جبين الإنسانية وانعكاساتها الوخيمة على امن البلاد وحياة المواطن العراقي, فضلا عن سيطرة هذه العصابات على أجزاء

واسعة من الأراضي العراقية بسقوط ثلاث محافظات تعد من كبرى محافظات العراق المتمثلة ب (الانبار, صلاح الدين, نينوى, وبعض القرى والأرياف التابعة لمحافظتي ديالى وكركوك.

لقد زاد من فاعلية هذه العصابات وجود دول إقليمية ودولية وتنظيمات ومؤسسات وشخصيات داعمة ومساندة لها سواء كان هذا الدعم بشكل علني أو بشكل خفي في ممارسة أعمالها داخل العراق مستغلة بذلك المصالح السياسية والاقتصادية لتحقيق مصالحها وجلب المنافع لدولها بالرغم من زهق الآلاف من الأرواح وتدمير البنى التحتية للبلاد وسوء الأوضاع الاقتصادية وانحدار المستوى ألمعاشي للمواطن العراقي بنسب كبيرة إلى دون مستوى خط الفقر.

مشكلة البحث: - هل تعرضت المعالم الدينية في العراق إلى التدمير ضمن المحافظات التي سيطر عليها تنظيم داعش. ولماذا

فرضية البحث: - لقد تعرضت المعالم الدينية في العراق وضمن المحافظات التي سيطر عليها تنظيم داعش إلى التدمير. كما إن التدمير لم يستثني المعالم الدينية التابعة لأي ديانة أو طائفة معينة وإنما استهدف هذا التنظيم المعالم الدينية لكل الديانات والطوائف الموجودة ضمن المحافظات التي أصبحت تحت سيطرته.

الحدود المكانية والزمانية للبحث: - وتتضمن الحدود المكانية المحافظات أو جزء منها التي أصبحت تحت سيطرة تنظيم داعش وهي (محافظة الموصل ومحافظة صلاح الدين ومحافظة الانبار وبعض القرى والأرياف التابعة لمحافظتي كركوك و ديالى) الخريطة (١) إما الحدود الزمانية فإنها تنحصر بين تموز ٢٠١٤ ولغاية مطلع عام ٢٠١٦.

خريطة (١) خريطة منطقة الدراسة

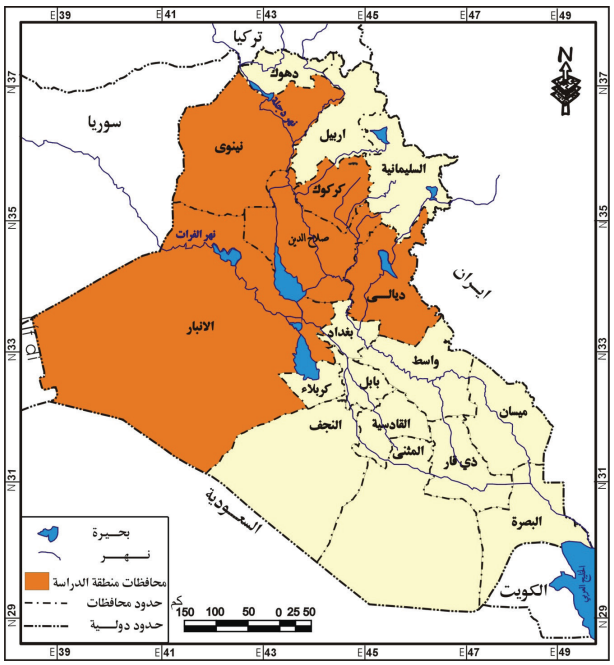

المصدر: - وزارة الموارد المائية, المديرية العامة للمساحة, خارطة العراق الإدارية, ٢٠٠٧

التطورات الأمنية بعد عام ٢٠١١ والتي سبقت جريمة النيل من المعالم الدينية في العراق: -

اتسمت المدة بعد عام - ٢٠١١ إي بعد انسحاب قوات الولايات المتحدة الأمريكية من العراق في كانون الأول ديسمبر - بالاستقرار النسبي, إلا انه لاحقا حدثت تغيرات جذرية في البيئة الأمنية يمكن تقسيمها إلى ثلاث فترات هي: -

١. كانون الثاني / يناير ٢٠١١ إلى كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٢
٢. اكتمل الانسحاب النهائي لقوات الولايات المتحدة الأمريكية في ١٨ ك١ ٢٠١١, ورغم الاستقرار النسبي ظلت البيئة الأمنية متقلبة يتعذر التنبؤ بها واتسمت باستمرار الهجمات التي تشنها الجماعات المسلحة باستخدام أساليب العنف المفرط ولاسيما عمليات اغتيال زعماء سياسيين وقبليين فضلا عن ضحايا

بصفوف المواطنين. وفي تموز / يوليو ٢٠١٢ أطلق أبو بكر البغدادي زعيم تنظيم القاعدة في العراق آنذاك حملة باسم (كسر الجدران) تهدف إلى تامين الإفراج عن السجناء بغرض زيادة أعداد عناصر تنظيم القاعدة في العراق والاستحواذ على الأراضي في العراق ولاسيما محافظة الانبار.

٣. كانون الثاني / يناير ٢٠١٣ إلى آب/ أغسطس ٢٠١٤

٤. شهد الجزء الأول من عام ٢٠١٣ زيادة في تقلب البيئة الأمنية حيث تطورت عمليات الجماعات المسلحة بسرعة, كما كان للتوترات الإقليمية أيضا ولاسيما فيما يتعلق بالنزاع الدائر في الجمهورية العربية السورية (١) .

٥. أدت تلك الأوضاع وغيرها إلى ارتفاع الأصوات الداعية إلى إنشاء محافظة متمتعة بالحكم الذاتي في الانبار وبالاقتران مع ارتفاع مستوى البطالة بين الشباب الأمر الذي أدى إلى إيجاد موقع خصب أتاح للجماعات المسلحة التقدم وتجنيد الأفراد لصالحها. وفي تموز / يوليو ٢٠١٣ توجت حملة (كسر الجدران) بهجوم نفذه تنظيم القاعدة في العراق على سجني أبي غريب والتاجي أسفر عن إطلاق سراح عدد كبير من السجناء وفي ٢٩ تموز ٢٠١٣ أعلن تنظيم القاعدة في العراق نهاية تلك الحملة وأطلق في الوقت نفسه حملة (حصاد الأجناد) الرامية إلى تجنيد البعثيين السابقين وعناصر سابقة في الجيش العراقي من بين صفوف قوات الأمن العراقية وشهد النصف الأخير من عام ٢٠١٣ طفرة كبيرة في أنشطة الجماعات المسلحة صاحبها ارتفاع في الضحايا المدنيين. وفي المدة من ك٢ إلى تموز ٢٠١٤ وبينما كانت قوات الأمن العراقية تحاول إخلاء مواقع احتجاج في الانبار وأجزاء أخرى من البلد حدث تحول كبير في ديناميات النزاع وانخرط تنظيم القاعدة في العراق وما يرتبط به من جماعات مسلحة على نحوٍمتزايد في اشتباكات مسلحة مع قوات الأمن العراقية واحكم سيطرته بسرعة على مساحات من الأراضي في الانبار (ولاسيما في الفلوجة وأجزاء من الرمادي) ليستولي لاحقاً على مدينة الموصل وأجزاء من محافظات صلاح الدين و ديالى, وعقب الاستيلاء على مدينة الموصل لجأت الحكومة إلى تكثيف استخدامها لقوات الحشد الشعبي اللذين انخرطوا في العمليات العسكرية (بعد فتوى المرجعية بالجهاد الكفائي) جنباً إلى جنب مع القوات الأمنية.

٦. من آب / أغسطس ٢٠١٤ لغاية تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٥

٧. في مطلع شهر آب ٢٠١٤ تراجعت قوات البشمركة إلى جنوب مرتفعات سنجار(في محافظة نينوى) في أعقاب اشتباكات مع (تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام - داعش-) (٢) في الشمال الغربي من مدينة الموصل, وفي الوقت نفسه شن التنظيم هجمات ضد الأتراك والايزيديين والمسيحيين والطوائف الأخرى في مدينة الموصل ومنطقة زمار وسهل نينوى وجبل سنجار. وفي ٨ آب أطلقت الولايات المتحدة أولى غاراتها الجوية ضد التنظيم في جبل سنجار حيث كان الآلاف من الايزيديين محاصرين, وفي الأشهر التالية تم تشكيل تحالف دولي ضد تنظيم (داعش) من اجل دعم العمليات الميدانية لقوات الأمن العراقية بهدف منع زحف التنظيم والتصدي له, وعلى اثر تقديم الدعم العسكري الدولي قام التنظيم بتكييف أساليبه من خلال الحد من تحركات الأفراد والموارد والاختباء في المناطق المدنية وشن الغارات واستخدام أساليب العنف المفرط ضد أهداف عسكرية ومدنية. (٣)

المعالم الدينية التي استهدفها تنظيم (داعش) في العراق: -

على مدار التاريخ تعرض كثير من التراث الثقافي والإنساني إلى عمليات إبادة وتدمير لأسباب مختلفة وضمن سياقات متعددة ولكن تبقى النتيجة واحدة وهي إن البشرية خسرت جزءاً مهماً من ذاكرتها الحضارية وارثها الإبداعي. (٤)

إن استهداف الجماعات الإرهابية على اختلاف مسمياتها وأبرزها عصابات (داعش) الإرهابية للاماكن المقدسة والشعائر والممارسات الدينية كان اغلبها خلال النصف الثاني من عام ٢٠١٤ حيث كان هدفهم تدمير هذه المعالم الدينية والأثرية بحجج وفتاوى تكفيرية لا تمت بأية صلة بالأحكام الإلهية التي جاء بها رسولنا الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) .

مما لا يخفى على الجميع إن الأعمال الإرهابية التي مورست من قبل الجماعات الإرهابية قد ازدادت وتيرتها بشكل كبير خلال عام ٢٠١٤ والتي كان لها التأثير السلبي على امن وأمان العراق والمواطن العراقي. لقد أدى عدم الاستقرار الأمني والأزمات السياسية وأسباب أخرى أدت إلى سقوط ثلاث محافظات من كبرى محافظات العراق بيد عصابات (داعش) الإرهابية منذ تاريخ١٠ / ٦/ ٢٠١٤ حيث سقطت مدينة الموصل إلى إن سقطت محافظة نينوى بالكامل تلتها محافظتي صلاح الدين الانبار وبذلك عاش المواطن العراقي في ذعر وتخوف كبيرين لاستمرار تقدم هذه العصابات الإرهابية نحو غيرها من المحافظات وعدم تمكن الحكومة العراقية والقيادات الأمنية فيها من إيقاف تقدمها نحو العاصمة بغداد تحديدا.

ولولا فتوى الجهاد الكفائي التي أصدرها سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد (علي الحسيني السيستاني) دام ظله الوارف والتي كانت الحل الوحيد لإنقاذ العراق من هاوية السقوط والتي أدت إلى إن هب أبناء العراق الغيارى للقتال دفاعا عن الوطن من خلال تشكيل هيئة الحشد الشعبي التابعة إلى رئاسة مجلس الوزراء. (٥)

إن تنظيم (داعش) قام بتفجير ممنهج لمعظم المعالم التاريخية والدينية في الموصل وأبرزها مرقد النبي يونس فضلا عن تجريف مدنه التاريخية و أبرزها الحضر والنمرود وعدة حسينيات ومساجد تاريخية وكنائس وهي معالم فريدة من نوعها ويعود تاريخها لقرون من الزمن بحجة أنها مظاهر للشرك. (٦)

وفيما يلي الجدول (١) الذي يمثل ما تم تأشيره من معالم دينية استهدفها تنظيم (داعش) وتحديدا بعد تاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ في محافظة نينوى.

جدول (١)

المعالم الدينية التي استهدفها تنظيم (داعش) وتحديدا بعد تاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ في محافظة نينوى.

اسم الجامع	الموقع	نسبة الضرر
جامع النبي شيت	الموصل	هدم كامل
جامع النبي دانيال	الموصل	هدم كامل
جامع الإمام الباهر	الموصل	هدم كامل
جامع النبي يونس	الموصل	هدم كامل
جامع النبي جرجيس	الموصل	هدم كامل
جامع شيخ الشط	الموصل	هدم كامل
جامع يونس النحوي	الموصل	هدم كامل
مسجد شط الجونة	الموصل	هدم كامل
مرقد عون الدين	الموصل	هدم كامل
مرقد يحيى أبو القاسم	الموصل	هدم كامل
مرقد علي نصر	الموصل	هدم كامل
جامع قضيب ألبان	الموصل	هدم كامل
مرقد الشيخ فتحي	الموصل	هدم كامل
مرقد زين بن علي ا لها شمي	الموصل	هدم كامل
مزار السيد ذاكر الدين الاعرجي	سنجار	-
مزار السيدة زينب الصغرى (ع)	سنجار	هدم

مزار سعد بن عقيل	قضاء تلعفر	تفجير
مزار الشيخ فتحي	سنجار	-

المصدر: جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة الشؤون الإنسانية, قسم ضحايا الإرهاب, اثر الإرهاب في حقوق
الإنسان لعام ٢٠١٤, ص ١١٥.

خريطة (٢)
المعالم الدينية التي استهدفها تنظيم (داعش) وتحديدا بعد تاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ في محافظة نينوى

المصدر: - بالاعتماد على جدول (١)

جدول (٢)
المعالم الدينية التي استهدفها تنظيم (داعش) وتحديدا بعد تاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ في محافظة صلاح الدين

اسم الجامع أو الحسينية	الموقع	نسبة الضرر٪
مسجد محمد الساجي	سامراء القاطول	
مسجد عثمان بن عفان	سامراء سوق القصابين	١٠
مسجد الإسراء	سامراء الغربية	
جامع الشهيد عبد الرحيم	سامراء مكيشيفة	٢٥
جامع الإحسان	سامراء/ الحويش	
جامع الغفران	سامراء/ الحويش	٤٠
جامع الرحمن الرحيم	سامراء مكيشيفة	
جامع عباد الرحمن	سامراء مكيشيفة	٥٠
جامع المصطفى	سامراء / الحويش	٢٠
جامع الشيخ خزام	سامراء/ الجلام	٢٠
جامع أبو عامر بن الجراح	ناحية المعتصم	٦٠
جامع عثمان بن عفان	ناحية المعتصم	٧٠
مسجد الرشيد	ناحية المعتصم	٦٠
جامع ومرقد محمد الجاكيري	سامراء/ الشيخ محمد	٤٠
جامع مكيشيفية الكبير	سامراء مكيشيفة	٦٠
جامع احمد المطرود	سامراء مكيشيفة	١٠
جامع المؤمن	سامراء مكيشيفة	٣٠
جامع حسن البصري	سامراء مكيشيفة	٨٠
جامع بيت المقدس	سامراء مكيشيفة	١٠
جامع الغفور	سامراء مكيشيفة	٤٠
جامع الغفار	سامراء مكيشيفة	١٠
جامع المعتصم بالله	سامراء / سمومر	٦٠
جامع الزبير بن العوام	سامراء / المفرق	
جامع الهدى	ناحية المعتصم	٣٠
جامع الهادي	ناحية المعتصم	٣٠
جامع الهداية	ناحية المعتصم	٥٠
جامع حسن الحنيني	سامراء / الحويش	٨

جامع الحنين إلى رسول الله	مكيشيفة	٥٠
جامع احمد العاني	بلد	٨٠
جامع خالد بن الوليد	بلد المحطة طريق بغداد	٨٠
جامع الرحمن	بلد الحضيرة	٦٠
جامع عاصم بن ثابت	بلد المحطة	٦٠
جامع الفتاح	بلد طريق بغداد	٨٠
جامع البر الرحيم	بلد المحطة	٧٠
مسجد أبو بكر الصديق	بلد المحطة طريق بغداد	٧٠
جامع الرواشد	بلد عزيز بلد	٨٠
جامع الصابرين	بلد الرواشد عزيز بلد	٨٠
جامع الإمام علي	بلد عزيز بلد	٤٠
جامع الهجرة النبوية	بلد عزيز بلد	٤٠
جامع آل البيت	بلد عزيز بلد	٢٥
جامع المصطفى المخلبي	بلد عزيز بلد	٤٠
جامع سعدة بن عبادة	الضلوعية خزرج	٦٠
جامع الشهيد رعد	الضلوعية خزرج	٨٠
جامع الانصار	الضلوعية خزرج	٨٠
جامع الحاج عزاوي	الضلوعية السوامرة	٢٥
جامع الصحابة	الضلوعية البو جواري	٤٠
جامع الشيخ شهاب	الضلوعية البو جواري	٨٠
جامع عدي بن حاتم الطائي	الضلوعية البو جواري	٤٠
جامع الأمين	الضلوعية البو جواري	٥٠
جامع الحاج طه العطة الله	بلد / يثرب	٧٥
جامع الإمام علي	بلد/ يثرب المركز	٧٠
جامع الروضة المحمدية	بلد /يثرب العانين	٤٠
جامع الحي القيوم	يثرب تل الذهب	٧٠
جامع البو فياض	يثرب الشارع	٧٠

جامع احمد الرفاعي	بلد / يثرب	٧٠
جامع عمر بن الخطاب	بلد / يثرب	٧٠
جامع احمد الرفاعي	بلد / يثرب	٦٠
جامع الصباح	بلد / يثرب	٢٥
جامع الرحمن	بلد / تل الذهب	٦٠
مسجد رياض	البو فراج	٤٠
جامع الرحمن	البو فراج / الجمعية	٣٠
جامع القدس	البو فراج	٣٠
جامع معاذ بن جبل	عزيز بلد	٤٠
جامع عثمان بن مضعون	عزيز بلد	٧٠
جامع الرحمن	دور / قاعدة البكر	٤٥
جامع التوبة	طريق بلد / يثرب	٢٥
جامع الخلفاء	بلد / الضلوعية	١٠
جامع بلال بن رباح	الاسحاقي	٢٥
جامع بدر الكبرى	الاسحاقي	٤٠
جامع أسامة بن زيد	الاسحاقي	٥٠
مسجد أبو حنيفة النعمان	الاسحاقي	٢٥
ملاحظية الوقف السني في الاسحاقي	الاسحاقي	١٠
جامع الحكمة	الاسحاقي	١٠
جامع الحجاز	الاسحاقي	٢٥
جامع زين العابدين	الاسحاقي	١٠
جامع الرزاق الرئاسي	سامراء / حي الضباط	-
جامع القريشي	سامراء / حي الافراز	-
جامع المختار	سامراء/ حي العرموشية	-
جامع الصالح	سامراء / حي الشرطة	-
جامع عثمان بن عفان	سامراء / حي الضباط	-
جامع الحق	سامراء / حي الضباط	-
جامع النور المحمدي	سامراء / ناحية المعتصم	-

جامع حسن الحمد	سامراء حي المثنى	-
جامع الشكور	سامراء / حي الضباط	-
جامع مصعب بن عمير	سامراء مفرق الفلوجة	-
جامع أنوار الكعبة	سامراء حي الجبيرية ٣	-
جامع الرحمة	سامراء الداهري	-
جامع احمد العاني	بلد / طريق بغداد	-
جامع السلام	ناحية الاسحاقي	-
مقبرة الخضر	ناحية الاسحاقي	-
جامع عوينات	تكريت / قرية عوينات	-
جامع أبو بكر الصديق	تكريت / القادسية	-
جامع الخطاب	تكريت / العلم	-
جامع الرحمن	تكريت / قرية سمرة	-
جامع تكريت الكبير	تكريت / شارع الأربعين	-
جامع القادسية	تكريت / القادسية	-
جامع إبراهيم الخليل	تكريت / القادسية	-
جامع السلام	تكريت / شارع أبو عقرب	-
جامع نور الهدى	تكريت / قرية حمادي شهاب	-
جامع عمر بن عبد العزيز الرئاسي	الدور / الدور القديمة	-
جامع الفتاح الرئاسي	بيجي / الحي العصري	-
جامع الرحمة الأهلية	بيجي / الحي العصري	-
جامع الفاروق	بيجي/ المصافي	-
جامع المصافي	بيجي/ المصافي	-
مسجد قباء	بيجي/ المصافي	-
جامع الحميد	بيجي / الحي العسكري	-

جامع أبو بكر الصديق	بيجي / الجزيرة ب	-
جامع المعز	بيجي / البوجواري	-
جامع النور الكبير	بيجي / الصينية	-
جامع الشهيد احمد السيد خلف	بيجي / الصينية	-
جامع المدينة المنورة	بيجي / الصينية	-
مسجد على خطى الرسول	بيجي / القصبة	-
جامع عمر بن الخطاب	تكريت / البوعجيل / الحوايج	-
جامع الغفور الرحيم	تكريت / قرية عوينات	-
جامع الرحمن	تكريت / قرية الرلاية	-
جامع المصطفى	حفرية / طوز	هدم
جامع المؤمن	سراط / طوز	هدم
جامع الصديق	مفتول طوزخورماتو	حرق
جامع الفتاح	خاصة / دارلي / طوزخورماتو	حرق
جامع الرؤوف الرحيم	حبش / طوزخورماتو	حرق
جامع الحي القيوم	أم الكطا / طوزخورماتو	حرق
جامع إبراهيم بن ادم	بير الذهب / الطور	حرق
جامع إبراهيم مجول	البو شكر / طوزخورماتو	حرق
جامع الإسراء والمعراج	السلام / طوزخورماتو	هدم
جامع ينكجة	ينكجة / طوزخورماتو	حرق
جامع صلاح الدين الكبير	ينكجة / الطوز	حرق
جامع الأقصى	ينكجة / طوزخورماتو	حرق
جامع الرسول الأعظم	البو حسن	هدم

جامع صلاح الدين الأيوبي	سليمان بيك / طوزخورماتو	حرق
جامع رحمن	سليمان بيك / طوزخورماتو	حرق
جامع الأنصار	سليمان بيك / طوزخورماتو	حرق
جامع الشهيدين	سليمان بيك / طوزخورماتو	حرق
جامع العلي	سليمان بيك	حرق
جامع محمد الفاتح	حفرية / طوزخورماتو	حرق
جامع النور	حفرية / طوزخورماتو	حرق
جامع الرزاق	غماز / طوزخورماتو	هدم
جامع رسول الله	غماز / طوزخورماتو	حرق
جامع القيوم	لقوم / طوزخورماتو	حرق
جامع سعد بن أبي وقاص	سرحة / طوزخورماتو	حرق
جامع الإمام علي	طوزخورماتو	تدمير الابواب
قاعة الإمام احمد (ع) التبعة إلى مرقد الإمام احمد	طوزخورماتو	أضرار جسيمة
مقام الإمام الحسين	صلاح الدين / ناحية امرلي	أضرار جسيمة
حسينية فاطمة الزهراء	طوزخورماتو / جرادغلي	هدم كامل
حسينية السادة الموسويين	طوزخورماتو / جرادغلي	هدم كامل
حسينية الإمام الباقر	طوزخورماتو / جرادغلي	هدم كامل
حسينية د ه ده غالب	**طوزخورماتو**	تدمير للأبواب والشبابيك والسقف
حسينية أهل البيت (ع)	طوزخورماتو / براوجلي	هدم كامل
جامع وحسينية أمير المؤمنين	طوزخورماتو/ قرة ناز	هدم كامل
حسينية الإمام الحسن	طوزخورماتو/ قرة ناز	هدم كامل
حسينية سيد الشهداء	طوزخورماتو/ قرة ناز	هدم كامل
مزار السيد محمد (ع)	صلاح الدين	-
مزار السيد غريب ومزار إبراهيم بن مالك الاشتر (ع)	صلاح الدين	-

المصدر: جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة الشؤون الإنسانية, قسم ضحايا الإرهاب, اثر الإرهاب في حقوقالإنسان لعام ٢٠١٤, ص ١١٥ - ١٢٣

الخريطة (٣)

المعالم الدينية التي استهدفها تنظيم (داعش) وتحديدا بعد تاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ في محافظة صلاح الدين

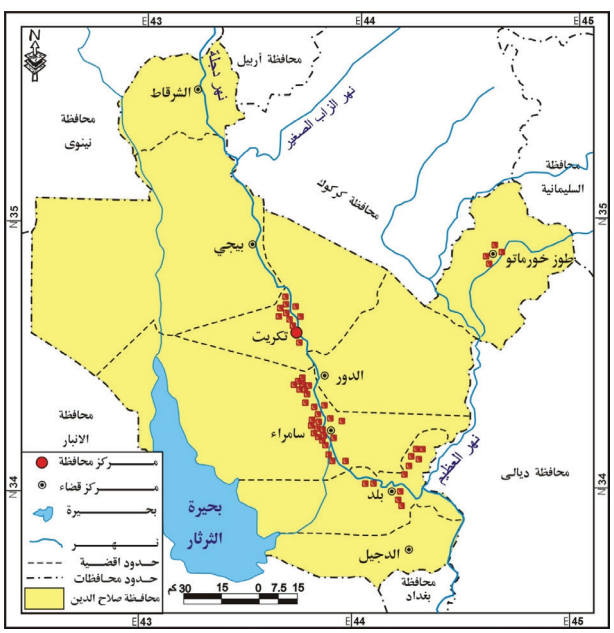

المصدر: - بالاعتماد على جدول (٢)

جدول (٣)
المعالم الدينية التي استهدفها تنظيم (داعش) وتحديدا بعد تاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ في محافظة ديالى

اسم الجامع أو الحسينية	الموقع	نسبة الأضرار
جامع الكلمة الطيبة	المقدادية / دلي عباس	مهدم كليا
جامع التقوى الكبير	المقدادية / دلي عباس	مهدم جزئيا
جامع عمار بن ياسر	المقدادية / دلي عباس	مهدم كليا
جامع محمد رسول الله	المقدادية / دلي عباس	مهدم كليا
جامع الرسول	المقدادية/ المنصورية/العبور	مهدم كليا
جامع الصحابة	بعقوبة بهرز/النهر الكبير	مهدم كليا
جامع الرزاق	بعقوبة بهرز/ العبارة	مهدم كليا
جامع أبي حنيفة النعمان	جلولاء / المركز	مهدم جزئيا
جامع حذيفة بن اليمان	جلولاء / الجماهير	مهدم جزئيا
جامع عبدالله بن عمر	جلولاء / الجماهير	مهدم جزئيا
جامع التواب الرحيم	جلولاء / التجنيد	مهدم جزئيا
جامع الجرير بن عبدالله	جلولاء / التجنيد	مهدم جزئيا
جامع رياض الصالحين	جلولاء / الوحدة	مهدم كليا
جامع الوهاب	جلولاء / المهافيف	مهدم جزئيا
جامع الإمام	جلولاء / العروبة	مهدم كليا
جامع البو غانم	جبارة /قرية البوغانم	مهدم كليا
جامع النقشبندي القديم	السعدية المركز	مهدم كليا
جامع عمر بن الحطاب	السعدية/قرية عبد الوهاب شكر	مهدم كليا
جامع عمر بن الخطاب	جلولاء / الشهداء	مهدم جزئيا
جامع الصفا	جلولاء دور الضباط	مهدم جزئيا
جامع المدينة المنورة	قرية تبة	مهدم كليا
جامع التوحيد	جبارة	مهدم كليا
حسينية أبي صيدا الصغيرة	ديالى	أضرار جسيمة
مسجد وحسينية أم البنين	خانقين / قرة تبة	انهيار كامل
مسجد وحسينية الرسول الأعظم (ص)	خانقين/ ناحية السعدية	سقوط الحرم
مزار باباكجي بن الإمام الكاظم	ديالى	-
مزار مبارك بن أبي حصوة	ديالى	-
مزار السيد محمد من أحفاد السيد محمد العابد (ع)	ديالى	-
مزار السيدة رقية بنت الإمام الحسين (ع)	ديالى	-
مزار الشريف الرضي (ع)	ديالى	-
مزار السيد محمد العابد (ع)	ديالى	-
مسجد وحسينية جلولاء	خانقين	تدمير كامل

المصدر: جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة الشؤون الإنسانية, قسم ضحايا الإرهاب, اثر الإرهاب في حقوق الإنسان لعام ٢٠١٤, ص ١١٥ - ١٢٣

الخريطة (٤)
المعالم الدينية التي استهدفها تنظيم (داعش) وتحديدا بعد تاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ في محافظة ديالى

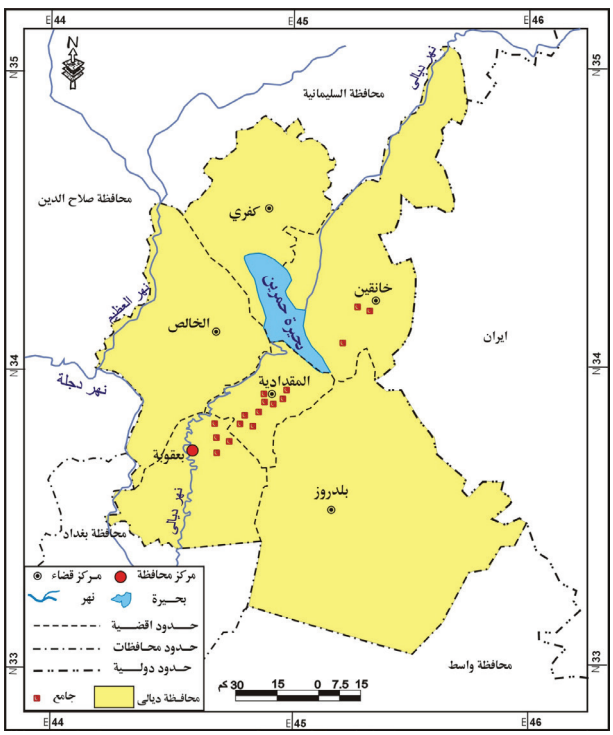

المصدر: - بالاعتماد على جدول (٣)

جدول (٤) المعالم الدينية التي استهدفها تنظيم (داعش) وتحديدا بعد تاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ في محافظة الانبار

اسم الجامع أو الحسينية	الموقع	نسبة الأضرار
جامع محمد بن سيرين	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع البراء ابن عازب	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع محمد الفياض	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع الفاروق	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع الإمام علي بن أبي طالب	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع المرسلين	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع نبي الله يونس	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع الشمري	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع عبد العزيز السامرائي	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع الشيخ حمزة	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع الفلوجة الكبير	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع الحسين	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع الحسن	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع الرحمن	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع الفرقان	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع سعد بن أبي معاذ	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع أبو أيوب الأنصاري	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع الحسن البصري	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع الحاج نزال	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع المدلل	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع الخلفاء	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع الهداية	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع الفردوس	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع المعاضيدي	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا
جامع التقوى	الفلوجة / المركز	مهدم كليا
جامع الراوي	الفلوجة / المركز	مهدم جزئيا

المصدر: : جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة الشؤون الإنسانية, قسم ضحايا الإرهاب, اثر الإرهاب في حقوق الإنسان لعام ٢٠١٤, ص ١١٥ - ١٢٣

الخريطة (٥)

المعالم الدينية التي استهدفها تنظيم (داعش) وتحديدا بعد تاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ في محافظة الانبار

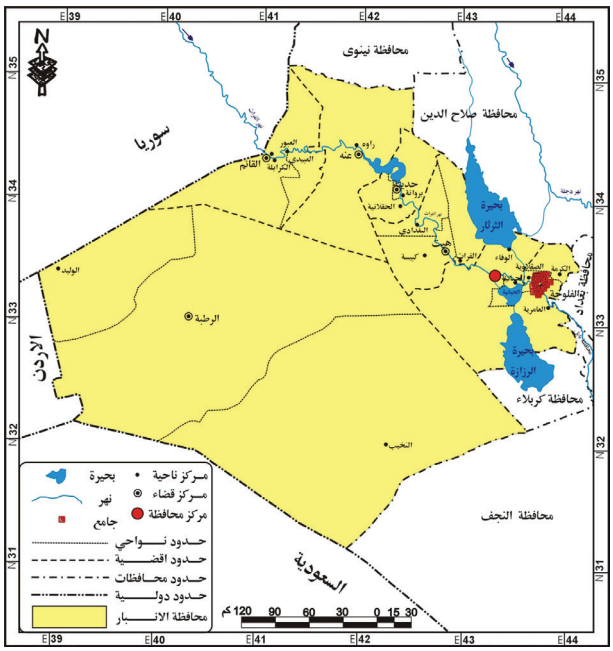

المصدر: - بالاعتماد على الجدول (٤)

فضلا عما تقدم ندرج في الجدول أدناه الانتهاكات المرتكبة من قبل العصابات التكفيرية ضد المزارات الدينية الشريفة

المنطقة	العدد	الأضرار
تلعفر وسنجار / نينوى	٥٠ مسجد ومرقد	تدمير كامل
سهل نينوى / نينوى	٦٠ مسجد	تدمير كامل
الموصل / نينوى	مسجد واحد	تدمير كامل
سهل نينوى / نينوى	١٣ مرقد	تدمير كامل
الموصل / نينوى	١٥ مرقد	تدمير كامل
الموصل / نينوى	٧ مقامات	تدمير كامل

المصدر: جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة الشؤون الإنسانية, قسم ضحايا الإرهاب, اثر الإرهاب في حقوق
الإنسان لعام ٢٠١٤, ص ١٢٣.

أما المعالم الدينية للديانات غير الإسلامية المتضررة بفعل العصابات التكفيرية: -

سرقت عصابات داعش كل مقتنيات الكنائس من تحف تراثية وأثرية نادرة وأحرقت أربعة كنائس فضلا كنيسة السريان الكاثوليك الأثرية(الكنيسة الخضراء) التي تعود نشأتها إلى عام (١٣٠٠) م.

بتاريخ ٨-٩-١٠ / ٨ / ٢٠١٤ قامت عصابات داعش الإرهابية بسلب وسرقة كنيسة في قضاء تلكيف وأحرقتها.

بتاريخ ١٠-١١ / ٨ /٢٠١٤ فجرت عصابات داعش الإرهابية كنيسة السريان الكاثوليك في قضاء تلكيف التابع لمحافظة نينوى.

بتاريخ ٢٣-٢٤-٢٥ / ١٠ / ٢٠١٤ عناصر من تنظيم داعش الإرهابي يقومون بتفخيخ كنائس الديانة المسيحية في سهل نينوى بعد سرقة محتوياتها في منطقة برطلة وتلكيف وبعشيقة.

بتاريخ ٢٥/ ١١ / ٢٠١٤ العصابات الإرهابية المجرمة وفي حلقة متواصلة من سلسلة جرائمها النكراء أقدمت على تفجير كنيسة ماركوركيس ودير الراهبات في حي العربي شمالي مدينة الموصل. (٧)

بتاريخ ٢٠-٢٤ /٨ / ٢٠١٤ قامت العصابات الإرهابية بارتكاب سلسلة جرائم: -

تفجير مرقد الايزيديين في ناحية بعشيقة (ست حبيبي, ست خجيجي, شيخ محمد) .

تفجير معبد الشيخ حسن احد معابد المكون الايزيدي في منطقة القحطانية.

تفجير معبد ألاش احد معابد المكون الايزيدي في قضاء سنجار.

قصف مزار الدين شرق الدين المعبد الرئيسي للمكون الايزيدي وتتسبب بخسائر بشرية ومادية.

تفجير مزار (قبة ناسر دين) في بعشيقة ويُعد من المزارات المهمة للمكون الايزيدي.

تفجير مزارات دينية للمكون الايزيدي في قضاء سنجار والمزارات هي (ترف الدين, مزار امادين, منطقة سكينية) .

عصابات داعش الإجرامية وإمعانا منها بجرائم بحق الإنسانية وحرية العبادة تقوم بتفجير مزار عماد الدين احد المزارات المهمة للمكون الايزيدي ويقع على بعد (٥) كم من قضاء سنجار ويُعد الثاني من حيث الأهمية للديانة الايزيدية كما وتعرض مزار محمد رشاد للتفجير أيضا. (٨) (٩)

شكل (١)

معبد ألاش احد معابد المكون الايزيدي في قضاء سنجار.

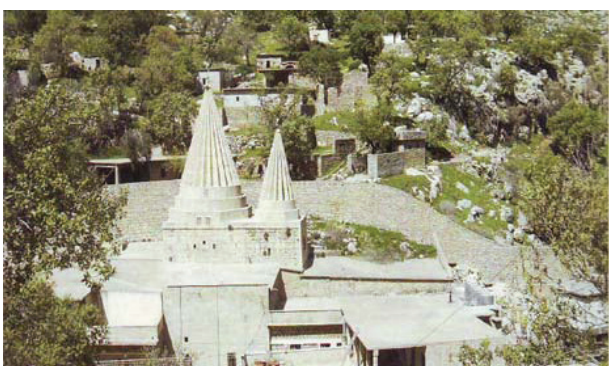

المصدر: جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة رصد الأداء وحماية الحقوق, قسم حقوق الأقليات, أطياف العراق مصدر ثراءه الوطني, دراسة أعدها قسم حقوق الإنسان, ٢٠١١, ص ٢٠

شكل(٢) كنيسة السريان الكاثوليك الأثرية(الكنيسة الخضراء) التي تعود نشأتها إلى عام (١٣٠٠) م.

المصدر: https: //arabic. rt. com/news/٨٠٨٠٨٤

المصدر: http: //elyomnew. com/news/inside/٢٠١٥/٠٨/٢٤/٣٢١٦٨

شكل (٣) قلعة تلعفر غرب الموصل

المصدر: http: //elyomnew. com/news/inside/٢٠١٥/٠٨/٢٤/٣٢١٦٨

شكل (٤) دير مار إيليا في الموصل أقدم الأديرة في العراق

شكل (٥) مرقد النبي يونس (ع) في الموصل

المصدر: https: //ar. wikipedia. org/wiki

| الاستنتاجات: -

١. كان تنظيم الدولة الإسلامية في العراق فرعا من فروع تنظيم القاعدة في العراق والذي نشط منذ عام ٢٠٠٦. وفي عام ٢٠١٠ تولى أبو بكر البغدادي زعامة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وظل زعيما لهذا التنظيم إلى إن توسع رسميا ليشمل الجمهورية العربية السورية في عام ٢٠١٣ عندما أعلن البغدادي تشكيل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) . وفي ٢٩ حزيران / يونيو ٢٠١٤ أعلن البغدادي اعتزامه إنشاء خلافة تمتد من العراق إلى سوريا, عاصمتها الموصل, وادعى بسط سلطته الدينية والاجتماعية والعسكرية على الطائفة المسلمة.

٢. شهد العراق خلال عام ٢٠١٤ م تفاقماً كبيراً للعمليات الإرهابية وانتشاراً واسعا للمجاميع الإرهابية لعصابات داعش الإجرامية لارتكابها أبشع الجرائم المخالفة لكافة أحكام الشرائع السماوية والمواثيق الدولية الراعية لحقوق الإنسان تمثلت بعمليات التدمير والقتل والخطف والتفجير والتهجير وغيرها من الأفعال التي يندى لها جبين الإنسانية وانعكاساتها الوخيمة على امن البلاد وحياة المواطن العراقي.

٣. فضلا عن سيطرة هذه العصابات على أجزاء واسعة من الأراضي العراقية بسقوط ثلاث محافظات تعد من كبرى محافظات العراق المتمثلة ب (الانبار, صلاح الدين, نينوى, وبعض القرى والأرياف التابعة لمحافظتي ديالى وكركوك

٤. لقد زاد من فاعلية هذه العصابات وجود دول إقليمية ودولية وتنظيمات ومؤسسات وشخصيات داعمة ومساندة لها سواء كان هذا الدعم بشكل علني أو بشكل خفي في ممارسة أعمالها داخل العراق مستغلة بذلك المصالح السياسية والاقتصادية لتحقيق مصالحها وجلب المنافع لدولها بالرغم من زهق الآلاف من الأرواح وتدمير البنى التحتية للبلاد وسوء الأوضاع الاقتصادية وانحدار المستوى ألمعاشي للمواطن العراقي بنسب كبيرة إلى دون مستوى خط الفقر.

٥. لقد أقدمت هذه العصابات الإجرامية على تفجير وتهديم وحرق العشرات من المعالم الدينية في المحافظات التي سيطرت عليها والتي كانت إما جامع أو مسجد أو حسينية أو حتى معالم دينية أخرى كالكنائس ومعابد الديانة الايزيدية وغيرها.

٦. إن ما أقدمت عليه هذا العصابات إنما انعكاس لفكرها الإرهابي المتطرف الذي لا يتقبل الآخر والذي يدفعها إلى ارتكاب عمليات إبادة ضد الإنسان ومعتقداته وحرية ممارساته العبادية.

٧. على مدار التاريخ تعرض كثير من التراث الثقافي والإنساني إلى عمليات إبادة وتدمير لأسباب مختلفة وضمن سياقات متعددة ولكن تبقى النتيجة واحدة وهي إن البشرية خسرت جزءاً مهماً من ذاكرتها الحضارية وارثها الإبداعي.

٨. إن استهداف الجماعات الإرهابية على اختلاف مسمياتها وأبرزها عصابات (داعش) الإرهابية للاماكن المقدسة والشعائر والممارسات الدينية كان اغلبها خلال النصف الثاني من عام ٢٠١٤ حيث كان هدفهم تدمير هذه المعالم الدينية والأثرية بحجج وفتاوى تكفيرية لا تمت بأية صلة بالأحكام الإلهية التي جاء بها رسولنا الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) .

٩. إن تنظيم (داعش) قام بتفجير ممنهج لمعظم المعالم التاريخية والدينية في الموصل وأبرزها مرقد النبي يونس فضلا عن تجريف مدنه التاريخية و أبرزها الحضر والنمرود وعدة حسينيات ومساجد تاريخية وكنائس وهي معالم فريدة من نوعها ويعود تاريخها لقرون من الزمن بحجة أنها مظاهر للشرك.

١٠. من بين المحافظات التي سيطر عليها تنظيم داعش وعمل على تدمير معالمها الدينية تُعد محافظة صلاح الدين من أكثر هذه المحافظات التي تعرضت فيها المعالم الدينية إلى التدمير والحرق والتفجير.

التوصيات: -

١. دعوة الأمم المتحدة على عقد مؤتمر دولي تحضره جميع الدول المنضوية تحت منظومة الأمم المتحدة للكشف عن الجرائم الإرهابية المرتكبة في العراق من قبل عصابات (داعش) الإرهابية وغيرها من المجاميع الإرهابية التي سبقتها مع تسليط الضوء على ظاهرة الإرهاب المستشرية في العالم العربي تحديدا.

٢. دعوة الأمم المتحدة لإقرار عقوبات صارمة على الدول الراعية للإرهاب والتي تقوم بتمويله.

٣. دعوة جامعة الدول العربية بان يكون لها موقفا واضحا تجاه الإرهاب في المنطقة العربية.

٤. تعزيز التعاون الدولي و الإقليمي والثنائي بين العراق والدول الأخرى بما يؤمن مواجهة جادة وحقيقية للإرهاب ويحقق علاقات حسن جوار منتجة.

٥. الإسراع باتخاذ الإجراءات التشريعية اللازمة لتشريع القوانين المعنية بمكافحة الإرهاب مع ضرورة مراجعة بعض التشريعات الصادرة كقانون الإرهاب رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٥ والقانون رقم (٢٠) لسنة ٢٠٠٩ لغرض إنصاف ضحايا الإرهاب وتعويضهم وذويهم تعويضا مجزيا.

٦. مطالبة الأوقاف الدينية وبالتنسيق مع الحكومة العراقية على عقد مؤتمر للأديان يهدف إلى نبذ الطائفية وتقريب وجهات النظر والدعوة إلى محاربة الإرهاب.

٧. مطالبة مجالس المحافظات المنكوبة والمحتلة من قبل عصابات (داعش) الإرهابية إن يعملوا على توثيق جميع الجرائم والانتهاكات المرتكبة من قبل هذه العصابات سواء في الوقت الحاضر أو بعد تحريرها انشاءالله من هذه العصابات وان يكون التوثيق مدعما بالصور الفوتوغرافية والتسجيلات الفديوية وشهادات الشهود والنازحين وعرضها جميعا على وزارة حقوق الإنسان لغرض تدويلها أمام المجتمع الدولي.

٨. دعوة المنظمات الدولية العاملة في العراق على رصد الانتهاكات المرتكبة من قبل عصابات (داعش) الإرهابية وعرضها أمام المجتمع الدولي

وكـذا الحـال ينطبـق علـى منظمـات المجتمـع المدنـي المعنيـة بذلـك.

٩. دعـوة الحكومـة العراقيـة لتأسـيس مركـز يتولـى أعـداد قاعـدة بيانـات تضـم جميـع الانتهـاكات المرتكبـة مـن قبـل عصابـات (داعـش) الإرهابيـة وغيرهـا مـن المجاميـع الإرهابيـة وحصـر أسـماء المتضرريـن وأماكنهـم ونـوع الانتهـاك المرتكـب بحقهـم ولجميـع فئـات المجتمـع.

١٠. تكثيـف جهـود منظمـات المجتمـع المدنـي فـي العـراق لرصـد الانتهـاكات والعمـل جاهـدة علـى إيصالهـا للعالـم عبـر وسـائل متعـددة ولاسـيما وسـائل الإعـلام.

| الهوامش: -

١. [تنقسـم النزاعـات المسـلحة إلـى نوعيـن: النزاعـات الدوليـة: التـي تعـرف بأنهـا اسـتخدام القـوة مـن قبـل طرفيـن متحاربيـن فـي الأقـل, ولابـد مـن إن يكـون احدهمـا جيـش نظامـي وتقـع خـارج حـدود احـد هذيـن الطرفيـن وتبـدأ عـادة بالإعـلان وتتوقـف لأسـباب معينـة. كمـا تعـرف بأنهـا النـزاع الـذي يكـون احـد أطرافـه - علـى الأقـل - مـن الـدول الأعضـاء فـي الجماعـة الدوليـة فضـلا عـن تعاريـف أخـرى (سـلامة - صالـح الرهايفـة, حمايـة الممتلـكات الثقافيـة إثنـاء النزاعـات المسـلحة, دار الحامـد للنشـر والتوزيـع, ط١, الأردن, ٢٠١٢, ص ١١٠ - ١١١ وللمزيـد - سـهيل حسـين الفتـلاوي, قانـون الحـرب, دار القادسـية للطباعـة, بغـداد, ١٩٨٤, ص ١٤.

٢. سـلوى احمـد ميـدان المفرجـي, الحمايـة الدوليـة للممتلـكات الثقافيـة إثنـاء النزاعـات المسـلحة, دار الكتـب القانونيـة, مصـر, ٢٠١١, ص ٤٩.

٣. نغـم اسـحق زيـا, دراسـة فـي القانـون الدولـي الإنسـاني والقانـون الدولـي لحقـوق الإنسـان, أطروحـة دكتـوراه, كليـة القانـون, جامعـة الموصـل, ٢٠٠٤, ص ٦٦. إمـا النـوع الأخـر مـن النزاعـات المسـلحة الداخليـة أو مـا يطلـق عليهـا غيـر الدوليـة وهـي النزاعـات التـي تجـري داخـل حـدود اقليـم دولـة مـا بيـن القـوات المسـلحة لتلـك الدولـة وقـوات مسـلحة منشـقة أو جماعـات نظاميـة مسـلحة أخـرى تمـارس القتـال تحـت قيـادة معرفـة ولهـا السـيطرة علـى جـزء معيـن مـن اقليـم تلـك الدولـة ممـا يمكنهـا مـن القيـام بعمليـات عسـكرية متواصلـة ومنسـقة ومـن ثـم لا يعتبـر نـزاع داخلـي حـالات الاضطرابـات والتوتـر الداخلـي واعمـال العنـف العرضيـة النـادرة. (احمـد أبـو الوفـا, النظريـة العامـة للقانـون الدولـي الإنسـاني, دار النهضـة العربيـة, القاهـرة, ٢٠٠٩, ص ٩.) وللمزيـد:

٤. - عـادل عـزام, العـدوان علـى غـزة فـي فقـه القانـون الدولـي الإنسـاني, صحيفـة الغـد الأردنيـة, ج١, قضايـا السـبت الموافـق ٢٠٠٩/١/١٠, ص ١٢.

٥. محمـد الطراونـة, القانـون الدولـي الإنسـاني - النـص واليـات التطبيـق علـى الصعيـد الوطنـي الأردنـي, مركـز عمـان لدراسـات حقـوق الإنسـان, عمـان, الأردن, ٢٠٠٣.

٦. - حيـدر كاظـم عبـد ومالـك عبـاس جيثـوم, القواعـد المتعلقـة بوسـائل وأسـاليب القتـال إثنـاء النزاعـات المسـلحة غيـر الدوليـة, مجلـة المحقـق الحلـي للعلـوم القانونيـة والسياسـية, العـدد ٢, السـنة ٤, ص ١٥١ - ١٩٩.

٧. كان تنظيـم الدولـة الإسـلامية فـي العـراق فرعـا مـن فـروع تنظيـم القاعـدة فـي العـراق والـذي نشـط منـذ عـام ٢٠٠٦. وفـي عـام ٢٠١٠ تولـى أبـو بكـر البغـدادي زعامـة تنظيـم الدولـة الإسـلامية فـي العـراق وظـل زعيمـا لهـذا التنظيـم إلـى إن توسـع رسـميا ليشـمل الجمهوريـة العربيـة السـورية فـي عـام ٢٠١٣ عندمـا أعلـن البغـدادي تشـكيل تنظيـم الدولـة الإسـلامية فـي العـراق والشـام (داعـش) . وفـي ٢٩ حزيـران / يونيـو ٢٠١٤ أعلـن البغـدادي اعتزامـه إنشـاء خلافـة تمتـد مـن العـراق إلـى سـوريا, عاصمتهـا الموصـل, وادعـى بسـط سـلطته الدينيـة والاجتماعيـة والعسـكرية علـى الطائفـة المسـلمة. وأفـادت التقاريـر بـأن التنظيـم الـذي باتـت لـه قاعـدة عريضـة فـي العـراق وسـوريا قـد اسـتقطب الآلاف مـن المقاتليـن الأجانـب بمـا فـي ذلـك مـن آسـيا الوسـطى وأوربـا, وانضـم إلـى الجماعـة أيضـا بعثيـون سـابقون وأفـراد سـابقون فـي الجيـش العراقـي. وانتقـل التنظيـم تدريجيـا مـن التركيـز علـى الهجمـات ضـد المدنييـن إلـى مزيـج مـن تكتيـكات العنـف المفـرط والعمليـات العسـكرية ممـا أفضـى إلـى السـيطرة علـى مسـاحات واسـعة مـن الأراضـي فـي الانبـار ونينـوى و ديالـى وصـلاح الديـن فـي عـام ٢٠١٤. (المصـدر: الأمـم المتحـدة, مجلـس الأمـن, تقريـر الأميـن العـام عـن الأطفـال والنـزاع المسـلح فـي العـراق, نوفمبـر ٢٠١٥) (مـن الصعـب تحديـد الخـط الفاصـل بيـن جماعتـي تنظيـم الدولـة الإسـلامية فـي العـراق وتنظيـم القاعـدة فـي العـراق حيـث كان هنـاك تداخـل فـي عضويـة فـي الجماعتيـن فـي بعـض الأحيـان وقـد نشـطت الجماعتان فـي وقـت واحـد فـي البلـد)

٨. - الأمم المتحدة, مصدر سابق.

٩. http: //elyomnew. com/news/ - ٣٢١٦٨/٢٤/٠٨/٢٠١٥/inside (٤)

١٠. - جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة الشؤون الإنسانية, قسم ضحايا الإرهاب, اثر الإرهاب في حقوق الإنسان لعام ٢٠١٤, ٢٠١٥, ص٩.
١١. عبر الموقع الالكتروني: - https: //arabic. rt. com/ ٨٠٨٠٨٤/news
١٢. (لقد تجاوزت قائمة المواقع التراثية والدينية أكثر من ١٠٠ موقع دمره تنظيم (داعش) في السنوات الأخيرة في سوريا والعراق. المصدر نفسه)
١٣. - جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة الشؤون الإنسانية, قسم ضحايا الإرهاب, اثر الإرهاب في حقوق الإنسان لعام ٢٠١٤, مصدر سابق, ص ٢٣٦.
١٤. - المصدر نفسه, ص ٢٠٧ - ٢٧٤.
١٥. (٩) - إذ قدر عدد المسيحيون في العراق قبل سقوط النظام بحوالي (١. ٢٠٠. ٠٠٠) أما اليوم فيقدرون حوالي (٥٠٠. ٠٠٠) نسمة حسب إحصائية الكنائس ويصنف المسيحيين في العراق اليوم حسب مذاهبهم الدينية إلى المجموعات الآتية:
١٦. أ. ا تباع الكنيسة الكاثوليكية: وهم الكلدان والسريان والروم واللاتين والأرمن.
١٧. ب. ا تباع الكنيسة الأرثوذكسية (اليعاقبة) : وهم السريان الغربيون والأرمن والروم.
١٨. ت. ا تباع الكنيسة الشرقية الحرة (النساطرة) : وهم السريان الشرقيون القدماء والاثوريون.
١٩. ث. أ تباع الكنيسة البروتستانتية (الكنيسة الاثورية الانجلكانية) : وهم الاثوريون الذين انشقوا على
٢٠. الكنيسة الشرقية. وهناك بعض البروتستانتيين من السريان ينتمون إلى كنيسة (السبتين) أضافه إلى
٢١. بروتستانتيين ينتمون إلى طوائف متعددة (ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية، ج ٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٣) . (وتعد الايزيدية من الديانات القديمة جداً، إذ أن تاريخ ظهورها يعود إلى أكثر من ثلاثة ألاف سنة، وهي إحدى الطوائف الدينية التي تتركز في شمال العراق، وتنتشر بعض مجاميعها أيضا في شمال سوريا وشرق الأناضول، إلا أن أكثر الأماكن تركيز ا لوجودهم هي منطقة الشيخان مركز الإمارة الايزيدية وناحيتي بعشيقة وبح ا زني وقضاء سنجار وفي بعض القرى والاقضية التابعة إلى محافظتي دهوك و اربيل) . عز الدين سليم باقسري، الايزيدية، منشورات مركز لالش الثقافي، ٢٠٠٣)
٢٢. أ. يسكن معظم الايزيدية في كردستان الع ا رق في حدود محافظتي نينوى ودهوك في مناطق الشيخان
٢٣. وسنجار وتلكيف وبعشيقة وبح ا زني وسميل و ا زخو.
٢٤. ب. سوريا، في مناطق الحسكة وحلب و حول كلس.
٢٥. ت. تركيا، في مناطق ديار بكر وميهردين و جبل الطور وعينتاب وقد هاجر معظمهم الى الاتحاد السوفياتي السابق (ارمينيا وجورجيا) قبل الحرب العالمية الاولى وفي الاونة الاخيرة هاجروا الى اوربا (اغلبهم الى
٢٧. المانيا) .
٢٨. ث. الاتحاد السوفياتي سابقاً في مناطق قرص واي ا روان وحول تفليس (ارمينيا وجورجيا) وهم المهاجرون من تركيا
٢٩. ج. في اوربا وامريكا ومناطق اخرى في العالم، وهم المهاجرون من الع ا رق وتركيا وسوريا وارمينيا وجورجيا.
٣٠. هذا بالاضافة الى ان هناك طوائف في ايارن والهند تشترك مع الايزيدية في العادات والتقاليد وبعض العبادات وتحت مسميات مختلفة الا انه لا يوجد على ما يدل على وجود ايزيدية بهذا الاسم) . (مجلة لالش، مجلة ثقافية دورية يصدرها مركز لالش، العدد ٢٢, ٢٠٠٥) (اما مناطق تمركز التركمان في العراق
٣١. يعتبر التركمان من مكونات المجتمع الع ا رقي الاصيل وثالث قومية في الع ا رق بعد العرب والاك ا رد من
٣٢. حيث العدد، وتعتبركركوك مركز تواجد التركمان في العراق، كما ينتشر التركمان من الشمال الغربي إلى
٣٣. الجنوب الشرقي للعراق أي من مدينة تلعفر شمال مدينة الموصل الى بدرة و جصان) في الجنوب ما ا رً
٣٤. بكبريات المدن الع ا رقية (كركوك، اربيل، ديالى وخاصة قضاء خانقين، بغداد، الحلة، الكوت وصلاح الدين) . أما أبرز المناطق التي يتمركز فيها التركمان هي(
٣٥. أ. طوز خورماتو: ان العشائر التركمانية هي أول من سكنت هذه المنطقة ومنهم عشيرة البيات حيث
٣٦. يمتد تاريخ سكناهم إلى (٨٠٠ سنة) وهو تاريخ مدينة طوز خورماتو.
٣٧. ب. مدينة تلعفر: تعتبر مدينة تلعفر من المدن التركمانية العريقة وتقع على بعد حوالي ٧٠ كم شمال
٣٨. غربي الموصل.
٣٩. ت. مدينة تازة خورماتو: تذكر بعض الروايات أن تاريخ الناحية يرجع إلى فترة عهد الدولة الايلخانية
٤٠. عام ٦٥٦ ه ١٢٥٨.
٤١. ث-مدينة التون كوبري: أن مدينة ألتون كوبري التركمانية لها أهمية خاصة تاريخياً وجغ ا رفياً لموقعها
٤٢. الأستراتيجي على الطريق التجاري والسياحي الذي يربط بين كركوك و بغداد والموصل و أربيل،

٤٣. وسكانها من القبائل التركمانية قاطبة منذ زمن قديم، حيث كانت تسمى قبل الميلاد (شميرو) وبعدها

٤٤. (ده رين كوي) فبعض سكانها من قبائل البيات، والاغوز، وقبائل آق قويونلو، قاره قويونلو ومن

٤٥. الأمبرطورية السلجوقية والأمبرطورية العثمانية.

٤٦. ج. مدينة كركوك: كانت مدينة كركوك منذ القدم جزءاً من بلاد الرافدين اذ ان أقدم ذكر ورد لها باسم

٤٧. (ا ا ربخا) في التقويم الجغ ا رفي الشهير عن ممتلكات الملك سرجون الاكدي. اذ يبدأ تاريخ مدينة

٤٨. كركوك مع انبثاق - النار الازلية- عام ٥٥٠ ق. م في العهد الكلداني، فمن المعروف إن هذه النار

٤٩. لا ا زلت حتى يومنا هذا،) سليم مطر، جدل الهويات، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.) .

٥٠. المصادر: -

٥١. جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة الشؤون الإنسانية, قسم ضحايا الإرهاب, اثر الإرهاب في حقوق

٥٢. الإنسان لعام ٢٠١٤.

٥٣. صالح الرهايفة, حماية الممتلكات الثقافية إثناء النزاعات المسلحة, دار الحامد للنشر والتوزيع, ط١, الأردن, ٢٠١٢.

٥٤. سهيل حسين الفتلاوي, قانون الحرب, دار القادسية للطباعة, بغداد, ١٩٨٤.

٥٥. سلوى احمد ميدان المفرجي, الحماية الدولية للممتلكات الثقافية إثناء النزاعات المسلحة, دار الكتب القانونية, مصر, ٢٠١١.

٥٦. نغم اسحق زيا, دراسة في القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان, أطروحة دكتوراه, كلية القانون, جامعة الموصل, ٢٠٠٤.

٥٧. احمد أبو الوفا, النظرية العامة للقانون الدولي الإنساني, دار النهضة العربية, القاهرة, ٢٠٠٩.

٥٨. عادل عزام, العدوان على غزة في فقه القانون الدولي الإنساني, صحيفة الغد الأردنية, ج١, قضايا السبت الموافق ٢٠٠٩/١/١٠.

٥٩. محمد الطراونة, القانون الدولي الإنساني - النص واليات التطبيق على الصعيد الوطني الأردني, مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان, عمان, الأردن, ٢٠٠٣.

٦٠. حيدر كاظم عبد ومالك عباس جيثوم, القواعد المتعلقة بوسائل وأساليب القتال إثناء النزاعات المسلحة غير الدولية, مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية, العدد ٢, السنة ٤.

٦١. الأمم المتحدة, مجلس الأمن, تقرير الأمين العام عن الأطفال والنزاع المسلح في العراق, نوفمبر ٢٠١٥.

٦٢. ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية، ج ٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٣.

٦٣. عز الدين سليم باقسري، الايزيدية، منشورات مركز لالش الثقافي، ٢٠٠٣.

٦٤. مجلة لالش، مجلة ثقافية دورية يصدرها مركز لالش، العدد ٢٢, ٢٠٠٥.

٦٥. سليم مطر، جدل الهويات، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.

٦٦. جمهورية العراق, وزارة حقوق الإنسان, دائرة رصد الأداء وحماية الحقوق, قسم حقوق

٦٧. الأقليات, أطياف العراق مصدر ثراءه الوطني, دراسة أعدها قسم حقوق الإنسان, ٢٠١١.

٦٨. المواقع الالكترونية:

٦٩. http: //elyomnew. com/news/ inside/ ٢٠١٥ /٠٨ /٢٤ /٣٢١٦٨

٧٠. https: //arabic. rt. com/news/٨٠٨٠٨٤

https: //ar. wikipedia. org/wiki

سلسلة دراسات عراقية

فلاح التميمي

ظاهرة أطفال الشوارع

الأسباب والنتائج

تمثـل ظاهـرة أطفـال الشـوارع هـي نسـل البيئـة الحضريـة الحديثـة ، أحـد أكثـر التحديـات الإنسـانية خطـورة وتعقيـدا لا يوجـد بلـد ولا مدينـة تقريبـا فـي أي مـكان فـي العالـم اليـوم بـدون وجـود أطفـال الشـوارع ، تواجـه البلـدان المتقدمـة والناميـة علـى حـد سـواء مجموعـة واسـعة مـن المشـاكل التـي يطرحهـا هـؤلاء الأطفـال ، ولكـن تـم اتخـاذ خطـوات قليلـة لمعالجـة هـذه المسـألة .

اولاً: البدائل المقدمة للأطفال بدلا من الشارعِ

الكثيـر مـن الأطفـال مأواهـم الوحيـد هـو الشـارع ولكـن مصطلـح أطفـال الشـارع لا يمكـن اطلاقـه أو تعميمـه علـى جميـع الأطفـال الذيـن لا يجـدوا مأوى يجمعهـم أو يكـون لهـم محـل إقامـة ، ليـس كل الأطفـال الذيـن لا مـأوى لهـم ينتهـي بهـم المطـاف بالعيـش فـي العـراء والطلـق فـي الشـارع بـلا مـأوى أو مـكان يكـون بمثابـة مـأوى لهـم يحميهـم مـن مخاطـر الشـارع التـي يمكـن أن يتعرضـوا لهـا فـي الكثيـر مـن الأوقـات علـى مـدار اليـوم .

ولكـن ينتهـي الكثيـر مـن هـؤلاء الأطفـال الذيـن هـم بـلا مـأوى إلـى النـوم فـي أماكـن غيـر مناسـبة للغايـة لهـم وللنـوم فيهـا مثـلا أو حتـى البقـاء فيهـا ولكـن يكـون كل مـا يشـغل بالهـم فـي ذلـك الوقـت ، هـو أن يجـدوا مـكان يحميهـم ويكـون بمثابـة مـأوى حتـى وإن كان مؤقـت لهـم ولكـن يكونـو بعيـدا عـن الأنظـار التـي يمكـن أن تلقـى أو تصـوب إليهـم علـى أرض الأصدقـاء أو الغربـاء أو يمكـن أن تكـون أشـخاص عابـرة ، هـم ليسـت لهـم أي علاقـة بهـم أو حتـى النـوم فـي أماكـن إقامـة مؤقتـة مثـل بيـوت الشـباب وغيرهـا مـن الأماكـن التـي تقـدم لهـم الحمايـة بعـض الوقـت وبعدهـا يبحثـو عـن أماكـن أخـرى .

وهـذا يكـون علـى سـبيل المثـال فـي بحثهـم عـن أماكـن تحميهـم حتـى وإن كانـوا سـوف يغـادروا منها ويبحثـوا عـن أماكـن أخرى مثـل رحالة البـدو ، قدرت مؤسسـة شـيلتر الخيريـة المشـردة المتخصصـة فـي تقديـم الحمايـة لأطفـال الشـوارع الذيـن هـم بـلا مـأوى فـي عـام ٢٠١٨ أكـدت إحصائيـات أطفـال الشـوارع فـي العالـم أنـه مـا يصـل إلـى مـا يقـرب مـن ٩.٥٠٠ ألـف طفـل بريطانـي أمضـوا عيـد الميـلاد الخـاص بهـم فـي ذلـك العـام فـي أماكـن نـزل أو أماكـن إقامـة مؤقتـة أخـرى ليقضـوا بهـا بعـض الوقـت ، ويكـون ذلـك غالبـا مـع عائلـة واحـدة فـي غرفـة واحـدة ويسـكن جميعهـم معـا، ويشـاركو معـا الحمامـات والمطابـخ مـع المقيميـن الآخريـن فـي تلـك الأماكـن الذيـن لا تكـن لهـم سـابق معرفـة أو

تثق بهم قبل ذلك ولكن تعارفهم وتقابلهم جاء عندما جمعهم معا ذلك المكان .

ثانياً: مصطلح أطفال الشوارع

ليس كل الأطفال الذين يتجول الشارع في مختلف أوقات اليوم يطلق عليهم مصطلح أطفال الشارع ولكن فئة معينة من هؤلاء الأطفال ، هم الذين يطلق عليهم مصطلح أطفال الشارع وهم الذين يكون اعتمادهم الأول على الشوارع سواء كان ذلك للعيش أو العمل بحثا عن لقمة العيش وسعة الرزق التي تساعدهم على تجنب مخاطر وأذى الشارع إما بمفردهم أو مع الأطفال الآخرين الذين يكونوا من نفس طبقتهم الاجتماعية أو أفراد الأسرة الذين يكونو ايضا لا مأوى لهم سوى بعض الأماكن في الشارع أو الشارع بشكل عام . كما ذكرنا سابقا فإنه ليس كل الأطفال التي تتجول في الشارع يطلق عليهم مصطلح أطفال الشارع ولكنها تكون فئة معينة منهم ، ويكون من هؤلاء الأطفال الذين يكون لديهم اتصال قوي ومستمر ببعض الأماكن العامة المنتشرة في كثير من المناطق في الشارع مثل الشوارع العامة ، والأسواق ، والمولات ، والحدائق العامة ، ومحطات الحافلات والقطارات أيضا ومحلات البيع والشراء العادية وبعض الأطفال الذين يلعب الشارع لهم دورا حيويا ويشكل في حياتهم اليومية شيئ اساسي في حياتهم اليومية وممارسة هواياتهم ، تشمل هذه المجموعة الأوسع الأطفال الذين لا يعيشون أو يعملون في الشارع والذين يكون لهم مأوى أساسي ، ولكنهم يرافقون بانتظام الأطفال الآخرين أو أفراد الأسرة في الشوارع الذين يكون لهم مأوى أساسي في الشارع .

ثالثاً: نتائج ظاهرة أطفال الشوارع

١. المشاكل الأمنية: عادة ما يكون أطفال الشوارع في بيئة سيئة دون خوف أو رقابة ، بالإضافة إلى مزجهم مع كبار السن ، مما قد يؤدي إلى مشاركتهم في شبكات منظمة للعصابات الضارة والأهداف السيئة ، كما أنها قد تعمل داخل هذه العصابات في الدعارة والسرقة والاتجار بالمخدرات مما له آثار ضارة على أمن المجتمع .
٢. المشاكل الإجتماعية : الكثير من المعاناة الاجتماعية التي تواجه أطفال الشوارع ، بما في ذلك انتشار عدم التعلم والتخلف وزيادة عدد الأميين وعدد العاطلين عن العمل من فئة العمال بشكل مطرد .
٣. المشاكل الصحية : يعاني الطفل من مشاكل صحية عديدة. الشارع – وإذا وفر الحد الأدنى من الطعام لإبقائه على قيد الحياة ، لا يوفر له الاحتياجات الغذائية الأساسية التي يحتاجها جسمه لتحقيق متطلبات نموه في هذه المرحلة ، حيث يتعرض في بيئة الشارع الخطرة للعديد من الأمراض الخطيرة ، مثل: أمراض العيون وأمراض الصدر والجرب والتيفوئيد .
٤. مشاكل نفسية : حيث مشاركة الطفل المبكرة في سوق العمل تؤدي إلى تأثير سلبي على نفسه ، مما قد يسبب مشاكل نفسية ، وأهمها الانحراف والمعاملة السيئة والتأقلم مع البيئة المحيطة به لأنه ليس مستعدة جسديا ونفسيا للقيام بعدد كبير من العمل ، ويرجع ذلك إلى قلة التطور في هذه المرحلة العمرية والأزمات النفسية التي تلتها ، حيث أنها غير معدة نفسياً للتكيف والتعامل مع مجتمع المسنين ، مما قد يعرضه لانحرافات وإحباطات خطيرة تؤثر بشكل كبير على حياته. مستقبل.

رابعاً: أسباب ظاهرة أطفال الشوارع

هناك أسباب كثيرة لهذه المشكلة بعضها طبيعي والبعض الآخر من صنع الإنسان ، فقد الأطفال الاتصال بآبائهم أو عائلاتهم مما أدى إلى فقدان الأطفال في الشوارع ، بعض الأطفال هم نسل البغايا ترفض بعض العائلات أطفالها إذا كان هناك إعاقة ، بعض الوالدين "المحترمين" تبرأوا من طفلهم لأنه هو نتيجة علاقة غرامية وهناك في تلك الأسباب الخلفية لا تسمح بالفقراء وهناك أسباب أخرى ومنها :

١. تفكك الأسرة حيث تم فصل الأطفال بين الأب والأم بعد انفصالهم ، ودفع تفكك الأسرة الأطفال إلى الشارع والعنف المنزلي.
٢. قلة الاهتمام بالأطفال واحتياجاتهم قد يدفعهم إلى الشارع خاصة إذا كان مصحوبا بحالة اقتصادية صعبة.
٣. تمييز الأطفال في عائلة واحدة يشعل ذلك شرارة الغيرة بينهم ، مما قد يؤدي ببعض الأطفال إلى الفرار إلى الشارع.

خامساً: أسباب لجوء الأطفال للشوارع

في بحث عن حقوق الإنسان تم تأكيد هذا التساؤل أو هذه العبارة بأنها تحمل الكثير من المعاني عند الإجابة عنها ، وعندما نقوم بالإجابة عنها فإنه لابد أن تكون لدينا المعلومات الكثيرة والكافية التي تجعلنا قادرين على الخروج بمعلومة كافية وشاملة جميع المعاني لكل مصطلحاتها من جميع الجوانب ، فإنها عند الرد والإجابة عن هذه العبارة سوف تواجه بعض الصعوبات عند الرد وتجميع الإجابة عنها حيث سيكون الجواب يحمل بعض التعقيدات والصعوبات في مضمونه سواء كان ذلك عند الحديث بالإجابة أو عند تلقيها من الشخص المتحدث.

فإن الشخص المستمع سوف يجد بعض الصعوبات في استيعابها وفهمها بشكل كامل ، حيث يوجد هنا وبنسبة كبيرة للغاية العديد من أطفال الشوارع المنتشرين بكثرة كما هو الحال الذي أصبح منتشر في يومنا هذا في العالم بأكمله وبشكل عام في جميع الدول وجميع المدن ، ولا يوجد أيضا مكان لا يخلو من ظاهرة أطفال الشوارع فيه والأطفال الذين لا مأوى لهم أيضا ، حيث يوجد هناك العديد من الأسباب الكثير الواضح بعضها وبعضها الأخر مبهم بنسبة كبيرة ويكون من الصعب جدا فهمه أو استيعابه أو حتى الحصول عليه وتلك الأسباب جميعها هي التي تدفع هؤلاء الأطفال إلى تواجدهم هناك في الشارع باستمرار أو حتى بشكل مؤقت .

فإنه يوجد لكل طفل قصة فريدة خاصة به هو فقط وهي التي دفعته إلى أن يتواجد في الشارع بشكل أو بأخر وتلك القصة ستختلف أسباب ارتباطه بالشارع وهي تختلف أيضا من طفل إلى آخر ، وأيضا من بلد إلى آخر ومن مدينة إلى مدينة أخرى ومن شخص لآخر فجميعهم تختلف أسباب تواجدهم في الشارع وتخالف الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك التصرف .

دول وقضايا

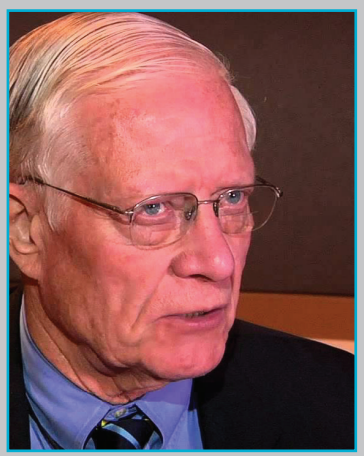

انتوني هـ. كوردسمان
ترجمة وتحرير: م.م محمد صابر الجبوري

التعاون العسكري في الشرق الأوسط

عدم اليقين في مواجهة التهديدات المتغيرة

من السهل صياغة خطاب التعاون الأمني ومن السهل تجاهله بنفس القدر ما لم يكن هناك تصور مشترك للتهديد ، والاستعداد للعمل ، وخلق جهود وقوات أمنية فعالة. يعتمد النجاح على الأولويات التي تعطيها الدول لمختلف التهديدات ، واستعداد أنظمة معينة للعمل ، والموارد التي تطورها وتوفرها ، ومستوى قابلية التشغيل البيني بين قواتها.

في الممارسة العملية ، يعتمد كل التعاون الأمني في العالم الحقيقي تقريبًا على ائتلافات الراغبين والقادرين ، بغض النظر عما إذا كان التعاون مصممًا لتوفير النفوذ أو الردع أو الاحتواء أو القتال أو الوصول إلى شكل من أشكال حل النزاع. قد لا يعني التعاون من أجل مجموعة واحدة من الأهداف تعاون الآخرين. على سبيل المثال ، معارضة نفس التهديد أو العدو لا يعني وجود نفس المصالح في تشكيل نتيجة الصراع. وتشكل التحالفات المضطربة وجهود التعاون من جانب جميع أطراف الصراعين السوري والعراقي أمثلة جيدة على ذلك. قد تختلف إيران وروسيا في نهاية المطاف حول نتيجة القتال في سوريا بقدر ما تختلف الولايات المتحدة وإيران في العراق. يمكن للاتفاقيات والمؤسسات الرسمية أن تساعد في خلق الظروف التي تجعل مثل هذا التعاون ممكنًا وفعالًا ، ولكن العديد من التحالفات الفعالة يتم تشكيلها استجابة لتهديدات وتحديات محددة ويكون لها معنى فقط إلى الدرجة التي يكون فيها الشركاء قادرين على مستويات معينة من العمل.

مجلس التعاون الخليجي ، على سبيل المثال ، أحرز تقدمًا على مر السنين ، لكن هذا التقدم كان بطيئًا ومحدودًا. كان لابد من إنشاء التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة والسعودية ، والذي تم تشكيله ردًا على غزو صدام حسين للكويت ، بسرعة للتعامل مع حالة طوارئ محددة، وقد تشكلت من خلال السياسات الحالية والقدرات العسكرية للدول المعنية. أثبتت عناصره الأساسية فعاليتها بشكل ملحوظ ، بينما تحركت الدول الأقل التزامًا مثل مصر وسوريا ببطء أو لم تتحرك على الإطلاق.

انهارت الجهود الطموحة مثل ميثاق بغداد ،

والجامعة العربية ، والجمهورية العربية المتحدة تحت ضغط الأحداث ، وحتى التحالفات الناجحة في البداية مثل التحالف المصري السوري على سيناء والجولان في عام ١٩٧٣ انهارت بمجرد أن واجهت مصر وسوريا معارك مختلفة. الأولويات ووضع أهداف مختلفة.

المستوى الحالي للتعاون الأمني العالمي الحقيقي

واليوم ، فإن أهم جوانب التعاون الأمني في العالم الحقيقي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مدفوعة بتحالفات مختلفة تقاتل على جوانب مختلفة من النزاعات في سوريا والعراق واليمن. تتضمن الحرب السورية الآن تحالفين منفصلين يقاتلان داعش وبعضهما البعض. أحدهما يتعلق بنظام الأسد وإيران وروسيا وحزب الله اللبناني. ويشمل الآخر حوالي ٤٠ من قوات المعارضة السورية العربية المختلفة ، والقوات الكردية السورية ، وتحالف جوي بقيادة الولايات المتحدة مع مشاركين أوروبيين وعرب ، وتركيا ، ومزيجًا متنوعًا من القوات البرية والمستشارين الأمريكيين والأوروبيين والسعوديين والإماراتيين والقطريين. التعاون داخل كل تحالف محدود في أحسن الأحوال: لا توجد أهداف إستراتيجية مشتركة واضحة على كلا الجانبين ، ويسعى كل طرف إلى أهداف وتكتيكات مختلفة إلى حد ما.

يشمل العراق أشكالا أكثر تنوعا من التعاون الأمني. تنظيم الدولة الإسلامية هو العدو الأساسي ، لكن نفس التحالف الجوي بقيادة الولايات المتحدة والذي يعمل ضد داعش وجبهة فتح الشام (جبهة النصرة سابقاً) في سوريا يطير أيضًا ضد داعش في العراق. تعمل الولايات المتحدة وإيران بالتوازي في دعم القوات البرية للحكومة العراقية بينما يتنافسان على النفوذ في العراق. توفر كندا والدول الأوروبية أيضًا قوات خاصة وعناصر «تدريب ومساعدة» أخرى. تعارض تركيا أكراد سوريا - الذين يتمتعون بدعم أمريكي قوي - لكنها تتعاون مع أكراد العراق. القوات العراقية منقسمة بشدة بين عناصر الحكومة المركزية التي هي في الغالب شيعية ومليشيات كردية وشيعية وسنية مختلفة ، بتنسيق محدود من الحكومة المركزية. تقدم دول الخليج العربي بعض الدعم لبعض العناصر القبلية السنية المختارة.

مرة أخرى، لا توجد أهداف استراتيجية مشتركة واضحة ، ويتطلع كل جانب نحو المنافسة المستقبلية على السلطة والنفوذ مرة واحدة. تقف قوتان عسكريتان رئيسيتان - إسرائيل ومصر - خارج الهيكل الأوسع للتعاون الإقليمي ، على الرغم من تعاونهما بشكل غير رسمي مع دول المنطقة الأخرى. علاقات إسرائيل هي إلى حد كبير مع الولايات المتحدة ، مصدر مساعدتها الرئيسي. تعتمد مصر أيضًا بشكل كبير على المساعدات العسكرية الأمريكية ، لكنها الآن منخرطة بعمق في صراع لإنشاء نظام عسكري استبدادي يمكنه تأمين قوتها ضد المقاومة والتهديدات الداخلية. التعاون الأمني الإقليمي في شمال إفريقيا محدود في أحسن الأحوال ، على الرغم من أن مصر تلعب دورًا محدودًا في مساعدة تونس والسعي لتأمين حدودها مع ليبيا. تواصل الجزائر والمغرب الخلاف حول الصحراء الغربية وجبهة البوليساريو ، ويتشكل التعاون الأمني في شمال إفريقيا إلى حد كبير من خلال الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة وأوروبا في الدعم الفردي للمغرب وتونس ومصر. لا يوجد تعاون أمني فعال داخل شمال إفريقيا. تتعاون إسرائيل ومصر والأردن بشكل فعال نسبيًا في تأمين مناطقها الحدودية وفي بعض جوانب مكافحة الإرهاب ، لكن لا يوجد تعاون علني بمصطلحات عسكرية أوسع بين دول المشرق. بدلاً من ذلك ، يتشكل التعاون (وعدم التعاون) بشكل كبير من

خلال العلاقات التي تربط إسرائيل ومصر والأردن بالولايات المتحدة ودور الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية في الحرب الأهلية السورية. في حالة الخليج ، قرر مجلس التعاون الخليجي لا تزال بنية ضعيفة نسبيًا مع انقسامات مهمة بين أعضائها، لا سيما بين المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان. مجلس التعاون الخليجي يتحدث عن التعاون الأمني ، ولكن هذا إلى حد كبير واجهة مع القليل من التعاون في العالم الحقيقي أو جهود فعالة لإنشاء إمكانية التشغيل البيني أو الاستخبارات المشتركة والاستطلاع والتدريب ومرافق الدعم. يُعد التعاون الثنائي للولايات المتحدة مع دول الخليج منفردة بشكل عام أكثر أهمية من عمليات الانتشار الأمريكية وقدرات إبراز القوة التي تدعم وتهيمن على التعاون الأمني في التعامل مع إيران، وفي بناء القوات العربية وضمان القدرة العسكرية الإسرائيلية، وفي تطوير التعاون العالمي الحقيقي في مكافحة الإرهاب - حيث معظم الدول الإقليمية ستتبادل فقط بيانات استخباراتية محدودة وتتعاون إلى حد كبير فيما يتعلق بأمن الحدود. لا تزال بريطانيا وفرنسا تقدمان الأسلحة وقدرات استعراض القوة التي يمكن أن تساعد دول شمال إفريقيا والمشرق والخليج، لكنها تعاني من نقص الموارد. في الوقت نفسه ، فإن الثقة في استعداد الولايات المتحدة للبقاء ، والبقاء متحالفة مع القوى العربية ، أمر غير مؤكد، وقد سعت المملكة العربية السعودية إلى تقليل اعتمادها على الولايات المتحدة. ركزت المملكة العربية السعودية على تطوير شراكة وثيقة مع الإمارات العربية المتحدة. وسعت لتشكيل تحالف لدعم حربها دعما للحكومة اليمنية ضد المتمردين الحوثيين والقوات الموالية لصالح آنذاك. اعتبارًا من منتصف عام ٢٠١٦ ، كان هذا التحالف إلى حد كبير تحالفًا سعوديًا إماراتيًا. قوات مدعومة من المخابرات الأمريكية ، تستهدف المساعدات، والقوات البحرية.

بدأت المملكة العربية السعودية أيضًا في ديسمبر ٢٠١٥ في محاولة لإنشاء تحالف عربي أوسع يضم حوالي ٣٥ دولة من أصل ٥٧ دولة في منظمة التعاون الإسلامي لمحاربة الإرهاب، لكن هذا التحالف أيضًا ظل واجهة أكثر منه حقيقة. ومع ذلك ، مثل دول مجلس التعاون الخليجي، من الأسهل بكثير إنشاء واجهة الغرض المشترك من التعاون العسكري الفعلي في الميدان أو في بناء مستوى فعال من الردع. باسم GC اكتشفت منذ تأسيسها الكلمات رخيصة وسهلة. يعد نشر القوات الفعلي والمشاركة في القتال وقابلية التشغيل البيني والتوحيد القياسي والدعم المشترك والهياكل اللوجستية والعمليات المتكاملة وإدارة المعركة أمرًا صعبًا ومكلفًا ومستحيل تحقيقه في كثير من الأحيان. تعتبر إيران التهديد العسكري الرئيسي من قبل دول الخليج العربي وإسرائيل والولايات المتحدة. وهي تتعاون حاليًا مع الحكومة السورية وحزب الله وروسيا في الحرب في سوريا ومع الحكومة المركزية العراقية والفصائل المسلحة (الشيعية) في العراق. كانت قوات الحرس الثوري الإسلامي ، وفيلق القدس ، وأجهزة المخابرات التابعة لها فعالة بشكل متزايد في توسيع النفوذ الأمني الإيراني و «التعاون الأمني». وهم يلعبون دورًا في دعم الحركات (الشيعية) والفلسطينية المسلحة في البحرين والكويت وغزة واليمن.

| التطلع نحو المستقبل

من السهل جدًا وضع خطط طموحة لتغيير هذا الوضع ، في محاولة لتقوية مجلس التعاون الخليجي. أو إنشاء تحالفات عربية أوسع، لإيجاد طرق لتجنب الاعتماد على القوى الخارجية، أو حتى اقتراح هياكل أمنية من شأنها أن تشمل بطريقة ما إيران وجيرانها العرب. لكن من الناحية

العملية، فإن التعاون الأمني الحقيقي مدفوع إلى حد كبير إما بالضرورة المتبادلة أو بتطور روابط سياسية ذات مغزى. يمكن حقًا ان تلعب إيران، على سبيل المثال، دور في اي تعاون امني أن يغير بشكل كبير طبيعة التعاون الأمني الإقليمي، وكذلك ظهور تهديد جديد شبيه بداعش بالسيطرة على دولة أو منطقة. مثل هذه التطورات ممكنة دائما. لا شيء ، مع ذلك ، يبدو حاليًا متوقعًا أو محتملاً. حتى داعش فشل في توليد تعاون فعلي حقيقي في العالم. تعاملت المملكة العربية السعودية والأردن وقطر والإمارات والكويت مع قوات المتمردين العرب السوريين بطرق مختلفة ، واختلفوا حول كيفية التعامل مع الحكومة العراقية وداعش في العراق. تقاسم المعلومات الاستخباراتية محدود ، وجهود مكافحة الإرهاب وطنية إلى حد كبير. كما أن جهود التعامل مع التهديدات الإيديولوجية يتم القيام بها إلى حد كبير من قبل الدول الفردية ذات الأولويات المختلفة. تتنوع الأولويات المعطاة للحركات المتطرفة الأخرى مثل جبهة فتح الشام والقاعدة في شبه الجزيرة العربية.

في فترة قد تكون طويلة جدًا، تدور الأسئلة الرئيسية للمستقبل حول كيفية تطور العلاقات في العالم الحقيقي اليوم ، وسيعتمد الكثير على مستوى التغيير في التهديدات وأنماط الصراع الإقليمي. يتم تضمين عدة مجموعات رئيسية من المتغيرات - وكلها يمكن أن تغير بشكل كبير طبيعة التعاون الأمني في المنطقة بحلول عام ٢٠٣٠.

دول وقضايا:

اعداد: إ. علي ياس اللهيبي

إيران والغرب:

ماراثون المفاوضات

بعد انسحاب الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب من الاتفاقية عام ٢٠١٨ وأعاد فرض عقوبات ضد إيران، بدأت إيران على إثر ذلك في مخالفة بنود الاتفاقية كردة فعل منطقية على عدم وفاء الغرب بالالتزامات التي قطعها على نفسه لاسيما بعد إعادة فرض العقوبات الإيرانية.

بدأت إيران عملية إنتاج اليورانيوم المخصب، وهو ما قد يساعدها في إنتاج سلاح نووي، حسب ما أفادت الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة. وأبلغت طهران الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالخطوة، وقالت إن العملية تهدف إلى إنتاج وقود نووي لمفاعل بحثي. وقالت الوكالة الدولية للطاقة الذرية في بيان: «أبلغت إيران الوكالة اليوم أن أكسيد اليورانيوم المخصب بدرجة ٢٠ في المئة سوف ينقل إلى مختبر الأبحاث والتطوير في مركز تصنيع الوقود في إصفهان حيث سيتم تحويله إلى يورانيوم تترافلوريد ومن ثم إلى يورانيوم بدرجة تخصيب تبلغ ٢٠ في المئة قبل استخدامه لصناعة الوقود».

وقال مسؤولون بريطانيون وفرنسيون وألمان إن الخطوة قد تهدد المحادثات الرامية إلى إعادة إحياء الاتفاق النووي الذي وقع عام ٢٠١٥. قال مسؤولون من بريطانيا وفرنسا وألمانيا إنهم يشعرون بالقلق الشديد بسبب الخطوة الإيرانية. وقالت الدول الثلاث في بيان صادر عن وزارة الخارجية البريطانية إنه «ليس لدى إيران حاجة مدنية موثوقة لإنتاج اليورانيوم بغرض الأبحاث، وإنتاج اليورانيوم المخصب يعتبر متطلبا أساسيا لإنتاج سلاح نووي». وعبر البيان عن خشيته من أن تؤدي الخطوة الإيرانية إلى تقويض ما أحرز في محادثات فيينا، وحث إيران على العودة إلى المفاوضات في العاصمة النمساوية. ووصفت الولايات المتحدة الخطوة بأنها «تراجع مؤسف». وأشار نائب وزير الخارجية الروسي، سيرجي ريابكوف، إلى قلق موسكو إزاء خطط إيران لإنتاج اليورانيوم. وطالب ريابكوف الأطراف في فيينا بمضاعفة الجهود لاستعادة خطة العمل الشاملة المشتركة بشأن البرنامج النووي الإيراني. يذكر أن الاتفاقية كانت قد فرضت قيودا على برنامج إيران النووي حتى يصبح من الصعب إنتاج سلاح نووي. وأبقت إدارة الرئيس الحالي جو بايدن على العقوبات التي فرضتها إدارة ترامب حتى الآن، وبدأ مفاوضون من الولايات المتحدة ودول أوروبية إجراء محادثات في فيينا في محاولة للعودة إلى الاتفاقية.

ويرغب الرئيس الإيراني المنتخب إبراهيم رئيسي في أن ترفع الولايات المتحدة العقوبات المفروضة على بلاده مقابل عودة إيران لتطبيق بنود الاتفاقية.

لكن يبدو أن هناك عدداً من المؤشرات التي تدفع باقتراب التوصّل إلى إنجاز متطلبات الاتفاق النووي الإيراني، وإعادة الدفع بالصياغات التوافقية لعودة إيران للحاضنة الدولية عقب الترويج للصياغة النهائية لمسودة الاتفاق واستطلاع الرأي والتقييم لدى كلاً من واشنطن وطهران. وتأسيساً على ذلك، فلازالت المجموعة الغربية وإيران بجانب الولايات المتحدة الأمريكية في انتظار المضي قدماً نحو الخطوات التنسيقية الرامية لإنهاء ذلك الملف.

الجدير بالذكر، أن إيران قد سعت خلال الأطروحات الأخيرة إلى التمسك بـ، أولاً: ضمانات لاستدامة مشاركة الولايات المتحدة بالاتفاق دون انسحاب قياساً للخبرة التاريخية بعهد الرئيس السابق «دونالد ترامب»، وثانياً: رفع الحظر عن حساباتها البنكية وتعاملاتها الاقتصادية وخاصة النفطية مع كافة الدول. وهو ما يدفعنا بالتساؤل حول مستقبل الصياغة النهائية للاتفاق النووي الإيراني، فضلاً عن بيان حجم التخوّفات الإقليمية وانعكاساته المتباينة على ملفات المنطقة المضطربة سياسياً وأمنياً.

| دوافع طهران

ثمة عدد من الدوافع التي صاغتها مختلف التفاعلات الداخلية المحلية والإقليمية والدولية نحو الإسراع بإنهاء مفاوضات فيّنا والتوافق حول الصياغة النهائية للاتفاق النووي الإيراني، ولعل أبرز تلك الدوافع ما يتمثل في:

- مقايضة الداخل: تتعلق تلك النقطة بتعزيز مكانة التيار المحافظ في الداخل، خاصة بعد تصاعد موجات الاضطرابات الداخلية والتظاهرات. فضلاً عن انتقادات التيار الإصلاحي الذي يرجع فشل العديد من الملفات السياسية والأمنية إلى الحكومة الحالية، بخلاف الحركات الاحتجاجية التي شهدتها مدن إيرانية عديدة خلال الأشهر الماضية، نتيجة لشح المياه خاصة في مدن الجنوب، وأزمة استمرار انقطاع الكهرباء، وارتفاع الأسعار وغيرها من أزمات الداخل(١) .

- استعادة الثقة: إحدى أهم الدوافع الإيرانية ما يتعلق بامتصاص غضب الشارع الإيراني، وإعادة ثقة الشعب في الحكومة مجددًا، وتعزيز فرص «إبراهيم رئيسي» في تولي فترة رئاسية ثانية، بالإضافة لاستمرار مكانة التيار المحافظ على هرم السلطة، وإنهاء كافة تطلعات التيار الإصلاحي في الوصول للحكم مجددًا.

- مراوحة الإقليم: حلحلة بعض الملفات المتعلقة بسياساتها الخارجية خاصة المتعلقة بفتح آفاق تعاون مع الدول العربية والغربية، وجذب مزيد من الاستثمار، وقد تفشل في بعضها إذا استمرت في التعامل معها من منطلق أمني وليس دبلوماسي، وهنا يُقصد تحديدًا المفاوضات السعودية الإيرانية المتعلقة بالأساس بالملف اليمني.

- هاجس الجمهوريين: إذ تخشى طهران نتائج انتخابات التجديد النصفي للكونجرس الأمريكي في نوفمبر المُقبل، وذلك في ظل تنامي المؤشرات الرامية لاحتمالات فوز الجمهوريين بمقاعد الأغلبية. وهو ما يعني تعزيز فرص الحزب الجمهوري في الفوز بانتخابات الرئاسة المقبلة في نوفمبر ٢٠٢٤، وهو ما لا تُفضله طهران بالنظر إلى النهج الجمهوري الأكثر تشدداً تجاه الأجندة الإيرانية.

- المُعضلة الاوكرانية: ترتبط تلك النقطة بالانعكاسات المتباينة للتصعيد الروسي بالأراضي الأوكرانية، ومآلات ذلك الوضع على مسارات فيّنا ومستقبل الاتفاق النووي الإيراني. فعلى سبيل المثال: تسعى موسكو لتبني سياسة «تشبيك الملفات»، من خلال استثمار دورها في الاتفاق النووي من أجل تعزيز موقعها في إدارة المواجهة مع الدول الغربية حول أوكرانيا. وهو ما يفسّر حرصها على المطالبة بالحصول على ضمانات تفيد عدم تأثر علاقاتها الاقتصادية مع إيران بالعقوبات الغربية المفروضة عليها بسبب استخدام الخيار العسكري في أوكرانيا(٢). وهو ما رفضته الولايات المتحدة الأمريكية، حيث صرح وزير الخارجية «أنطوني بلينكين»: «إن مثل هذه المطالب غير ذات صلة وأن العقوبات المفروضة على روسيا بسبب غزوها لأوكرانيا لا علاقة لها بالاتفاق النووي الإيراني»(٣).

| تخوّفات قائمة

بالنظر إلى حجم التحركات الدولية القائمة نحو التوصل للصياغة النهائية للاتفاق النووي الإيراني بما يتضمنه من كافة بنود التوافقات بين طهران وواشنطن + المجموعة الدولية والأوروبية، فثمّة تخوفات تحيط بالمشهد المستقبلي لتبعات تلك التحركات، أبرزها ما يتمثل في:

- عودة طهران للحاضنة الدولية: إحدى أهم التخوّفات ما يترتب على عودة إيران مرة أخرى لاستئناف علاقاتها السياسية والاقتصادية مع كافة دول النظام الدولي. وما يُشكله ذلك من إعادة الثقل لنظامها السياسي الديني المتشدد عقب انحسار ضغوطاتها الاقتصادية.

- المقايضة بأوراق الطاقة: ثاني تلك التخوّفات ما يتعلق بما تمتلكه إيران من وفرة نفطية تؤهلها لأن تكون أحد اللاعبين الرئيسيين في إدارة ملف الطاقة عالمياً، وذلك بالتوازي مع تبني موسكو نمط «عسكرة النفط» وذلك في ظل التصعيد القائم بالأزمة الأوكرانية. ومن ثم، فمع إنجاز الصياغة النهائية للاتفاق النووي تمهيداً للإقرار الفعلي. فسيتم طرح إيران كبديل آمن للنفط والغاز الروسي لأوروبا وبأسعار معقولة حيث يعتبر ملف الطاقة أحد الأسباب التي ساهمت بالفعل في سعي أوروبا لإحياء الاتفاق النووي مع طهران، فعلى سبيل المثال: يبلغ إنتاج إيران النفطي حوالي ٤ ملايين برميل يومياً، وفي حال رفع العقوبات وعودة الشركات الأجنبية للاستثمار فسيزداد هذا الرقم وفقا للعديد من التقديرات(٤)، فيما تبلغ الطاقة الإنتاجية للغاز الطبيعي مليار متر مكعب يوميّاً والذي تمتلك منه مخزوناً يُقدر بـ٣٤ تريليون متر مكعب لتحتل بذلك المرتبة الثانية بعد روسيا(٥).

- شرعنة النظام القائم: قياساً على تجربة ٢٠١٥، وما انتهى إليه النظام الإيراني من اكتساب المزيد من الشرعية مقابل كسر العزلة الدولية – سياسياً واقتصادياً واستثمارياً - بإقرار الاتفاق النووي. ومن ثم، تتجدد المخاوف نحو إعادة الثقة في التيار المحافظ ونظام «المرشد» وتحركاته القائمة على المشروع الديني بالمنطقة والمتمثل في استراتيجية «الهلال الشيعي»، وهو ما يدفع بقوى الإقليم التقليدية والصاعدة من التخوّف من تلك النقطة، وذلك مع رفض الكافة لتيار الإسلام السياسي والقوى الراديكالية، والتخوّف من تمدد الحرس الثوري الإيراني وتنامي تحركاته الداعمة لقوى التطرف والإرهاب وانعكاساتها المباشرة على الاضطرابات السياسية والأمنية في المنطقة.

| انعكاسات متباينة

ثمة عدد من الانعكاسات المتفاوتة على التوافق الدولي على الصياغة النهائية للاتفاق النووي الإيراني، أبرز تلك الانعكاسات ما تفرضه العودة الإيرانية للحاضنة الدولية من مزيد من التغلغل بكافة الملفات المضطربة بالإقليم، وذلك على النحو التالي:

- الملف اليمني: يُعد ذلك الملف الأبرز قياساً على حجم التعاون المباشر بين نظام طهران وجماعة الحوثيين، ومن المرجّح أن يزداد ذلك التعاون في حال إقرار الاتفاق ورفع العقوبات الاقتصادية المفروضة، وهو ما قد يدفع بتدفّق المزيد من التمويلات والأسلحة لجماعة الحوثيين، وهو ما ينعكس سلباً على ما تُشكله الجماعة من تهديدات متباينة سواء للداخل بالنظر إلى التمدد الجيوسياسي بالوسط والجنوب، وعسكرة المفاوضات السياسية وأطر التسوية السلمية استناداً إلى مبدأ «المكاسب على الأرض»، أو للخارج عبر استهدافها للكتلة الخليجية بالمسيرات، خاصة المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.

- الملف السوري: قد يمنح إقرار الاتفاق مزيداً من الأدوار المتصاعدة للحرس الثوري الإيراني بالملف

عبر نقل السلاح إلى سوريا، ومحاولة موازنة الدور الروسي بسوريا، فضلاً عن فتح آفاق تعاون بين دمشق وأنقرة. وهو ما يتعارض مع أجندات حلفاء واشنطن، ويدفع الأخيرة بدورها نحو تقويض أذرع طهران في سوريا ومحاصرتها جيوسياسياً. فعلى سبيل المثال: «أعلن المتحدث باسم القيادة المركزية للجيش الأمريكي»سنتكوم» الكولونيل جو بوتشينو، في ٢٣ أغسطس ٢٠٢٢، أن الجيش وجه ضربات عسكرية في محافظة دير الزور استهدفت منشآت بنى تحتية تستخدمها مجموعات مرتبطة بالحرس الثوري الإيراني، وأضاف أن هذه «الضربات الدقيقة تهدف إلى الدفاع عن وحماية القوات الأمريكية من هجمات على غرار تلك التي نفذتها مجموعات مدعومة من إيران في ١٥ أغسطس ضد عناصر من الولايات المتحدة عندما استهدفت مسيرات موقعاً للقوات المناهضة لتنظيم داعش بقيادة الولايات المتحدة من دون التسبب بسقوط ضحايا»(٦).

- الملف الفلسطيني: تُبنى تلك النقطة على حجم التعاون المتبادل بين إيران وأذرعها الممتدة بحركة حماس والجماعات الفلسطينية الجهادية، وهو ما يُنذر بمزيد من الآفاق التعاونية بالمستقبل، وذلك في ظل انتشار الاضطرابات بالأراضي الفلسطينية، بالتزامن مع الخلل المؤسسي وتأزم اختبارات الاستحقاقات الانتخابية لدى كلاً من السلطتين الفلسطينية والإسرائيلية. بالمقابل، تقف واشنطن بموضع إختبار لإلتزاماتها إزاء حلفائها، لا سيّما إسرائيل، واختبار ما يُعرف بـ «إعلان القدس للشراكة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل»، وذلك حال الإعلان النهائي عن «التوافق الأمريكي» على الصياغة النهائية للاتفاق النووي.

- الملف العراقي: لا يختلف كثيراً عن كافة الأدوار المتباينة لإيران في كل من اليمن وسوريا وفلسطين، إذ تسعى طهران لإعادة تموضعها بالإقليم عبر تمدد أذرعها بكافة النظم الحاكمة بالمنطقة. والأمر ذاته ينطبق على الحالة العراقية. إذ سيسهم الاتفاق في رفع العقوبات، وما يعكسه ذلك من تدفق للأموال التي سيتم توجيهها لتعزيز التمدد الإيراني بالمنطقة، وفي مقدمتهم العراق.

- الملف اللبناني: تتعلق تلك النقطة بالوضعية السياسية والأمنية لحالة «حزب الله» في لبنان، إذ في حال تم إقرار الاتفاق، سيمنح ذلك مزيداً من «حرية الحركة» لدى طهران على العديد من الجبهات الإقليمية، ومن ضمنها «لبنان»، فعلى سبيل المثال: من المُرجح أن تتدخل إيران - بشكل غير مباشر- بالمفاوضات اللبنانية الاسرائيلية حول حقول الغاز والتي باتت مسألة إقليمية تُدار وفقاً للرؤية الإيرانية. فبالوقت الذي تسعى فيه الكتلة الأوروبية لتخفيض وارداتها من الغاز الروسي عبر خلق أسواق جديدة بالشرق الأوسط، فقد رفعت إيران الرهانات من خلال تأكيدها بأن أمن إمدادات الغاز الإسرائيلية المحتملة إلى أوروبا قد يكون معرضاً للخطر في حال لم تؤخذ المصالح الإيرانية بالمفاوضات النووية على محمل الجد(٧). وساهم في ذلك الأمر سماح الكتلة الغربية بصورة عاجلة بضخ نفط طهران في الأسواق من أجل التعويض عن الحظر المفروض على الإمدادات الروسية.

- الملف الخليجي: بالرغم من الاتفاق الخليجي حول أنماط التهديدات الإيرانية والتي تتمثل في: التدخلات في الشؤون الداخلية والإقليمية، ودعم بعض الجماعات الإرهابية، وامتلاك السلاح النووي، وتعزيز القدرات الصاروخية الإيرانية. لكن بالمقابل، أفضت السياقات المباشرة وغير المباشرة للمفاوضات النووية – سواء في فيّنا أو الدوحة - لتبني الطرفين الإيراني والخليجي لسياسة «الانفتاح الحذر»، وهو ما دفع الطرفين إلى تفعيل حوار إقليمي «إيراني – عربي» بوصفه بديلاً عن سياسات التصعيد الإقليمية بالتزامن مع تنامي مؤشرات قرب التوصل إلى صياغة نهائية للاتفاق النووي الإيراني، وما يلي ذلك من تعزيز نفوذ

طهـران كقـوى صاعـدة بالإقليـم.

| خاتمة:

بـات مصيـر التفـاوض علـى الملـف النـووي الإيرانـي علـى رأس الأولويـات الموضوعـة فـي الأجنـدة الدوليـة، وربمـا لا تفوقـه فـي الأهميـة سـوى مسـألة الغـزو الروسـي لأوكرانيـا، والتداعيـات الناجمـة عنهـا، بخاصـة العلاقـة بيـن الولايـات المتحـدة والصيـن، وأزمـة امـدادات الطاقـة والغـذاء، والتغييـرات، أو الكـوارث، البيئيـة والمناخيـة. بيـد أن وجـود الملـف النـووي الإيرانـي علـى رأس الاهتمامـات الدوليـة لا يعنـي أن ثمـة يقينـاً بشـأن توصـل الأطـراف المعنيـة إلـى حـل بشـأنه، علـى غـرار مـا جـرى فـي العـام ٢٠١٥، إذ لا يشـكل وجـود جـو بايـدن رئيسـاً للولايـات المتحـدة أي معنـى إيجابـي فـي هـذا الاتجـاه، سـواء لكونـه كان نائبـاً للرئيـس لحظـة توقيـع الاتفـاق السـابق، أم لكونـه يتبنـى توجهـات سياسـية مختلفـة عـن تلـك التـي انتهجهـا سـلفه دونالـد ترامـب، الـذي كان جمـد العمـل بالاتفـاق السـابق (فـي العـام ٢٠١٨) وأعـاد فـرض العقوبـات علـى إيـران.

أيضـاً، ليـس بالضـرورة أن الأوضـاع ستسـير باتجـاه إعـادة العمـل بالاتفـاق السـابق، أو التوافـق علـى اتفـاق جديـد، تحـت ضغـط حاجـة العالـم الشـديدة الـى مصـادر أخـرى للطاقـة، لا سـيما أوروبـا، للتعويـض عـن امـدادات الطاقـة مـن روسـيا، التـي توقفـت بسـبب العقوبـات المفروضـة عليهـا، بعـد غـزو أوكرانيـا.

فـي الواقـع ثمـة معطيـات دوليـة مختلفـة ومعقـدة لا تسـهل التوافـق علـى الملـف النـووي الإيرانـي، بيـن الأطـراف المعنيـة، بخاصـة الولايـات المتحـدة وإيـران، فـي الآتـي أهمهـا:

أولاً، لـم تعـد المشـكلة مـع إيـران تتعلـق فقـط بمحاولتهـا تملـك قـوة نوويـة، إذ هـي أضحـت، أكثـر مـن السـابق، تتعلـق أيضـاً بتزايـد، أو بتغـول نفوذهـا فـي بلـدان المشـرق العربـي (العـراق وسـوريا ولبنـان واليمـن. وإذا كان تـم لإسـرائيل (وللولايـات المتحـدة) توظيـف هـذا النفـوذ، أو التسـامح معـه، سـابقاً، بشـكل غيـر مباشـر، بمـا يخـدم سياسـاتها، فـي إثـارة الاضطرابـات، وفـي تصـدع بنـي الدولـة والمجتمـع فـي تلـك البلـدان، بحيـث تصبـح فـي أمـان اسـتراتيجي فـي المنطقـة لعقـود، وكالدولـة الأكثـر اسـتقراراً وازدهـاراً فـي المنطقـة، فـإن هـذا التوظيـف وصـل إلـى حـدوده القصـوى، وآن الأوان لتحجيمـه، لا سـيما أن المسـألة باتـت تتعلـق، أيضـاً، بمحاولـة إيـران تملـك ترسـانة أسـلحة صاروخيـة، وبأنهـا تحـاول توزيـع هـذه الترسـانة فـي كل مـكان تتواجـد فيـه الميليشـيات التـي تعمـل كأذرع إقليميـة لهـا فـي لبنـان والعـراق وسـوريا واليمـن؛ وهـذا مـا يفسـر توالـي الضربـات الإسـرائيلية علـى قواعـد إيـران وميليشـياتها فـي سـوريا، وعلـى شـحنات أسـلحتها ومسـتودعاتها.

ثانيـاً، بـات وضـع النظـام الإقليمـي العربـي اليـوم أقـوى ممـا كان عليـه فـي العـام ٢٠١٥، إزاء الامـلاءات الأميركيـة، إذ إن معظـم أطـراف ذلـك النظـام، التـي كانـت لا تسـتطيع شـيئاً بسـبب الخلافات مـع الولايات المتحـدة فـي فترتـي الرئيسـين بـوش الابـن وأوبامـا، باتـت اليـوم أكثـر قـدرة علـى فـرض مـا تريـده، وفقـاً لمـا تـراه مناسـباً لتعزيـز مكانتهـا وأمنهـا والدفـاع عـن مصالحهـا. ولعـل قمـة جـدة التـي جمعـت الرئيـس جـو بايـدن مـع قـادة عـدد مـن الـدول العربيـة (تمـوز/ يوليـو الماضـي)، وفقـاً للمـداولات التـي تسـربت عنهـا، أوضحـت هـذه الحقيقـة، فـي مـا يتعلـق بضـرورة أخـذ الولايـات المتحـدة بمصالـح الأمـن القومـي العربـي، وضمنهـا تحجيـم طموحـات إيـران، وعـدم التسـاهل معهـا (كمـا حصـل فـي عهـد إدارة أوبامـا)، بحجـة الملـف النـووي، واعتبـار أن خطـر تزايد النفـوذ الإقليمي لإيـران لا يقـل عـن خطـر تملكهـا للقـوة النوويـة.

ثالثـاً، ثمـة العامـل الإسـرائيلي، إذ إن إسـرائيل، أيضـاً، باتـت فـي مقـدم القـوى المعترضـة علـى رفـع العقوبـات عـن إيـران، وباتـت فـي موضـع تأثيـر أكبـر فـي الإدارة الأميركيـة، بالقيـاس الـى وضعهـا إبـان إدارة

أوباما، لا سيما أنها باتت تستمد بعضاً من قوتها من امتداداتها في العالم العربي، بعدما استطاعت إقامة علاقات جديدة مع عدد من العواصم العربية، التي رأت أنها استطاعت عقد نوع من منظومة علاقات سياسية واقتصادية وأمنية معها تحت ضغط المخاوف الناشئة من النفوذ الإيراني في المنطقة.

رابعاً، ثمة في الولايات المتحدة وجهة نظر تؤكد ضرورة عدم مكافأة إيران برفع العقوبات المفروضة عليها، والتعامل معها باعتبارها داعمة (للإرهاب)، لأن غير ذلك سيعزز من قوتها، ويزيد نفوذها في الشرق الأوسط، على الضد من المصالح الأميركية الاستراتيجية.

في المقابل، ومن جهة إيران، فإن الوضع بات مختلفاً أيضاً، على رغم أن أي اتفاق يمكن أن يؤدي إلى ضخ مئات مليارات الدولارات المجمدة في البنوك الأجنبية، وفقاً للعقوبات إلى خزينتها، كما أن ذلك قد يتيح لها تحرير صادراتها من النفط والغاز، وزيادتها، وكل ذلك يخدم مصلحتها في النهوض بأوضاعها، وتحسين مستوى المعيشة فيها.

بيد أن إيران لا تريد عقد أي اتفاق، أيضاً، فهي ترى نفسها في موقع قوة، أولاً، بالنظر إلى أن العالم بحاجة لإمدادات الطاقة منها، لتغطية النقص من القطيعة مع امدادات الطاقة من روسيا. ثانياً، لأن ثمة مصلحة للغرب، ربما باعتقادها، لاستمالتها إلى جانبه، بدل أن تصطف إلى جانب روسيا في الصراع الدولي الدائر حالياً، أي أن صانع القرار الإيراني بات يربط التفاوض على الملف النووي بالصراع الدولي الدائر حالياً. ثالثاً، تبعاً لما تقدم فإن إيران وجدت لديها الفرصة في هذه الظروف لوضع شروط على أي اتفاق قد يتم عقده، من ضمنها، تقديم الولايات المتحدة ضماناً بعدم التراجع عن ذلك الاتفاق في حال تغيرت الإدارة الأميركية، والتعهد برفع العقوبات فوراً، وفصل الملفات عن بعضها بعضاً، أي عدم الضغط على إيران بخصوص قوتها الصاروخية أو نفوذها الإقليمي. هذه هي المتغيرات التي قد تعوّق، أو تمنع، توصل الأطراف المعنية الى اتفاق بشأن الملف النووي الإيراني، وهذا ما يفسر كل هذا التأخير في إعلان أي نتيجة، سلباً أو إيجاباً، وعلى كلٍ فإن الأيام الآتية ستبين إلى أين ستذهب الأمور من هنا.

| مراجع:

[١] انضمام مدن جديدة إلى الاحتجاجات في إيران رغم سقوط قتلى، وكالات واندبندنت عربية، ٢٠٢٢/٥/١٥، bit.ly

[٢] د. محمد عباس ناجي، عام على مفاوضات فينيا النووية: جرد حساب، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٢٢/٤/٦، bit.ly

[٣] ذهول في إيران من عرقلة روسيا لمباحثات الاتفاق النووي، موقع المشارق، ٢٠٢٢/٣/٩، bit.ly

[٤] مع قرب عودة إيران للسوق، أوبك+ تدرس تخفيضات في إنتاج النفط، موقع investing.com ، ٢٠٢٢/٨/٢٣، bit.ly

[٥] محمد عمر، عزل طهران: لماذا تُعارض إسرائيل إحياء الاتفاق النووي الإيراني؟، الحائط العربي، ٢٠٢٢/٨/٢٤، bit.ly

[٦] د. محمد عباس ناجي، سياسات الردع: لماذا شنت واشنطن هجوماً في دير الزور؟، الحائط العربي ، ٢٤ /٢٠٢٢/٨، bit.ly

[٧] Iran bets on global energy crisis to strengthen hand in nuclear talks , Amwaj. media, Jul ٦, ٢٠٢٢, bit.ly
إقرأ المزيد : https://www.south٢٤.net/news/news.php?nid=٢٩١١

دول وقضايا:

لودجر كونهاردت

ترجمة: م.م محمد صابر الجبوري

التقييم الأكاديمي:

تنظير التكامل الأوروبي

١. دائرة كاملة: الاتحاد كاتحاد

أخيـرًا ، يجـب الاعتـراف بالاتحـاد الأوروبـي لمـا كان يُقصـد بـه دائمًـا: اتحـاد فيدرالـي. الاتحـاد الأوروبـي هـو هيـكل فيدرالـي مميـز بـه مجموعـة واسـعة مـن الوظائـف التـي يمكـن وصفها علـى أفضل وجـه بالحكم متعـدد المسـتويات فـي نظـام سياسـي أوروبـي يشـمل الـدول والمواطنيـن علـى حـدٍ سـواء. الاتحـاد الأوروبي هـو أكثـر مـن مجـرد مزيـج مـن أجزائـه. إنهـا هيئـة سياسـية فـي حـد ذاتهـا ، اتحـاد مكـون مـن مجموعـات متناقضـة مـن الصفـات الفيدراليـة القويـة والضعيفـة. ومـع ذلـك ، فهـي أكثـر مـن مجـرد ظاهـرة خلافيـة لا يمكـن تعريفهـا إلا علـى نقيـض الحـالات القائمـة. الاتحـاد الأوروبـي ، بـكل المقاصـد والأغـراض ، هـو مـا يقولـه اسـمه ، الاتحـاد. وهـذا يعكـس طابعهـا السياسـي الحقيقـي وطموحهـا ، وبالتالـي اختلافهـا عن الأشـكال الأخـرى للسـلطة السياسـية القائمـة ، سـواء كانـت دولًا أو أممًـا أو إمبراطوريـات. يجـب الاعتـراف بـأن هـدف الاتحـاد الأوروبـي سياسـي - كمـا كانـت الفكـرة الأصليـة للآبـاء المؤسسـين للتكامـل الأوروبـي بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة. علـى الرغـم مـن أن هـدف الاتحـاد الأوروبـي وهدفـه يُعرّفـان دسـتوريًا علـى أنهمـا سياسـيان ، إلا أن طريقتـه فـي صنـع السياسـة ظلـت فعالـة إلـى حـد كبيـر. الدوافـع لتقـدم الاتحـاد الأوروبـي هـي مزيـج مـن البنائيـة الاجتماعيـة ، والضغـط السياسـي الرسـمي وغيـر الرسـمي مـن خـلال المؤسسـات المنشـأة قانونًـا علـى أسـاس المعتقـدات المبدئيـة للفاعليـن السياسـيين المعنييـن ، والضغـط الخارجـي.

الفيدراليـة هـي البديـل الإقليمـي للتعدديـة ، كمـا جـادل كارل لوينشـتاين بجـدارة منـذ عقـود عندمـا ناقـش «الهـدف الأصلـي للفيدراليـة باعتبـاره السـيطرة الرأسـية علـى السـلطة السياسـية». إلـى جانـب الحقـوق الفرديـة ، تقـوم الفيدراليـة والتعدديـة بتنفيـذ «الوظيفـة كنـوع مـن امتصـاص الصدمـات فـي عمليـة السـلطة» ، كمـا كتـب. أي مجموعـة اجتماعيـة تولـد وتنفـذ وتطالـب بالسـلطة علـى النـاس تتطلـب الشـرعية والـولاء والغـرض. يجـب أن يتجلـى الاتحـاد السياسـي فـي طابعـه الدسـتوري. الاتحـاد ليـس وعـدًا

سياسيًا عرضيًا ، يُقصد به أن يستمر حتى تتحقق المصالح المحدودة. يحتاج الاتحاد السياسي إلى أن يكون متجذرًا في القيم والأهداف والالتزامات المشتركة التي يقبلها جميع المشاركين في الاتحاد حتى يستمر لفترة غير محدودة من الوقت. لا يمكن تصور الاتحاد السياسي بدون مجموعة من المؤسسات الدائمة ذات الاختصاصات في صنع القرار ، وبدون إقليم محدد بالحدود ، وبدون غرض سياسي يعبر عن المصالح ويظهر الطموحات ، إن لم يكن السلطة. لا شك في أن الاتحاد الأوروبي يمتلك كل هذه الصفات التي تميزه على أنه اتحاد. بصفته اتحادًا ، فهو اتحاد.

كان الاستخدام التقليدي لمصطلحي «اتحاد» و «كونفدرالية» يهدف إلى التمييز بين الأشكال القوية والضعيفة للوحدة الفيدرالية. بدأ هذا التمييز ، الذي تم اختراعه في القرن التاسع عشر ، قبل وقت طويل من ظهور الاتحاد الأوروبي ، كأداة مفيدة للنظرية السياسية لفهم العمق والنوايا المختلفة بين الأنظمة السياسية الفيدرالية داخل الدول الواحدة بشكل أفضل. بقدر ما يتعلق الأمر بالتفكير النظري حول طبيعة التكامل الأوروبي ، فإن التمييز بين الاتحاد والكونفدرالية ، كما يجادل موراي فورسيث ، «يميل إلى التجميد في نقيض صارم ... والانشغال بالتناقض له تأثير مؤسف يتمثل في انحراف العين من عنصر الاتحاد المشترك في الأنظمة الفيدرالية ، وكذلك من التدرج الأكثر دقة في قوة النقابات وضعفها «.

بالتوازي مع عملية التكامل الأوروبي، نمت مجموعة الأدبيات التي تتناول نظريًا هذه الظاهرة الجديدة في أوروبا لملء الرفوف. على الرغم من أن الغرض من بعض هذه الأدبيات ومعناها ليسا واضحين دائمًا ، فقد تمت إضافة قدر هائل من الأفكار المدروسة والأفكار المحفزة إلى أدبيات العلوم الاجتماعية الشاملة. تدعي بعض المؤلفات الأكاديمية حول التكامل الأوروبي أنها تقدم نظرية شاملة حول كيفية فهمه. أعلن آخرون موت نظرية التكامل ، من الواضح في ضوء عملية تكامل أكثر تعقيدًا خرجت عن نطاق السيطرة لبناء نظرية أحادية البعد. نهج الأدبيات الأكاديمية حول التكامل الأوروبي متنوع بقدر الإمكان. بعض النصوص معيارية ، والبعض الآخر إلزامي. يعتمد البعض على نظريات العلوم الاجتماعية ، والبعض الآخر يعتمد على البحث التجريبي الذي يتعامل مع حقائق جوهرية عن التكامل. يركز البعض على أحداث «صنع التاريخ» ، مثل صياغة المعاهدة ومراجعتها ، بينما ينظر البعض الآخر إلى الآليات التشغيلية اليومية لمؤسسات الاتحاد الأوروبي وأنماط صنع القرار فيها. يدعي البعض أنهم يتمتعون بالسلطة بشأن «التبعيات على المسار» في التكامل الأوروبي ، بينما يعترض آخرون على وجهة النظر الحتمية هذه ، أو حتى يشككوا في طبيعة الاتحاد الأوروبي كهيئة سياسية حقيقية. بعض الأعمال النظرية مبنية حقًا على الجهود السابقة وتجري محادثة أكاديمية جادة ، والمساهمات الأكاديمية الأخرى ، مع الأسف للقول ، التوحد والمرجعية الذاتية.

حدثت تغييرات نموذجية ملحوظة في سياق خمسة عقود من الاحتلال الأكاديمي مع التكامل الأوروبي. وفقًا لتوماس كون ، تشكل النماذج الفئات المحددة للبحث. إنهم يفترضون أدلة وجودية حول الحقائق الاجتماعية وغيرها من الحقائق التي يمكن استخدامها لتعميق فهمنا المعرفي. تبدو مسألة الشيء واضحة وموضوعية ، وهي مسألة نمو المعرفة التي تسمح بفهم أفضل لمعناه والغرض منه. يستمر العمل العلمي حتى يصل إلى نقطة الإنجاز والإرهاق. سيتم تحديها من خلال ما أطلق عليه كون «ثورة علمية» ، والتي ستؤدي لاحقًا إلى إنشاء نموذج جديد.

نظرًا لأن النموذج القديم في وقته ، فإن النموذج

الجديد سيكون متجذرًا في المعتقدات المشتركة المشتركة لهؤلاء العلماء الذين يبنون عملهم حول هذا الافتراض الجديد.

بقدر ما يتعلق الأمر بالعمل الأكاديمي على عمليات التكامل الأوروبي ، كانت هناك سلسلة من الثورات العلمية وحتى الثورات داخل الثورات. في حين أن بعض الأدبيات كانت معارضة تمامًا ، وتشكك في مقدمات الحجج السابقة في المجتمع الأكاديمي ، فقد ساهمت نصوص أخرى في البحث الشامل مع الاختلافات والمواصفات لنموذج معين ، ولكنها ترقى إلى تغيير واقعي في المنظور. تميل معظم المؤلفات الأكاديمية حول عمليات التكامل الأوروبي إلى البدء بالقول بطريقة شبه طقسية أن التكامل الأوروبي لا يتعلق بتكوين الدولة. يقول بعض المؤلفين هذا بوضوح معياري مميز ، ويريدون بالتأكيد منع تشكيل الدولة من خلال الاتحاد الأوروبي. ويقول آخرون إنه غير مقصود تقريبًا ، وكأنه يقدم عذرًا للخوض في مجال الاتحاد ، الذي لا يزال يخضع في كثير من الأحيان للتدقيق الشرعي بين العلماء الذين يدرسون مداولاته وقراراته. بعد ذلك ، يشير الهوس بتعريف الاتحاد الأوروبي وعملية تكامله الأساسية على أنهما بالتأكيد لا يؤديان إلى دولة (أو «دولة عظمى» ، كما يشير التعبير الأكثر حقارة عن نفس الشعور النقدي ٥) إلى الأهمية الواضحة للتكامل الأوروبي والضغط الذي تحته جاءت مركزية الدولة التقليدية لمعظم العلوم السياسية والاجتماعية.

في الواقع ، لا توجد موضوعية في دراسة عملية التكامل الأوروبي. إن المعتقدات المفترضة والمبدئية بشكل أو بآخر للعلماء في هذا المجال شائعة مثل تحيز العلماء حول طبيعة المعتقدات المبدئية بين الجهات الفاعلة التي تجعل الاتحاد الأوروبي يعمل ويتقدم. هناك قواسم مشتركة واحدة ملفتة للنظر بين جميع المدارس واتجاهات التفكير الأكاديمي المختلفة حول التكامل الأوروبي: يأخذ معظمها وظائف وإجراءات الاتحاد الأوروبي (في العقود السابقة: المجتمعات الاقتصادية الأوروبية أو المجتمع الأوروبي) كنقطة انطلاق و إطار لمبانيها الخاصة والاستنتاجات والاستنتاجات والوصفات. إما أحداث «صنع التاريخ» - أي مراجعات المعاهدة - أو آليات التشغيل العادية لصنع السياسات - وضع جدول الأعمال ، وصياغة السياسات ، والمفاوضات الرسمية وغير الرسمية ، والمساومة ومنطق التسويات ، وأخيراً تنفيذ السياسة وتقييمها. الآثار المترتبة على السياسة - هي موضوعات دائمة تظهر في العمل الأكاديمي حول التكامل الأوروبي. لا شيء من هذا مشكوك فيه ، ناهيك عن غير شرعي. لقد ساهم كل ذلك في فهمنا للتكامل الأوروبي كعملية ونظام حكم. لكن في معظم الأوقات ، السؤال «كيف؟» طغى على السؤال «لماذا؟» يمكننا أن نقول الكثير عن كيفية عمل الاتحاد الأوروبي ، وكيف يتقدم ، ويدور في دوراته ويتقدم مرة أخرى. لكن غالبًا ما كنا مرتبكين لماذا حدث ذلك ، أو لماذا حدث على الرغم من الحجج القوية للمنطق والاستدلال العلمي.

تم تحديد التفكير الأكاديمي في التكامل الأوروبي إلى حد كبير من خلال الطريقة الوظيفية التي يستخدمها الفاعلون السياسيون لتوليد التكامل. لقد أصبح تقريبًا ضحية لهذه الأولوية في الوظيفة - كما أصبحت عملية الاندماج نفسها في كثير من الأحيان.

يقدم تاريخ التكامل الأوروبي العديد من الأمثلة على كيفية تقدم التكامل الأوروبي في اللحظات الحرجة أو إعادة إطلاقه بعد فترات من الركود أو الركود أو حتى الانحدار. دائما ، كانت هناك بداية جديدة ممكنة بسبب الخيارات السياسية والقيادة السياسية والالتزام السياسي. لقد دعم هذا مرارًا وتكرارًا الافتراض القائل بأن التكامل الأوروبي هو أولاً

وقبل كل شيء عملية سياسية. والمثير للدهشة أن دراسات العلوم الاجتماعية والسياسية حول التكامل الأوروبي غالبًا ما كانت أقل سياسية من موضوع دراستهم ، بغض النظر عن أوجه القصور فيها. كما أن «التقنية الأساسية» للتكامل الأوروبي ، كما يسميها موراي فورسيث ٦ ، قد صاغت أيضًا التفكير الأكاديمي الناجح بشأنه. إن الاختيار الذي قام به جان مونيه ، وروبرت شومان ، وفي العقود اللاحقة من قبل مؤلفي القانون الأوروبي الموحد ، أو أولئك الذين صاغوا معاهدات ماستريخت وأمستردام ونيس ولشبونة ، حدد النموذج العلمي الذي ازدهرت فيه نظرية التكامل الأوروبي. لقد كان المنطق الوظيفي ناجحًا وتم تحقيق الكثير على هذا الأساس. لقد صاغ المنطق الوظيفي الخطاب الأكاديمي، بغض النظر عن التغييرات النموذجية. سواء كانت الحكومة الليبرالية أو الحوكمة متعددة المستويات ، سواء تطبيق نظرية الاختيار العقلاني أو ما إذا كانت العلاقات الدولية تبصر في الأهمية المتزايدة للعابرة للحدود: كان المنطلق الأساسي لجميع المساهمات النظرية ذات الصلة على مدى خمسة عقود هو المنطق الوظيفي لعملية التكامل نفسها. بالمناسبة ، هو أيضًا السبب الرئيسي للإحجام عن تأهيل معظم المساهمات الأكاديمية حول التكامل الأوروبي كعناصر لنظرية تكامل عامة وموضوعية. بشكل عام ، هناك نظريات حول الاندماج في أوروبا ، وهو أمر مختلف تمامًا.

عادة ، يقدمون نظريات حول الجانب الوظيفي للتكامل الأوروبي في وقت معين ، وهذا عادل بما فيه الكفاية. لكنهم غالبًا ما يظلون صامتين بشأن النية السياسية ومفهوم التكامل الوظيفي ، وحول المبادئ الدستورية الأساسية للتطور المؤسسي ، وحول تأطير سياسات التكامل. أنتجت أولوية الوظيفة وأسبابها الجذرية وآثارها مجموعات مختلفة من الحجج ، وكلها تستحق الدراسة. وباعتبارهم عملية تكامل بحد ذاتها ، فقد كانوا يميلون إلى التقليل من أهمية الجانب السياسي والدستوري للعملية أو إهمالهم. ركز الفاعلون السياسيون في كثير من الأحيان على مسائل بناء المؤسسات كما لو كان هذا هدفًا في حد ذاته. كان لصياغة السياسات واتخاذ القرار وتنفيذها وقتهم ، بالطبع ، وكذلك الأدبيات الأكاديمية المقابلة.

لكن في نهاية المطاف ، كانت العملية والغرض منها سياسيًا ، كما أصبح واضحًا بشكل متزايد. لم يكن القصد من التكامل الأوروبي هو إنتاج قارة غنية ومسالمة فقط من أجل الثراء والسلام. كانت النية الأصلية هي إعادة تصميم أوروبا من أجل إعادة وضعها في العالم. كان التركيز الأساسي على التكامل الاقتصادي - ونتيجة لذلك نظريات التكامل الاقتصادية - يُقصد به دائمًا أن يكون أداة للوصول إلى أهداف سياسية أخيرًا. إن الانعطافات وضياع الوقت وإعادة إطلاق المبادرات لا يمكن أبدًا أن تحجب هذه النية الأساسية والغرض من التكامل الأوروبي. الاتحاد الأوروبي هو بناء سياسي ، ويظل غرضًا سياسيًا ولا يمكن فهمه بشكل صحيح إلا من خلال الاعتراف بطموحه السياسي ليكون جهة فاعلة ذات امتداد عالمي. صاحبت ظاهرتان أساسيتان عملية التكامل والمحادثة الأكاديمية حول التكامل الأوروبي باتساق مذهل: الخلاف الشعائري حول الجودة غير الحكومية للتكامل الأوروبي ، والجدل الضامر الذي غالبًا ما عزز حول الفيدرالية.

من الواضح أن هذه الحقائق المذهلة مرتبطة بوظيفة الخطابات - السياسية والأكاديمية - حول نهائية التكامل الأوروبي. لم تحقق هذه الخطابات أبدًا الغرض من دفع عملية التكامل نحو نهايتها. في كثير من الأحيان ، لم يكن هذا حتى نيتهم الأساسية. لقد حاولوا بدلاً من ذلك تأطير النقاش حول الظواهر العارضة والمسائل ذات الصلة في حد ذاتها ، لكنهم كانوا مشحونين على الفور

وبشكل كبير إذا تم ربطهم ووضعهم في سياق تحت شعار «النهاية السياسية». من علم اللاهوت ، يمكن للاتحاد الأوروبي العلماني للغاية أن يتعلم أن النهاية ليست من هذا العالم. بدلاً من ذلك ، جنبًا إلى جنب مع تزايد العلمنة ، يحاول العديد من الفاعلين السياسيين زيادة الإيمان بالمصطلحات السياسية. على سبيل المثال ، يؤدي استخدام مصطلح «لا رجوع فيه» - الذي يُقصد به الإشارة إلى أنه لا يمكن حل الاتحاد الأوروبي بعد الآن - وظائف الميتافيزيقيا السياسية. لم تثبت أي مؤسسة سياسية على وجه الأرض أنها «لا رجوع فيها» حتى الآن باستثناء البابوية الرومانية الكاثوليكية ، أقدم مؤسسة عامة في العالم. لطالما كان لاستدعاء مصطلح «لا رجعة فيه» في سياق التكامل الأوروبي وظيفة تبرئة نتيجة معينة لعملية التكامل من خلال طرد الأشباح التي تجرأت على التعبير عن نية معاكسة لمحتواها وتأثيرها. كانت هذه ولا تزال تمارين طقسية إلى حد كبير. نادرًا ما يمكنهم المساهمة بشكل صحيح في تقدم التكامل الأوروبي أو عكسه أو إعادة اختراعه في أي مرحلة معينة.

إن السبب الرئيسي للطقوس المذهلة التي رافقت فكرة الفيدرالية عبر تاريخ التكامل الأوروبي وتفكيرها الأكاديمي يتجاوز أي نزاع خطير وضروري: الخطاب المعياري ، ولكن أكثر من ذلك الشعور الغريزي المنسوب إلى العديد من المناقشات العدوانية حول معنى وهدف الاتحاد الأوروبي، متناقض. غالبًا ما يحاول التعتيم على حقيقة أن الفيدرالية قد تأسست منذ فترة طويلة في أوروبا. لقد تم تأسيسها بالقرار الأصلي لمعاهدات روما لإضفاء الطابع الدستوري على عملية التكامل الأوروبي ، وبالتالي إبعادها عن عدم القدرة على التنبؤ بالدورات والموضة السياسية والمنطق وغير المنطقي.

وبقدر ما كان التكامل الأوروبي عملية مستمرة منذ ذلك الحين ، إلا أنها تظل واحدة بعد الذكرى الخمسين لمعاهدات روما في عام ٢٠٠٧. وبقدر ما كان تطور الاتحاد الأوروبي عملية لا تنتهي، فإنه لا يزال كذلك. إنه اتحاد دائم التكوين ، مثل جميع الاتحادات الأخرى في العالم. حقيقة أن هذا الاتحاد يُطلق عليه بشكل صحيح اسم الاتحاد الأوروبي هو أمر تبعي فقط فيما يتعلق بالنية السياسية والهيكل والمعنى لعملية بناء الاتحاد الأوروبي. هدف الاتحاد الأوروبي هو هدف سياسي. مؤسساتها متعددة ودائمة ، وحدودها محددة وسياساتها ملزمة قانونًا لجميع مواطني الاتحاد الأوروبي.

الفدرالية لم تكن أبدًا مفهومًا ثابتًا أو مسألة عقائدية ذات مقاس واحد يناسب الجميع. إنها ببساطة «نظرية أو تأييد الأنظمة السياسية الفيدرالية ، حيث يتم تقسيم السلطة النهائية بين الوحدات الفرعية والمركز.» الفيدرالية هي مفهوم حول تقاسم السلطة والسلطة والحكم. يصف الهيكل السياسي دون إضفاء الطابع الرسمي على محتواه ووظائفه ونطاقه وعمقه. قد يتغير المحتوى والوظيفة والنطاق والعمق لأي اتحاد معين بمرور الوقت كما تشير الأدلة التجريبية من جميع الاتحادات. ومع ذلك ، فإن الاتحادات الفدرالية تختلف بشكل مميز عن الترتيبات الموحدة للسلطة والسلطة والحكم. لهذا السبب البسيط ، من المناسب تسمية الفيدرالية البديل الإقليمي للتعددية. مثل هذا التعريف الضائع للفيدرالية يترك مساحة هائلة ليس فقط لتطورها ، ولكن أيضًا لتفسير الأجزاء المكونة لها ووظائفها وديناميكياتها الداخلية وعمليات صنع القرار والآثار. ومع ذلك ، لم يكن القصد من مفهوم الفيدرالية أن يكون مختلفًا - وهذا صحيح أيضًا بالنسبة للتعددية باعتبارها معادلة مفاهيمية لها. يتمتع تطبيقه في عملية التكامل الأوروبي بميزة أساسية يفتقدها كثيرًا ويبحث عنها معظم المحادثات

العلمية ، ونقطة انطلاق ثابتة ومتغير تابع.
مع الأخذ في الاعتبار فقدان فكرة الفيدرالية على أنها تعددية إقليمية ونظام منقسم للسلطة والسلطة والحكم، كان كارل يواكيم فريدريش ، أحد علماء السياسة البارزين في القرن العشرين ، من أوائل المدافعين عن تحول نموذجي في الدراسات الفيدرالية. بالفعل في عام ١٩٦٨ ، في ضوء النجاح المبكر الناشئ للتكامل الأوروبي ، اقترح دفع الخطاب حول الفيدرالية إلى أبعد من ذلك. اقترح تحويل التركيز من تحليل الهياكل الفيدرالية - على عكس الوحدوية ، ولا سيما إلى الهياكل الشمولية للسلطة والسلطة والحكم - إلى تحليل الوظائف الفيدرالية والتوجهات الفيدرالية. بينما حظيت الهياكل الفيدرالية باهتمام كافٍ طوال التاريخ الحديث للفلسفة السياسية ، فإن الدراسة القائمة على التجربة للوظائف والعمليات الفيدرالية ستكون أكثر إثمارًا، جادل فريدريش بالتزام راسخ بقيمة الفيدرالية الأوروبية: «لدينا الفيدرالية فقط إذا كانت مجموعة من المجتمعات السياسية تتعايش وتتفاعل ككيانات مستقلة متحدة في نظام مشترك مع استقلالية خاصة بها ؛ « و «العلاقات الفيدرالية هي علاقات متذبذبة في طبيعة الأشياء.
لذلك يجب على أي مجتمع منظم فيدراليًا أن يزود نفسه بوسائل للمراجعة المتكررة لنمطه أو تصميمه. « تم إهمال تعريف ومعنى هيكل هذه العملية. ومما زاد الطين بلة ، أن بنية العملية - إطارها الدستوري - غالبًا ما تم استيعابها ودمجها كمجموعة فرعية من وظائفها ذاتها ، وبالتالي كأي مكون وظيفي آخر. لم يتم إهمال البنية المسبقة للتكامل الأوروبي فحسب ، بل أعيد تعريفها أيضًا كعنصر واحد من بين نظريات أخرى حول وظيفة التكامل. هذه هي الطريقة التي أصبحت بها «الفيدرالية» نظرية عابرة في الصرح الهائل والمتنامي للتفكير الأكاديمي حول التكامل الأوروبي ، بينما كانت في الواقع ولا تزال نقطة البداية والسبب الجذري لكل التنظيرات اللاحقة حول التكامل الأوروبي. مع اختراق الطابع السياسي للتكامل الأوروبي والاعتراف العام به بشكل عام ، يجب فهم المجموعة الضخمة من التفكير الأكاديمي حول التكامل الأوروبي على أنها مجموعة واسعة وتعددية من التعبيرات الوظيفية حول الهيكل الفيدرالي للاتحاد الأوروبي.
بعد خمسة عقود من العمل المبكر حول الفيدرالية ، هناك حاجة متزايدة لإعادة تحديد موقع جميع النظريات والتفسيرات النظرية لعملية التكامل الأوروبي في صورة تاريخية أوسع. لن يتطلب الأمر نقلة نوعية بمعنى ثورة توماس كون العلمية. سيتطلب ذلك فقط إعادة تقويم العلاقة بين النظرية الأصلية للفيدرالية ، والنظريات الثانوية والوظيفية في الغالب حول مراحل معينة من التكامل الأوروبي. لن يقلل هذا من قيمة المساهمة الغنية في المجال الأكاديمي للأدب النظري حول التكامل الأوروبي. لكن قبول الاتحاد الأوروبي باعتباره اتحادًا في شكله سيكون مفيدًا لتركيز البحث على العديد من الجوانب البراغماتية والعملية للتكامل الأوروبي كوظيفة - البحث في الآليات الداخلية للاتحاد الأوروبي وطريقته ووسائله في توليد وتوزيع القوة والكفاءات و مصادر؛ طرق ووسائل وضع جدول الأعمال وصياغة السياسات وصنع القرار وتنفيذ السياسات ؛ تأثيره على الدول الأعضاء ومواطني الاتحاد ، وشبكاته التداولية ومجتمعات السياسات ؛ أساليب عملها عبر الوطنية وعبر الحكومية ، ودور القيادة في الاتحاد الأوروبي ، والنطاق المتزايد لقضايا السياسة التي يغطيها الاتحاد الأوروبي ، والتوازن بين مؤسساته ؛ والدور المتزايد للاتحاد الأوروبي كعنصر فاعل في العلاقات الدولية وتأثير التكامل الأوروبي على تطور النظرية السياسية ، لا سيما على مفاهيم الديمقراطية والسيادة وبناء النظام في عالم تكون

فيه الدول - إما وحدوية أو فيدرالية - ومن الواضح أن الاتحادات الفدرالية فوق الوطنية تتعايش وتشكل توازنًا جديدًا ضعيفًا للنظام العالمي.
دون قلب الجزء الأكبر من الأدبيات النظرية حول التكامل الأوروبي بشكل مصطنع رأسًا على عقب: في التحليل النهائي ، يمكن تصنيفها كلها تقريبًا كمساهمة في نظرية الفيدرالية المتطورة باستمرار للاتحاد الأوروبي المتطور باستمرار. الفدرالية هي الإطار الشامل الذي تتم بموجبه أكثر مجموعات النظريات تنوعًا والمناقشات النظرية الأكثر تنوعًا حول عملية التكامل الأوروبي. الفيدرالية ليست مجرد واحدة من العديد من النظريات حول التكامل الأوروبي ، إنها الإطار الدستوري الذي من خلاله يمكن أن تبدأ الاعتبارات النظرية الأخرى في التدفق وستستمر في ذلك. بدون نقطة بداية فيدرالية - أي مع الالتزام السياسي المبكر لتحقيق الاتحاد الفيدرالي في نهاية المطاف - لم يكن الاتحاد الأوروبي ليُنشأ على الإطلاق. بدون القرار المبكر بشأن الفيدرالية كمبدأ تنظيمي لنظام جديد لأوروبا ، لم تكن النظريات حول التكامل الأوروبي لتتطور وتزدهر.
قد تبدو هذه الحجة استفزازية. لم يتم التأكيد على نقطتها المركزية لتشويه سمعة خمسة عقود من المساهمات النظرية القيمة في العلوم الاجتماعية. لكن الوقت قد حان- بسبب التطور ذاته في الاتحاد الأوروبي - لإعادة ضبط التفكير النظري حول التكامل الأوروبي. كل النظريات علائقية ، وكذلك جميع المصطلحات الأساسية للفلسفة السياسية. الفدرالية مصطلح علائقي. إنها تتعلق بأشكال محددة من السلطة والقوة والحكم المقسمتين. نتيجة لذلك ، ستكون الهياكل الفيدرالية دائمًا متنوعة للغاية في وظائفها المحددة. تتعلق الفيدرالية أيضًا بتقييمات محددة لوظائف الهيكل الفيدرالي للسلطة والسلطة والحكم. كلما ترسخ الطابع السياسي للاتحاد الأوروبي - وفقًا للنوايا الأصلية والتطلعات النهائية للآباء المؤسسين للتكامل الأوروبي - يجب الاعتراف بشخصيته كاتحاد. كانت المجموعة الضخمة من الأدبيات النظرية حول التكامل الأوروبي ضعيفة من حيث السلطة والقوة والحكم. كان هذا إلى حد كبير نتيجة لضعف الاتحاد الأوروبي (وسابقاته) فيما يتعلق بادعائه لممارسة السلطة ، وطموحه لتوليد القوة وعملياته المتعلقة بالصراع من أجل الحكم. يجب على الاتحاد غير المركز أن ينتج مجموعة غير مركزة من الأدبيات حوله.
الاتحاد الأوروبي ليس دولة - ولم يزعم أبدًا أنه دولة. كان مثل هذا الافتراض إما تفكيرًا بالتمني ، أو نتاجًا للخوف أو جهدًا للافتراء ، أو القليل من كل شيء من قبل أولئك الذين لا يريدون تطبيق التحليل العقلاني والحكم على العملية التطورية للاتحاد الأوروبي. لا توجد عقيدة قانونية أو أغلبية سياسية أو قانون فلسفي يتطلب أن يكون الاتحاد دولة. لكن كل الاتحادات الفدرالية تمثل تعبيرات مختلفة عن القرار الفيدرالي الأصلي الوحيد لإنشاء مؤسسات فوق وطنية ، بغض النظر عن مدى ضعفها وعدم اكتمالها ، ينبغي الاعتراف بها.
وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن مفهوم الفيدرالية أقدم من مفهوم الدولة. ومن شأنه أن يسهل مزيدًا من نمو المعرفة النظرية حول وظائف الاتحاد الأوروبي إذا تم التوصل إلى توافق في الآراء ، أخيرًا ، بشأن هيكله باعتباره فيدراليًا جوهريًا.

٢- نظرية التكامل وهيكل الاتحاد الاوربي

يعتبر التكامل الأوروبي ، بطبيعته ، عملية وسيظل عملية ، كما تفعل جميع الهياكل السياسية. إن فكرة «نظرية التكامل» في حد ذاتها مشكوك فيها لأن محتواها يجب أن يتغير مع تطور التكامل نفسه. هذا لا يجعل المساهمات النظرية السابقة

عفا عليها الزمن أو ساذجة أو خاطئة. ومع ذلك ، فإن نظرية التكامل الأوروبي المستقلة والمتناقضة مع الاعتراف بهيكلها على أنها فيدرالية هي نظرية تاريخية وغير سياسية في نهاية المطاف. يجب على مؤيدي النظرية المستقلة للتكامل الأوروبي أن يقبلوا على الأقل أن مساعيهم النظرية مشروطة وعلائقية ، ليس فقط فيما يتعلق بموضوعهم ، ولكن أيضًا فيما يتعلق بالجدول الزمني لمقترحاتهم. للاعتراف بالاتحاد الأوروبي كاتحاد فيدرالي يعترف أخيرًا بالمتغير الذي يمكن الاعتماد عليه الذي كان يبحث عنه إرنست هاس لترسيخ تحليله للتكامل الأوروبي. في الخمسينيات من القرن الماضي ، أصبح تفسيره النظري للبدايات الأولى للتكامل الأوروبي مشهورًا تحت عنوان «الوظيفية الجديدة». بطريقة ما ، أصبحت الوظيفة الجديدة النظرية الموثوقة للتكامل الأوروبي. بعد عقدين من الزمان ، أعلن هاس أن نظرية التكامل ميتة: «مهمة اختيار وتبرير المتغيرات وشرح تكاملها المفترض لا يمكن أن يتم دون اتفاق على الشروط الممكنة الذي من المتوقع أن تؤدي العملية. باختصار ، نحن بحاجة إلى متغير تابع «. المتغير التابع الذي دعا إليه هاس لم يكن موجودًا بعد في عام ١٩٧١. افتقرت الجماعة الأوروبية إلى الصورة السياسية المركزة والطموح المعروف. في أوائل القرن الحادي والعشرين ، لا يمكن لواقع الاتحاد الأوروبي بعد الآن أن يبرر هذا التصور المتردد والمتشكك لهدف ونطاق التكامل الأوروبي: لقد تم حل مسألة هيكل الاتحاد الأوروبي بينما ظل المنطق حول وظائفه باقياً.

سيستمر التكامل كعملية. لكن التكامل كهيكل أوجد اتحادًا يسمى الاتحاد الأوروبي. سوف يسود هذا الاتحاد الأوروبي باعتباره اتحادًا أوروبيًا باعتباره المتغير التابع لمزيد من البحث والنزاع الأكاديمي. ستستمر وظائفها في تشكيل فهم التكامل ، لكن هذا بالكاد يمكن أن يضيف أي شيء آخر لفهم بنيته. لذلك ، يبدو أن المزيد من الأبحاث الواعدة حول الطبيعة والوظيفة السياسية الحقيقية للاتحاد الأوروبي ، وآليات صنع القرار ، والترابط بين المستوى الأوروبي والمستويات الوطنية للحكومة ، وتأثير التكامل الأوروبي على الأنظمة الدستورية للدول الأعضاء ، والسياسات الحزبية ، والبيروقراطية في الاتحاد الأوروبي ، والمصالح المنظمة والرأي العام.

سيكون من المفيد توسيع جدول أعمال البحث فيما يتعلق بالاتحاد الأوروبي بصفته فاعلًا دوليًا. سيتطلب دور الاتحاد فوق الوطني في تشكيل بناء النظام العالمي عملاً منهجيًا وتجريبيًا جديدًا. إن مستقبل الدولة القومية ، بالطبع ، هو القضية الكبيرة الأخرى الناشئة عن صعود التكامل الأوروبي. لا يزال التفكير النظري حول المسار المستقبلي للاتحاد الأوروبي مهمًا. وسيعزز فهمنا لعملياته المتأصلة وسيوفر مصدر إلهام للتعامل مع المزيد من التعديلات والتحسينات للآليات المؤسسية والسياسات وأنماط التشغيل في الاتحاد الأوروبي. كعلم إداري ، قد يكون للاحتلال النظري بالتكامل مع الاتحاد الأوروبي أفضل وقت لم يأت بعد. كتحليل للسياسة ، ستعمل دراسة الاتحاد الأوروبي باعتباره اتحادًا أوروبيًا على تعميق معرفتنا بإجراءات وآثار التكامل. وكلما زاد ارتباط هذا بالمفهوم الأساسي القاطع لكل العلوم السياسية - السلطة والسلطة والحكم - زاد كونها سياسية حقًا وليست وظيفية فقط. بعد خمسة عقود من بداياته في جو من التجربة والخطأ ، لم يعد الاتحاد الأوروبي بحاجة إلى الارتباط بعد الآن بمسألة ما إذا كانت دولة أو ستصبح كذلك أم لا. كما أنه من البصيرة المحدودة مقارنة الاتحاد الأوروبي بالمراحل السابقة من تاريخ أوروبا ، مثل الإمبراطورية النمساوية المجرية متعددة الجنسيات ، أو التلميح إلى فكرة أن الاتحاد الأوروبي يمكن أن يتطور إلى بيزنطة جديدة مع الولايات المتحدة

مثـل رومـا الجديـدة. أخيـرًا ، مـن الأهميـة بمـكان الاستسـلام لصيغـة أن الاتحـاد الأوروبـي هـو الشـكل الأول لمـا بعـد الحداثـة لتنظيـم السياسـة. هـذا صحيـح بقـدر مـا تكـون فلسـفة مـا بعـد الحداثـة صحيحـة - ومحـدودة بقيمتهـا المحـدودة لربـط الشـكل والمعيـار. لا تجيـب مـا بعـد الحداثـة علـى الأسـئلة المعياريـة أو الأخلاقيـة علـى غـرار «لمـاذا؟» أو «لمـاذا؟» سـيواجه تقييـم التكامـل علـى هذا الأسـاس الفلسـفي نفـس حـدود تفكيـره مثـل منهجيـة مـا بعد الحداثـة الفلسـفية الأساسـية. يبـدو مـن المقنـع أكثـر بكثيـر العـودة إلـى الفهـم الكلاسـيكي ، ولكـن الخالـد للهيـاكل الأساسـية لتنظيـم المجـال العـام مـن خـلال الاعتـراف بالاتحـاد الأوروبـي باعتبـاره اتحـادًا يبحـث عـن هـدف عالمـي وفـي حاجـة إلـى وطنيـة دسـتورية مصقولـة.

لـن يتغلـب هـذا القـرار علـى خصوصيـات الاتحـاد الأوروبـي. ولـن يحـد أو حتـى يلغـي الطابـع الإجرائـي كمـا يتجسـد فـي الاسـتخدام الدائـم لمصطلـح «التكامـل الأوروبـي». تظـل هـذه ملحمـة مفتوحـة ، وهـي بالتأكيـد الأفضـل فـي تاريـخ أوروبـا فيمـا يتعلـق بالسـلطة المحـددة إقليميـاً وأنمـاط السـلطة الليبراليـة والآليـات التوافقيـة للحكـم. ومـع ذلـك ، فمـن المناسـب منـح الاتحـاد الأوروبـي أخيـرًا الوضـع الـذي أصبـح عليـه منـذ أن بـدأ فـي النمـو ليصبـح شـيئًا لا يمكـن أن ينتهـي بـه الأمـر إلا: أول اتحـاد أوروبـي علـى الإطـلاق ، وبالتالـي اسـتثنائي ، فـوق وطنـي. سـيؤدي هـذا الاختـراق فـي التفكيـر الأكاديمـي حـول التكامـل الأوروبـي إلـى صقـل الأدوات النظريـة والأسـاليب والنهـج والافتراضـات الختاميـة التـي يمكـن مـن خلالهـا دراسـة عمليـات السياسـة المسـتقبلية وتأثيـر الاتحـاد الأوروبـي.

٣. الامتيازات الوظيفية والمقترح الحكومي الدولي

بشـكل عـام ، يعكـس الخطـاب الأكاديمـي خـلال العقـود الخمسـة الماضيـة حـول التكامـل الأوروبـي التطـور المتأصـل فـي عمليـة الاندمـاج. عندمـا بـدأ التكامـل الأوروبـي بالتكامـل الوظيفـي والقطاعـي للأنشـطة الاقتصاديـة الرئيسـية بيـن سـتة أعضـاء مؤسسـين للمجموعـات الاقتصاديـة الأوروبيـة ، كان مـن المعقـول تكـرار هـذا النهـج فـي التفكيـر النظـري حـول التكامـل الأوروبـي. أصبحـت الوظيفيـة إلـى حـد مـا الخـط النظـري الموثـوق لدراسـة التكامـل الأوروبـي. تـم وضـع الوظيفيـة فـي سـياقها فـي النـوع الأوسـع لنظريـة العلاقـات الدوليـة. كان هـذا مناسـبًا لأن معاهـدات رومـا كانـت ترتيبًـا دوليًـا بيـن الـدول ذات السـيادة وعلـى هـذا النحـو عنصـر مـن تشـكيل المنظمـات الدوليـة والقانـون الدولـي. يتطلـب تقييـم الرحلـة النظريـة الطويلـة للأكاديمييـن الموازيـة لتطـور التكامـل الأوروبـي توضيحًـا فـي سـياقه الخـاص. تبـدأ كل نظريـة عـادة بـإدراك أساسـي للحقائـق الاجتماعيـة فـي وقـت معيـن وفـي ظـل ظـروف المعرفـة المتاحـة أو المختـارة للظاهـرة التـي تعكسـها. جميـع المسـاهمات النظريـة لفهـم التكامـل الأوروبـي بشـكل أفضـل قـد اتخـذت خيـارات ذاتيـة حـول المحتـوى والنطـاق والنيـة مـن تحليلهـا. فـي كثيـر مـن الأحيـان ، كانـت مسـاهمات مركـزة ومؤثـرة فـي المعـارك الأكاديميـة التـي تـدور فـي الأوسـاط العلميـة. تـم الكشـف عـن نقـاط قوتهـم وضعفهـم بمـرور الوقـت فقـط وعلـى مسـافة كبيـرة مـن الكتابـة الفعليـة لنـص نظـري معيـن.

مـن المدهـش أن نـرى عـدد المـرات التـي يُذكـر فيهـا عمـل ديفيـد ميترانـي فـي التأمـل حـول الوظيفيـة كنظريـة رئيسـية فـي التكامـل الأوروبـي. بتأكيـده علـى أن الوظيفيـة لا تعـرف سـوى منطقًـا واحـدًا ، وهـو «منطـق المشـكلة» ، قـدّم رؤى ثاقبـة حـول احتماليـة «نظـام سـلام عامـل». لـم يكـن تركيـزه علـى أوروبـا

، وفي كتاباته اللاحقة كان ينتقد بشدة التكامل الإقليمي الأوروبي: فهو لا يزال قائمًا على الأراضي ، وبالتالي محكوم عليه بتكرار الأخطاء القديمة لنظام الدولة. كانت كتاباته ذات بُعد غير مؤسسي بشكل مدهش. اعتبر ميتراني نفسه يكتب في تقاليد الهندسة الاجتماعية. كان من دعاة العقلانية واعتبر أن جميع البشر قادرون على تهيئة الظروف لسلام دائم. يجب أن يتم ذلك من خلال دمج الوظائف الاجتماعية ، وبالتالي منع تطرف الأفكار أو الحقائق التنافسية التي تندلع في صراعات جديدة وحتى حروب.

كانت مناقشة ميتراني للأساليب العقلانية والتكنوقراطية متجذرة في نهج معياري لكيفية منع الحرب وصنع السلام. كان ميتراني ينتقد بشدة أولوية السيادة الوطنية بين الدول. لقد دافع عن وجهة نظر الدول التي حددها ما أسماه «الاعتماد المتبادل المادي». من خلال هذه الفرضية ، دعا إلى دمج بعض وظائفهم واقترح أن هذا سيحدث تقريبًا كعملية طبيعية ، لأنه «سيؤدي فقط إلى ترشيد وتطوير ما هو موجود بالفعل». لم يحدد ميتراني قط الإجراءات والعمليات السياسية اللازمة لإشراك الدول في النقل الوظيفي للكفاءات. في التحليل النهائي ، ترك أيضًا سؤالاً دون إجابة حول من يجب نقل هذه الكفاءات. انتقد ميتراني بداية التكامل الأوروبي باعتباره مسارًا يتبع منطقًا إقليميًا وليس منطقًا وظيفيًا. في النهاية ، ستهيمن أقوى الدول على الجماعة الاقتصادية الأوروبية. رأى ميتراني أن التكامل الأوروبي يمكن أن يكون بمثابة تكرار لوظائف شبيهة بالدولة دون تماسك الدولة. مع هذه الحجة ، ومن المفارقات ، أنه قدم كلاً من المبدأ التوجيهي النظري الرائد للفهم اللاحق للتكامل الأوروبي وأقوى نقد له: كانت العملية عملية نقل وظيفي للسيادة والكفاءة وفي نفس الوقت ، كما يبدو ، على ما يبدو ، تقليدًا للأوروبيين التقليديين. الدولة ، سيكون أقل من قوة الدولة. ليس من المستغرب أن ينتقد إرنست ب. هاس مفهوم ميتراني للأتمتة الاجتماعية ، إن لم تكن طبيعية ، تجاه الاندماج الوظيفي للحالات. ذكّرته بالطموحات الماركسية اللينينية لاستبدال حكم الإنسان بـ «إدارة الأشياء. ومن المفارقات ، أن الطبيعة اللاسياسية بطبيعتها لعمل ميتراني حاولت تحقيق هدف سياسي للغاية ، ألا وهو السلام العالمي. هذا الانفصال المفاجئ عن المجال الحقيقي للسياسة كعملية حكم لم يحدث في العمل النظري لإرنست ب. هاس. وصفت دراسته للمراحل الأولى من التكامل الاقتصادي الأوروبي بـ «الوظيفية الجديدة». في حين أنه شارك في رؤية ميتراني بشأن الترابط المتزايد ، والتفضيلات السياسية المتقاربة والآثار الإيجابية لدمج وظائف الدولة على المستوى فوق الوطني ، أجرى دراسة تجريبية شاملة حول الظروف المحددة التي من المرجح أن تمكن الجماعة الاقتصادية الأوروبية من البناء على التجربة. الجماعة الأوروبية للفحم والصلب والتوصل إلى حلول وسط بين المصالح الوطنية المختلفة في أوروبا الغربية. حددت دراسته التي أجراها عام ١٩٥٨ بعنوان «توحيد أوروبا» - التي نُشرت في جامعة ستانفورد مثل الأعمال النظرية الهامة الأخرى حول التكامل الأوروبي في العقود اللاحقة - معايير البحث النظري القائم على التجربة حول التكامل الأوروبي لفترة طويلة. مع المجتمع الأوروبي للفحم والصلب ، «يمكن تحليل تحلل الدول القديمة بشكل منهجي في إطار تطور نظام حكم أكبر - نظام سياسي قد يتطور ، ربما ، إلى أمة خاصة به.»

أصبحت الجماعة الأوروبية للفحم والصلب مخططًا ناجحًا للمجموعات الاقتصادية الأوروبية الناشئة ، «لأنها قدمت العديد من المزايا المختلفة لمجموعات مختلفة.» اقترح هاس التطبيق الأكثر وضوحًا لاستخدام مبدأ التكامل الوظيفي ، أي إدخال نظام حكم جديد وأكبر. استغرق الأمر ما

يقرب من خمسة عقود من التنظير حول التكامل الأوروبي لتحقيق إجماع إلى حد ما بين العلماء في هذا المجال حول هذا التوصيف المبكر للاتحاد الأوروبي. بالنسبة إلى هاس ، لم يكن الأمر مذهلاً أو مشكوكًا فيه ، ولكنه كان واضحًا من الناحية التجريبية ما استغرق علماء آخرين خمسة عقود لاكتشافه بعد الكثير من الألم ومن خلال الكثير من الجدل.

نظّم هاس ما اعتبره رؤى ثاقبة لتطور عملية الاندماج الأوروبية الناشئة. يجب أن يبدأ الاندماج بخطوات حذرة في المجالات الأقل أهمية والجدل ؛ يلزم إنشاء سلطة عليا للإشراف على العملية خارج سيطرة المصالح الوطنية ؛ من شأن تكامل قطاعات اقتصادية محددة أن يعزز الحاجة الوظيفية لدمج المجالات الاقتصادية ذات الصلة بين الدول المشاركة ؛ ستحول المجموعات الاجتماعية ولائها تدريجياً إلى الهياكل فوق الوطنية الناشئة ؛ تعميق التكامل الاقتصادي من شأنه أن يخلق الحاجة إلى إضفاء الطابع المؤسسي الأقوى على العملية وتعزيز المتطلبات التنظيمية ؛ وأخيرًا ، سيصبح التكامل السياسي أمرًا شبه حتمي. كان وضوحه النظري هو الأكثر دقة في السنوات الأولى من دراسات التكامل - وربما يظل الأقرب في إعادة ربط نظرية التكامل الأوروبي بالعلاقة الأصلية بين الفكرة السياسية للفيدرالية كهيكل للحكم والفكرة الفنية للوظيفة طريقة تنفيذها والنهوض بها.

في دراسته المكتسبة للغاية حول تطور نظريات التكامل الأوروبي ، أعاد بن روزاموند بناء السياق الذي يمكن أن تتطور فيه دراسة إرنست هاس. المدرسة السلوكية في العلوم السياسية الأمريكية - في ستانفورد أبرزها غابرييل ألموند - كانت في طور الظهور بتأثير متزايد باستمرار. كتب روزاموند أن «الحركة السلوكية وجهت المنح الدراسية نحو تحليل السلوك السياسي ، وبالتالي ، أقرب إلى دراسة العمليات السياسية من الأشكال السابقة للتحليل السياسي التي كانت مؤسسية ودستورية بشكل كبير في تركيزها.» تزامن هذا التطور في منهجية العلوم السياسية مع أصول «طريقة مونيه» للتكامل الأوروبي. وهكذا فإن اقتراح هاس للنظر في التكامل الأوروبي باعتباره تعبيرًا عن عملية وظيفية جديدة أصبح متجذرًا في كل من السياسة التجريبية والمنهج الأكاديمي المبتكر. هذا لم يجعل المقاربات المؤسسية والدستورية بالية. مع الاستمرارية الدورية تقريبًا ، اتبعت منهجيات و «مدارس» أخرى للتنظير حول التكامل الأوروبي. ولكن حتى أوائل السبعينيات ، لم يكن هناك ما هو أكثر تأثيرًا من الوظيفة الجديدة.

كانت نتائجها متجذرة بشكل أكبر في النظرية الاقتصادية من خلال عمل ليون إن. حاولت نظريته - مثل نظرية هاس المنشورة في جامعة ستانفورد - تطوير اقتراح هاس بأن التكامل يولد التكامل. جادل ليندبرج بأن إنشاء التكامل الاقتصادي في قطاع واحد سيستلزم تلقائيًا تكامل القطاعات الأخرى. وفقًا لـ Haas ، عرّف التكامل على أنه عملية. باتباع المنطق الكلاسيكي للمفاهيم الفيدرالية للسلطة المشتركة ، فقد فهم تفويض صنع القرار على أنه «شرط مسبق أساسي في صنع القرار المشترك». واختتم قائلاً: «من المرجح أن تؤثر عمليات المشاركة وتفويض اتخاذ القرار على الهيكل الحكومي في كل دولة معنية.» من وظائف التكامل الأوروبي. «الامتداد» سيصبح النتيجة الحتمية. كتب ليندبيرج: «في صيغته الأكثر عمومية ،» يشير مصطلح «الامتداد» إلى الموقف الذي يؤدي فيه إجراء معين ، مرتبط بهدف محدد ، إلى إنشاء موقف لا يمكن فيه ضمان الهدف الأصلي إلا من خلال اتخاذ مزيد من الإجراءات ، والتي بدورها تخلق شرطًا إضافيًا وحاجة إلى مزيد من الإجراءات ، وما إلى ذلك. «٢٩ لقد تم انتقاد مفهوم Lindberg شبه الحتمي لـ» الامتداد «كنمط مستمر لتوسيع التكامل بقدر ما فشل في الواقع.

ومع ذلك ، بعد ذلك بوقت قصير ، ثبتت صحته مرة أخرى ، لأنه بسبب الإخفاقات السابقة بالضبط ، تمت إضافة أبعاد جديدة إلى جوهر التكامل الأوروبي ومؤسساته المتنامية ووظائفه المتوسعة. ما يجب إضافته هو حقيقة أن «الهدف الأصلي» توسع أيضًا: من الغرض الأصلي للمصالحة (تحت ضغط داخلي هائل) بين الدول الأوروبية والأعداء السابقين للدول ، نما ببطء وتدريجيًا إلى ظهور الاتحاد الأوروبي باعتباره مزود عالمي للسلام والاستقرار (على الرغم من الضغط الخارجي الهائل فقط). كما قلل ليندبيرج من تقدير قدرة الشركاء في عملية التكامل الأوروبي على تنظيم التحويلات من أجل إعادة تنشيط العملية بمجرد توقفها بشكل ميؤوس منه.

٤.التنظير والواقع

لن تقبل الدول القومية أبدًا أن يتم نزع قلب سيادتها من قبل الفاعلين الأوروبيين ، أو حتى الأسوأ من ذلك ، الفدراليون. علاوة على ذلك ، جادل هوفمان ، لم يتفق الآباء المؤسسون للمجموعات الاقتصادية الأوروبية أبدًا على ما إذا كانوا يريدون إنشاء «مجتمع أمني» من أجل تهدئة أوروبا بعد تاريخها الطويل من الحرب ، «أو ما إذا كان الهدف الرئيسي هو إنشاء كيان الذي يمكن أن يؤثر موقفه وقدرته بشكل حاسم على مسار الحرب الباردة على وجه الخصوص ، والعلاقات الدولية بشكل عام «. رفض هوفمان فكرة أن التكامل الأوروبي يمكن أن يؤدي إلى نظام حكم أوروبي جديد باعتباره أكثر من مجرد مساهمة في العلاقات الدولية: «إذا نظرنا إلى مؤسسات السوق المشتركة كنظام سياسي مبتدئ في أوروبا ، نجد أن سلطتها لا تزال قائمة. محدودة ، هيكلها ضعيف ، قاعدتها الشعبية مقيدة وبعيدة «. كانت هذه بالتأكيد حجة عادلة في عام ١٩٦٦ ، لكنها لم تستطع استبعاد التطورات اللاحقة التي أثبتت خطأ المشككين فيما يتعلق بالسلطة المحدودة والهيكل الضعيف والقاعدة الشعبية المقيدة لعملية التكامل. ناقش هوفمان إمكانيات السياسة البرلمانية مع تنفيذي ضعيف حيث تسود المساومة السياسية قصيرة الأجل مع التركيز على المزايا الفورية على التخطيط طويل الأجل. نظرًا لأن هذا كان بالفعل حقيقة مؤسفة في جمهورية فرنسا الرابعة ، لم يكن يريد أن يرى الطريقة تتكرر في السوق المشتركة ، كما أسماها EEC. ومن هنا ، خلص إلى أن الوعد بالفيدرالية الأوروبية قد فشل.

من الناحية المعيارية ، كان انتقاده للفيدرالية نقطة عادلة في ضوء الحقائق الأوروبية لعام ١٩٦٦ ، لكنه لم يستطع تقديم إجابة محددة في مواجهة مستقبل مفتوح للتكامل الأوروبي. ومع ذلك ، بدأ هوفمان بحثًا مؤثرًا على أساس افتراض أن المجموعة الاقتصادية الأوروبية ليست أكثر من هيكل حكومي دولي في النظام الدولي. استغرق إضفاء الديمقراطية وإضفاء الطابع الدستوري على الجماعة الاقتصادية الأوروبية ، كما طلب هوفمان بحق ، ما يقرب من أربعة عقود أخرى. ومع ذلك ، فقد حدث ذلك في النهاية. بالإشارة إلى مكانة هوفمان في المناظرة الأكاديمية ، قام أندرو مورافشيك - مثل هوفمان في جامعة هارفارد - بتنقيح نظرية الحوكمة الحكومية الأوروبية إلى الكمال. لقد فهم كل جانب من جوانب تطور التكامل الأوروبي من مؤتمر ميسينا إلى معاهدة ماستريخت كسلسلة من المساومة الحكومية الدولية ، والتي من المفترض أن تثبت مرة وإلى الأبد أن الاقتراح الفيدرالي تم تطبيقه بشكل خاطئ على التكامل الأوروبي. ومع ذلك ، كان من الأصح القول ببساطة أن الطموح الديمقراطي والبرلماني لا يزال مفقودًا في عملية التكامل ، بينما كان يُعتبر بحق ضروريًا لإضفاء الشرعية على التكامل الأوروبي باعتباره فيدراليًا.

أصبحت دراسة أندرو مورافسيك المؤثرة بعنوان «الاختيار من أجل أوروبا» التعبير الجوهري لما كان سيطلق عليه «النظام الحكومي الدولي الليبرالي» في مجال تنظير الأكاديميين. إدراكًا بأن المجتمع الأوروبي كان «نظامًا سياسيًا فريدًا ومتعدد المستويات وعابرًا للحدود الوطنية» ، فهم مورافسيك التكامل الأوروبي كما تطور حتى معاهدة ماستريخت كنتيجة لثلاثة عوامل: «أنماط الميزة التجارية ، القوة التفاوضية النسبية للحكومات المهمة ، والحوافز لتعزيز مصداقية الالتزامات بين الدول «.

لقد قبل أن السيادة الوطنية قد تحولت إلى المستوى الأوروبي ، لكنه كان مصراً على استنتاج أن هذه الظاهرة لم تحد من أسبقية الدولة القومية في عملية المساومة على المكاسب الاقتصادية عبر القنوات الأوروبية. ركز مورافسيك دراسته على «الصفقات الكبرى» التي مهدت الطريق للتكامل الأوروبي ، مما أدى في النهاية إلى معاهدة ماستريخت. اعترف مورافتشيك بالعملية التدريجية ، وإن كانت زاحفة ، لنقل السيادة إلى المؤسسات الأوروبية. ومع ذلك ، ظلت الجماعة الأوروبية بالنسبة له منظمة دولية وليس مستوى واحدًا من الهيكل الفيدرالي: «أفضل تفسير لخيارات تجميع السيادة وتفويضها إلى المؤسسات الدولية هو الجهود التي تبذلها الحكومات لتقييد والسيطرة على بعضها البعض - في لغة نظرية اللعبة ، من خلال جهودهم لتعزيز مصداقية الالتزامات. تنقل الحكومات السيادة إلى المؤسسات الدولية حيث تكون المكاسب المحتملة كبيرة ، ولكن الجهود المبذولة لتأمين الامتثال من قبل الحكومات الأجنبية من خلال الوسائل اللامركزية أو المحلية من المحتمل أن تكون غير فعالة «. تتوافق النتائج التي توصل إليها مورافسيك مع البحث التاريخي المؤثر لألان ميلوارد ، الذي شرح بداية المجتمعات الاقتصادية الأوروبية على أنها «إنقاذ الدولة القومية». كان هذا «الادعاء المتناقض ظاهريًا» مصاحبًا لنظرية العلاقات الدولية للواقعية الجديدة ، التي عبر عنها كينيث والتز على نحو ملائم. سلوك الدولة العقلاني - مثل القاسم المشترك بين المقدمات النظرية - لا ينبثق من معتقدات مبدئية أو مقدمات ثابتة أو معايير دولية مسبقة. بدلا من ذلك هو نتيجة عمليات السياسة الداخلية الديناميكية التي تهدف إلى تعظيم المصلحة الوطنية. بناءً على هذا الافتراض ، يجب أن يظل التكامل الأوروبي دائمًا لعبة محصلتها صفر ، حيث يكون مكسب بلد ما هو خسارة بلد آخر. ومع ذلك ، إذا كان التكامل الأوروبي يتعلق فقط بالمكاسب الاقتصادية قصيرة الأجل ، فقد تُرك المرء ليتساءل لماذا أصبح ضروريًا على الإطلاق حيث كان من الممكن تنظيم المكاسب الاقتصادية خارج هيكل سياسي جديد. وإذا كان التكامل الأوروبي مجرد عنصر تنظيمي آخر لنظام واقعي ، أي نظام دولي قائم على الدولة ، فقد تُرك المرء ليتساءل عن سبب الاتحاد الأوروبي - ولكن كان هذا واضحًا بالفعل في أيام الجماعة الاقتصادية الأوروبية والمفوضية الأوروبية - ضع ذلك على النحو التالي. الكثير من التركيز على تطور القانون العام ، وبشكل متزايد ، التأصيل البرلماني لعملية صنع القرار فيه.

في نهاية المطاف ، كانت الحكومات بجميع أشكالها مفيدة في شرح الأنماط السلوكية للحكومات الوطنية فيما يتعلق بمدخلاتها في عملية التكامل الأوروبي. كما نجحت التداخل بين الحكومات في فك الارتباط بين المساومة الأوروبية للحكومات الوطنية وتأثير مجموعات المصالح الاجتماعية على الخيارات السياسية الوطنية. ولكن ظل من غير الواضح لماذا أصبحت الحكومة الحكومية الدولية نظرية مضادة لتلك التي تعرف التكامل الأوروبي على أنه ظاهرة «فوق وطنية» تتزايد تدريجياً. بدلاً من الجدل في موقف إما

أو موقف ، كان من المنطقي أكثر اعتبار كل من المساهمات النظرية عنصرين مرتبطين جوهريًا بشبكة معقدة من الهياكل والوظائف والتفضيلات والمصالح والآثار وأنماط التفاوض في صنع السياسة متعددة المستويات. من المعقول أن ندرك أن الحوكمة الحكومية الدولية والنزعة فوق الوطنية هما الجانبان الحتميان واللذان لا غنى عنهما في كل هيكل فيدرالي يضم ولا يزال فوق الدولة القومية. بعد كل شيء ، لا يعني الهيكل الفيدرالي ضمناً حل المستوى الأعلى أو الأدنى من السلطة والسلطة والحكم. في الواقع ، لا يمكن تسمية الهيكل السياسي «فيدرالي» إلا إذا كان يتألف من كليهما. تتطلب النزعة فوق الوطنية الأوروبية أن تكون هناك سمة مقابلة لها - والعكس صحيح - من أجل تسمية هيكلها الأساسي بأنه «فيدرالي». وإلا فإن أوروبا ستكون كيانًا وحدويًا. الحقيقة البسيطة هي أنه لا يمكن أن يصبح كيانًا وحدويًا لأنه مصمم ككيان فيدرالي.

تم تقديم الاختلافات في النقاش النظري حول النظام الحكومي الدولي وتأثيره على التكامل الأوروبي من قبل ولفغانغ ويسلز وفريتز دبليو شاربف ، وهما صوتان ألمانيان في نقاش مع مساهمة أمريكية قوية. قدم ويسلز «فرضية الاندماج» ليقول إن ديناميكيات التكامل هي عملية بمرور الوقت تسعى فيها الحكومات إلى التكامل من أجل تحقيق الأهداف المشتركة للمشاكل المشتركة. لم يكن شاربف متحمسًا للطبيعة المتشابكة بين القرارات الحكومية وصنع القرار في الاتحاد الأوروبي. سيتم حل المشكلات المشتركة ، لكن النتيجة كانت دون المستوى الأمثل لأن كلا المستويين كانا محاصرين في طبيعة صنع القرار المشترك: «يمثل الترتيب» أفضل محلي «في حسابات التكلفة والعائد لجميع المشاركين الذين قد يكون لديهم القوة لتغييره. إذا كان الأمر كذلك ، فلا توجد طريقة «تدريجية» يمكن من خلالها أن تحول أنظمة القرار المشترك نفسها إلى ترتيب مؤسسي ذي إمكانات سياسية أكبر «.

٥. التكامل والنظرية في ضوء نظام حكم أوروبي حقيقي

شهد التفكير الأكاديمي في جودة الحوكمة في الاتحاد الأوروبي نموًا هائلاً في أعقاب معاهدة ماستريخت. أخيرًا ، تم تجميع فئة مركزية من سيادة الدولة على المستوى الأوروبي. لا يمكن أن يكون هناك شك في أن العملة الأوروبية الموحدة الناشئة لم تكن مجرد حدث اقتصادي وعلامة على «السياسة المنخفضة» ، حيث يحب الأكاديميون التقليل من شأن الأعمال اليومية للتكامل الأوروبي. كانت العملة الموحدة عملاً سياسيًا أساسيًا وتطلبت التعامل مع الاتحاد الأوروبي بجدية أكبر. ربط ليون ليندبرج وستيوارت شاينجولد ملاحظة عام ١٩٥٨ لإرنست هاس حول الطابع السياسي للمجتمع الأوروبي للفحم والصلب ، واقترحوا في عام ١٩٧٠ أنه يجب تعريف المجتمع الأوروبي على أنه «نظام حكم في أوروبا». مع ظهور الاتحاد الأوروبي في عام ١٩٩٣ ، لم تعد تلك المؤهلات النسبية قادرة على الصمود. لقد أصبح الاتحاد الأوروبي نظامًا سياسيًا ، كما توقع هاس بالفعل في اللحظات الأولى من المسار الذي سلكه التكامل الأوروبي أخيرًا.

توقع ليندبيرج وشينجولد «موضوعات أدبيات الحكم المتعددة المستويات اللاحقة» ونظروا في الطبيعة الديناميكية لعمل التكامل الأوروبي. لم يقدموا بعد نظرية تكامل أخرى. نظرًا لتأثرهم بنظرية النظام ، فقد طوروا مفهومًا لم يتم بموجبه تعريف الهيكل السياسي للمجتمع الأوروبي بمعايير ثابتة ، ولكن من خلال «تغيير النظام» الدائم. لقد ربطوا «الطلب» على التكامل ، والنطاق الوظيفي الحالي للجماعة الأوروبية ، وقدراتها المؤسسية ودرجة

الدعم النظامي بقضية القيادة المهمة سياسياً. إذا تم تقييم تفاصيل وآثار التكامل الأوروبي بشكل صحيح ، فسيتعين على البحث الأكاديمي النظر في فكرة «تغيير النظام». حتى تسعينيات القرن العشرين ، تم تحديد الحوكمة الأوروبية على أنها المتغير المتحرك والمستقل لعملية لا تزال تفتقر إلى الاعتراف فيما يتعلق بالمتغير التابع لها. لكن نهج الحوكمة متعدد المستويات الذي ظهر وبدأ أخيرًا في السيطرة على الأدبيات الأكاديمية حول التكامل الأوروبي في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين كان يعترف بالمتغير المرن الأصلي كما تم تحليله في نظرية الوظائف الجديدة لإرنست هاس: تم منح الاتحاد الأوروبي مكانة النظام السياسي في حد ذاته.

كان لهذا آثار متعددة. فتحت بحثًا حول الفاعلية في الاتحاد الأوروبي ، أي دوره الدولي وتأثيره كممثل حقيقي في العلاقات الدولية. لقد جلبت مجموعة متنوعة من الدراسات الثاقبة حول وضع جدول الأعمال ، وصنع السياسات ، وصنع القرار ، وشبكات السياسات ، والتفويض ، والمفهوم العقلاني القائم على الاختيار للعلاقة بين المبدأ والوكيل. وأيد الحاجة الملحة للتصالح مع «العجز الديمقراطي» في الاتحاد الأوروبي ، مهما كان هذا المصطلح يعني لعقول مختلفة. وتطلبت دراسة عن كثب لتداعيات التكامل الأوروبي على الهياكل المؤسسية والدستورية ووظائف الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي. بشكل عام ، تم تعريف البحث الأكاديمي حول التكامل الأوروبي طوال فترة التسعينيات من خلال «التجديد النظري» ، على حد تعبير بن روزاموند.

مع معاهدة ماستريخت والتطور اللاحق لسياسات الاتحاد الأوروبي ، دخلت مسألة الشرعية الديمقراطية إلى مركز الخطاب الأكاديمي وكذلك العام حول التكامل الأوروبي. لا يزال ملخص النتائج التي توصل إليها كارل دبليو دويتش وفريقه يستحق النظر فيه بعد حوالي خمسة عقود فيما يتعلق بالمعايير الرئيسية لتقييم النجاح أو الفشل المستقبلي للاتحاد الأوروبي كهيكل فيدرالي. تضمنت قائمة معايير كارل دويتش للحكم على النجاح والفشل في التكامل الإقليمي ما يلي:

- التوافق المتبادل للقيم الرئيسية.
- طريقة حياة مميزة.
- توقعات بروابط أو مكاسب اقتصادية أقوى.
- زيادة ملحوظة في القدرات السياسية والإدارية لبعض الوحدات المشاركة على الأقل.

- نمو اقتصادي متفوق من جانب بعض الوحدات المشاركة على الأقل.
- روابط غير منقطعة للتواصل الاجتماعي ، جغرافيًا بين المناطق وعلم الاجتماع بين طبقات اجتماعية مختلفة.
- توسيع النخبة السياسية.
- تنقل الأشخاص ، على الأقل بين الطبقات السياسية ذات الصلة.
- تعدد نطاقات الاتصالات والمعاملات.
- تعويض تدفقات الاتصالات والمعاملات.
- تبادل غير متكرر لأدوار المجموعة.
- القدرة الكبيرة على التنبؤ المتبادل للسلوك.

دعاة البناء الاجتماعي ، أحد أحدث العلامات التجارية للنظرية حول التكامل الأوروبي ، أخذوا بعض الاقتراحات الأصلية لـ Deutsch أكثر من خلال الإشارة إلى «تأثيرات تشكيل الهوية على الوكلاء الوطنيين» ، «التحول في ولاء الفاعلين» ، «ديناميكيات المجموعة ، «» الأعراف الاجتماعية»،» التعبئة الاجتماعية «و» التعلم الاجتماعي «. تتمثل إحدى السمات المثيرة للاهتمام التي تؤكد الأهمية المتزايدة للتعبئة الاجتماعية في عملية صنع القرار الأوروبي في حقيقة أن عدد مجموعات المصالح عبر الوطنية في بروكسل قد تزايد باستمرار منذ تأسيس المجموعة الاقتصادية

الأوروبية في عام ١٩٥٧: بعد خمسة عقود ، ٦٠ في المائة من حوالي ألف اتحاد أوروبي كان لها مقاعد في بروكسل ، إلى جانب ٢٥٠ شركة أوروبية لها مكاتب ضغط خاصة بها ، و ٢٨٥ شركة استشارية. لا يُقارن هذا كثيرًا بـ ٢٣٠٠٠ منظمة غير ربحية مسجلة في الولايات المتحدة أو ١٧٠٠ مجموعة منظمة في الدنمارك ، لكنها تشير إلى اتجاه . قد تكون أيضًا مسألة قياس ، لأنه تم تسجيل أكثر من ١٠٠٠٠ من جماعات الضغط في بروكسل ، على الرغم من معظمهم يمثلون شركة واحدة فقط أو هم الممثل الوحيد لمنظمتهم ، وبالتالي فهم غير مؤهلين كمجموعة مصالح عبر وطنية.

ومع ذلك ، لن يكون لأي من مجموعات الضغط الأوروبية أي تأثير دائم على أوروبا إذا لم يكن عملها مرتبطًا بتطور المؤسسات السياسية التي تتمتع بسلطات شرعية لصنع القرار.

٦. خاتمة

ستختلف الهياكل الفيدرالية دائمًا عن بعضها البعض. ومع ذلك ، فإن الأسباب الأساسية لصالح هذا الترتيب التعددي لممارسة السلطة ، والسلطة ، والحكم ثابتة: تعزيز السلام ، وتعزيز الرخاء الاقتصادي ، وحماية التنوع ، وتسهيل الالتزام المشترك ، وإبراز الاستقرار ، وتعزيز التأثير المشترك للأجزاء المكونة لـ الاتحاد. سيكون هناك دائمًا نقاش وخلاف حول الدرجة المناسبة لكيفية توزيع السلطة والسلطة والحكم في الفيدرالية.
لا يمكن للتعظيم الفعال للأفضليات أن يأخذ في الاعتبار المكاسب قصيرة الأجل فقط ، والوقت المخصص للتوصل إلى اتفاق واتخاذ قرار ، وشرعية المدخلات وعوامل المخرجات بقدر عملية وضع جدول الأعمال ، والمداولات ، وصياغة السياسات ، والسياسة -القرار والتنفيذ. يحاول البحث الأكاديمي حول «الفدرالية المالية» تحديد التوزيع الأمثل للسلطة وتنظيم الأفضليات وتوزيع الموارد. قد تكون الهياكل السياسية الموحدة مفيدة دائمًا فيما يتعلق بالسرعة وتنفيذ المعايير والقانون. هذا لا يمكن أن يكون بمثابة حجة لتعزيز عملية صنع القرار المركزية وتخصيص القواعد في الاتحاد الأوروبي. كما أنها ليست حجة وقائية لأي من الدول الأعضاء المكونة لها للدفاع عن الأسبقية الوطنية من حيث المبدأ. فيما يتعلق بالمؤشرات الحاسمة لكيان سياسي ناجح ، سوف يسود موازنة مستمرة للخيارات. سيظل ولاء مواطني الاتحاد الأوروبي المصدر الأساسي للاستقرار. فقط الاتجاهات الاقتصادية الديناميكية وتطبيق مبدأ التبعية سيعزز توزيع السلطة. فقط الديمقراطية الشاملة والمعيارية والواعية ستكون قادرة على مواجهة تحديات التنوع الثقافي والتعددية المعيارية. هذه بعض الموضوعات التي يجب أن توجه الأبحاث حول الحوكمة الأوروبية نفسها إليها. إنها علائقية مثلها مثل جميع موضوعات النظرية الديمقراطية وبناء النظام. وكلما زاد تركيز البحث على مسألة كيفية تعامل الاتحاد الأوروبي مع مثل هذه التحديات ، زاد وصف الاتحاد الأوروبي بأنه حالة طبيعية أقوى من أي وقت مضى بين الدول والدول في أوروبا وداخل المجتمع العالمي.
في ضوء الإجماع المفقود حول الاعتراف بالاتحاد الأوروبي كاتحاد فيدرالي ، فإنه من المدهش إلى أي مدى وصلت عملية التكامل التجريبية. يغذي هذا الشك في أن المفهوم البنيوي للفيدرالية له أيضًا معنى تكتيكي وبالتالي وظيفي. يتم استخدامه لصالح أو رفضًا قاطعًا لسياسات محددة أو طرق التفاوض أو حل النزاعات التي قد لا تعطي فقط إجابة لمسألة نزاع حقيقية ، ولكن يمكنها أيضًا تغيير معايير القوة والسلطة والحكم. كانت «أزمة الكرسي الفارغ» بين فرنسا وشركائها على

المستوى الأوروبي للحكم متعدد المستويات مثالاً مبكرًا على ذلك. كان «نقاش الخصم» بين المستوى الأوروبي للحكم متعدد المستويات في أوروبا وبريطانيا العظمى مثالاً آخر. كان الخلاف حول ترجيح الأصوات في المجلس بين دول أوروبية مختلفة ، مع وجود فرنسا وألمانيا في مقدمة مقعدي الفيتو ، مثالاً ثالثًا. لم يمنع أي من هؤلاء الاتحاد الأوروبي من إضفاء الطابع الدستوري على نفسه بشكل تدريجي ومتسق. لن تنبع حالة الاختبار النهائية لاعتراف الاتحاد الأوروبي وشرعيته من تماسك معاهداته الأساسية. ستكون حالة الاختبار النهائية للاعتراف هي درجة الولاء التي عبر عنها مواطنو الاتحاد الأوروبي.

سيظل إحساسهم بالملكية - أو الافتقار إلى ذلك - بمثابة «استفتاء شعبي» ، ينعكس ويقاس بشكل دائم من خلال نتائج مقياس يوروبارومتر واستطلاعات الرأي الأخرى. ولكن سيتعين أيضًا دراستها من خلال المزيد من الاتجاهات طويلة الأجل ، بما في ذلك أنماط التصويت. لا تزال ردود الفعل العكسية حتمية ، لكن كل إنجاز جديد سيعزز الوعد الأصلي بنظام جديد لأوروبا من خلال السلام والحرية والثراء والتضامن ، والانفتاح على العالم وعلى استعداد لتشكيل النظام العالمي مرة أخرى بالوسائل التي اكتسبها الاتحاد الأوروبي. بمرور الوقت ، ستعزز هذه العملية المعقدة والمتناقضة وغير المكتملة على الإطلاق «الميول الفيدرالية» التي كان كارل يواكيم فريدريش يدور في ذهنه عندما دعا إلى تغيير نموذجي في دراسة الفيدرالية الأوروبية الذي اكتمل أخيرًا مع نضوج الاتحاد الأوروبي إلى اتحاد فيدرالي.

دوسيه واقعي :

اعداد: د. طارق ياس

مصادر مخاوف روسيا من الناتو

الملخص
تحلل الورقة نظرة روسيا إلى توسع الناتو شرقاً. وتطور رد فعل روسيا على التوسيع من محاولات نزع فتيل الضرر المحتمل من خلال تعاون محدود إلى سياسات الاحتواء السلبية ثم النشطة. وقد أدى هذا الأخير إلى سلوك محفوف بالمخاطر فيما يتعلق بالتحالف وتركيز للجيش الروسي على الحدود الغربية. يمكن أن يساعدنا عاملين في تفسير تصور روسيا المتطور لحلف شمال الأطلسي من شريك محتمل إلى تهديد عسكري متجدد. التجربة التاريخية لرؤية الحلف، والغرب بشكل عام ، على أنه تهديد محتمل وتفاعل ما بعد الحرب الباردة مع الناتو الذي خدم لتقوية الإدراك المتطور تاريخيًا. اعتبارًا من اليوم ، تعلمت روسيا من تفاعلها مع الحلف أن الناتو لا يزال يمثل تهديدًا رئيسيًا للأمن القومي لروسيا ، وأنه من خلال توسع الحلف ، يسعى الغرب إلى ممارسة هيمنته الثقافية والاقتصادية والسياسية في أوراسيا.

| المقدمة

منذ قرار الناتو التوسع في عام ١٩٩٤، مرت علاقات روسيا مع الحلف بعدة دورات من الاستقرار والأزمات. ارتبطت الأزمتان الأوليتان بضربات الناتو الجوية ضد صربيا في عام ١٩٩٩ والنزاع الروسي _الجورجي في أغسطس / آب ٢٠٠٨، على التوالي. ترافقت كل أزمة مع انقطاع الاتصال المؤسسي والسياسي بين روسيا وحلف الأطلسي. تطورت الأزمة الثالثة في أعقاب ثورة الميدان الأوروبي في أوكرانيا وكانت الأسوأ في العلاقات بين روسيا وحلف الناتو. على عكس الأزمات السابقة، أدت الأزمة الثالثة إلى مراجعة السياسة العسكرية للتحالف وتصور روسيا ردًا على ضمها لشبه جزيرة القرم ودعمها للانفصاليين في شرق أوكرانيا. بدأت المراجعة خلال قمة ويلز في عام ٢٠١٤ وتم الانتهاء منها في قمة وارسو في يوليو ٢٠١٦. وساعدت قمة وارسو على إظهار وحدة الحلفاء في ردع التهديد من روسيا، ووافقت على نشر قوات إضافية في بولندا ودول البلطيق، و أوصى جميع أعضاء الناتو برفع الإنفاق الدفاعي إلى مستوى ٢٪ من ناتجهم المحلي الإجمالي. على الرغم من أن القمة شددت أيضًا على أهمية الحوار مع الكرملين، إلا أن الإجراءات والقرارات الرئيسية التي اتخذها التحالف تشير إلى تغيير نوعي في النظرة إلى روسيا. للمرة الأولى منذ نهاية الحرب الباردة، كان يُنظر إلى روسيا على أنها التهديد الرئيسي لأمن الغرب.

تتناول هذه الورقة الجانب الروسي في التدهور التدريجي للعلاقات مع الحلف الأطلسي. أنا أزعم أن خوف روسيا من الناتو نتج عن تصور دائم تاريخيًا عن التحالف باعتباره تهديدًا أمنيًا رئيسيًا ومن تصرفات الحلف التي أدت إلى إحياء مثل هذا التصور في موسكو بعد نهاية الحرب الباردة. رفض قادة التحالف باستمرار الاعتراف بروسيا كقوة لها مصالح مهمة في الأمن الأوروبي. و تم تجاهل احتجاجات الكرملين على توسع الناتو، بينما استمر التحالف في ضم أعضاء جدد (دولة البلطيق) وبناء بنية تحتية عسكرية جديدة على الأراضي المتاخمة لروسيا لاسيما فلندا وبعض دول الاتجاد السوفيتي

سابقاً. جنبًا إلى جنب مع استراتيجية تغيير النظام العالمي للولايات المتحدة والنقد المتزايد لسجل حقوق الإنسان في روسيا، أدت هذه التطورات تدريجياً إلى بناء تصور الناتو على أنه يخدم طموحات الهيمنة للحضارة الغربية بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص.

تُعرَّف الحضارة على أنها نظام للقيم المتميزة سياسياً وثقافياً، أو المعتقدات حول التنظيم المناسب للمؤسسات الإنسانية والسياسة الخارجية. في البداية، اعتبرت روسيا أن توسع الناتو خطأ مدفوعًا بجمود المنظمة، لكن التصور الأحدث للكرملين يخون الخوف من التحالف كمنظمة عسكرية هجومية تُستخدم لتحقيق الهدف الأكبر المتمثل في تفكيك النظام السياسي ونظام القيم في روسيا. تتمحور الحضارة الغربية حول النظام السياسي التنافسي والفردية، بينما تواصل روسيا والمجتمعات غير الغربية الأخرى الاعتماد على سلطة شديدة التركيز للسلطة التنفيذية. واليوم، تُكلف المؤسسات المسؤولة عن الدفاع عن روسيا من التهديدات الخارجية أيضًا بمهمة الأمن السياسي ومنع زعزعة الاستقرار من خلال «ثورة ملونة».

تساعدنا النظرية البنائية للعلاقات الدولية في فهم تصور روسيا من خلال الإشارة إلى مغزى «الآخر» في عملية تكوين الهوية الذاتية. بالنسبة لروسيا والغرب، أثبتت الحرب الباردة أنها حديثة جدًا لدرجة أنها لم تغير تصور كل منهما للآخر باعتباره تهديدات محتملة. تنظر البنائية إلى الإدراك باعتباره ظاهرة اجتماعية وليست موضوعية. يتم تعريف الإدراك من خلال المعتقدات الدائمة تاريخياً والممارسات الاجتماعية المتكررة وهو متجذر في التفاعلات الذاتية الأخرى. الحلفاء لفترة وجيزة فقط من الحرب العالمية الثانية والأعداء لما يقرب من نصف قرن، لم يتغلب الجانبان على بعض المفاهيم والقوالب النمطية القديمة. واصلت الولايات المتحدة عدم الثقة في روسيا وأصرت على إعادة تشكيل العالم وفقًا للصورة الأمريكية من خلال تعزيز المؤسسات الليبرالية الجديدة والسياسات الأمنية المتمركزة حول الناتو في أوروبا. أظهرت روسيا أيضًا عدم ثقة تجاه الغرب، حيث تصرفت على الرهاب القديم بشأن نوايا الغرب وسعت إلى احتواء «الهيمنة العالمية» للولايات المتحدة. في وقت مبكر من عام ١٩٩٧، أوصى مفهوم الأمن القومي للبلاد بأن تحافظ روسيا على مسافة متساوية في العلاقات مع «الفاعلين الاقتصاديين والسياسيين الأوروبيين والآسيويين العالميين» وقدم برنامجًا لتكامل جهود رابطة الدول المستقلة في مجال الأمن.

نظريات العلاقات الدولية الأخرى مفيدة لكنها غير كافية لتفسير تصور روسيا لحلف شمال الأطلسي باعتباره التهديد الرئيسي. قد يجد الواقعيون أنه من المحير أن الكرملين في التسعينيات لم يرَ تهديدًا عسكريًا خطيرًا قادمًا من التحالف الذي كان ينظر إليه إلى حد كبير على أنه منظمة سياسية ذات منظور غير كافٍ للإصلاح فيما يتعلق بتحديات ما بعد الحرب الباردة. بالإضافة إلى ذلك، حتى بعد أن أعلن الناتو رسميًا عن وجهة نظره بشأن روسيا باعتبارها التهديد الرئيسي وقراره ببناء قدراته العسكرية في بولندا ورومانيا ودول البلطيق، يصعب اعتبار الحلف أهم تهديد لأمن روسيا. . لم تمثل كتائب الناتو الأربع المقترحة على أساس التناوب تحديًا خطيرًا، وأدرك المحللون العسكريون أن الحلف لم يكن رادعًا فعالًا إذا اختار الكرملين مهاجمة دول أوروبا الشرقية المحددة.

الليبراليون أو أولئك الذين يؤكدون مخاوف نظام بوتين محقون في أن الناتو يمثل تهديدًا مناسبًا لاستغلاله لأغراض الاستقرار الداخلي، لكن الليبراليين يسيئون فهم نوايا النظام وتوقيت التعبئة المحلية القومية. يشير المستوى المعاصر للجاهزية العسكرية الروسية واستعداد الكرملين لتحمل مخاطر عالية، كما يتضح من الحوادث الخطيرة التي تورطت فيها الطائرات العسكرية والسفن البحرية الروسية وحلف

شمال الأطلسي، إلى أن موسكو تنظر إلى التحالف باعتباره تهديد أمني خطير. بالإضافة إلى ذلك، فإن الجدل حول تكتيكات الكرملين للتحويل لا ينطبق إلا على تطورات ما بعد عام ٢٠١٢ فيما يتعلق بسياسات بوتين الراسخة للقومية ومعاداة أمريكا وحرب المعلومات ضد الغرب.

ويتم تنظيم هذه الورقة على النحو التالي. يوضح القسم التالي إطار عمل فهم تشكيل الخوف الروسي من الناتو والتأكيد على دور التاريخ وأنشطة الحلف التي تساهم في الأزمات الثلاث في العلاقات الثنائية. يصف القسم التالي الأزمات باستخدام إطار العمل المقترح، ويركز الجزء الموضوعي النهائي على التطورات الأخيرة التي أعقبت الثورة الأوكرانية في الميدان الأوروبي وحتى قمة وارسو للتحالف في يوليو ٢٠١٦. ويلخص الاستنتاج التحليل والدروس المستفادة من قبل روسيا من تجربتها مع الناتو.

١. ١ البناء الاجتماعي لتهديد الناتو

يلعب مفهوم التهديد دورًا مركزيًا في نظرية العلاقات الدولية؛ لكن المدارس المختلفة تتعامل مع التهديد بشكل مختلف. بينما يميل الليبراليون إلى التأكيد على الطبيعة الذاتية والسياسية للتهديد وتشكيل السياسة الخارجية، اعتمادًا على تفضيلات القادة والخصائص الداخلية للنظام (دويل، ٢٠١٦) ، يحدد الواقعيون التهديد «بموضوعية»، من حيث حسابات القدرات العسكرية، والتوازن بين الهجوم والدفاع. والتحالفات وهيكل النظام الدولي. ينظر البنائيون إلى التهديدات من منظور اجتماعي، مؤكدين على التجربة التاريخية للعلاقات بين «الذات» و «الآخر». بمرور الوقت، تظهر بعض الدول أو المجتمعات الثقافية على أنها أكثر أهمية، ومن خلال هؤلاء «الآخرين» المهمين تحدد «الذات» الشخصية المناسبة وأنواع الإجراءات. يؤسس «الآخر» ذو الدلالة السياق الهادف لوجود «الذات». ومع ذلك، فإن «الذات» ليست متعلمًا سلبيًا وليس من المرجح أن تقبل رؤية تقوض نظام الإدراك والمعاني الثقافية الخاص بها الذي تم تطويره تاريخيًا. يخضع تقييم «الذات» لـ «الآخر» للتغيرات، اعتمادًا على استعداد «الآخر» لقبول تأثير «الذات». اعتمادًا على ما إذا كانت «الذات» تقرأ هذا التأثير باعتباره امتدادًا خاصًا أو إنكارًا لاعتراف «الذات»، فقد يولد إما أملًا أو استياءًا وإدراكًا للتهديد، وبالتالي يشجع أو يثبط عزيمة «الذات» على التصرف بشكل تعاوني.

في قلب نظرة الكرملين الحالية إلى حلف الناتو، يكمن التصور الأمني للحلف على أنه يعكس الدافع التوسعي الأبدي للحضارة الغربية ورغبته في تقويض روسيا باعتبارها البديل الآخر الذي يتمتع بقيم وأولويات دولية متميزة. إن العوامل الأساسية التي تفسر وجهة النظر هذه عن الحلف هي التصور المبني تاريخيًا عن الناتو وسياسات الحلف في أعقاب الحرب الباردة. سعت روسيا تاريخيًا إلى الاعتراف بها من قبل الغرب الآخر، لكن العدسات الثقافية الروسية تختلف عن نظيراتها في الدول الغربية، وفي غياب الاعتراف الخارجي، تواجه القيادة الإصلاحية في الكرملين تاريخيًا معارضة من دعاة أكثر دفاعًا وحزمًا.

يتعلق العامل الأساسي الذي حدد في البداية تصور روسيا لحلف الناتو بتجربة روسيا في التعاملات الأمنية مع الدول الغربية. قبل الحرب الباردة، تعاونت روسيا أحيانًا مع الغرب، لكنهما خاضا أيضًا حروبًا متعددة. أدت تجربة الحروب الدفاعية المتعددة إلى عقلية الدفاع الروسية أو الخوف الراسخ من التعرض للهجوم من الاتجاه الغربي. أدت التجربة السوفيتية إلى تفاقم مشكلة انعدام الأمن من خلال إضافة بُعد المواجهة الأيديولوجية والنضال من أجل البقاء الوجودي إليها. بالنسبة لروسيا، كانت الحرب الباردة تدور حول السيادة والاستقلال عن الضغوط الأجنبية. في السرد الروسي للاستقلال، نجحت الدولة في

مقاومة الغزوات الخارجية من نابليون إلى هتلر. كان يُنظر إلى الناتو على أنه تهديد آخر لاعتماد روسيا، واقترح رجال الدولة السوفييت، مثل نيكيتا خروتشوف وميخائيل جورباتشوف، حل الناتو وحلف وارسو كطريقة لإنشاء أسس أمنية جديدة. أصر قادة روسيا ما بعد الاتحاد السوفيتي أيضًا على أن الناتو قد عفا عليه الزمن، واعتبر الكثيرون في روسيا توسيع الناتو عملية من شأنها أن تحرم روسيا من صوتها في النظام العالمي الجديد.

العامل الثاني يتعلق بسياسات الناتو والولايات المتحدة بعد نهاية الحرب الباردة. في حين أن تاريخ التفاعلات الأمنية يحدد أساس تصور روسيا للتحالف، فإن سياسات الغرب الأحدث تساعد في تفسير إحياء تصور التهديد لحلف الناتو وديناميكيات تصعيده. في البداية، بعد نهاية الحرب الباردة، ضعف مثل هذا التصور بسبب ما بدا أنه حقبة جديدة لبناء علاقات بناءة بين الجانبين، لكن تصور التهديد لم يختف تمامًا. سعت موسكو إلى الاندماج مع المؤسسات الاقتصادية والسياسية الغربية، لكنها سرعان ما تعثرت في قرار الغرب بتوسيع الناتو شرقًا. وألغى القرار آمال موسكو في تحويل التحالف إلى تحالف غير عسكري وعزز الإحساس بأن روسيا لم تقبل من الغرب. أدت التدخلات العسكرية للغرب في يوغوسلافيا وأماكن أخرى إلى تفاقم مخاوف روسيا التاريخية من التحالف وأدت إلى الشعور بالضجر من الفخر القومي، مما دفع الكرملين إلى حشد المشاعر المعادية للغرب في الداخل.

كان استعداد الجمهور الروسي لإحياء صورة التهديد الغربي واضحًا من فوز فلاديمير جيرينوفسكي في الانتخابات البرلمانية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٣ بواسطة القوائم الحزبية. وطالب جيرينوفسكي الدولة بتقديم دعم أكبر للجيش وتقوية العلاقات مع الغرب. كان على وزير الخارجية الروسي الليبرالي، أندريه كوزيريف، الاستجابة للضغوط المحلية المتزايدة من خلال اقتراح إعادة بناء الوجود العسكري الروسي في أوراسيا، ودعم الحرب في الشيشان، ورفض المشاركة في الشراكة من أجل السلام التي وضعها الناتو. سعى الرئيس بوريس يلستين أيضًا إلى تحسين علاقاته مع الجيش والأجهزة الأمنية، وفي نهاية المطاف عين الناقد الرئيسي للغرب، يفغيني بريماكوف، وزير الخارجية الثاني لروسيا. ومع ذلك، لا يزال الناتو لا يأخذ روسيا على محمل الجد وينفي مخاوف الكرملين على أنها لا أساس لها ولا تستحق الاهتمام.

استجابةً لشعور الغرب بالإذلال المتزايد، تغير الكرملين من موقف تعاوني إلى موقف دفاعي بشكل متزايد ثم حازم. في تسعينيات القرن الماضي وأوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، بسبب الفوضى الداخلية والفقر، افتقرت روسيا إلى الثقة ولم تستطع الانخراط في أعمال حازمة. كانت أضعف من أن تمنع سياسة التوسيع وكانت تعمل على إشراك الناتو في المشاريع الأمنية ذات الأهمية المشتركة مثل مكافحة الإرهاب. في أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ظهر الكرملين باعتباره أكثر ثقة واستعدادًا لاتخاذ إجراءات استجابة لما يُنظر إليه مسبقًا على قيم ومصالح روسيا. مع استمرار التحالف الأطلسي في التوسع واستخدام القوة، بما في ذلك ضد صربيا التاريخية والثقافية لروسيا، أصبح تصور الكرملين أكثر عسكرة. بعد استراتيجية الولايات المتحدة لتغيير النظام العالمي، طور قادة روسيا وجهة نظر مفادها أن الغرب يسعى من خلال الناتو إلى تفكيك النظام السياسي والقيم الروسية.

١. ٢ الأزمات الثلاث بين روسيا والناتو ماقبل ازمة اجتياح اوكرانيا

منذ منتصف التسعينيات، تطور تصور روسيا لحلف الناتو استجابة لسياسات الحلف، مما أدى إلى

عدة أزمات في العلاقات بين الجانبين. على الرغم من رد الفعل السلبي الساحق على قرار توسيع الحلف، كان قادة روسيا في البداية يركزون بشكل أساسي على تقليل الأضرار المحتملة من توسيع العلاقات مع الغرب. ساعدته سمعة بريماكوف كمدافع قوي عن المصالح الوطنية على التكيف مع الواقع الجديد من خلال إقامة علاقات دبلوماسية وسياسية أوثق مع التحالف. وكانت النتيجة «القانون التأسيسي للعلاقات والتعاون والأمن المتبادلين بين روسيا وحلف شمال الأطلسي» الموقع من قبل الجانبين في مايو ١٩٩٧م، والذي اعتبرته روسيا شبه مؤسسية لعلاقاتها مع الحلف. حصلت روسيا على فرصة للانضمام إلى الناتو في هيئة منشأة خصيصًا، وهي المجلس المشترك الدائم، للتشاور وعند تخصيصها للمشاركة في صنع القرار والإجراءات المشتركة. في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٧، أشار بريماكوف في خطابه أمام مجلس الدوما إلى قانون التأسيس باعتباره إنجازًا رئيسيًا ودليلًا على اختلاف روسيا في تحقيق أهدافها الخاصة. تمتلك روسيا الآن آلية للمشاورات الدائمة مع الحلف وتم نزع فتيل مسألة توسعها إلى حد كبير في السياسة الداخلية. أضاف التدخل الغربي في يوغوسلافيا في مارس ١٩٩٩ إلى العلاقات بين روسيا والناتو بُعدًا جديدًا لاستخدام القوة مما ساهم في عسكرة التصور الروسي. ما أدى إلى تفاقم المشكلة أكثر هو استخدام هذه القوة ضد حليف روسيا التقليدي السلافي / الأرثوذكسي دون استشارة الكرملين. تضمن رد الفعل الرسمي لروسيا بيانًا بشأن عدوان الناتو الذي ينتهك اختصاص الأمم المتحدة، وقانون هلسنكي بشأن الحفاظ على السيادة، وتعليق المشاركة في اتفاقية التأسيس، وسحب المهمة العسكرية من بروكسل، وأمر ممثلي الناتو بمغادرة روسيا. يعكس رد الفعل هذا المواقف السلبية تجاه التحالف الغربي داخل كل من المجتمع الروسي ومجتمع السياسة الخارجية. اعتقدت الغالبية العظمى أن الإجراءات الغربية كانت مدفوعة بإظهار القوة وطموحات الهيمنة، وليس المخاوف بشأن تصرفات ميلوسوفيتش ضد ألبان كوسوفو. فشل البرلمان الروسي في الحصول على أصوات قليلة فقط في قرار دعم قبول صربيا في اتحاد سياسي وعسكري مع روسيا. بين عامة الناس، عارض حوالي ٩٠٪ قصف الناتو لبلغراد وشعروا بالتهديد من تصرفات الحلف.

أظهرت التطورات اللاحقة أنه على الرغم من جهود بريماكوف للتوصل إلى تفاهم جديد مع الناتو أدى إلى التفاوض على قانون التأسيس مع الحلف، فإن غالبية الطبقة السياسية الروسية عادت إلى النظر إلى التحالف في الغالب من الناحية العسكرية. يُنظر الآن إلى التهديد الخارجي الرئيسي على أنه من الناتو، على الرغم من أن العديد من المحللين كانوا ينظرون إلى الصين على أنها تهديد مماثل. بعد الحرب في يوغوسلافيا، اعتبر الكثيرون كوسوفو الآن نموذجًا لاستراتيجية الناتو المستقبلية. وقد وجد ذلك انعكاسه في مقترحات زيادة ميزانية الدفاع. أكدت المسودة العسكرية الجديدة على أن التهديد بالعدوان المباشر على روسيا وحلفائها لا يمكن ردعه إلا من خلال ممارسة سياسة خارجية نشطة والحفاظ على الاستعداد العالي للقوات التقليدية والنووية. كما اقترح مجلس الأمن تمديد وتحديث الأسلحة النووية الاستراتيجية والتكتيكية. في هذا السياق، جادل الكثير ضد التصديق على معاهدة ستارت.

في أواخر عام ٢٠٠١، دعا الأمين العام لحلف الناتو اللورد روبرتسون، بدعم من الرئيس بوش ورئيس الوزراء توني بلير، إلى فكرة منح روسيا مكانة مساوية لأعضاء الحلف الدائمين التسعة عشر، بما في ذلك حق النقض (الفيتو) على قرارات معينة. تمثلت إحدى الخطوات المهمة في هذا الاتجاه في إنشاء مجلس الناتو وروسيا الجديد في قمة ٢٨ مايو / أيار ٢٠٠٢ في روما للتشاور حول المبادئ الأمنية والعمل ضد التهديدات المشتركة. حتى أن

الإعلان الأمريكي الروسي المشترك في القمة نص على «علاقة إستراتيجية جديدة» بين البلدين.
ومع ذلك، بعد عام ٢٠٠٣ بدأت العلاقة تتدهور بشكل واضح. بالإضافة إلى الانسحاب من معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية، اتخذت الولايات المتحدة خطوات لتعزيز بنيتها التحتية العسكرية بالقرب من حدود روسيا، مما أثار المزيد من الشكوك في موسكو. على الرغم من تأسيس مجلس روسيا والناتو، فإن الجانبين يعاملان بعضهما البعض مرة أخرى كأعداء محتملين وليس شركاء، ولم تفعل واشنطن الكثير لدمج روسيا في المؤسسات الأمنية الغربية أو معالجة مخاوفها. لم تتوقف الولايات المتحدة فقط عند موجتين من توسع الناتو حدثا بالفعل على الرغم من معارضة روسيا، ولكنها عملت أيضًا على توسيع عضوية الناتو لتشمل دول الاتحاد السوفيتي السابق مثل أذربيجان وجورجيا وأوكرانيا. خلال عامي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤، خضعت جورجيا وأوكرانيا أيضًا لثورات ملونة ساعدتها استراتيجية التحول الديمقراطي العالمية للولايات المتحدة والمنظمات غير الحكومية الغربية التي تعمل ضد الحكومات الحالية. على الرغم من أن المسؤولين الروس مثل وزير الخارجية سيرجي لافروف حذروا من أن احتمال دخول أوكرانيا وجورجيا إلى الناتو من شأنه أن يؤدي إلى «تحول جيوسياسي» هائل يتطلب من موسكو «مراجعة سياستها»، إلا أن واشنطن أخذت هذه التحذيرات باستخفاف وواصلت للعمل من أجل عضوية البلدين على الرغم من معارضة روسيا.
لقد نظر الكرملين إلى هذه التطورات على أنها انحراف عن الحرب على الإرهاب وليست مساهمة فيها وتأكيدًا على أن التحالف الأطلسي كان بالفعل يهدد أمن روسيا. ردًا على أنشطة الناتو، التي قد يراها الكرملين على أنها ضارة محتملة، أعلن الرئيس بوتين قراره بإعلان وقف تنفيذ معاهدة القوات التقليدية في أوروبا. كان قرار بوتين يعني أن روسيا ستكون خالية من قيود القوات التقليدية في أوروبا فيما يتعلق بتحركات القوات التقليدية داخل الأراضي الروسية. بالإضافة إلى ذلك، بدأوا في روسيا يعتقدون أن جهود الترويج للديمقراطية الغربية كانت مؤامرة للإطاحة بالحكومة المنتخبة بشكل شرعي في موسكو. في سياق التصور التقليدي لانعدام الأمن، اعتبر الكرملين التغييرات السياسية في جورجيا وأوكرانيا بمثابة حصان طروادة لإدخال هذه الدول في التحالف الأطلسي ودفع روسيا في اتجاه تغيير النظام.
كان هذا التصور الأمني عن التغيير السياسي في قلب الصراع بين روسيا وجورجيا. بالإضافة إلى تنامي عدم الاستقرار في المنطقة، أضافت الثورات الملونة إلى التصور داخل الكرملين بأن الهدف الرئيسي لواشنطن كان في الواقع تغيير النظام في روسيا. على الرغم من ضعف الدعم الشعبي للثورة، إلا أن التقنيين السياسيين في الكرملين أخذوا التهديد. مع العلم بجدية أن النخب المؤثرة في الولايات المتحدة حافظت على اتصالات مع بعض المنظمات الراديكالية في روسيا. على سبيل المثال، في أبريل ٢٠٠٧، أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية تقريرًا ينتقد بشدة النظام السياسي الروسي وتعهدت بتقديم مساعدات مختلفة لـ «المنظمات الديمقراطية» داخل البلاد. رداً على ذلك، قام الكرملين بتدريب منظمات الشباب الخاصة به للدفاع عما يعتبره ديمقراطية روسية أصلية، وقيّد أنشطة المنظمات غير الحكومية الغربية والمعارضة المتطرفة داخل البلاد، وحذر الولايات المتحدة من التدخل في التطورات المحلية الروسية.
في أعقاب قمة الحلف في بوخارست في أبريل ٢٠٠٨، كررت روسيا التأكيد على أنها ستفعل كل ما في وسعها لمنع توسع الحلف وتمديد عضويته إلى جورجيا وأوكرانيا) . أدى التقدم الجيوسياسي للغرب إلى ما تعتبره روسيا تقليديًا في مجال مصالحها والرغبة التي عبرت عنها جورجيا وأوكرانيا

ما بعد الثورة للانضمام إلى التحالف الغربي، إلى تفاقم شعور روسيا بالضعف والعزلة تجاه الغرب. كما لخص بوتين (٢٠٠٨) تصور روسيا، «نحن ننظر إلى ظهور كتلة عسكرية قوية على حدودنا. . . كتهديد مباشر لأمن بلدنا. ولن يكون الادعاء بأن هذه العملية ليست موجهة ضد روسيا كافياً. الأمن القومي لا يقوم على الوعود «. كان رد فعل الجمهور أيضًا بأغلبية ساحقة تجاه توسع الحلفاء. قال ٧٤٪ من الروس الذين شملهم الاستطلاع في مارس ٢٠٠٨ أن انضمام أوكرانيا المحتمل إلى الناتو يشكل تهديدًا للأمن القومي للاتحاد الروسي، و ٧٧٪ عبروا عن موقف مماثل تجاه عضوية جورجيا المحتملة في المنظمة. بينما لم يخف مسؤولو الناتو والولايات المتحدة دعمهم لتبليسي ونادرًا ما ينتقدون تصرفات جورجيا علنًا، كانت روسيا تزيد من مساعدتها الاقتصادية والعسكرية لأبخازيا وأوسيتيا الجنوبية. كما أرسلت روسيا إشارات بأنها مستعدة للعمل على تطوير المواقف الانفصالية في أوكرانيا. كانت الرسالة الموجهة إلى جورجيا وأوكرانيا هي أن عضويتهما في التحالف قد تأتي فقط على حساب وحدة أراضيها. أدى قرار روسيا بخوض حرب مع جورجيا بشأن أوسيتيا الجنوبية واعتراف الكرملين اللاحق باستقلال أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية إلى الوفاء بوعود روسيا وأنهت الجدل حول الموجة الثالثة من توسع الناتو.

كان نزاع روسيا مع جورجيا في أغسطس ٢٠٠٨ ذروة الأزمة الثانية في العلاقات بين روسيا وحلف شمال الأطلسي، ومع ذلك فإن محاولات رئيس الولايات المتحدة باراك أوباما «لإعادة ضبط العلاقات» مع موسكو قدمت للكرملين فرصة جديدة لمعالجة تصوره الأمني.

بالفعل في يونيو ٢٠٠٨، صاغ الرئيس الروسي، دميتري ميدفيديف (٢٠٠٨ أ) ، منظورًا واسعًا لأوروبا «من فانكوفر إلى فلاديفوستوك»، واقترح معاهدة أوروبية جديدة بالكامل لإنشاء هيكل أمني جديد من خلال تجاوز توسع الناتو والصراع على كوسوفو. . في أعقاب النزاع مع جورجيا، طالب ميدفيديف (٢٠٠٨ ب) بتحسين إطار العمل الأمني في أوروبا. في تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٩، نشرت روسيا اقتراحها بشأن معاهدة أمنية جديدة من خلال التعهد بتقييد استخدامها من جانب واحد للقوة قانونًا مقابل قيام الدول الأوروبية والولايات المتحدة بالشيء نفسه. قدم الكرملين المسودة باعتبارها الوثيقة التي من شأنها «التخلص نهائيًا من إرث الحرب الباردة». كما تعاون الجانبان في الإمدادات العسكرية لأفغانستان وفي يناير ٢٠١٠ استأنفوا العلاقات العسكرية رسميًا بعد الانقطاع الناجم عن الحرب الروسية مع جورجيا في أغسطس ٢٠٠٨.

ومع ذلك، فإن الحوار الأمني الجديد مع أوروبا والولايات المتحدة لم يكن ناجحًا. استنفدت عملية إعادة التعيين جدول أعمالها إلى حد كبير بحلول عام ٢٠١١. في قمة الناتو لشبونة في نوفمبر ٢٠١٠، اقترحت الدول الغربية التركيز على التحديات الحديثة مثل الإرهاب والهجمات الإلكترونية، لكنها فشلت في الاستجابة بشكل إيجابي لاقتراح الأمن الروسي. وأشارت الدول الغربية كذلك إلى أنها تتوقع مزيدًا من التعاون من جانب روسيا على الصعيد العالمي، في حين أعرب الكرملين عن إحباطه مما اعتبره تعاونًا غير كافٍ من جانب الغرب. قلقًا بشأن خطط واشنطن لنشر عناصر من نظام الدفاع الصاروخي (MDS) في أوروبا، أصدر ميدفيديف (٢٠١٠) تحذيرًا من احتمال حدوث سباق تسلح جديد إذا فشلت روسيا والدول الغربية في الاتفاق على «آلية مشتركة كاملة» التعاون «في MDS. كما أظهر الرئيس علامات الإحباط بسبب عدم إحراز تقدم في مبادرته بشأن الأمن الأوروبي. وزادت الخلافات الروسية والغربية بشأن الشرق الأوسط من إحساس الكرملين بالضعف الاستراتيجي. اعتبر الكثيرون في الكرملين الربيع العربي وما تلاه من عدم الاستقرار في مصر وليبيا وسوريا على أنه استمرار للثورات

الملونة في جورجيا وأوكرانيا وكانوا مقتنعين بأن التهديد الحقيقي لروسيا يتعلق بمحاولات الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي للتغيير. الأنظمة في جميع أنحاء العالم.

وفيما يتعلق بالكرملين، فإن تصور الولايات المتحدة للتخطيط للإطاحة ببوتين كان مؤكدًا من خلال الانتقادات المتزايدة اللاحقة للنظام السياسي الروسي من قبل واشنطن ودورها في الأزمة الأوكرانية في أوائل عام ٢٠١٤. ونادرًا ما شارك أعضاء إدارة أوباما في انتقاد روسيا تحت قيادة ميدفيديف خلال عامي ٢٠٠٩ و ٢٠١١، حيث عملت الولايات المتحدة على تعزيز العلاقات معه على حساب بوتين. ومع ذلك، ازدادت حدة هذا النقد منذ إعادة انتخاب أوباما كرئيس للولايات المتحدة. بالإضافة إلى انتقال السلطة إلى بوتين، وجدت واشنطن أنه من الصعب قبول سياسات الكرملين الجديدة. على وجه الخصوص، ردت الدول الغربية بشكل حاسم على محاولات بوتين إعادة تأكيد سلطتها في أوراسيا والشرق الأوسط. لكن الغرب والولايات المتحدة انتقدوا بشكل خاص ما اعتبروه علامات على فساد النظام وعدم تسامحه مع المعارضة. تتعلق الخلافات بتعامل الكرملين مع المتظاهرين مثل فرقة البانك بوسي ريوت، وقضية المحامي الروسي سيرجي ماغنيتسكي الذي كشف الفساد بين مسؤولي الدولة، لكنه اعتقل وتوفي أثناء الاحتجاز، وهو القانون الروسي الجديد ضد الدعاية «غير التقليدية». العلاقات الجنسية بين القاصرين «، والحرب الإعلامية المعادية للغرب التي أطلقتها وسائل الإعلام الروسية.

أصبح تصور الكرملين للتهديد من الثورة التي حرض عليها الغرب أقوى في سياق الاحتجاجات السياسية القوية على الانتخابات البرلمانية المزورة في ديسمبر ٢٠١١. رأى بوتين العديد من المتظاهرين ذوي الميول الغربية على أنهم غير وطنيين ويتبعون الأجندة السياسية والعسكرية للدول الغربية. كان رد فعله الأول هو اتهامهم بالعمل بالتنسيق مع الولايات المتحدة. نظر بوتين إلى ثورة الميدان الأوروبي في أوكرانيا على أنها ثورة حرضت عليها الولايات المتحدة وبعد سلسلة من الثورات الأخرى من صربيا في عام ٢٠٠٠ إلى الربيع العربي في عام ٢٠١١. وكان مقتنعًا بأن اتفاق التسوية بين الرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش والمعارضة في ٢١ فبراير، ٢٠١٤، بوساطة الاتحاد الأوروبي، انهار بسبب تدخل الولايات المتحدة. أدت الثورة الأوكرانية والدعم الغربي لها إلى حشد الدعم للفكر القومي والمعادي للغرب في روسيا. شمل التحالف الذي يقف وراء تدخل بوتين في شبه جزيرة القرم صقورًا أمنيين معروفين بعلاقاتهم الوثيقة مع بوتين ومعارضتهم الشديدة لتوسيع الناتو. بالتشاور الوثيق مع هذه المجموعة، اتخذ الرئيس الروسي قراره بشأن التدخل في شبه جزيرة القرم.

أقنع تدخل الناتو في يوغوسلافيا، وجولتي التوسع في أوروبا، والدعم السياسي لتغييرات النظام في أوراسيا، وقرار الولايات المتحدة بنشر عناصر من MDS في أوروبا، بوتين والوفد المرافق له بأن نظامهم كان أيضًا تحت التهديد. على الرغم من أن يانوكوفيتش ألغى خطط عضوية الناتو ووقع عقد إيجار طويل الأجل للقواعد العسكرية الروسية في شبه جزيرة القرم، ظل الكرملين متشككًا في أن رغبته في تعزيز العلاقات مع الاتحاد الأوروبي كانت طريقًا نحو الانضمام إلى التحالف العسكري الغربي. مع صعود تحالف أرسيني ياتسينيوك في كييف، كان لدى موسكو سبب للاعتقاد بأن كييف ستستأنف مساعيها للانضمام إلى الناتو وإدانة اتفاقية البحر الأسود التي سمحت لروسيا بالاحتفاظ بها في شبه جزيرة القرم حتى عام ٢٠٤٢. بالتدخل في شبه جزيرة القرم، كان بوتين فعليًا أقر بأن نفوذه ضد كييف - الذي يعتمد إلى حد كبير على إمدادات الغاز الطبيعي والعلاقات الشخصية مع البراغماتيين الأوكرانيين - لم يكن كافياً لضمان وضع أوكرانيا

المحايد والحفاظ على روسيا في البحر الأسود.
لم يتم حل كل من الأزمات الثلاث الموصوفة بالكامل من حيث معالجة انتقادات روسيا لتوسيع الناتو واستخدام القوة دون استشارة الكرملين. نجت مصادر التوتر هذه في العلاقات بين روسيا والغرب بينما تمت إضافة قضايا جديدة متفجرة سياسياً e الدعم الغربي للثورات الملونة وانتقادات متزايدة للتطورات السياسية الداخلية لروسيا. كانت هناك أيضًا خلافات متزايدة حول القضايا الدولية الأخرى بما في ذلك الشرق الأوسط، وجهود روسيا لتعزيز نفوذها في أوراسيا، والسيطرة على الأسلحة النووية، وانشقاق موظف وكالة المخابرات المركزية السابق إدوارد سنودن إلى روسيا. أدى الفشل في حل القضايا القديمة وظهور قضايا جديدة إلى تراكم التوترات في العلاقات بين روسيا والغرب وجعل كل أزمة جديدة أكثر خطورة وخطورة من السابقة.

١. ٣ الخطوط الحمراء بعد أوكرانيا

بعد كل أزمة مع روسيا، استغرق التحالف الأطلسي حوالي عامين لاستئناف تعاونه العسكري مع قيادة البلاد. في أواخر عام ٢٠٠١، حاول الناتو إشراك موسكو في الأنشطة العسكرية في أعقاب أزمة يوغوسلافيا، وفي يناير ٢٠١٠ أعاد التحالف رسميًا العلاقات العسكرية مع الكرملين في أعقاب النزاع بين روسيا وجورجيا. ومع ذلك، قطع الحلف عن هذا النمط في أعقاب أزمة ثورة الميدان الأوروبي في أوكرانيا. أعجب بضم روسيا لشبه جزيرة القرم ودعمها للانفصاليين الأوكرانيين، تحرك الناتو في اتجاه تعزيز قدرته الدفاعية على حساب روسيا وردع جيشها في حالة وقوع هجوم محتمل ضد أعضاء التحالف الضعفاء، وعلى الأخص دول البلطيق.
تعلق النقاش السائد داخل الناتو ووزارة الدفاع الأمريكية بدوافع وتكتيكات الأعمال العسكرية الروسية باستخدام مفهوم «الحرب المختلطة». افترض هذا المفهوم قدرة موسكو المطورة حديثًا على الجمع بين القوة العسكرية التقليدية والجهود السرية لتقويض حكومة معادية، مع عرض الأخيرة في شبه جزيرة القرم وأوكرانيا الشرقية. بينما كانت موسكو تستعد لمواجهة عسكرية محتملة مع كييف من خلال تركيز القوات الروسية على الحدود الجنوبية لأوكرانيا، كان الناتو يستعد للهجوم العسكري الروسي ضد الغرب. وشملت الإجراءات التي قامت بها روسيا والتي تسببت في مخاوف الغرب حرب الكرملين في جورجيا في عام ٢٠٠٨ والتدريبات العسكرية الضخمة في منطقة البحر الأسود في عام ٢٠١٣ التي جرت قبل ثورة يوروميدان في أوكرانيا. في أعقاب الأزمة الأوكرانية، أجرت روسيا تمرينًا كبيرًا، «زاباد» في منطقة البلطيق في يونيو ٢٠١٤، «فوستوك» بمشاركة أسطول المحيط الهادئ الروسي في سبتمبر ٢٠١٤، وتدريبات عسكرية مهمة أخرى تراوحت الإجراءات المضادة التي اقترحها قادة حلف الأطلسي من بناء القدرة الدفاعية على الحدود الغربية إلى تسليح كييف بنشاط والاستعداد لمواجهة روسيا إذا اختارت التصعيد في أوكرانيا. على وجه الخصوص، دافع القائد الأعلى لقوات الناتو في أوروبا الجنرال فيليب بريدلوف عن النهج الأخير، حيث ضغط بشكل خاص للضغط على الرئيس باراك أوباما.
ساد نهج الدفاع الغربي وتم التعبير عنه في قرارات الحلف. بالإضافة إلى التوحيد نظرًا لأن روسيا تمثل تهديدًا عسكريًا، فإن هذه القرارات تتعلق بحركة القوات والبنية التحتية العسكرية والتدريبات والإنفاق الدفاعي وقبول أعضاء الناتو الجدد. خلال قمة الحلف التي عقدت في ويلز في سبتمبر ٢٠١٤، وصف الأمين العام المنتهية ولايته أندرس فوغ راسموسن الدولة الإسلامية وروسيا باعتبارهما أكبر التهديدات للسلام العالمي. وطمأنت القمة أعضاء دول أوروبا الشرقية على التزام الحلف بالدفاعات الجماعية وتطوير خطة عمل للجاهزية تضمنت التناوب المستمر للقوات

الجوية والبرية والبحرية في المنطقة. تم تعزيز قدرة الناتو بشكل أكبر من خلال إنشاء قوة مهام مشتركة عالية الاستعداد قادرة على نشر حوالي ٤٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ جندي في غضون يومين إلى خمسة أيام (كيرنز، ٢٠١٤) . في ديسمبر ٢٠١٥، وافقت وزارات الدفاع في دول الناتو على خطة العمل المقترحة كطريقة للرد على «الحرب المختلطة» الروسية. ودعوا أيضًا الجبل الأسود (تشيرنوغوريا) للانضمام إلى التحالف. أخيرًا، في قمة وارسو في يوليو ٢٠١٦، قرر الناتو نقل أربع كتائب إلى بولندا ودول البلطيق لتتمركز هناك إلى الأبد على أساس التناوب. كما أجرى التحالف أيضًا تدريبات عسكرية مكثفة في أوروبا الشرقية شارك فيها بحلول مايو ٢٠١٦م ١٥٠٠٠ جندي من ١٩ دولة. في يونيو ٢٠١٦، أجرى التحالف محاكاة دفاعية إضافية ضد روسيا عُرفت باسم أناكوندا، وهي أكبر مناورة عسكرية منذ نهاية الحرب الباردة شارك فيها حوالي ٣١٠٠٠ جندي وآلاف المركبات القتالية من ٢٤ دولة. في أكتوبر ٢٠١٧، أجرى الناتو تدريبات عسكرية في البحر الأسود ومناورة نووية في ألمانيا وبلجيكا. في موسكو، كان يُنظر إلى هذه التصرفات من قبل الناتو على أنها تأكيد على أن الحلف كان أداة للتوسع الغربي على حساب روسيا. عزز الدعم الغربي لثورة الميدان الأوروبي في أوكرانيا والعقوبات المفروضة على الاقتصاد الروسي، مصحوبة بالتحضيرات للرد العسكري على «الحرب الهجينة» الروسية، التصور السائد في الكرملين ومجتمع السياسة الخارجية بأن الغرب يستعد لمهاجمة روسيا من أجل مكانة في الدفاع عن مصالحها الوطنية. على حد تعبير سكرتير مجلس الأمن نيكولاي باتروشيف، «تأكيدات بعض القادة الغربيين بأن الناتو هو تحالف دفاعي لا يخدم إلا تغطية الطبيعة العدوانية للحلف». في مكان آخر، صرح باتروشيف (٢٠١٥) أيضًا أن الناتو والولايات المتحدة يفكران في تقطيع أوصال أراضي روسيا لتحقيق أهدافهما في السيطرة على العالم. وفقًا لممثل روسيا في الناتو ألكسندر جروشكو (٢٠١٦) ، فإن قرار الحلف المتمركز في دول البلطيق على أساس التناوب كان مجرد وسيلة للبقاء هناك بشكل دائم في انتهاك للاتفاقيات السابقة. وقد خدم هذا التوسع العسكري الغرض من تعزيز التهديد الروسي من أجل السيطرة على القارة الأوروبية. جادل Grushko (٢٠١٤) كذلك بأن هذا الدمج سيتطلب تبريرًا أيديولوجيًا و «شيطنة المنافس» في وسائل الإعلام.

لذلك كان الكرملين مقتنعًا بأن الأزمة في أوكرانيا لم تكن سوى ذريعة لتصنيف الغرب الصريح لروسيا على أنها التهديد الرئيسي. عبّر المسؤولون الحكوميون وأعضاء مجتمع الخبراء بشكل متكرر عن وجهة نظر مفادها أن أي توقعات لتطبيع العلاقات مع الناتو ستكون غير واقعية. في حين أن الحوار مع الحلف أمر مهم للمحافظة عليه، فإن الأشكال القديمة مثل مجلس روسيا والناتو تجاوزت الغرض منها. على سبيل المثال، بينما كانت روسيا وحلف الناتو يستعدان للاجتماع لمناقشة خلافاتهما بعد قمة وارسو، شكك بعض الخبراء الروس البارزين في الفكرة. وهكذا، جادل الرئيس الفخري للمجلس الروسي للسياسة الخارجية والدفاعية سيرجي كاراجانوف (٢٠١٦) بأن مجلس روسيا والناتو «لم يعد هيئة شرعية» لأنه أثبت أنه «غطاء لإضفاء الشرعية على توسع الناتو». من وجهة نظر الخبير، أصبح الناتو منذ إنشائه في عام ١٩٩٧ «تحالفًا مختلفًا نوعياً» يبتعد عن كونه «تحالفًا دفاعيًا للقوى الديمقراطية». تماشياً مع وجهة النظر هذه، كان الخبراء في نادي فالداي، مركز الأبحاث الرائد في السياسة الخارجية في روسيا، يقدمون الآن بانتظام في أوروبا وفي جميع أنحاء العالم عدم ثقة روسيا في حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة ومواجهتهما كـ «معيار جديد».

وجد هذا التصور من قبل روسيا تعبيره في الوثائق الرسمية. تم تصنيف العقيدة العسكرية الجديدة التي وافق عليها مجلس الأمن في ١٩ كانون الأول

(ديسمبر) ٢٠١٤ ضمن التهديدات الرئيسية: «تعزيز القدرة العسكرية من قبل الناتو؛ قيامها بمهام عالمية ومحاولات لحلها في انتهاك للقانون الدولي؛ وتوسيع البنية التحتية العسكرية لحلف الناتو باتجاه حدود الاتحاد الروسي، بما في ذلك عن طريق زيادة عضوية الحلف «. بالإضافة إلى ذلك، حددت الوثيقة على أنها تهديدات رائدة في تطوير ونشر MDS، والتطرف العالمي (الإرهاب) ، و «تأسيس داخل الدول المتاخمة للاتحاد الروسي لأنظمة تهدد مصالح الاتحاد الروسي بما في ذلك عن طريق الإطاحة بالهيئات الشرعية لسلطة الدولة. » تعزز النقطة الأخيرة وجهة النظر القائلة بأنه في ذهن الكرملين، يُنظر الآن إلى الأنشطة السياسية والعسكرية الغربية على أنها مجرد جانبين من نفس عملية التوسع الحضاري للغرب. حددت استراتيجية الأمن القومي المتجددة (٢٠١٥) أيضًا على أنها التهديدات الرئيسية للأنشطة العسكرية لحلف الناتو ومحاولات الولايات المتحدة والغرب للحفاظ على الهيمنة الاقتصادية والسياسية والعسكرية العالمية. أكد المفهوم الجديد للسياسة الخارجية (٢٠١٦) ، الذي وقعه بوتين في ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦، على أهمية الدفاع عن التميز الثقافي للبلاد في سياق التحديات الدولية الجديدة ومحاولات الولايات المتحدة للحفاظ على الهيمنة العالمية. افترضت الوثيقة «حق روسيا في الرد الصارم على الإجراءات غير الودية، بما في ذلك من خلال تعزيز الدفاع الوطني وتنفيذ تدابير متماثلة وغير متكافئة».

كانت الاستعدادات العسكرية الروسية متسقة مع التصور المحدد للتهديد وسعت لاحتواء ما كان يُنظر إليه على أنه مزيد من التعدي من قبل الناتو والغرب. بينما كان حلف الأطلسي قلقًا بشأن حماية دول البلطيق من هجوم الكرملين المحتمل، كانت روسيا تخشى على أمن جيبها في كالينينغراد. ردًا على الحشد العسكري لحلف شمال الأطلسي في بولندا وليتوانيا، ومحاولات سحب الدول المحايدة مثل فنلندا والسويد، ونشر MSD إضافيًا في أوروبا من قبل الولايات المتحدة، أشارت روسيا إلى أنها تدرس نشر صواريخ متقدمة ذات قدرة نووية في كالينينغراد و القرم بدلاً من تحدي الناتو في دول البلطيق، ركزت روسيا قواتها في مناطقها الجنوبية والغربية (٢٠١٦) . ردًا على ما اعتبرته مناورات عسكرية ودوريات جوية استفزازية للغاية، أجرت روسيا مناورات ضخمة خاصة بها وانخرطت في سلوك جريء غير متكافئ لاختبار صبر الغرب. كانت هناك العديد من الحوادث الخطيرة بين طائرات روسيا وحلف شمال الأطلسي منذ مارس ٢٠١٤ بما في ذلك «انتهاكات المجال الجوي الوطني، والتزاحم في حالات الطوارئ، والتصادم الجوي الذي تم تجنبه بصعوبة، والصدامات القريبة في البحر، ومحاكاة عمليات الهجوم وغيرها من الأحداث الخطيرة». في العديد من الحالات، كانت الطائرات الروسية قريبة بشكل غير معتاد من السفن الحربية الغربية معرضة لخطر كبير بسقوط ضحايا أو تدخل عسكري مباشر. في سبتمبر ٢٠١٧، أجرت روسيا مناورة عسكرية كبيرة في الجزء الغربي من روسيا وبيلاروسيا Zapad-٢٠١٧، تضمنت أكبر عدد حتى الآن من القوات والمركبات القتالية.

على الجبهة الدبلوماسية، سعت روسيا إلى منع التوسع المستقبلي للتحالف الأطلسي وتخفيف الضغوط الغربية من خلال إصدار بيانات تصالحية، وتطوير الاتصالات الثنائية مع الدول الأوروبية، وإشراك الولايات المتحدة في أعمال مشتركة في سوريا وأماكن أخرى. على وجه الخصوص، سعى الكرملين إلى طمأنة الأعضاء الأوروبيين من خارج الناتو موضحًا رد روسيا على تصرفات الحلف باعتباره دفاعيًا ويدعو إلى تطوير نظام أمن جماعي عالميًا وفي أوروبا في تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠١٥، تدخلت روسيا في سوريا وبدأت في تقليص خطابها بشأن أوكرانيا من أجل التواصل مع الولايات المتحدة. خلال ٢٠١٦ و ٢٠١٧، أدلى بوتين ببيانات متعددة أعرب فيها عن رغبته

في العمل مع الولايات المتحدة على الرغم من العقوبات الغربية ضد روسيا والتحقيقات في أنشطة القرصنة التي يقوم بها الكرملين في الولايات المتحدة، ومع ذلك، ظلت قضايا القرم وأوكرانيا عقبات رئيسية أمام تحسين العلاقات.

بناءً على تصور تطويق الحضارة الغربية، سعت روسيا إلى الدفاع عن نفسها ليس فقط على أسس عسكرية ودبلوماسية، ولكن أيضًا في مجال توطيد النظام. بدأ الكرملين في وضع روسيا كقوة لها خصائصها الخاصة منذ منتصف عام ٢٠٠٠ حيث فرض قيودًا على المنظمات الغربية غير الحكومية والمنظمات السياسية ووسائل الإعلام التي تنتقد الدولة. وقد تعززت هذه التطورات بعد عودة بوتين إلى الرئاسة في مارس ٢٠١٢ وخاصة بعد ثورة الميدان الأوروبي في أوكرانيا. قدم الكرملين الآن روسيا على أنها حضارة خاصة، ملتزمة بالدفاع عن قيم ومبادئ معينة تتعلق بالقيم والمبادئ الخاصة بالغرب. في إحدى خطاباته، أعلن بوتين (٢٠١٥ أ) أن «الرغبة في الاستقلال والسيادة في المجالات الروحية والأيديولوجية والسياسة الخارجية» هي «جزء لا يتجزأ من شخصيتنا الوطنية». تم تأطير دمج شبه جزيرة القرم أيضًا من حيث تعزيز «الأهمية الحضارية والمقدسة لروسيا» منذ قرون أصبح الكرملين منزعجًا بشكل خاص من التوسع الملحوظ للقيم الغربية ولم يعد من الممكن أن يكتفي بالخطوات الدفاعية، ولكنه أخذ زخمًا متزايدًا إلى الفضاء السياسي والإعلامي للغرب. من أجل حماية «السيادة الروحية» لروسيا، بدأت موسكو أيضًا في الدفاع عن نسختها الخاصة من إدارة المعلومات وأنشأت بنية تحتية للتأثير في تشكيل صورة روسيا في العالم. وفي الداخل، شدد الكرملين سيطرته على وسائل الإعلام المحلية وفضاء المعلومات. كما طورت موسكو علاقات أوثق مع تلك الحركات والسياسيين في الغرب الذين انتقدوا سياسات الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم وأشارت إلى الانفتاح على العمل مع دونالد ترامب، وهو من أشد المنتقدين لمؤسسة الولايات المتحدة ونظرتها للعالم. .

بشكل عام، لا تعني جهود روسيا للإشارة إلى رغبتها في إيجاد نمط جديد من التعايش مع الغرب أن رؤية الكرملين لحلف شمال الأطلسي والحكومات الغربية قد تحسنت. لا يزال الخوف من التحالف في الأوساط السياسية والاجتماعية الروسية راسخًا بعمق وسيستغرق وقتًا طويلاً لتغييره. من المرجح أن يكون التقدم في العلاقة بطيئًا وتدريجيًا.

١. ٤ الدروس التي تعلمتها روسيا

يعود خوف روسيا من الناتو إلى جذوره في تاريخ علاقات الدولة مع الغرب وقرارات الدول الغربية بعد الحرب الباردة التي عملت على تعميق انعدام الثقة والخوف المتجذرين تاريخياً من الحلف. في أوائل التسعينيات، نظرت روسيا إلى حلف الناتو على أنه تحالف من الديمقراطيات الغربية كانت تتطلع إلى الانضمام إليه. استمرت وجهة النظر هذه فقط قبل فترة وجيزة وانهارت بعد فترة وجيزة من بدء التحالف مناقشة إمكانية إدراج أعضاء إضافيين دون النظر في مثل هذه العضوية لروسيا. عدة جولات من توسيع الناتو، والتدخل العسكري في يوغوسلافيا، ونشر عناصر MDS في أوروبا الشرقية، فضلاً عن الدعم السياسي من الغرب لتغييرات النظام في أوراسيا، عملت جميعها على تحويل الكرملين إلى خوفه التقليدي من التحالف. بحلول عام ٢٠١٤، أصبح تصور موسكو للناتو دورة كاملة: فقد نظر إليه الكرملين مرة أخرى على أنه حدود عسكرية للغرب باستثناء هذه المرة وجدت روسيا نفسها على الجانب الآخر. لم يعد الكرملين حريصًا على أن يصبح جزءًا من الحضارة الغربية وبدلاً من ذلك سعى إلى حماية نفسه من التأثيرات الضارة

المحتملة للغرب. كأعداء يسعون إلى تدمير روسيا وقادتها. أظهر استطلاع للرأي أنه على الرغم من رغبة العديد من الروس في إقامة علاقات أوثق مع الغرب، فإن نسبة أولئك الذين صرحوا بأن لديهم أسبابًا للخوف من الناتو كانت ٥٧٪ . إذا لزم الأمر، لن يواجه الكرملين صعوبة جادة في حشد الدعم الشعبي لمواجهة عسكرية مع الغرب.

النظرية البنائية للعلاقات الدولية التي تؤكد على البحث عن الاعتراف بالنفس من قبل الطرف الآخر توفر الأساس لشرح التعقيدات الموصوفة لتصور روسيا وخوفها من الناتو. لعبت العوامل الإضافية لانعدام الأمن العسكري والسياسة الداخلية لروسيا، كما أبرزتها الواقعية والليبرالية، دورًا هامًا ولكنه ثانوي. كان لكلا العاملين أهمية في السياق الأوسع الذي حدده تاريخ وسياسة العلاقات بين روسيا والناتو. كما كتب أحد المحللين، «في روسيا، يتم تصوير الناتو بشكل دوري على أنه تهديد عسكري. . . . من الناحية الواقعية، هذا ليس عسكريًا. . . . بالنسبة للكثيرين في الكرملين وبالقرب منه، تواجه روسيا تهديدًا حقيقيًا، لا تتحمله الدبابات والصواريخ، ولكن التأثيرات الثقافية والضغط الاقتصادي والاختراق السياسي. وهذا، في نظرهم، تهديد حضاري يهدف إلى جعل روسيا دولة متجانسة ومحايدة وخاضعة للرقابة «. لم يكن تصور التهديد العسكري المتزايد من جانب الكرملين ليتطور لولا تصرفات الناتو وقراراته التي همشت روسيا من المشاركة في تشكيل الأمن الأوروبي. السياسة المحلية أيضًا لم تكن هي العامل الدافع، ولم تكن لتبرز بشكل كبير لو لم تشعر روسيا بالتهديد من الإستراتيجية الغربية لتغيير النظام.

علمت قصة روسيا والناتو الكرملين درسين أساسيين. الأول هو تلك القوة إما عند تطبيقها بشكل مباشر، كما هو الحال في جورجيا، أو إظهارها، كما هو الحال مع حراسة الحدود الغربية لروسيا، وهي مهمة بشكل كبير في ردع تحالف الأطلسي عن التوسع. يفترض المخططون العسكريون وصانعو السياسة الروس الآن أن الطريقة الوحيدة لوقف تعدي الناتو على المجالات المتصورة لتأثير روسيا هو الإشارة بوضوح إلى الخطوط الحمراء والتصرف بصرامة للدفاع عن مصالح روسيا كما حدث فيما يتعلق بجورجيا وأوكرانيا. أوضحت موسكو أنها لا تخشى المخاطرة إذا كان هذا هو المطلب لفرض تعريفها للمصالح الجيوسياسية الأساسية. الدرس الثاني الذي تعلمه الكرملين هو أن توطيد النظام المحلي لا يقل أهمية عن الجيش القوي والقيادة الحاسمة في النجاح في مواجهة الضغوط الغربية. القادة الروس والطبقة الأمنية المهيمنة مقتنعون الآن بأن الناتو والولايات المتحدة، وليس موسكو، هم من شن حربًا مختلطة ضد روسيا.

يشير كلا الدرسين اللذين تعلمتهما روسيا إلى أن حل مجموعة المشاكل الكبيرة والمعقدة في العلاقات بين روسيا والناتو سيكون صعبًا للغاية وسيتطلب جهودًا متواصلة من كلا الجانبين. سيكون من الضروري معالجة الأبعاد العسكرية والحضارية السياسية للعلاقات بين روسيا والغرب. من المرجح أن تقوض السياسة الداخلية أي جهد من هذا القبيل حتى لو كان قادة روسيا والغرب ملتزمين بتغيير علاقاتهم. في الغرب، يشكل منتقدو روسيا وأنصار الهيمنة الغربية في النظام الدولي المجموعة المهيمنة وسوف يقيدون محاولات التعاون مع الكرملين. في روسيا، يشكك المنظور السائد أيضًا في تطوير تعاون قوي مع الناتو والولايات المتحدة من خلال اعتبارهما تهديدًا خطيرًا. سيكون الجهد المتبادل للاعتراف بمصالح وقيم كل طرف آخر شرطًا لاستئناف الحوار الاستراتيجي بين روسيا والناتو.

دول وأقاليم

إعداد الباحثين

م.م عمر عبدالله محمد الكروش

م.م دعاء حميد إبراهيم

الأزمات الدولية وأثرها على مكانة الولايات المتحدة والنظام العالمي

الملخص

يعيش العالم عصراً من الأزمات المتتالية بسبب الإجراءات غير العادلة التي تقوم بها منظمة الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية بحق الدول الصغيرة والمتوسطة وحتى الدول الكبرى، وأصبح النظام العالمي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً أكثر تعقيداً من أي وقت مضى منذ انهيار الإتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام العالمي. ومن هنا بدأ العالم يدخل في حالة من الفوضى والهيمنة غير المنضبطة وظهور تحديات كبيرة على المستوى الدولي والداخلي للدول مثل الإرهاب وارتفاع حدة العنف والاقتصاد المتدهور والمسيس وغيرها من مظاهر الفوضى والانهيار للنظام العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الهيمنة الأمريكية للنظام العالمي تتمتع بالقوة العسكرية المطلقة والقوة الاقتصادية وهذه المكانة أتت بموافقة الدول الأخرى خلال الحرب الباردة وبعدها، وأعطت هذه الهيمنة الضوء الأخضر للولايات المتحدة الأمريكية التدخل في معظم القضايا الدولية والإقليمية سواء كان بمبرر أم غير مبرر وهذا ما جعلها تفقد من موقعها وهيمنتها العالمية؛ وبسبب طمعها في توفير مصالحها القومية دون مراعاة مصالح الدول الأخرى التي تشترك معها في النظام العالمي، وهذا ما جعل هذه الدول في التفكير بنفسها من غير الولايات المتحدة الأمريكية.

إشكالية الدراسة

وكنتيجة لذلك أخذت الصين وروسيا وباكستان والهند في الاعتماد على نفسهما، وبروزهما كدول تقوض الهيمنة الأمريكية وترغب في قلب موازين النظام العالمي وتعيد بلورته بشكل يتمشى مع أهدافها ومصالحها القومية وتغير ميزان القوى لصالحها ولصالح الدول التي تتفق معها.

ولتراكم الأزمات الدولية شهد النظام الدولي والنظام في الولايات المتحدة الأمريكية تقلبات عدة بسبب اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على مبدأ القوة وتغافل القواعد والأعراف الأساسية والمبادئ الدولية التي على أساسها أنشأت المنظمة العالمية الأمم المتحدة.

ستحاول الدراسة مناقشة الأزمات الدولية وتأثيرها على النظام العالمي والولايات المتحدة الأمريكية من خلال محاور أربعة تتمثل في أزمة الأزمات الدولية، الهوية الغربية، والحرب الأوكرانية، تغيير النظام الدولي من نظام أحادي القطبية إلى نظام متعدد الأقطاب.

لقد أوجدت الأزمات الدولية وتطوراتها أزمة عميقة في النظام الدولي وفي هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، على غرار الأزمة التي وقعت في ثلاثينيات القرن الماضي ونشأ عنها النظام الحالي، ومن تلك الحقبة فشلت الولايات المتحدة الأمريكية في دروها كحامي للنظام العالمي وفي قيادتها السياسية والاقتصادية للعالم من خلال التحكم بمنظمة الأمم المتحدة، فضلا عن مساعيها الدؤوبة في افتعال الأزمات بين مكونات النظام الدولي لتمرير سياساتها وهيمنتها عليهم، واليوم تجد الدول الكبرى والدول الصاعدة استعدادها لتحمل أي مسؤولية في توفير المنافع العامة العالمية. وتحتاج كل من الدول المهيمنة والمتنافسة من أجل تجنب المسار الحالي للأحداث.

أسئلة الدراسة

هل إن الأزمات الدولية تنذر بإنهاء نظام القطبية الواحدة في العالم؟، وهل هناك مصلحة للدول الغربية في تغيير النظام الدولي الحالي؟، ماهو شكل النظام الدولي الذي تريديه الدول الكبرى الأخرى غير الولايات المتحدة الأمريكية؟

المحور الأول

ماهية الأزمات الدولية ومدى تأثيرها على النظام الدولي

يتميز العصر الحديث بمتغيراته السريعة ووقوع الأزمات المتسارعة الكبيرة والصغيرة محلياً ودولياً ومن مختلف الأصعدة، والمتتبع لهذه الأزمات يرى أنها تتطور بسرعة أكبر مما كانت عليه في السابق وأنها أشبهه بمياه متدفقة بسرعة أو هيجان بحر أو عاصفة هوجاء تقتلع من يقف بوجهها ومن لم يتجنبها.

فالأزمات الدولية هي ظاهرة سياسية عرفتها الدول في مجال علاقاتها بين الدول الأخرى ومجتمعها الإنساني وهذه الأزمات هي ليست وليدة الساعة؛ وإنما وجدت قبل تشكيل الدول والمجتمعات الكبيرة، ومن ثم تطورت وأصبحت أزمات دولية بوجود الدول.

أولا: تعريف الأزمة

تتعدد تعاريف الأزمة والأزمة الدولية بتعدد نظرة الباحثين والمدارس الفكرية والسياسية لها، ومن الطبيعي أن نرى اختلاف المفاهيم والموضوعات التي تنضوي تحتاها مفاهيم الأزمة الدولية.

فتعرف الأزمة في اللغة على أنها: الشدة الضيق، والفعل منها أزم بمعنى اشتد الأمر وضاق(١).

وفي الاصطلاح: تشير إلى وسائل إدارة الموضوع الذي يتعلق بالقرار الحاسم والمهم، وتشير بشكل عام للإشارة إلى حالة الخطر والترقب والقلق(٢).

وينظر إلى الأزمة وموضوعها بحسب محلها من الوجود فإذا وجدت في المجال السياسي سميت بالأزمة السياسية، وإذا وجدت في المجال الاقتصادي سيمن بالأزمة الاقتصادية، وفي المجال الاجتماعي تسمى الأزمة الاجتماعية وغيرها، وتنقسم الأزمة إلى أزمتين أزمة داخلية وأزمة دولية، فالأزمة الداخلية هي حدث مفاجئ يهدد حالة الأمن والمصلحة القومية للدولة ومؤسساتها، حيث يتم فيها مواجهة ظروف طارئة بحسب قوتها وموضوعها. والأزمة الدولية التي تنشأ بين دولتين أو أكثر ينتج عنها صراعات شديدة بينهم قد تصل أو لا تصل إلى درجة الحرب الفعلية (٣).

وعرّف (كورال بيل) الأزمة بأنها: نقطة تحول في طبيعة العلاقة بين أطراف ما، حيث ترتفع الصراعات إلى مستوى يهدد بتغيير طبيعة العلاقات بين الدول، ففي حال الأزمات التي تقع بين الحلفاء تتحول علاقة التحالف إلى علاقة انشقاق، وفي حالة الأزمات التي تقع بين الأعداء تتحول العلاقة من علاقة سلم إلى علاقة حرب(٤).

ويعرفها الكاتب السياسي (أوران يونغ) بأنها: تداع سريع للأحداث يؤدي إلى تنشيط عناصر عدم الاستقرار في النظام الدولي أو نسقه الفرعية على نحو غير مألوف بشكل يزيد من احتمالات اللجوء إلى العنف (٥).

وعرفها (مجمع سلوك الأزمة الدولية) بأنها: تعبر عن موقف ناجم عن حدوث تغيير في البيئة الخارجية أو الداخلية للقرار السياسي، ويتسم هذا القرار بثلاث خصائص رئيسة في تصور السلطة العليا لصناع القرار السياسي وتتمثل هذه القرارات الثلاثة:

١. قيام تهديد للقيم الأساسية للمجتمع.
٢. ترجيح الدخول في مواجهة عسكرية.

إدراك أن هناك وقتا محددا على هذه التهديدات(٦).

ويذهب الكاتب (مايكل بريتشر) إلى هذا الاتجاه في تعريف الأزمة الدولية بقوله: إنها عبارة عن

تدهور خطير في العلاقات الدولية بين دولتين أو أكثر نتيجة تغيير في البيئة الخارجية أو الداخلية لأطراف الأزمة، وهو تدهور يخلق لدى صانع القرار إدراكاً بأن هناك تهديدا خارجيا لقيمه وأهدافه الرئيسة وسياسات بلاده الخارجية ويزيد من احتمالات تعرض الدولة لأعمال عدائية في وقت ضيق قد لا تسمح له بالرد على ذلك التهديد(٧).

ونعرج قليلا على تعريف إدارة الأزمة؛ فقد جاء متأخرا الاهتمام بإدارة الأزمة من حيث العلاقات الدولية فيعود استخدمها إلى ما بعد أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢م، حيث أدت أسباب هذه الأزمة إلى تحفيز الوعي لدى الدولتين العظمتين آنذاك ولجوئهما إلى البحث عن أساليب فعالة لحل التوترات في علاقتهما(٨)، فيعرفها (ويليامز) بأنها: سلسلة الإجراءات (القرارات) الهادفة إلى السيطرة على الأزمة والحد من تفاقمها حتى لا تصل إلى مستوى نشوب الحرب(٩).

ويوضح (ماكيلاند) أن هناك ثلاثة مواقف تسبب الأزمة وتفتعلها وهي:

أولا: حالة السعي المطلقة من قبل القادة إلى الحفاظ على مواقفهم ومبادئهم من خلال البحث عن مصدر خارجي للتهديد؛ وبالتالي الدخول في صراع خارجي لتحقيق الوحدة الداخلية.

ثانيا: التحول في المشهد السياسي والاجتماعي للدول الأطراف في النظام الدولي نتيجة انضمامها أو تحالفها مع دول أخرى؛ مما يؤدي إلى إيجاد مواقف أزمة في ميادين تنافسية داخلية أو خارجية غير مألوفة من قبل.

ثالثا: حالة انهيار القطبية الثنائية، هذا الأمر الذي نجم عنه صعوبة في إعادة الأطراف الرئيسة في النظام الدولي بتشكيل استراتيجيتها وتكيفها مع الوضع الدولي المفروض عليها(١٠).

ثانيا: أنواع الأزمات

تتنوع الأزمات بحسب تصنيفها وتأثيرها، كما أنها تتنوع بين الأزمة الدولية وفقا لنطاقها الجغرافي وأطرافها الرئيسة وحجم قوتها الدولية، وبين الأزمة المحلية والإقليمية مهمة، ولكنها لا تحمل الخطر نفسه الذي تحمله الأزمة بين القوى النووية لبقية العالم.

وتبدو أنواع الأزمة على مظاهر عدة نستعرضها من خلال مايلي(١١):

١. أزمة متكررة: فالتكرار يعدّ من أهم الأسس التي تصنف الأزمات فيها؛ على الرغم من أن حدوثها بشكل متكرر يرصد مقدمات يمكن تجنبها، وتنقسم هذه الأزمات المتكررة على أنواع منها:

أ. أزمة دورية متكررة: فهي تتكرر بتوقع حدوثها، ولا يتنبأ بها تنبوء دقيق بوقوعها وحجمها وشدتها ومجالها، وتتمثل هذه في الأزمات الاقتصادية المرتبطة بالقوة الشرائية والكساد وغيرها.

ب. أزمة غير دورية: وهذه أزمات عشوائية الحدوث، ولا يسهل توقعها، وتحدث نتيجة عوامل متعددة، مثل الأزمات الجوية أو المناخية.

٢. حدة الأزمة: وتشير إلى قوة الأزمة وتأثيرها وحجم الأضرار التي تسببها وأيضا ينقسم هذا النوع إلى أنواع بحسب قوة حدة الأزمة ومنها(١٢):

أ. أزمة سطحية: وهي أزمة لا تشكل خطرًا كبيرًا، وهي تحدث فجأة وتنتهي بسرعة إذا ما عولجت بشكل صحيح مثل الشائعات وأزمة التموين.

ب. أزمة عميقة: وهي أخطر الأنواع فتتصف بشدتها وقسوتها لحكم ارتباطها ببنية الكيان الذي حدثت فيه، ومن ثم تعمل على تدميره إذا أهملت.

٣. تأثير الأزمة: وهو ما يحدث بعدها ونتائجها وتنقسم إلى قسمين أيضا(١٣):

أ. أزمة محدودة التأثير: وتأتي نتيجة ظروف معينة، ولا تترك بصمات ومعالم واضحة على بنية الكيان الذي حدثت فيه الأزمة، مثل أزمة عدم توفير سلع غذائية وتواجدها في مكان آخر ومتوفرة في السوق.

ب. أزمة جوهرية: وهي الأزمة التي تؤثر بشكل واضح ومؤكد في بنية الكيان الذي حدثت فيه، وينعكس ذلك على تأثير الكيان، وتساعد على حرمانه وزيادة حاجته في الطلب بحيث لا يمكنه الاستغناء عن حاجته الملحة، وهذه الأزمة لا يمكن تجاهلها وإهمالها وإن حدث ذلك فإنها تدمر الكيان وتنذر بكارثة كبيرة كنقص المياة والوقود والغذاء.

٤. شدة الأزمة: وتنقسم هذه الصفة على نوعين(١٤):

أ. أزمة قوية (عنيفة): وهي التي تتطلب التصدي لها بالقوة، وتصنيف عناصرها بالتعامل مع كل جزء منها على حدة.

ب. أزمة خفيفة: وهي التي تكون تأثيرها على الرأي العام والجمهور المحيطة بها خفيفا، ويسهل معالجتها بشكل فوري وسريع بمجرد معرفة أسبابها وعواملها.

٥. بُعد الأزمة: وتصنف هذه إلى ثلاثة أصناف وفقا لمدى علاقتها بالمحيط الذي تنشأ فيه(١٥):

أ. أزمة عالمية لها تأثير محلي: وهي غالبا ما تنجح فيها الدول الكبرى في نقل أزماتها إلى الدول التي تتأثر بها وتدار من قبلها.

ب. أزمة محلية لها تأثير خارجي: وهي الأزمة التي تكون في الدول النامية لما لها من ارتباط بدول أخرى، مما تدفع بالدول الأخرى والكبرى بالنهوض بمسؤولياتها تجاه هذه الدول النامية للحد من الأزمة، وغالبا ما تتحمل الدول الكبرى فاتورة هذه الأزمات نيابة عن الدول النامية(١٦).

ج. أزمة محلية فقط: وهي الأزمة التي لا يتعدى تأثيرها حدود الدولة التي حدثت فيها، ويقتصر تأثيرها على الدولة نفسها أو قطاع من الدولة.

ثالثا: الأزمات نقطة تحول في النظام العالمي

يعرف النظام الدولي بأنه: «مجموعة من الوحدات المترابطة نمطيا من خلال عملية التفاعل، فالنظام يتميز بالترابط بين وحداته، كما أن التفاعل يتسم بالنمطية على نحو يمكن ملاحظته وتفسيره والتنبوء به، وللنظام الدولي بنيان أو هيكل: وهو عبارة عن مجموعة من الوحدات المستقلة والمتفاعلة مع بعضها البعض، ويتحدد بنيان النظام الدولي وفقا لدرجة توزيع الموارد وتركيزها فضلا عن ترتيب الروابط بين هذه الوحدات، فقد يكون هذا البنيان أحادي القطبية أو ثنائي القطبية أو متعدد الأقطاب تبعا لطبيعة النظام الدولي، وتتولد ظروف معينة تنعكس آثارها في شكل نمط متكرر لسلوك الوحدة الدولية(١٧).

وللأزمة الدولية أثرها في التحول في النظام العالمي، فيشير التحول عن نهاية نظام وبداية بلورة ملامح نظام آخر جديد، حيث تتسبب تكرار الأزمات والتحولات الجذرية في مختلف عناصر النظام الدولي إلى حدوث هذا التحول، ويُلحظ على نشوء هذا التحول منذ نهاية الحرب الباردة، فقد حدثت تحولات في النظام الدولي بشكل سلمي عكس التغيرات الجذرية التي حدثت عقب الحروب والنزاعات المسلحة في العالم.

وسجلت عدة تحولات فيما سبق في النظام العالمي منها انهيار الاتحاد السوفيتي، وانتهاء حلف وارسو، وانتهاء الشيوعية كأيديولوجية سياسية، فضلا عن التبدل في العلاقات بين القوى العظمية، وانتهاءا بسباق التسلح بين القطبين الدوليين(١٨). وحدثت الكثير من الأزمات أدت بإخلال النظام

العالمي وزعزعة الاستقرار الدولي أدت بنهاية المطاف إلى بروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة وحيدة في العالم وظهور النظام العالمي الجديد أحادي القطبية.

إن النظام الدولي المتمثل بإحادي القطبية ومنظومته فتحت الباب على مصراعية في التدخل العسكري والاقتصادي الخارجي في شؤون الدول الداخلية، وأصبحت سيادة غالبية الدول تقع تحت تأثير الولايات المتحدة الأمريكية وفرض هيمنتها عليها(١٩). وأثبتت حرب يوغسلافية استعداد الولايات المتحدة الأمريكية للاستغناء عن شركائها من حلف الناتو، وكرس اعتقاد الدول الأطراف في الناتو بأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد في حاجة لحلفائها في تدخلها بشؤون الدول الداخلية، لكن التحديات الجدية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أظهرت ضعف الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة الإرهاب، ودعت الحاجة إلى حلفاء وإتلاف قادر على شن عمليات معقدة تتداخل فيها المصالح القومية، وبالنتيجة فاختلاف وجهات النظر والتغييرات في الموقف الدولي تجاه مفهوم الإرهاب قد يصبح الحلفاء أعداء ويصبح الأعداء حلفاء(٢٠).

إن العلاقة ما بين الأزمة الدولية وبين النظام العالمي وهيكلية علاقة متبادلة وتأثر إحداهما بالأخرى، ويتأثر سلوك النظام العالمي في الأزمات بشكل كبير في عملية تفاعل بين أطراف الأزمة وما بين هيكل النظام العالمي، كما أن طبيعة بنيان النظام العالمي يؤثر في نتائج تسوية الأزمة وفي خصائصها، والأزمة كذلك تؤثر في بنية النظام وعملياته من حيث استقرار وتوازن النظام العالمي، وفي معظم الأحيان تتحدى الأزمة النظام العالمي بحدوث كارثة وحرب كبيرة بين مكونات النظام العالمي، وقد يفرض وجود بنيان جديد تحكمه قواعد وأسس جديدة غير التي كانت سائدة في النظام القديم(٢١).

لقد أدت الأزمات المتكررة وغير المحسوبة باهتزاز الثقة في المنظمة الدولية والنظام العالمي السائد، فكثير من الدول ينظر إلى أن منظومة الأمم المتحدة أصبحت جهازا في يد الولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن الفوضى والأزمات التي تعيشها دول العالم جراء تدخل الولايات المتحدة الأمريكية غير المحسوبة في شؤون الدول وافتعال الأزمات من غير تدخل ناجح من قبل الأمم المتحدة في إخماد الأزمة، ومن هذه التدخلات هي التدخل العسكري المباشر لإسقاط الأنظمة في الدول وإحلال الفوضى فيها، وإشاعة الفتن والطائفية والعرقية على عكس أهداف الأمم المتحدة التي جاءت لينعم البشر بالأمن والسلام(٢٢).

المحور الثاني

الأزمات الدولية وتأثيرها على مكانة الولايات المتحدة

أولا: الأزمات في منطقة الشرق الأوسط

إن التوسع والهيمنة من أهداف القوى العظمى منذ بداية العلاقات الدولية وصولاً إلى تكوين وتأسيس الدول بمفهومها الحديث، وعليها أن تحافظ على بقائها ومصالحها القومية بشتى الطرق، وتدفع بصناع القرار إلى المضي قدماً نحو بناء وتخطيط استراتيجية شاملة وبعيدة المدى لضمان بقاء هيبة الدولة وإن كانت معظم أسباب التوسع هي نتاج لتفكير مخططي للسياسية الخارجية. وسنتطرق في هذا المحور عن بعض الأزمات التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط والعالم لمعرفة مدى تأثيرها على النظام الدولي والولايات المتحدة الأمريكية.

١- أزمة العراق

لقد قدمت الولايات المتحدة الأمريكية مشروع بناء دولة ديمقراطية في أفغانستان بعد أحداث ١١ سبتمبر/ أيلول٢٠٠١م بحجة القضاء على الحركات المتشددة لإضفاء صفة الشرعية للاحتلال الأمريكي على أفغانستان، وكانت هذه الخطوه بمثابة إخفاق حقيقي، ناهيك عن فقدانها للمصداقية من قبل حلفائها بعد الانسحاب وتركهم للمصير المجهول من جهة، وتراجع الهيمنة الأمريكية باعتبارها سيدة العالم واحتمالية انتهاء مرحلة أحادي القطبية من جهة أخرى، ومع تنامي وصعود قوى جديدة في النظام العالمي، وعليه سنتطرق إلى الانسحاب الأمريكي من العراق وأفغانستان وتداعياته على النفوذ الأمريكي العالمي.

لقد تم انسحاب أغلب قوات الجيش الأمريكي وحلفاؤها من العراق مع إبقاء قوة مدنية تحمي السفارة الأمريكية مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وتم تسليم كافة المسؤوليات إلى السلطات العراقية بعد حوالي ٩ أعوام من الحرب، بدأ المحللون العسكريون والسياسيون الأمريكيين من تقييم تلك العملية العسكرية في العراق التي خسرت فيها الولايات المتحدة من خلالها أكثر من (٤٤٧٤) جندي قتيلا، وأكثر من (٣٣) ألف جندي جريحا بحسب الأرقام الرسمية، وأنفقت الولايات المتحدة الأمريكية حوالي تريليون دولار على حربها في العراق.

ونقلا عن محمد ماضي بحسب ما قال الدكتور (كوردسمال): «أن الولايات المتحدة خسرت تلك الحرب استراتيجياً، وإن انسحاب القوات الأمريكية من العراق لا يشكل نصرا أمريكيا في الحرب التي شنها على العراق في عام ٢٠٠٣م؛ وإنما يشكل نهاية لحرب باهضة التكاليف انعكست تداعياتها على الداخل الأمريكي، ومن الناحية الاستراتيجية تركت القوات الأمريكية العراق غير قادر على ضمان أمنه واستقراره الداخلي، فضلا عن بنائه وفق المعايير الدولية، ومنطقة استراتيجية بدون بناء هيكلية استراتيجية لمرحلة مابعد الانسحاب الأمريكي من العراق(٢٣). وأثرت أزمة العراق تأثيرا كبيرا في موقع الولايات المتحدة الأمريكية عالميا، وأثرت على سمعتها العسكرية، فضلا عن تأثير الأزمة بشكل كبير على النظام الدولي والمنظومة الدولية؛ حيث كشفت مدى تواطئ منظومة الأمم المتحدة مع الولايات المتحدة الأمريكية في تنفيذ أطماع أمريكا في الشرق الأوسط.

٢- أزمة سوريا

لقد تم إعلان الانسحاب الأمريكي من سوريا في ١٩ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٨م من قبل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق دونالد ترامب في خطوة بدت مفاجئة للعديد من المراقبين، وأدت إلى تداعيات مثيرة على المشهد السياسي الأمريكي كان أقلها استقالة وزير الدفاع الاميريكي، فضلا عن وجود حالة إرباك حدثت في السياسية الخارجية الأمريكية، حيث بين قرار سحب القوات الاميريكية من سوريا والعودة عنه بشكل نسبي مدى التخبط في السياسية الخارجية الأمريكية(٢٤). ويمكن القول إن خروج القوات الأمريكية من سوريا بدون القضاء على تنظيم داعش وتحقيق أهداف التدخل في سوريا، وتنصلها عن تعهداتها للمجتمع الدولي بإزالة النظام السوري وضع مصداقيتها مرى أخرى على المحك، وفي ظل الصراعات الإقليمية والدولية في داخل سوريا فسحت المجال أمام روسيا لتكون وسط الحرب، وقادرة على صناعة صفقات مع الأطراف المتصارعة وبهذه الخطوة قد تمكن بوتين من حقيق حلمة بإعادة الهيمنة الروسية في الشرق الأوسط، وهذه الأحداث أسهمت بشكل كبير في عودت روسيا بفاعلية إلى المسرح الدولي وإعادة وجودها في المنطقة وتطلعها إلى تبوء مكانا دوليا ينافس الولايات المتحدة الأمريكية مرة أخرى.

٣- أزمة أفغانستان

جاء الانسحاب الأمريكي من أفغانستان في ٣١ أغسطس/آب ٢٠٢١م بشكل مفاجئ عقب وصول الرئيس الأمريكي (جو بايدن) إلى سدة الحكم وترأسه لدولة عظمى كالولايات المتحدة الأمريكية، وإن كان سلفه (دونالد ترامب) من الحزب الجمهوري قد أثار مجموعة من التساؤلات على الصعيد الدولي مفادها توحي بإخفاق للسياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وأواسط آسيا، وكذلك الآثار المترتبة على انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان وسقوط حكومة كابول وعودة طالبان أنتج عن ذلك تداعيات محلية وإقليمية ودولية كبيرة يمكن إجمالها على النحو التالي:

- فقدان الثقة بالإدارة الأمريكية ومصداقيتها بين حلفائها في المنطقة والعالم، وعودة طالبان لمنصات الحكم وصعود قوى إقليمية ودولية في المنطقة من أهم التداعيات الانسحاب الأمريكي من أفغنستان، فأوحت الطريقة التي تخلت بها واشنطن عن حلفائها في أفغانستان بأنها تميل إلى التنصل من التزاماتها، وعدم الوفاء بالمعاهدات والمواثيق الدولية، والتي يمكن أن تمثل عائقا لتوجهها ومصالحها(٢٥).
- دفع الانسحاب من أفغانستان والانهيار المفاجئ للحكومة في كابول معارضي الرئيس جو بايدن إلى القول: «بأن مصداقية واشنطن قد تلقت ضربة مؤلمة». وأيضا في هذا الصدد يزعمون بأن الحلفاء لم يعد يثقون في الولايات المتحدة الأمريكية، وأنها لن تفِ بالتزاماتها المستقبلية، ولم يعد الخصوم يثقون بواشنطن بسبب تآكل مصداقيتها في الشؤون الدولية(٢٦).
- الانسحاب الأمريكي يزيد من الاعتقاد بأن مرحلة أحادية الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى في العالم قد أوشكت على نهايتها، وتحديدا أن واشنطن انسحبت فعليا من أفغانستان من دون أن تحقق أهدافها المعلنة من الحرب ضد طالبان؛ حيث أنها لم تستطع إقامة حكومة مستقرة، أو القضاء على التهديدات من قبل الجماعات المسلحة والإرهاب(٢٧).

وجميع هذه الأحداث قد أثرت في جميع المجالات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية سواء داخل الولايات المتحدة الأمريكية، أم خارجها؛ ولعل أبرز التداعيات كانت حين حشدت الولايات المتحدة القوات العسكرية الكبيرة، وتكاليفها الباهضة التي أثقلت كاهل الجسد الأمريكي لشن حملة عسكرية باستخدام الوسائل العسكرية الكافية، بهدف تدمير معاقل الإرهاب في أفغانستان(٢٨). وفي الأخير هذه الجهود لم تكلل بالنجاح وانسحبت أمريكا من أفغانستان دون تحقيق أي هدف يذكر.

٤- أزمة الملف النووي الإيراني

يشكل الملف النووي الإيراني معضلة أمنية وتنموية لدول الشرق الأوسط والعالم، وتنعكس أهميته على نفوذ ومكانة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الكبرى.

وفي ٢ أبريل/نيسان ٢٠١٥م تم التوصل إلى إعلان موعدا عن الاتفاق النهائي والشامل وأنه قد تم تسوية كل الخلافات، وعليه فقد وقعت مجموعة (٥+١) مع إيران الاتفاقية ونص الاتفاق تجميد البرنامج النووي الإيراني، والسماح للمفتشين الدوليين بدخول البلاد، في مقابل ذلك رفع العقوبات الاقتصادية المفروضة من المنظمة الدولية ومن قبل الولايات المتحدة الأمريكية على طهران(٢٩).

وفي ٨ مايو/آيار ٢٠١٨م أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة ترامب انسحابها الأحادي من الاتفاق النووي الإيراني، وأعلنت عن فرض العقوبات الأمريكية المتعلقة بالنشاط النووي. وشوّهت خطوة الانسحاب الأمريكي من الاتفاق مكانة واشنطن في

النظـام الدولـي عبـر فقـدان الثقـة بمصداقيتهـا أولا كشـريك موثـوق بـه فـي الاتفاقيـات الدوليـة، وثانيـا مـن خـلال توجيـة ضربـة مـن المحتمـل أن تقضـي علـى مسـتقبل التعـاون عبـر المحيـط الأطلسـي فـي المسـائل متعلقـة بالأمـن الدولـي.

ومـن الجانـب الإقليمـي وسـيتيح القـرار لطهـران بالخـروج مـن الاتفـاق وتنشـيط برنامجهـا النـووي واطـلاق العنـان لهـا، وبالتالـي سـيؤدي إلـى سـباق تسـلح فـي منطقـة الشـرق الأوسـط سـينتج عنـه عواقـب وخيمـة فـي المسـتقبل(٣٠). ومـن جانبهـا أعلنـت واشـنطن فـي أكتوبر/تشـرين الأول عـام ٢٠٢٠م بشـكل أحـادي تجديـد العقوبـات الأمميـة اسـتكمالا لحملـة الضغـوط القصـوى علـى إيـران ممـا يـؤدي إلـى تأزيـم الأوضـاع الاقتصاديـة فـي إيـران(٣١).

وإلـى فتـرة كتابـة الدراسـة لـم يجـد الملـف النـووي الإيرانـي حـلا لمشـكلته، وأصبـح فـي مـد وجـزر مـن الاتفاقـات الدوليـة والتجاذبـات السياسـية، وهـذا مـا يفسـر أن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة لـم تكـن جـادة فـي حـل أزمـة النـووي الإيرانـي وأنهـا تسـتخدمه وسـيلة ضغـط علـى إيـران وعلـى منطقـة الشـرق الأوسـط فـي كسـب مصالـح لهـا.

ثانياً : تأثير الأزمة الروسية الأوكرانية على المكانة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية

لقـد كان الشـرط الوحيـد لتوحيـد ألمانيـا هـو ألا تكـون عضـوا فـي حلـف الشـمال الأطلسـي، فـي عـام ٢٠٠٤م أضـاف الناتـو سـبعة أعضـاء جـدد فـي صفوفـه، حيـث يعـد أكبـر توسـع منـذ انتهـاء الحـرب البـاردة، وفـي أبريل/نيسـان ٢٠٠٨م أعلـن حلـف الناتـو فـي قمـة بوخارسـت رغبتـه فـي ضـم أوكرانيـا وجورجيـا فـي مرحلـة مـا مـن المسـتقبل، وشـكل هـذا الأمـر خطـاً أحمـر بالنسـبة إلـى موسـكو بسـبب نظـرة روسـيا إلـى أن هـذه الـدول هـي لا تـزال تحـت حكمهـا وأنهـا تتطلـع إلـى ضمهـا قريبـا.

وحيـث لـم تكـن لروسـيا القـدرة علـى الـرد علـى الخطـوات الأمريكيـة فـي البلقـان فـي التسـعينيات، وكانـت تلـك المرحلـة هي مرحلـة الإذلال لروسـيا؛ لكن عندمـا هاجمـت جورجيـا الانفصاليين فـي أوسـيتيا الجنوبيـة عـام ٢٠٠٨م قامـت روسـيا بالتدخل المباشـر فـي جورجيـا التـي ذكـرت مـع أوكرانيـا بوصفهـا مرشـحه للانضمـام إلـى الحلـف. وحـذر بوتيـن واشـنطن بـأن روسـيا لـن تقـف مكتوفـة الأيـدي فـي حـال توسـع الحلـف الناتـو لضـم أوكرانيـا، واعتبـر بوتيـن أن دعـوة أوكرانيـا وجورجيـا للانضمـام إلـى الحلـف الناتو يشـكل تهديـد للأمـن القومـي الروسـي، وفـي كلمتـه عـام ٢٠٠٧م فـي ميونـخ وصـف بوتيـن توسـع حلـف الناتـو شـرقا بأنـه اسـتفزازا لروسـيا، وفـي الوقـت نفسـه كانـت هنـاك وعـودا مـن قبـل الناتـو بعـدم التوسـع شـرقا. وخـلال أزمـة عـام ٢٠٢٢م رفضـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وحلـف شـمال الأطلسـي مطالـب بوتيـن بإلغـاء إعـلان بوخارسـت لعـام ٢٠٠٨م، وفتـح البـاب لضـم أوكرانيـا وجورجيـا للحلـف(٣٢).

موقف الولايات المتحدة من الأزمة :

شـددت الولايـات المتحـدة وحلفائهـا فـي حلـف الناتـو علـى أنهـم لـن يشـاركوا عسـكريا فـي الحـرب الجاريـة فـي أوكرانيـا، لأنهـا ليسـت دولـة عضـو فـي حلـف الناتـو، حيـث اكتفـت فـي فـرض عقوبـات اقتصاديـة علـى روسـيا أدت إلـى إنخفـاض فـي قيمـة الروبـل علـى مسـتويات غيـر مسـبوقة، وتـم إخراجهـا مـن نظـام (swift) للتعامـلات المصرفيـة والتحويـلات الماليـة الدوليـة بهـدف عـزل وحصـار روسـيا وتـم اسـتثناء قطـاع الطاقـة مـن هـذه العقوبـات. ومـن جانـب آخـر، سـاندت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أوكرانيـا عسـكريا إذ مدتهـا بمعلومـات اسـتخبارية عـن تحـرك القـوات الروسـية داخـل أراضيهـا، وتزويدهـا مـع حلفائهـا بمسـاعدات ومعـدات حربيـة بكميـات كبيـرة(٣٣).

أزمة أمن الطاقة

فوفقا لاستراتيجية روسيا التي أطلقتها في عام ٢٠١٠م، ستبقى اوربا الواجهه الرئيسية لصادرات روسيا من الطاقة حتى عام ٢٠٣٠م، حيث تمثل اوربا سوق لتصريف أنتاج روسيا من الطاقة، ومن جانب آخر تمثل روسيا مصدرا لسد حاجة السوق الأوروبي من الطاقة، فالعلاقة بين الطرفين هي علاقة اعتماد متبادلة يمكن أن يطلق عليه «اعتماد طاقوي متبادل»(٣٤).

وبينت الأزمة الروسية_الأوكرانية مدى عجز اوربا في مجال الطاقة واعتمادها بشكل كبير على النفط والغاز الروسيين، وحيث استخدمت روسيا هذا السلاح كورقة ضغط وابتزاز شديد التأثير على أوروبا وعلى الولايات المتحدة الأمريكية. ولولا الحماية العسكرية الأمريكية والضغط الذي مارسته الأخيرة على دول مثل ألمانيا، لما فرضت دول أوروبية كثيرة العقوبات الاقتصادية والوقوف مع أوكرانيا، واكتفت بالوقوف في صف المحايدين المتفرجين، وهو موقف اتخذه دول كثيرة كانت غير راغبة بمواجهه موسكو، فضلا عن ذلك خطوة بوتين العسكرية التي دفعت المترددين في القارة العجوز إلى الاصطفاف بمعسكر واشنطن خشية من أن يطاولها مصير أوكرانيا من خراب وتدمير.

وتمثل روسيا أكبر مصدر للمنطقة وبشكل خاص في مجال الغاز الطبيعي؛ حيث تستورد أوروبا من روسيا حوالي (٦١٪) من الطاقة التي تستهلكها، وتبلغ حصة روسيا ما يقارب (٤٠٪) من صادرات أوروبا من الغاز الطبيعي والذي يعتمد علية الأوروبيين في التدفئة ومجال الصناعة، وأن المشكلة ليست فقط في اعتماد الأوروبيين على روسيا في مجال الطاقة؛ وإنما في صعوبة توفير بدائل بشكل سريع، وعلية فإن أوروبا دون الطاقة قد تعود إلى العصور المظلمة(٣٥).

النفط الصخري الأمريكي كبديل عن الطاقة الروسية:

يبلغ انتاج النفط الأمريكي حاليا (١٢ مليون) برميل يوميا وهو أقل بكثير من ذروة ما قبل الوباء ما يقارب (١٣ مليون) برميل في اليوم، وحاليا تتعافى صناعة النفط الصخري في الولايات المتحدة من تداعيات فايروس كورونا، والتي تسببت وفقا لذلك في انخفاض الطلب على النفط وخفض الصناعة الانتاجية، وتشير الحرب الروسية الأوكرانية الآن إلى المخاطر المرتبطة بأسواق النفط إلى الحاجة إلى الإمدادات الأمريكية، ومن المرجح أن يستجيب المنتجون لذلك(٣٦).

ثالثاً: أزمة الصين_ تايوان

هناك عدة مؤشرات ساعدت في صعود الأزمة بين البلدين؛ لاسيما المؤشرات الاقتصادية التي تعد من أبرز ملامح الصعود الصيني، والمؤشرات العسكرية حيث سعت على تطوير قدراتها العسكرية وتحديث جيشها، فضلا عن المؤشرات السياسية من حيث تبني سياسة سليمة وزيادة نشاطاتها في المؤسسات الدولية.

وبرزت الصين كقوة اقتصادية تتطور بشكل هائل وسريع، مما دفعها من مستويات متأخرة نسبيا إلى دائرة المصاف الدول المتقدمة عالمية، ومع استمرار نموها السريع لما يقرب من ربع قرن، أصبحت الصين الآن دولة مرشحة لتنافس الولايات المتحدة الأمريكية على رأس الاقتصاد العالمي(٣٧). وتشير الكثير من الدراسات الأكاديمية والعلمية، إلى أن النهوض والتقدم في الاقتصاد الصيني سيمكنه من التفوق على الاقتصاد الأمريكي في عام ٢٠٤٠م(٣٨).

أما عن المؤشرات العسكرية: فقد عمدت الصين إلى استغلال انطلاقتها الاقتصادية في دعم وتحديث قدراتها العسكرية، بما يمكنها من إعداد جيش قوي يعبر عن طموحاتها كقوة كبرى صاعدة، ولن يأتي ذلك بالتقدم الاقتصادي فحسب فلابد

أن يكون مصحوبا بعناصر وأبعاد يأتي في مقدمتها تطوير قدراتها النووية العسكرية وجيشها وامكانيتها البشرية.

وعن المؤشرات السياسية: تتبع الصين سياسة حسن الجوار مع الدول المجاورة لها، التي أصبحت تمنحها أولوية متقدمة، وبالتالي عززت علاقاتها مع الدول المجاوره منها، منذ أوائل التسعينيات من القرن الماضي، وبرزت حالات اقتراب الصين مع محيطة الإقليمي من خلال الدبلوماسية الذكية التي تسعى لكسب أكبر قدر من الأصدقاء عل الساحة الدولية، استعدادا لغزو الأسواق وفتح علاقات اقتصادية نشطة فيها، حيث تهدف السياسة الخارجية الصينية إلى الحفاظ على السلم والأمن الدوليين وخلق بيئة أمنية وآمنة(٣٩).

أثر أزمة تايوان في العلاقات الامريكية_ الصينية

تتميز منطقة تايوان بأهمية سياسية واقتصادية وعسكرية كبيرة وتعد مسألة ذات حساسية كبيرة بين الولايات المتحدة والصين، حيث يلعب مضيق تايوان دورًا مهما في المنافسة السياسية بين دولتين مؤثرتين في العالم. فتعدّ الصين منطقة تايوان هي جزء لا يتجزء من وحدة أراضيها، وهي تسعى إلى استردادها وتتعامل معها وفق مبدأ (دولة واحدة، ونظامان). أما تايوان مع نظامها الديمقراطي تبحث عن استقلالها منذ انتخاب رئيس جمهورية تايوان تساي اينغ وين في كانون الثاني عام ٢٠١٦م(٤٠). ومنذ ذلك الوقت باتت العلاقات بين الصين وتايوان متوترة بشكل متزايد بسبب تصور تايوان بأن (تساي) الذي كان يرفض مبدأ وحدة الصين المتجسد خلال توافق عام ١٩٩٢م الذي تم التوصل إليه بين ممثلين الطرفين.

وتعد تايوان حليفا أساسيا للولايات المتحدة الأمريكية وتعدها مرتكزا أساسياً لنفوذها ومكانتها في منطقة شرق آسيا، فضلًا عن أن واشنطن تستخدمها كورقة ابتزاز وضغط لتقويض نفوذ الصين التي تعدها منافسا لها على النفوذ العالمي(٤١). ويمكن القول بأن الولايات المتحدة الأمريكية ليس من السهولة أن تتخلى عن تايوان بوصفها ورقة ضغط واستفزاز على الصين، فضلا عن أهمية موقعها الجيوستراتيجي بوصفها بوابة بين شمال شرق آسيا وجنوبها.

ويتضح موقف الولايات المتحدة الأمريكية حيال الأزمة التايوانية من الجانب الاستراتيجي في الإدارة الأمريكية والكونجرس بكبح الطموح التايوانية للانفصال بمبادراتهم وتدخلهم دبلوماسيا، وبصورة مباشرة لطمأنة الصين على عدم موافقتهم على ذلك بشكل أحادي؛ أما من الجانب الاقتصادي فإن الولايات المتحدة قد جعلت من تايوان الدولة الأكثر رعاية وفتحت الأسواق الأمريكية لها ودعمت الاستثمار فيها مما كان له الأثر الإيجابي في تقدم وزيادة الناتج المحلي وارتفاع مستويات دخل الأفراد فيها(٤٢).

وأثارت زيارة رئيسة مجلس النواب الامريكي نانسي بيلوسي إلى تايوان في ٢ أغسطس ٢٠٢٢م، غضب الصين ووصفها بأنها انتهاكا خطيرا للسيادة، محذرة من عواقب وخيمة، بينما أكد مسؤلون كبار بمن فيهم الرئيس بايدن وبيلوسي نفسها أنه لا يوجد تغيير في موقفها من سياسة الصين الواحدة، وأن الزيارة جاءت لإظهار الدعم لديمقراطيتها وتعزيز التعاون المشترك معها، وهذا لم تقبله الصين وبدات على الفور عدة تدريبات عسكرية في محيط تايوان مما يدل على احتمالية تفاقم المشاكل ليس فقط في العلاقات بين واشنطن وبكين ولكن أيضا في منطقة شرق آسيا بأكملها(٤٣) .

وفي تقديرنا يمكن القول إن زيارة نانسي بيلوسي الأخيرة لتايوان لها عدة نتائج ومنها:

١. إن الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تختبر مدى ردة فعل الصين تجاه قضايا النظام الدولي.

٢. إن الولايات المتحدة الأمريكية تراهن على أي مدى ممكن أن ترد الصين على مثل هذه الأفعال الاستفزازية، وأن هذه الزيارة ليست الأولى لكنها فريدة من نوعها.
٣. إن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى تعزيز التواجد الإقليمي والعالمي ولاسيما في آسيا_الباسفيك من خلال اختبار مدى قوة رد فعل الصين على ما يثار في محيط الباسفيك من قضايا.

المحور الثالث

الأزمات الدولية ومستقبل النظام الدولي

يأتي تركيز الدراسة على النظام الدولي وذلك باعتقاد الكثير من الباحثين والدراسات بأن النظام العالمي بات في خطر وشيك مهدد بالأفول، وقد تكون مصالح الولايات المتحدة الأمريكية هي من تحافظ على هذا النظام وهي أيضا ليس ببعيد عن الخطر الذي يهدد النظام العالمي ومكانة الولايات المتحدة الأمريكية، ولذا سيقوم هذا المحور بدراسة تأثير الأزمات على النظام الدولي وعلى الولايات المتحدة الأمريكية، وماهو مستقبل النظام العالمي في ظل هذه الأزمات وشيوع الفوضى فيه؟.

أولا: هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية والتفرد بالنظام العالمي

أعلن في عام ١٩٩٠م عن انهيار الإتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، وتعد نهاية لحرب دامت خمسين عامًا بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والولايات المتحدة الأمريكية ذات القوة الاقتصادية الأعظم بداية لعصر جديد تمثل في تنفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة النظام الدولي الجديد وبداية هيمنتها على العالم.

إن مفهوم الهيمنة من المفاهيم المعقدة بسبب تداخل العديد من العوامل الداخلية والخارجية فيما يتعلق بالطرف المهيمن والمسيطر، ومن ناحية أخرى تقوم الولايات المتحدة بمفاهيم متشابهة أو جوانب مختلفة من الهيمنة مثل العولمة وجوانبها المختلفة، وخاصة الجوانب السياسية والاقتصادية؛ حيث تستغل واشنطن العولمة كأداة فعالة لبسط هيمنتها على مناطق مختلفة من دول العالم في إطار سياسية سيطرة القطب الواحد ولتعزيز فكرة العالم قرية صغيرة، وآثار الثورة التكنولوجية على كل هذا أدى إلى تراجع مفهوم السيادة الوطنية وتصعيد الهيمنة الأمريكية وتبرير وجودها في عدة دول عسكريا وسياسيا واقتصاديا(٤٤).

وباندلاع حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م التي تعدّ من العوامل التي ساعدت في تصعيد الهيمنة الأمريكية، وبعد انتهاء الحرب الباردة باتت الولايات المتحدة الأمريكية المهيمنة على النظام العالمي وكان دورها واضحا من بدايتها بما فيها جلسات مؤتمر القمة المنعقد في القاهرة بداية أغسطس/ آب عام ١٩٩٠م، فسارعت لتحريك قوتها العسكرية قبل البحث عن الوجة القانوني لإخراج الموقف، بحيث إن تصرفها هذا كان مهيمنا ومنفردا ولن تتمكن من منعه أي سلطة أخرى بذريعة المحافظة على الشرعية الدولية بما لا يمكن لأية قوانين دولية أو إقليمية من التأثير عليها، وبذلك باتت واشنطن المسيطر الوحيد في قضايا العالم(٤٥) .

فضلا عن ذلك تعد أحداث ١١ سبتمبر/ أيلول٢٠٠١م لها تأثيرها على الولايات المتحدة والعالم حيث عدّ البعض هذه الأحداث بمثابة استمرار للواقع نفسة الذي ساد أثناء حرب الخليج الثانية، مما يعني أن الإدارة الأمريكية استغلت هجمات ١١ سبتمبر وتثبيت نفسها على أنها القوة المهيمنة الوحيدة في العالم والتفاف العالم حولها، وأيضا هناك من يعتقد أن أحداث ١١ سبتمبر هي صناعة أمريكية استثمرتها إدارة بوش الابن لتنفيذ المشروع

الامبريالي الأمريكي الذي يقوم أساسا على التفوق العسكري ومقومات دينية واقتصادية أخرى، ولا شك كل هذا يرتبط ببروز العولمة وتصاعد الهيمنة الأمريكية(٤٦).

إن دور الولايات المتحدة الأمريكية وهيمنتها على العالم جاء نتيجة مقومات القوة الشاملة التي تمتلكها، وهذا مكنها أيضا من أن تمارس دورها وتأثيرها المباشر في التفاعلات السياسات والاقتصادية والمالية كافة التي تجري على الصعيد الدولي، وعزز من دورها المهيمن والقائد في النظام الدولي. ولقد أدركت الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، بأن الأوضاع مهيأة في صياغة نظام دولي جديد يتفق مع منظورها الآيديولوجي لمصلحتها القومية واقتصادها وعسكرتها القوية(٤٧).

ولكون بنية النظام الدولي وهيكله يعتمد على مصدر القوة وتوزيع الموارد على سلوك وحدات بنية النظام الدولي وقدرة أحدها أو بعضها على السيطرة لتوجهات الفاعلين الآخرين، يمكن القول إن النظام الدولي بوضعه الراهن أحادي القطبية من جهة ومن جهة أخرى متعدد الأقطاب بحكم صعود دول أخرى أصبح لها قوة وقدرة في التعامل في النظام الدولي(٤٨).

وأخذ العالم يعيش نمطًا جديدًا من العلاقات الدولية السياسية منها وغير السياسية، ونظرا لتعدد القوى الحكومية والشعبية القومية وغير القومية التي أصبحت تتفاعل بشكل أو ما في النظام الدولي، ولتوافر أسباب عديدة أثرت أيضا على النظام الدولي أصبح هذا النظام معقدا محكوما بالعوامل العسكرية والدبلوماسية، وأثرّ تطور التكنولوجيا فيه وتنوع الاقتصاد فيه إلى جعله نظاما يختلف عما كان عليه(٤٩)، ولم يعد بالإمكان ترك السيطرة أو التحكم فيه من قبل دولة أو دولتين أمرا سهلا ونرى بوادر الانشقاق والدعوات إلى تبني نظام عالمي جديد يلبي حاجيات الدول الصاعدة والمؤثرة مؤخرا على المجتمع الدولي.

ويمكن القول إن الولايات المتحدة الأمريكية منذ انتهاء الحرب الباردة بانهيار المعسكر الشرقي المتمثل بالاتحاد السوفياتي باتت المسيطر الوحيد في النظام العالمي والمتحكم بالمنظومة الأمنية الدولية وقرارات الأمم المتحدة بصورة عامة ومجلس الأمن بصورة خاصة وأصبحت أداة لتنفيذ سياستها الهادفة إلى السيطرة على العالم والتفرد بالقرار الدولي.

ثانيا: الدعوة إلى نظام متعدد الأطراف

إن الهيمنة الأمريكية على النظام العالمي بدأت تتراجع ببطء وتفقد مصداقيتها، حيث برزت دعوة لصالح قوى استراتيجية جديدة ترى إن القيادة الأمريكية وحدها تشكل خطرا استراتيجياً يهدد كل دول العالم، فضلا عن هذا فإن القيادة الأمريكية للعالم لم تحقق السلام العالمي التي كانت تنادي به؛ كما أنها فشلت في تحقيق العدالة التي تطمح إليها مختلف الدول؛ بل على العكس انغمس العالم في الفوضى التي أدت إلى انتشار غير مسبوق للإرهاب، وبذلك بدأت العديد من القوى الدولية العمل الجاد لإنهاء الهيمنة الأمريكية، ولتحقيق واقع دولي أفضل، ومن بين هذه القوى الدولية الصاعدة هي:

١- الصين

لا يختلف الكثير منا حول رغبة الصين في تشكيل نظام عالمي جديد من خلال انشاء هياكل حوكمة عالمية بديلة وأنظمة تحالف تعمل على تحييد الولايات المتحدة الأمريكية، لكن هذا لا يشير بالضرورة إلى تدهور مفاجئ في النظام العالمي الذي تقوده واشنطن، بدلا من ذلك يبدو أن الصين تستعد لطرح نظام حوكمة عالمي موازٍ لا يسمح للولايات المتحدة الأمريكية باحتكار صياغة قواعد النظام الدولي؛ حيث بدأت الصين في تنفيذ

استراتيجية «التأثير الاستراتيجي» من خلال إنشاء جزر صناعية وصلات مع موانئ كبيرة، وتنسيقها المستمر مع دول الجوار مثل روسيا واليابان، وإقامة التحالفات بهدف توفير منصات بديلة للحوكمة العالمية وإعادة تعريف قواعد اللعبة(٥٠). وباتت الصين تمتلك القوة الاقتصادية والتكنولوجية التي تؤهلها على الأقل لمنافسة الكبار وإيجاد وضع دولي يجعلها مستقلة في قراراتها ومواقفها الدولية عن أي هيمنة أجنبية، ولكن أكثر من ذلك يمكنها معارضة أمريكا في الكثير من القضايا الدولية باستخدام حق النقض «الفيتو» في مجلس الأمن ودون الأخذ بعين الاعتبار رد الفعل الأمريكي، على غرار ما حدث في الحالة السورية موخرا، والشي نفسه ينطبق على حق إيران في امتلاك التكنلوجيا النووية(٥١).

٢- روسيا

تعد روسيا من أكثر القوى الطامحة لإنهاء مرحلة القطبية الأحادية، وقد تزامن هذا الطموح مع عدد من الأنشطة والاستخدام الفاعل للمزج بين الدبلوماسية والقوة في التعامل مع الأزمة الجورجية، والتدخل الروسي في سوريا الذي أعاد دور روسيا السابق ومكانتها العالمية، ومدى تأثير التدخلات الغربية التي كانت مؤثرة في وضع روسيا الضعيف أيام الرئيس الأسبق غورباتشوف ، فضلا عن ذلك فإن روسيا ليست جزءا ممتدا من حضارة الأوربية ولا الحضارة الآسيوية؛ بل إنها حضارة فريدة من نوعها بمزيج من التنوع الثقافي مكنتها من تأسيس مرجع حضاري روسي غني(٥٢).

إن الخلاف الأكبر بين الولايات المتحدة وروسيا حول النظام الدولي هو وضع بيلاروسيا وجورجيا ومولدوفا وأوكرانيا جميعهم كانو جمهوريات سوفيتية سابقة، في حين تعتبر روسيا هذه الدول جزءا من مجال نفوذها الحصري بناء على وضعها كقوة عظمى ذات سيادة، وإن الولايات المتحدة تعتبرها دولا حرة ذات سيارة ولها الحق في الانضمام إلى المؤسسات الغربية وخارج عباءة روسيا(٥٣).

وجاءت تعبئة القوات الروسية ردا على قيام الولايات المتحدة بتزويد القوات الأوكرانية بالتدريب والأسلحة المضادة للدبابات لاستخدامها في القتال ضد الانفصاليين المدعومين من روسيا في شرق البلاد، وفي عام ٢٠٢١م أجرت القوات الأوكرانية مع قوات الناتو مناورات عسكرية مشتركة الأمر الذي أزعج موسكو خاصة مع اقتراب تلك المناورات التي استخدمت فيها قاذفات غربية بقدرات نووية من الحدود الروسية، وهو الأمر الذي ترى موسكو فيه تجاوزا للخط الأحمر ويهدد أمنها القومي(٥٤).

إن اعلان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في ٢٤ فبراير/ شباط ٢٠٢٢م عن بدء عملية عسكرية ضد أوكرانيا، ودعوة جيشه للسيطرة على الحكم هو بمثابة إعادة الدول التي كانت تحت سيطرة الإتحاد السوفيتي سابقا وبسط هيمنته من جديد عليها، حيث سعت موسكو إلى إعلان الحد من توسع الغرب في دول الاتحاد السوفيتي، ومواجهة استراتيجية الناتو في أوربا الشرقية وفرض قوتها العسكرية لتعزيز مكانتها في النظام الدولي وتقوية حلفائها وإرساء قواعد نظام دولي جديد وتحد من الهيمنة الأمريكية وإنهاء القطب الواحد، وعليه يمكن القول إن النظام الدولي الحالي لم يعد كما كان قبل الحرب الروسية الأوكرانية.

ثالثا: مستقبل النظام العالمي

تأتي ازمة أوكرانيا كنموذج قريب من الأزمات الدولية التي أثرت بشكل كبير على النظام الدولي والمتفاعلين فيه، والتي ينظر إليها بأنها أزمة إقليمية ذات بعد دولي، لأنها بالفعل أحدثت شرخا كبيرا وأظهرت حدة الانقسامات بين مكونات النظام الدولي، وأنها أثارت العديد من التداعيات العالمية، وبطبيعة الحال ستتحمل كلتا الدوليتين المتنافستين تكاليف الصراع والأزمة. وسنرى التأثير

السلبي على النظام الدولي بجميع أشكاله من قصور في الاقتصاد العالمي، والتجاذبات السياسية الدولية والتحالفات المبنية على المصالح المشتركة، وغيرها من الأزمات التي ستنتج عن هذا التأثير على النظام العالمي.

كما أن وجود قوة عظمى وحيدة مسيطرة ومهيمنة على النظام العالمي بكل قدراتها وسلوكياتها كالولايات المتحدة الأمريكية يجعل من الدول الأخرى أن تتحالف وتشكل جبهة وشراكات ضد هذه الدولة تحافظ على أمنها وسيادتها من خلال إيجاد نظام عالمي آخر متوازن يحفظ الأمن والاستقرار في العالم. وعليه فإن هذه القوى الكبرى ستكون على قدر كبير من الإدراك بنوعية التوازنات الدولية وطبيعة السيطرة على النظام الدولي وتوسيع دائرة النفوذ على حساب دولة وحيدة تسيطر وتهيمن(٥٥).

إن الناظر والمتتبع لنمط توزيع القوة في النظام الدولي يلاحظ مروره بمراحل عدة، أدت الأزمات الدولية فيه إلى تغير بنية النظام وتفاعل القوى فيه، ومرّ النظام الدولي بحقبات متفاوتة من الأزمات وسيطرة القوى العظمى عليه من نظام دولي متعدد القوى، ومن ثم تبلور ثنائي القطبية بعد الحرب العالمية الثانية، حتى مطلع التسعينات وانتهاء الحرب الباردة بين القوتين العظميين، وانهيار الاتحاد السوفييتي لينتهي الأمر بالتحول إلى نظام عالمي جديد أحادي القطبية. «وبدا واضحا في ظل هذا النظام اختفاء التناقض الأيديولوجي، وتطوير مظلة من التفاهم الاستراتيجي بين القوى الكبرى فيما تراجع دور الأمم المتحدة كفاعل مستقل في القضايا الدولية والإقليمية، وبرز الدين كأحد عوامل الصراع الدولي، وعاد الاستعمار في صورته التقليدية، وتسارعت خطوات سباق التسلح على المستويين الإقليمي والدولي»(٥٦). وقد يكون من الصعب التخلي عن العناصر الليبرالية للنظام دون إلحاق أضرار فادحة للكل، في الوقت نفسه. وهذا الاستنتاج هو استنتاج مؤقت ويجب أن يؤجل الإجراء مزيد من البحث للحصول على تحليل أكثر شمولية. ولكن أصبحت عناصر النظام التي تتمحور حول التحرير الاقتصادي والسياسي مرتبطة ارتباطا وثيقا بمشروع الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب بأن التخلي عن هذه المعايير أو حتى التراجع عنها يمكن أن يلحق ضررا كبيرا بشرعية النظام(٥٧).

وكما يرى بروس جونز وتوماس رأيت قد يعتمد مصير النظام الدولي بشكل غير متناسب على حالة علاقات القوى الكبرى، وبحسب التفاعلات بين القوى العظمى تتحدد حالة النظام الدولي بصورة رئيسية وقدرتها على التعاون بفاعلية في قضايا اليوم الرئيسة. وبات واضحا في الوقت الحالي أن تكون الصين الجهة الفعالة المسيطرة في تحديد مستقبل النظام، بجانب الولايات المتحدة. «فإذا كان بإمكان الولايات المتحدة والصين التوصل إلى نوع من أنواع الاتفاق الشامل حول مجموعة حيوية من آليات التنظيم، فمن المرجح أن يبقى النظام قائم بصورة كبيرة. وإذا لم يتمكنا من القيام بذلك، فمن المرجح أن يتحطم النظام»(٥٨).

وقد تعتقد بعض الدوائر في واشنطن أن روسيا عالقة في مستنقع الهجوم على أوكرانيا، ولكن هذه المرة يتمثل التهديد في توسيع روسيا لضغوطها على أوروبا الشرقية؛ بل على أوروبا بأكملها، ويمكن إعادة تشكيل بنية الأمن الأوروبي ما سيمثل انتكاسة متعددة الأوجه للولايات المتحدة. وقد يختلف التحدي الذي يواجه النظام الذي تقوده الولايات المتحدة، بهذا المعنى، اختلافا كثيرا عن النظام خلال الحرب الباردة. حيث كان الاتحاد السوفيتي دولة عدوانية استبدادية يترنح نظامها الاجتماعي والاقتصادي. ولكن الآن الأمر مختلف عما كانت عليه روسيا من قبل(٥٩)؛ ومع ذلك برزت بعض الدول المنافسة مثل الصين والهند والبرازيل تمثل اقتصاديات مزدهرة وبدائل

اجتماعيـة اقتصاديـة متميـزة بعـض الشـيء. وقـد أضحـت احتماليـة قيـام قـوة أو أكثـر مـن هـذه القـوى بتنظيـم نظـام تنافسـي حقيقـة لا يمكـن إنكارهـا.
وإذا مـا نظرنـا فـي الفاعليـن الحقيقيـن فـي النظـام العالمـي الحالـي وأثرهـم فـي التوازنـات والجيوسـيتراتجية والسياسـة العالميـة نجـد أن هنـاك منظمـات تديـر النظـام العالمـي، حيـث يقـول الباحث الأمريكـي (جـون أي ترنـت) «إن العالـم اليـوم يعـرف فاعلـون جـدد يمارسـون تأثيـرا متزايـدا فـي السياسـات العالميـة التـي لـم تعـد مجـرد لعبـة بيـن الدولـة، وهـي علـى السياسـة فقـط، وإنمـا تتعـدى إلـى المـال والديـن والأيديولوجيـا والفقـر والصحة..وغيرهـا، وعالمنـا المعاصـر لا يوجـد فيـه حكومـات وطنيـة وغيـر وطنيـة، لكـن هنـاك العديـد مـن المنظمـات والمؤسسـات العالميـة والإقليميـة ومنظمـات بيـن الحكومـات، فضـلا عـن المجموعـات الموجـودة تحـت الـدول كالقضـاة والبيروقراطييـن وأصحـاب البنـوك وجماعـات الضغـط مـن دون نسـيان التنظيمـات المسـلحة وتجـار الحـروب(٦٠).
كمـا نجـد أن النظـام الدولـي يتجاهـل القانـون الدولـي العـام، ويتناقـض فـي تطبيـق قواعـده مـن دولـة لأخرى فـي منطقـة العالـم، سـواء بالنسـبة لحقـوق الإنسـان، أو حفـظ السـلام وغيرهـا، وحيـث نجـد ازدواجيـة فـي المعاييـر وتجـاوزات عديـدة فـي مفهـوم حقـوق الإنسـان، فحصـار العـراق علـى مـدى سـبع سـنوات سـبب أضـرار بالغـة فـي أوسـاط الشـعب العراقـي، كمـا سـبب حظـر التجـارة الأميركيـة المضـروب علـى كوبـا زيـادة معـدل الوفيـات، وانتشـار الأمـراض التـي تحملهـا الميـاه، وفـي فلسـطين تسـتمر انتهـاكات القواعـد الدوليـة مـن خـلال الأوضـاع المأسـاوية التـي تتعـرض لهـا فلسـطين كل يـوم مـن غيـر تدخـل أممـي لحمايتهـم مـن الانتهـاكات الإسـرائيلية (٦١). وهـذا مـا يجعـل مسـتقبل النظـام الدولـي علـى المحـك وظهـور بـوادر انهيـاره بسـبب السياسـات الخاطئـة التـي تتخذهـا المنظمـة العالميـة وسـيطرة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة عليهـا.

| الخاتمة

كمـا ذكرنـا مـن قبـل ونحـن نعالـج الظـروف الحاليـة والمسـتقبلية للولايـات المتحـدة والنظـام العالمـي، نجـد أن مكانـة وتأثيـر الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي تراجـع نسـبي عـن مكانتهـا فـي الفتـرات الماضيـة، فيمـا نجـد دول أخـرى أخـذت تتبـوا مكانـة فـي مكانـة القـوى الكبـرى كروسـيا والصيـن والهنـد، ومـع هـذا التراجـع للولايـات المتحـدة الأمريكيـة فإنهـا لا تـزال تتربـع علـى القمـة فـي المجـال الاقتصـادي والعسـكري؛ إلا أن نفوذهـا وهيمنتهـا بـات فـي تراجـع فـي ظـل تدخلهـا غيـر المحسـوب فـي شـؤون الـدول الأخـرى سـوى النظـر إلـى مصلحتهـا القوميـة.
وعلـى الرغـم مـن وجـود مؤهـلات القـوة وعوامـل أخـرى كالاقتصـاد والقـوة الناعمـة والريـادة العلميـة فـي الـدول الأخـرى كالصيـن والروسـيا إلا أنهـا تسـتخدم الطـرق الاقتصاديـة والعلاقـات المبنيـة علـى تبـادل المصلحـة مـع الـدول لفـرض هيمنتهـا كبديـل للقـوة العسـكرية المكلفـة، وأنهـا لا تريـد إثـارة سـخط وكراهيـة الـدول لهـا وخاصـة ًبعـد إدراكهـا أن الهيمنـة فـي القـرن الحـادي والعشـرين سـتكون لمـن يمتلـك القـوة الاقتصاديـة والمعلومـات التـي تعتبـر نفـط هـذا القـرن.
ونظـرا لتطلعـات روسـيا ونهوضـه مـن سـباتها وبـدء أخـذ مكانتهـا الدوليـة فـي النمـو ولعـب دورا مؤثـرا فـي أوضـاع منطقـة الشـرق الأوسـط وبسـط هيمنتهـا علـى عـدة دول جعـل دور الولايـات المتحـدة الأمريكية أقـل تأثيـرا فـي العالـم، كذلـك لعبـت تركيـا دورا مؤثـرا فـي الصـراع فـي سـوريا وليبيـا وأخيـراً الصـراع فـي ناغورنـي كاراباخ فضـلا عـن قواعدهـا العسـكرية فـي قطـر وسـعيها الدائـم لخلـق مكانـة دوليـة تسـتطيع مـن خـلال دعـم مصالحهـا.

وما شهده العالم من أزمة كورونا وما أثرته في الاقتصاد العالمي والتي كانت تنذر بأزمة عالمية كبيرة تطال جميع الدول، وفي ظل الفوضى العارمة التي يشهدها العالم من غياب الاستقرار ودور الأمم المتحدة في إدارة الأزمات وضبابية موقف الولايات المتحدة الأمريكية في مواقفها تجاه الدول والأزمات جعل من النظام العالمي والولايات المتحدة الأمريكية في موقف لا يحمد عقباه، وبدا المجتمع الدولي بالبحث عن نظام عالمي جديد يلبي طموحاته ويوظف قدراته ويستعمل موارده بعيدا عن هيمنة نظام أو دولة عليه.

ويرى كثير من الباحثين والمهتمين في النظام العالمي والسياسة الدولية أن المجتمع الدولي يمر بمرحلة انتقالية قد تكون عملية إعادة هيكلة النظام الدولي الحالي، أو إنشاء نظام عالمي أخر متعدد الأقطاب يحل محل النظام الحالي ويرون أن زمن الأحادية القطبية قد ولي وأن ما يشهده العالم اليوم من أزمات وصراعات تحتاج إلى تضافر الجهود بين القوي الكبري من أجل حفظ النظام ودعم الاستقرار وتحقيق التعاون بين الدول.

| النتائج

من خلال ما سبق ذكره من دراسة النظام العالمي ومكانة الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن هناك عدة نتائج تتلخص فيما يلي:

١. تراجع الدور السياسي الأمريكي المؤثر في النظام الدولي؛ بسبب السياسات الخاطئة التي قامت بها تجاه النظام العالمي وتجاه الدول التي تدخلت بشؤونها الداخلية والخارجية. وقد أدت السياسات الخاطئة خلال السنوات الماضية إلى استعداء الولايات المتحدة لمعظم القوي الدولية المنافسة لها، وخلق نوع من الاستياء الدولي تجاه السياسة الأحادية للولايات المتحدة.
٢. التعثر والإخفاق العسكري للولايات المتحدة الأمريكية وما نتج عنها لا سيما في تعثرها تدخلها العسكري في شؤون الدول بحجة مكافحة الإرهاب كالتدخل في أفغانستان والعراق وباكستان، والتمدد غير المحسوب الذي أدي إلي ظهور بوادر تراجع أمريكية عن التشبث بفكرة الهيمنة علي العالم.
٣. المغامرة بالاقتصاد العالمي الذي أربك كثيرا وضع الدول في النظام العالمي؛ حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد بشكل أساسي على الركيزة الاقتصادية في قيادتها للعالم إلا أن القوة الاقتصادية الأمريكية بدأت تشهد العديد من المشاكل نتيجة المغامرات والاخفاقات العسكرية حول العالم علي نحو أثقل كاهل الاقتصاد الأمريكي.
٤. الغياب الكامل لمنظمة الأمم المتحدة وفتح المجال للولايات المتحدة الأمريكية في التحكم بمفاصلها جعل منها أداة في تنفيذ السياسة الأمريكية، وهذا ما جعل من الدول الصاعدة الأخرى تتذمر وتشكوا من دور الأمم المتحدة في تسوية النزاعات الدولية والمحلية، وعدم الحفاظ على شكل الدولة الحديثة، وعدم حمايتها من أي اعتداء أو تدخل خارجي، وبالتالي بدأت الدول الصاعدة تبحث عن نظام عالمي جديد يلبي طموحها ويحفظ دولها ومجتمعها من التدخل الخارجي.
٥. وأخيرا تأثير الدور المتصاعد لبعض القوى على توازنات القوة وتحولاتها في النظام الدولي.

| المراجع والهوامش :

(١). محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣، ص٥.

(٢). Carsten Holbrad: The Super Power and International Conflict, the Macmillan

p١٧, ١٩٧٩,Press ,ltd
(٣). أحمد الدليمي، واخرون، إدارة الأزمات الدولية المالية والاقتصادية، دار جليس، الزمان، عمان ٢٠١١م، ص٢٤-٢٥.
(٤). حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص١٤٢.
(٥). مصطفي علوي، التعريف بظاهرة الأزمة الدولية، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، يناير ١٩٨٧م، ص١٥٠-١٧٠.
(٦). عبدالرحمن رشدي الهواري، إدارة الأزمة الأمنية من وجهة نظر عسكرية، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، القاهرة ١٩٩٥م، ص٥٥-٥٧.
(٧). عبدالله حمد السلطان، مقترح تنظيم مركز إدارة الأزمات لمجلس التعاون الخليجي، المؤتمر السنوي الأول لإدارة الكوارث والأزمات: جامعة عين شمس - كلية التجارة - وحدة بحوث الازمات – مصر المجلد ٣، دون عدد، ص٣.
(٨). عباس رشيد العماري، إدارة الأزمات في عالم متغير، الأهرام للترجمة والنشر، مصر، ١٩٩٣م ص٢١٦
(٩). حسن نافعة مصدر سبق ذكره، ١٤٥.
(١٠). حسن نافعة مصدر سبق ذكره، ص١٤٢.
(١١). Vilma Luoma- Aho and Piet Verhoeven,»Crisis responds strategies in Finland Spain» . Journal of Contingencies and Crisis Management, Vol ,٢٥ ,٤.N ,٢٠١٧ ,P: ٢٢٣.
(١٢). حسن رشاد، إدارة الأزمات في قطاع السياحة، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر السنوى السادس عشر لإدارة الأزمات والكوارث،وحدة بحوث العملية، كلية التجارة، جامعة عين شمس،٢٠١١م، ص ١١٩٠-١١٩١.
(١٣). محمد الصيرفى، «إدارة الأزمات»، مؤسسة حوس الدولية، ٢٠٠٨م، ص ٤٨-٤٩.
(١٤). الأمير محمد على، «خطط الطوارىء وإدارة الأزمات بقطاع البترول». دراسة تطبيقية، المؤتمر السنوى الحادى عشر لإدارة الأزمات في ظل المتغيرات البيئية المعاصرة، جامعة عين شمس القاهرة، ٢٠٠٦م.
(١٥). Carolina Acedo Darbo and Malgorzata Zurawska, « Effective Crisis and Emergency Responses in the Multinational Corporation». ISBN. ١- ,٩٧٨,٧١٧٨٤٨٣١ ,Publishing by Emerald ,٢٠١٧ ,P-P: ١٦٩-٢٠٤.
(١٦). زهير نعيم،» دور إدارة الموارد البشرية في إدارة الأزمات»، المؤتمر السنوى الثانى لإدارة الأزمات والكوارث، جامعة عين شمس، ١٩٩٧م، ص٤-٦.
(١٧). عماد جاد بدرس، أثر النظام الدولي على الاحلاف الدولية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٩٨م، ص١٦-١٧.
(١٨). عماد جاد برجس، مصدر سبق ذكره، ص١٧.
(١٩). C.J.DICK, «conflict in A Changing world looking two decades forward», European security ,vo١,١١ ,٢٠٠٢ autumn ٣.no ,p٢٠.
(٢٠). C.J.DICK, «conflict in A Changing world looking two decades forward»`p٢٨-٢٩
(٢١). خليل عرونس سليمان، الأزمة الدولية والنظام الدولي، دراسة في علاقة التأثير المتبادل بين إدارة الأزمات الاستراتجية الدولية وهيكل النظام الدولي، المركز العربي للأبحاث (معهد الدوحة)، الدوحة، ٢٠١١م، ص٣٠-٣٢.
(٢٢) خليل عرونس سليمان، مصدر سبق ذكره، ص٣١.
(٢٣). باريك رابح، النظام القانوني الجديد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية الحقوق. ٢٠١٤م، ص٩٩.
(٢٤). محمد ماضي، الانسحاب الامريكي من العراق هزيمة استراتيجية ونهاية لهيمنة قوة عظمى؟، ٢١ ديسمبر ٢٠١١م.
(٢٥). منصور أبو كريم، تداعيات الانسحاب الأمريكي من سورية على أطراف الصراع: (في ميزان الربح والخسارة)، المركز الديمقراطي العربي، ٢٨ أبريل ٢٠١٩م.
(٢٦). خلفيات عودة طالبان إلى حكم أفغانستان

وتداعياتها، وحدة الدراسات السياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٧ اغسطس٢٠٢١م، ص٤.
(٢٧). أحمد حيدر، الضمانات الدولية بديلا عن المصداقية الأمريكي في الأزمة الأوكرانية ومفاوضات فينا، مركز البيان للدراسات والتخطيط، ٢٠٢٢م، ص١١.
(٢٨). تداعيات انسحاب واشنطن من أفغانستان على نفوذها الدولي، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، (١٥ أغسطس، ٢٠٢١م).
(٢٩). محمود محمد علي، الأبعاد الحقيقية للغزو الأمريكي لأفغانستان، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٧م، ص٧.
(٣٠) عمر سعدي سليم الموسوي، الاتفاق النووي بين إيران ودول ٥+١ (دراسة تحليلية)، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية، برلين، ٢٠١٧م، ص٣٣.
(٣١). علي فتح الله نجاد، إنسحاب ترامب من الاتفاق النووي الإيراني وتداعياته الوخيمة، السبت ١٤ يوليو ٢٠١٨م، متاح على الموقع الألكتروني الآتي: تاريخ الزيارة ١٢ ي‌ب ٢٠٢٢ في الساعة ٥:٥٠، www.Brookings.edu
(٣٢). عزمي بشارة ، روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو: تأملات في الإصرار العجيب على عدم تجنب المسار المؤدي إلى الحرب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ٢٠٢٢/٢/٢٧م، ص ١٤-١٥ .
(٣٣). وحدة الدراسات السياسية، حسابات واشنطن في أوكرانيا ومحاولات احتواء روسيا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ٢٠٢٢/٣/٣م، ص٢-٣ .
(٣٤). سوزي رشاد، أمن الطاقة ومحاولات روسيا لفرض النفوذ الدولي، مجلة السياسية والاقتصاد جامعة بني سويف، المجلد ١٤، العدد١٣، سنة ٢٠٢٢م، ص ١٤٤-١٤٥.
(٣٥). طارق النعيمان، غزو أوكرانيا ودروس أمن الطاقة في الدول العربية، العربي الجديد، ١٥ أبريل ٢٠٢٢م، متاح على الموقع الألكرتوني الآتي: تاريخ الزيارة ١٦ آب ٢٠٢٢م في الساعة ٦:٣٠، www.alaraby.co.uk .
(٣٦). Robert Johnston ,Q&A: How the US and international Oil Markets May Respond to the Loss of Russian Oil Supplies, Columbia : sipa center on global energy policy ,march ١٤,٢٠٢٢, available on following website www.energypolicy.columbia.edu
(٣٧). هديل حربي، مستقبل الصعود الكوني للصين وقيادة العالم في القرن ٢١، المجلات الأكاديمية العلمية العراقية، العدد ٥١، ٢٠١٨م، ص ٢٥٢.
(٣٨). أسامة المرعي، مستقبل القطبية في النظام الدولي على ضوء الصعود الصيني، الأكاديمية السورية الدولية، الرقم ٢٧٨، ٢٠٢٠م، ص١٧.
(٣٩). هديل حربي، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٧-٢٦٢.
(٤٠). دانا نبيل خليل أبو حلتم، المصالح الصينية والأمريكية في تايوان، المركز الديمقراطي العربي_ برلين، مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية، المجلد الثاني العدد الثامن سبتمبر ٢٠٢٠م، ص١٣٩.
(٤١). إشكالية تايوان في العلاقات الامريكية_ الصينية، دراسات وتقارير، دراسة أعدها مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٥ أغسطس ٢٠٢٠م. دراسة منشورة على الرابط التالي: https://www.ecssr.ae/reports_analysis.
(٤٢). وصفي محمد عقيل، الاستراتيجية الأمريكية تجاه تايوان في ضوء التغيرات الدولية بعد نهاية الحرب الباردة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مجلة المداد ١٠ العدداج ،٢٠١٣م، ص١٠٢٧.
(٤٣). محمود المنير، توترات تايوان وتداعياتها على منطقة الشرق الأوسط، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٥ آب ٢٠٢٢م. دراسة منشورة على الرابط التالي: https://www.politics-dz.com
(٤٤). محمد يوسف الحافي، الهيمنة الأمريكية على الأمم المتحدة ومستقبل الصراع الدولي دراسة في فلسفة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، حزيران ٢٠١٤م، ص٧٦.
(٤٥). صالح خلف صالح، أثر الاجتياح العراقي للكويت على العلاقات العراقية_الأمريكية (١٩٨٨-٢٠٠٨م)، رسالة قدمت استكمالا لمتطلبات درجة دراسة الماجستير

في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، ٢٠١٠م، ص٥٠ .
(٤٦). محمد يوسف الحافي، الهيمنة الأمريكية على الأمم المتحدة ومستقبل الصراع الدولي دراسة في فلسفة السياسية، مصدر سبق ذكره ، ص٨٧.
(٤٧). سليم كاطع علي، مقومات القوة الأمريكية وأثرها في النظام الدولي، مجلة دراسات دولية، العدد الثاني والأربعون، مركز دراسات دولية _جامعة بغداد، تشرين الأول ٢٠٠٩م، ص١٦٨-١٦٩.
(٤٨). د.عبد القادر محمد فهمي، النظام السياسي الدولي: دراسة في الأصول النظرية والخصائص المعاصرة، ط١، عمان، دار وائل للطباعة والنشر، ١٩٩٧م، ص٥٩.
(٤٩). عدنان السيد حسين، العلاقات الدولية: الحرب والسلم ومفاهيم أساسية، ط١، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٧٨-٧٩.
(٥٠). سيتاكانتا ميشرا، ت، ريهام صلاح خفاجي، النظام العالمي مابعد الجائحة تسعة مؤشرات، مكتبة الاسكندرية، ٢٠٢١م، ص٢٢.
(٥١). باريك رابح، النظام القانوني الجديد، مصدر سبق ذكره، ص٨١.
(٥٢). حميد حمد السعدون، الدور الدولي الجديد لروسيا، مركز الدراسات الدولية جامعة بغداد، العدد٤٢، ٢٠٠٩م، ص٩.
(٥٣). أندرو رادين، كلينت ريتش، وجهات النظر الروسية بشان النظام الدولي، مؤسسة RAND، سانتا مونيكا، كاليفورنيا، ٢٠١٧م، ص٨٧.
(٥٤). رغد البهي، روسيا وأوكرانيا من الأزمة إلى الحرب البدايات والمآلات، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، ١٠٠ شارع الميرغني مصر الجديدة_القاهرة، ٢٠٢٢م، ص٧.
(٥٥). قاسم محمد عبيد، و محمد ميسر فتحي، الأزمات الدولية ومستقبل التوازنات الجيوستراتجية العالمية (الأزمة السورية الأوكرانية إنموذجا)، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين ٢٠١٦م، العدد ٤٣-٤٤، ص٦٥-٦٦.
(٥٦). نورهان السيد عبد الحميد، مستقبل النظام الدولي في ضوء أزمة أوسيتيا الجنوبية، مجلة البيان، المجلد ٢٠٠٩، العدد ٦ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٩)، ص ٣٢٣.
(٥٧). مايكل جيه مازار، وآخرون، فهم النظام الدولي الحالي، مؤسسة راند، كاليفورنيا، ٢٠١٦، ص٢٨.
Jones, Bruce, and Thomas Wright, “The State (٥٨). of the International order,”Brookings Institution Policy Paper, No .٣٣ ,February ٢٠١٤
(٥٩). برهان الدين دوران، المعادلة الصعبة في أزمة أوكرانيا، مجلة كريتر، مجلة شهرية للسياسة والمجتمع والاقتصاد، مارس ٢٠٢٢، السنة السادسة، العدد ٦٦، مقال منشور على الرابط التالي: https://kriterdergi.com/cerceve/ukrayna-krizinde-zorlu-denklem
(٦٠). نقلا عن: فتحية ليتيم، نحو إصلاح منظمة الأمم المتحدة لحفظ السلم والامن الدوليين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١م، ص٦٥.
(٦١). علي لطرش، مستقبل النظام الدولي في ظل التغيرات العالمية والتحالفات الكبرى، رؤية استشرافية، وقائع أعمال المؤتمر الدولي الافتراضي ١٦-١٧ نيسان ٢٠٢٢م، الناشر المركز الديمقراطي العربي الدرسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا/ برلين، ص ٢٦-٢٧.

ورقة موقف:

اعداد : م.م حنين محمد الخفاجي

مفهوم الأمن الطاقي:

أبعاده وتجلياته واستراتيجيات تعزيزه

الأمـن مسـألة هامـة ورئيسـية فـي حيـاة الـدول والشـعوب والأفـراد والمؤسسـات علـى حـد سـواء، يحتـل موقـع الصـدارة فـي اسـتراتيجيات الـدول وتفكيرهـا السياسـي وداخـل دوائـر صنـاع القـرار، لارتباطـه بالمصالـح الأمـم والشـعوب فـي جميـع مجـالات حياتهـا السياسـية، الاقتصاديـة، الاجتماعيـة، والثقافيـة. فانعـدام الأمـن يعنـي فنـاء الأمـة ومكتسـباتها وبالتالـي القضـاء علـى كيانهـا واختفاءهـا مـن قائمـة الوجـود بسـبب مـا سـوف يصيبهـا مـن فوضـى تـؤدي إلـى التفـكك ثـم الانهيـار.

لـذا يعتبـر مفهـوم الأمـن بـكل أبعـاده ومراميـه أولويـة يتصـدر توجهـات السياسـة الخارجيـة لأي إدارة، ونجـذ علـى القائمـة السياسـات الأمنيـة قضيـة الأمـن الطاقـي الـذي أصبـح يـدرج ضمـن الأجنـدة السياسـية للـدول مـن أجـل ضمـان أمـن إمدادهـا. فمنـذ الثـورة الصناعيـة واعتمـاد الطاقـة المركـزة فـي المحـرك البخـاري نقلـت الإنسـان إلـى عالـم جديـد لـم يكـن يحلـم بـه، مسـت جميـع ركائـز الحضـارة، شـكلت العمـود الفقـري للاقتصـاد، وأصبحـت سـلعة اسـتراتيجية تأثـر بشـكل كبيـر فـي السياسـة الدوليـة، ومحـورا اهتمـت بـه مؤسسـات الفكـر والـرأي الغربيـة والمؤسسـات الأكاديميـة فـي كافـة دول العالـم.

فالتاريـخ البشـري القديـم والحديـث، كان شـاهدا علـى أن غالبيـة الصراعـات الدوليـة كان وسـيكون محـوره الطاقـة وإن أخـذ ألونـة وأشـكال وذرائـع خفيـة(١). خاصـة النفـط، فهـو المنتـوج الوحيـد المـدرج فـي مادة الأمـن الوطنـي "فهـو قـوة فـي زمـن السـلم علـى تطوير مؤسسـات صناعيـة عظيمـة، ولنقبـل البضائـع والناس بـرا وبحـرا وجـوا. وقـوة فـي زمـن الحـرب علـى توسـيع الصناعـة وممارسـة القـوة عبـر مسـافات شاسـعة(٢). اذ غالبيـة الصراعـات التـي شـهدها القـرن العشـرين كانـت بسـبب الأمـن مصـادر الطاقـة والتحكـم بهـا، لأن أي خلـل فـي إمـدادات يؤثـر سـلبا علـى الاقتصـاد العالمـي خاصـة الـدول العظمـى؛ التـي سـعت بـكل الطـرق علـى فـرض سـيطرتها علـى هـذه المصـادر، تـارة بالقـوة العسـكرية وسياسـات عدوانيـة وتـارة أخـرى دبلوماسـية سـلمية تسـعى مـن ورائهـا تحقيـق المصالـح حسـب التطـورات الدوليـة(٣).

وفـي هـذا الصـدد، بـدأت تطـرح الكتابـات الأكاديميـة تعاريـف لمفهـوم الأمـن الطاقـي، ويعتبـر تشرشـل أول مـن طـرح تعريفـا لأمـن الطاقـة، إذ أشـار إلـى أن "أمـن الطاقـة يكمـن فـي التنـوع والتنـوع فقـط(٤)"، ومنـذ ذلـك الوقـت حتـى الآن فمـازال التنـوع هـو المبـدأ الحاكـم لقضيـة أمـن الطاقـة؛ فالتعريـف التقليـدي لأمـن الطاقـة، ارتكـز فـي البدايـة علـى تجنـب أزمـات الطاقـة. إلا أن العقـود القليلـة الأخيـرة

شهدت مجموعة من التحولات التي كشفت عن عدم كفاية المقترب التقليدي لأمن الطاقة. ودفعت باتجاه طرح تعريفات جديدة، جعلت الأمني الطاقي يتجاوز إطاره التقليدي المنحصر في تأمين وضمان مصادر الطاقة، إلى ضرورة تقديم استراتيجية أمن الطاقة جديدة تستجيب لمتطلبات البيئية وتحقيق تنمية شاملة تراعي أهداف الدول الصاعدة التنموية.

تسعى هذه الدراسة إلى ربط مدى التأثير الذي تمارسه الاجراءات الأمنية المتخذة لضمان الأمن الطاقي على السياسة العالمية وعلى العلاقات الدولية بصفة عامة في ظل عدم التوازن في التوزيع. وفي هذا السياق سنعمل على تأطير مفهوم الأمن الطاقي ووضعه في قالبه الكرونولوجي، بتحديد التطور التاريخي للمفهوم من حيث طبيعته ومجالاته والاتجاهات الحديثة، بينما نستعرض في الشق الثاني من هذه الدراسة المبادئ الحاكمة والاستراتيجيات المعززة لأمن الطاقة ووسائل ضمانه.

ولتوضيح الأمر وبأسلوب هندسي، وبطريقة تحليلية واستنباطية، تم الاعتماد على المنهج التاريخي فمن المؤكد في هذا الإطار، أن البعد التاريخي يعد جزءا هاما في أي دراسة علمية جادة تتناول أي واقع معاش، فدون هذا العمق التاريخي، تصبح الأحداث المتعلقة بهذا الواقع القائم مجرد أحداث مفتعلة، لا تخضع لأي تحليل علمي، دون أن ننسى المنهج التحليلي لتبيان السياسات والإستراتيجيات المتخذة من طرف الأطراف الدولية لضمان أمنها الطاقي وطرق صياغتها.

المبحث الأول: مرامي وأبعاد مفهوم الأمن الطاقي وتطوره التاريخي

رغم أن بداية استخدام مفهوم الأمن الطاقي يعود إلى فترة الحرب العالمية الأولى، إلا أن الفكر السياسي منذ القدم وحتى وقتنا الحاضر لم يغفل عن التطرق لموضوع الأمن كغيره من المفاهيم المتداولة في العلاقات الدولية.

فنجد أن الفكر السياسي اليوناني متمثلا بأرسطو يتحدث عن قوه الدولة وكيفية المحافظة عليها وعلى أمنها واستقرارها ويحدد الأخطار التي قد تهددها. كذلك الفكر السياسي المعاصر والحديثة اهتم بالأمن وحدد أنواعه وبين جوانبه(٥) .

وفي السنوات الأخيرة طرحت الكتابات الأكاديمية مجموعة جديدة من المفاهيم الأمنية في محاولة لتوسيع وتعميق مفهوم الأمن، ومنها مفهوم الأمن البيئي، والأمن الإنساني، والأمن المجتمعي، والأمن الغذائي، الأمن الطاقي. فهذا الأخير، اتسمت الدراسات التي تناولته بالتمايز فيما بينها، لأنه مفهوم محير خاصة في ظل صعوبة الاتفاق على تعريف محدد له، فغالبية مؤسسات الفكر تناولت المفهوم من وجهة نظر وموقف دولها، وركزت مناقشة موقف الأدبيات المختلفة من قضية أمن الطاقة، والتي انقسمت إلى فريقين: الأول تعامل مع أمن الطاقة كقضية حقيقية، بينما تعاملت المجموعة الثانية مع أمن الطاقة كمفهوم وهمي لا يرتبط بواقع محدد.(٦)

كما نسجل في هذا الإطار، وحسب التوصيات التي أصدرتها المؤسسات الدولية كالبنك الدولي والأمم المتحدة أن تحقيق أمن الطاقة يتطلب منا تبني اقترابات تعاونية على المستوى الدولي، وكذلك عدة مبادرات محلية ودولية. وبالتالي فإن تحديد طبيعة هذا المفهوم تفرض علينا تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين، الأول نستعرض فيه المقاربات التقليدية السائدة في المراحل الأولى

مـن ظهـور المفهـوم حسـب تطورهـا التاريخـي، علـى أمـل أن نتنـاول فـي مطلـب ثانـي الإتجاهـات الحديثـة التـي فرضتهـا التطـورات الدوليـة.

المـطـلـب الأول: المـقاربـات التـقلـيدية للأمـن الطـاقـي

أصـل كلمـة الأمـن فـي اللغـة "طمأنينـة النفـس و زوال الخـوف". أمـا اصطلاحـا: فحسـب دائـرة المعـارف البريطانيـة هو"حمايـة الأمـة مـن خطـر القهـر علـى يـد أجنبيـة"(٧)؛ فالمصطلـح ارتبـط أكثـر بحالـة اللاأمـن الناتجـة عـن التهديـد العسـكري، لكـون الدراسـات الأمنيـة فـي فتـرة الحربيـن العالميتيـن مـن اختصـاص العسـكريين والاسـتراتيجيين، بالإضافـة إلـى سـيطرة المدرسـة الواقعيـة فـي تفسـير العلاقـات الدوليـة خـلال هـذه المرحلـة ومـا بعـد الحـرب البـاردة، حيـث اتفـق الواقعييـن علـى أن الأمـن هـو الهـدف الدائـم للسياسـة الخارجيـة للـدول المتمثـل فـي حمايـة مصالـح الدولـة الوطنيـة مـن التهديـدات الخارجيـة التـي تحـول دون تحقيقهـا باسـتخدام القـوة كوسـيلة نهائيـة لاسـتئصال مصـادر التهديـد وضمـان اسـتمرارية تحقيـق تلـك المصالـح.(٧)

وفـي هـذه الفترة(مـا بيـن الحربيـن العالميتيـن) ارتبطـت المصالـح الحيويـة لأي موقـع قـوة بتدفـق الطاقـة المركـزة فـي النفـط، فالسـيطرة عليـه تعنـي ضمـان اسـتمرار عمـل الآلـة الصناعيـة والآلـة العسـكرية معًـا، أي الرخـاء والقـوة، عامـل مهـم فـي تحديـد ميـزان القـوى فـي الحـرب. هـذه الأهميـة تعيد لنـا إلـى الأذهـان مقولـة اللـورد "كـرزون" خـلال الحـرب العالميـة الأولـى فـي{ أن الحلفـاء عامـوا إلـى النصـر علـى موجـة مـن النفـط وأن الافتقـار إلـى النفـط كان مـن العوامـل المهمـة فـي هزيمـة الألمـان(٩) وفـي نفـس الاتجـاه يقـول الدكتـور "هربـرت فيـز" رئيـس اللجنـة الحكوميـة المشـتركة للنفـط أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة {عـادت تجربتنـا لتأكـد مـدى الحاجـة إلـى كميـات كبـرى مـن النفـط لخـوض الحـرب، وكيـف أنـه عنصـر حاسـم فـي النصـر والهزيمـة(١٠).

هـذه الأهميـة التـي اكتسـبتها الطاقـة خاصـة النفـط انعكسـت بدورهـا علـى مناطـق تواجـده المحصـور بشـكل عـام فـي مناطـق محـددة (بالشـرق الأوسـط، والخليـج العربـي، وبعـض الـدول أمريـكا اللاتينيـة، وإفريقيـا). ومـن هنـا جـاء إعـلان ونسـتون تشرشـل قائـد أول للبحريـة البريطانيـة أن الأمـان والثقـة فـي النفـط تكمـن فـي التنـوع وحـده. بالتالـي ارتكـز المقتـرب التقليـدي فـي التعامـل مـع قضيـة أمـن الطاقـة، علـى أمـن العـرض مـن خـلال التركيـز علـى توافـر الإنتـاج الكافـي فـي تأميـن الدخـول للنفـط والمصـادر الأخـرى مـن الطاقـة بكميـات كافيـة للحيلولـة دون وقـوع أزمـات الطاقـة.

بالتالـي فـإن هـذا التعريـف يرتكـز علـى أمـن العـرض. ممـا يثيـر عـدة إشـكاليات متعلقـة بمـدى اسـتقرار أسـواق الطاقـة، وإشـكالية السـعر المناسـب. أضـف إلـى هـذا التحـولات التـي عرفهـا العالـم ما بعـد الحرب البـاردة، وأثـر بشـكل كبيـر علـى قضايـا الطاقـة حيـث لـم يعـد غيـاب أمـن الطاقـة مرتبطـا بوقـف الإمـدادات كمصـدر وحيـد للتهديـد، بـل هنـاك معطيـات دفعـت بالدوائـر البحـث العلمـي والأكاديميـة علـى تجـاوز المحـددات التقليديـة نحـو تبنـي تعريفـات واسـعة تمتـد لتشـمل التطـور التكنولوجـي وعمليـات النقـل ومـع الأخـذ بالأبعـاد البيئيـة والاجتماعيـة والتنمويـة والأوضـاع السياسـية للـدول المنتجـة... وغيـر مـن الاعتبـارات.

المـطـلـب الثـانـي: الاتجاهات الحديثة المحددة للأمن الطاقي

ثمـة تحديـات جديـد بـارزة فـي الآونـة الأخيـر أكثـر اتسـاعا وتنوعـا وأهميـة وتعقيـدا لأمـن الطاقـة، ممـا يسـتدعي وضـع المفهـوم فـي إطـار يسـاعد علـى خلـق اسـتراتيجية متعـددة الأوجـه لمعالجـة هـذه الأخطـار المتعـددة.

فقـد بـدأت تطـرح بعـض الدراسـات، قائمـة طويلـة

من التهديدات لأمن الطاقة؛ ومن بينها النزاعات المسلحة والقرصنة وحتى الكوارث الطبيعية. ومن ناحية أخرى، وبالنظر إلى توزيع الطاقة الهيدروكربونية عالميا، توضح لنا أن النسبة الأكبر من احتياطات عالميا ترتكز في مناطق تعاني من عدم الاستقرار السياسي(١١) ثمة أيضا مخاطر بيئية التي يطرحها التسخين العالمي والتغير المناخي.

بالإضافة إلى ذلك، الخوف العام من كابوس أمن الطاقة الأقصى: أن تقع مواد نووية في أيدي المنظمات الإرهابية. تستطيع هذه المنظمات أن تنفذ هجمات لشبكات نقل مجمع الطاقة وأن تكون أهدافا مغرية لهؤلاء الذين يركزون على الاضطراب المجتمعي...كافة تلك المتغيرات دفعت الباحثين والساسة إلى إعادة النظر في المفهوم التقليدي لأمن الطاقة، لكن الغريب في الأمر أننا لا نجد اتفاق حتى الآن بشأن تعريف محدد للمفهوم، والصلة بينه وبين مفاهيم الأمن الوطني والعالمي. ما رد ذلك إلى تباين بين الدول المستهلكة والمنتجة في تحديد المفهوم، إضافة إلى إتجاه يميل أن قضية أمن الطاقي تتطلب تعاملا فوق العادة تتجاوز البعد الإقتصادي إلى قضايا أخرى.

وما يمكن استنتاجه مما سبق أن مفهوم أمن الطاقة يغير شكله وأبعاده المختلفة من فترة للأخرى ومن دولة لأخرى. ومن أهم التعاريف الحديثة والشاملة لكل للأبعاد السابق تعريف الذي قدمته المؤسسات الدولية كالبنك الدولي(١٢) والوكالة الدولية للطاقة والأمم المتحدة.

وكباحثة متخصصة في مجال الدراسات الطاقية بكل أنواعها، وعلى ضوء التحولات التي شهدتها قضايا الطاقة يمكن القول أن الأمن الطاقي يشير "إلى تلك أنظمة مرنة للطاقة، هذا النظام المرن سوف يكون قادرا على تحمل التهديدات عبر مجموعة من التدابير الأمنية المباشرة-مثل المراقبة والحراسة- وغير المباشرة مثل تنويع مصادر الطاقة والاعتماد على بنى تحتية أكثر أمنا وأقل تعرضا للمخاطر.

المبحث الثاني: استراتيجيات تعزيز أمن الطاقة ووسائل ضمانه

منذ الثورة الصناعية أصبح للطاقة دورا أساسيا وحاسما في الاقتصاد العالمي، فمعظم الصراعات كانت حول التزويد والسيطرة على الموارد الطاقية، وكذا التحكم في المناطق التي تتوفر فيها هذه المادة، حتى تتمكن من توفير إمداداتها في ظل تزايد الطلب عليها، ومن تم أصبح أمن الطاقة أحد محددات السياسة الخارجية والدفاعية للدول لاسيما القوى الصاعدة، ببروز لاعبين جدد على الساحة الدولية والإقليمية أحدثت تحولات في خريطة الطاقة على المستوى العالمي.

أصبح التوتر والخوف من نقص الإمدادات الطاقية، من مواضيع الساعة ومحورا رئيسيا في نقاشات السياسة الدولية، وخصوصا لدى الدول الرئيسية المستهلكة للطاقة الأحفورية، فأي خلل في إمدادات الطاقة إلى السواق العالمية أو الارتفاع في أسعار الطاقة، يؤثر بالسلب على الاقتصاد. فلا أحد يستطيع إنكار ما خلفته أزمة الطاقة ١٩٧٣ من رعب توقف المصانع وتدني مستويات الإنتاج والنمو الإقتصادي، خاصة للولايات المتحدة الأمريكية الشيء الذي دفع بالرئيس جيمي كارتر في يناير ١٩٨٠ أن يصدر ما عرف بـ" مبدأ كارتر" الذي جاء فيه:" ليكن موقفنا مطلق الوضوح، إن أي محاولة من قبل أي قوة خارجية للسيطرة على منطقة الخليج الفارسي سيعتبر هجوما على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية، وسيتم صد ذلك الهجوم بكل السبل اللازمة من ضمنها القوة العسكرية»(١٣).

وهو ما أدى إلى تبني وصياغة استراتيجيات

وسياسات لتعزيز الأمن الطاقي، تتراوح بين التهديد والشدة والنعومة، أو اعتماد برامج شراكات تعاونية وانفتاحية بما يخدم المصالح كل طرف. إلا أن التطورات التي عرفها العالم نقلت قضايا الطاقة وضمان أمن الحصول عليها من المفاضلة بين الاقتصاد والبيئة خاصة بالنسبة للدول الأسيوية، التي تنظر إلى الطاقة باعتبارها ضرورية من أجل تحقيق التنمية. والطلب المتزايد عليها سيؤدي إلى حدوث مجموعة كبيرة من الآثار الاقتصادية والإستراتيجية وكذا البيئية والاجتماعية، مما سيزيد من تكلفة تأمينها فأصبحنا أمام معطيات جديدة تفرض إجراءات جديدة تتلاءم معها.

وبناءا على ما سبق، سنبين في المطلب الأول من هذا المبحث الأساليب والاستراتيجيات التي لجأت إليها الدول العظمى المسيطرة على النظام الدولي قبل وبعد الحربين العالميتين لتعزيز أمنها الطاقي، وفي المطلب الثاني وحسب التحولات التي عرفها العالم فرضت حلول إجرائية تتلاءم مع القضايا التي صاحب الطاقة من تلوث والتنمية...

المطلب الأول: السياسات الجيواسراتيجية لفرض الأمن الطاقي

يعتبر التزود بالطاقة النفطية الهدف الأول والوحيد الذي اهتم به جميع أقطار العالم فقيرها وغنيها، المتقدم منها أو النامي. فلم يمر يوم على العالم، لم يكن فيه النفط أو تأثيراته المختلفة الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية مجتمعة أو منفردة، موضوع نشرة جديدة، أو مقال جديد في الدوريات والكتب المتخصصة أو غيرها.

فقد كان سببا في إشعال الحروب التي عاشتها الإنسانية خلال القرن العشرين، وغير من السمات الجيوسياسية للعلاقات الدولية. فقد شهد مطلع القرن التاسع عشر تنافسا حاد بين القوى العظمى لسيطرة على المنابع التزود، خاصة الإمبراطورية البريطانية التي سارعت إلى اعتماد عدة استراتيجيات ومن أبرزها استراتيجية وضع اليد الخفية، ولو من بعيد. ولنا نماذج فيما يعرف باتفاقيات ترسيم الحدود(١٤) التي فرضتها على مستعمراتها حتى تكرس نوعا من التفرقة وعدم الاستقرار الداخلي بين مناطق نفوذها، وجاء هذا الترسيم حسب ما يخدم مصالحها عند الانسحاب من المنطقة ووضع اليد على المنابع النفطية لضمان أمنها الطاقي.

وفي نفس الإتجاه نجد ميثاق كوينسي الذي أبرم في ١٤ فبراير ١٩٤٥، رمز للإستراتيجية الأمريكية الأمنية الداعية للتواجد في المنطقة العربية، حيث اقترحت واشنطن على المملكة العربية السعودية ضمان الدفاع عن أراضيها في حالة تعرضها لاعتداء خارجي، في المقابل تستفيد واشنطن من الأفضلية في مجال الامتيازات النفطية السعودية. (١٦)

ومن بين الأهم الاستراتيجيات المعتمدة لضمان لأمن إمدادات الطاقية، السيطرة على المناطق الجيوبوليتيكية خاصة ممرات أو المنافذ المائية كالبحار والمحيطات والخليجان. فهذه المناطق تعتبر اختزالا مثاليا لتاريخ العلاقات الدولية، خاصة الشرق الأوسط فبسبب وفرة النفط والغاز، شكل مركز انجذاب، وأصبح ضمن الأجندة السياسية الخارجية للدول العظمى، وأيضا منطقة بحر قزوين، وهذه المواقع تدخل في إطار إستراتيجية التنوع الجغرافي للمصادر. هذه الإستراتيجية تتخلص بتجنب الاعتماد على عدد محدود من نقاط الإمداد، أي أنها لا تعتمد على بلد واحد من اجل الإمداد بالنفط، بل تكون معتمدة على عدة بلدان حتى تكون لها بدائل في حالة ما وقع نزاع أو ارتفاع أو نقص في الإمدادات من جهة أخرى(١٧). وجل هذه المناطق وللأسف الشديد تعاني إلى يومنا هذا عدم الاستقرار السياسي بسبب المصادر الطاقية وإذا لم يكن هدفا معلنا يظل هدف خفي يصعب إنكاره.(١٨)

المطلب الثاني: الوسائل الإجرائية لضمان الأمن الطاقي

في الحقيقة أخذ مفهوم أمن الطاقة عند بداية القرن الحالي أبعاد أكثر اتساعا، فلم يعد يشمل مجرد تدفق النقط، لأن الدول المستهلكة الرئيسية في العالم استطاعت تجاوز الأمر من خلال إنشاء مخزونات النفطية الاحتياطية، والذي يعد المخزون الاستراتيجي الأمريكي من أهمها. بالإضافة إلى اعتماد سياسات ترشيد استخدام الطاقة، خاصة مقترح هجران المصادر الهيدروكربونية نحو المصادر طبيعية متجددة عبر سياسات الانتقال التدريجي. فرغم ما تتميز به مصادر الطاقات المتجدد من خصائص المختلفة، إلا أن مثل هذه الخصائص تعتريها معوقات من الصعب بمكان تجاوزها؛ فالأمر لم يعد مرتبط بالصعوبات مالية أو تقنية، بل تجاوزته إلى معوقات مرتبطة بالتغيرات المناخية كالغبار والغيوم ومشاكل المياه والرياح مما له تأثير على الإمكانية الفنية المستقبلية لهذه الطاقات وعن مدى نجاعتها في تلبية الطلب المتزايد للطاقة، خاصة النتائج التي جاءت متضمنة في تقرير التقييم الرابع للهيئة (IPCC) حيث تأكد أن معظم الزيادة الملحوظة في متوسط درجة الحرارة عالمياً ترجع إلى النشاط البشري.(١٩) المسألة أصبحت لها ارتباط بتطبيق الأسلوب الأنجع والتقنية الكفؤة، وفي إيجاد نموذج يربط بين الاقتصاد والمجتمع والبيئة، ويعزز عنصر الأمن وتحقيق درجة عالية من السلام والتوافق بأسلوب ناجع وكفؤ.

لذا نجد من الوسائل الإجرائية المقترح على الصعيد الدولي، وأصبحت الدول مطالبة باعتمادها ما يعرف بالتنجيع الطاقي والنظم الهجينة، كإستراتيجية لتنظيم طريقة العمل والتي تتطلب توفير مجموعة من المستلزمات، وجملة من الوسائل وكذلك التحكم في المجهودات. وهذا يتطلب التخطيط المتكامل والترشيد لقطاع الطاقة لتحقيق أقصى كفاءة، بتطوير أنظمة الدمج بين أكثر من مصدر طاقة كأسلوب تأمين للطاقة وخدماتها وتمديدها عبر الشبكات اللامركزية حتى للمناطق النائية.(٢٠)

الخاتمة

كانت قضايا الطاقة وسياستها موضوع جدل شديد وطويل، حول من يتحكم بهذه الموارد ومن يستفيد من استغلالها وعن النتائج البيئية لهذا الاستغلال، وهذه القضايا مازالت إلى يومنا هذا، بل وأصبحت جزءا من نسيجنا التاريخي. خاصة الجانب الأمني المتعلق بالتزود بها وبتكلفة مناسبة مع مراعات الأبعاد البيئية والتنموية. لهذا نجد العديد من المعاهد والمؤسسات التي انصبت بالدراسة والتحليل على كل ما يهم الطاقة لكونها عصب الحياة.

ومن أهم هذه المعاهد التي اهتمت بالجانب الأمني للطاقة نجد، مركز بروكنجز الخاص بالدراسات الأمنية الذي يوجد مقره في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، مركز الدراسات الطاقة والتنمية في جامعة كولورادو- بولدر، معهد دراسات الطاقة في جامعة أكسفورد... فقد نتج عن هذه المراكز وغيرها في الدول العربية ظهور العديد من الدراسات التي تناولت جانبا أو أكثر من التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للقوة التي تحملها الطاقة وتأثيرها على مسار العلاقات الدولية والنظام العالمي الحالي والمستقبلي.

فالطاقة أصبحت تلعب دورا مهما على الصعيد الدولي فهي التي تقرر ما إذا كانت مصابيحنا ستبقى مضاءة أو ستنطفي، وما إذا كانت زراعتنا وصناعتنا تمضي قدما إلى الأمام أو تتراجع، وفي الواقع ما إذا كنا نستطيع الدفاع عن أنفسنا أو لا نستطيع، ولهذا السبب البسيط يجب أن تكون سياسة الطاقة واحدة من الأولويات العليا بالنسبة

لأي إدارة، لأنها ذات أهمية عظيمة في برامج التطوير في ما يتعلق بتطور مستقبل أمتنا.

| المصادر:

١. ألان غرينسبان: عصر الاضطراب، مجلة النفط والتعاون العربي (عرض كتاب) العدد ١٢٩ السنة ٢٠٠٩، ص٢٦٢.

٢. محمد الرميحي: العلاقات الدولية والنفط مجلة عالم المعرفة، العدد ٥٢، أبريل ١٩٨٢، ص ١١.

٣. وفي محاولة لدراسة العلاقة بين أمن الطاقة والصراع الدولي، ودفعها الدول لتبني سياسات تدخلية والانخراط في صراعات خارجية، نشرت دورية "رؤى إستراتيجية"، تحليلا تحت عنوان: "النفط والصراع، جاذبية قاتلة... العلاقة الارتباطية بين النفط والصراع"، بقلم جيمس ماكنيلي، حيث سعى في هذا التحليل، إلى تقييم فرضية أن وفرة الاحتياطات النفطية قد تكون دافعا لصراع عسكري، أو أن ندرة تلك الاحتياطات، هي أحد العوامل المشجعة على المشاركة في صراعات عسكرية خارجية... . وخلص "ماكنيلي" أن الدول ذات الوفرة النفطية أو التي تعاني نقصا في ذلك المورد الإستراتيجي تكون هدفا أو مشاركا في صراع عسكري.(للمزيد من التفاصيل انظر:
James E. McGinley: Oil and Conflict: Fatal Attraction? A Correlational Examination of Oil Resources and Armed Conflict, ٥ Strategic Insights, Volume VIII, Issue December)٢٠٠٩(.

٤. خديجة عرفة محمد: أمن الطاقة وآثاره الإستراتيجية.جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض الطبعة الأولى ٢٠١٤، ص ٥٢.

٥. صليحة كبابي: الدراسات الأمنية بين الإتجاهين التقليدي والحديث، مجلة العلوم الإنسانية، عدد ٣٨ ديسمبر ٢٠١٢، ص:٢٣٠

٦. لا بد من الإشارة في هذا الإطار أن هناك العديد من الدراسات الجانبية التي تناولت أمن الطاقة، كدراسة مستقبل أمن الطاقة والتي تركز على حالات أربع دول من منظور العرض والطلب، ودراسة التغيرات المناخية والتحول في عرض الطاقة العالمي، والدراسات التي ناقشت قضية أمن الطاقة في كبريات الدول، كدراسة أمن الطاقة الأمريكي، وأمن الطاقة في الصين والهند، والدراسات التي تناولت الناتو وأمن الطاقة... يعاب على هذه الدراسات أنها أحادية الجانب حيث تناولت قضية الأمن الطاقي من زاوية واحدة دون الأخذ بالعوامل الأخرى المؤثرة خاصة التطورات والتغيرات الدولية التي عرفها المجتمع الدولي.

٧. صليحة كبابي: الدراسات الأمنية بين الإتجاهين التقليدي والحديث، مرجع سابق، ص: ٢٣١.

٨. تامر كامل الخزرجي: العلاقات السياسية الدولية وإستراتيجية إدارة الأزمات، ط ١،٢٠٠٥ ، ص ٣١٩

٩. عبد العزيز سعيد: النظام العالمي الجديد حاضر والمستقبل.اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٩٠، ص.٩٩

١٠. كيغن بول ليمتد: السيطرة على النفط صراع بين الشرق و الغرب في الخليج(ترجمة علوي درويش كيال) عشتار للترجمة والطباعة–لندن ٢٠٠١، ص٢٨.

١١. توضح الخريطة عن أكثر المناطق في العالم غنا بالطاقة الأحفورية، حسب الإحصائيات الوكالة الألمانية للطاقة: www.renewables-madz-in-germany.com

١٢. عرفت دراسة للبنك الدولي المفهوم بأنه: "التأكد من أن الدولة يمكنها أن تنتج وتستخدم الطاقة باستدامة وبسعر مناسب؛ بما يسهم في تحقيق النمو الاقتصادي من

خلال تقليل الفقر، وتحسين مستوى معيشة الأفراد، من خلال تسهيل الدخول الخدمات الطاقة الحديثة". كانت هذه الدراسة بعنوان قضايا أمن الطاقة، للمزيد أنظر:
the world bank, energy security issues, Moscow – washington.dc, December, ٢٠٠٥.

١٣. لقد حددت وكالة الطاقة الدولية والدول الأعضاء فيها كفاءة الطاقة كالوسيلة الأسرع والأقل تكلفة لمعالجة أمن الطاقة والتحديات البيئية والاقتصادية، حيث وضعت الوكالة مجموعة من خمسة وعشرون توصية لسياسات كفاءة الطاقة، والتي أثبتت أنها وسيلة فعالة لزيادة الوعي والحصول على دعم سياسي رفيع المستوى... للمزيد يمكن الاطلاع على التقرير الصادر عن الوكالة بعنوان "توصيات للسياسات الإقليمية لكفاءة الطاقة"، سنة ٢٠١٤. ٩ rue de la Fédération ٧٥٧٣٩ Paris Cedex ١٥, France.

١٤. سني محمد أمين: أهمية النفط في صياغة الآمن القومي الأمريكي. الفضاء الثقافي، ٦ يونيو٢٠٠٨، ص٥.

١٥. ذلك أن شبه الجزيرة العربية عبارة عن صحراء شاسعة دون حدود سياسية كما هو معروف في الغرب، ومن هنا قامت ابريطانيا بترسيم حدود دول وتسوية الخلافات بين المشيخات المتصالحة، والتي مازالت إلى يومنا هذا أحد أسباب النزاعات بين الدول العربية. والمثال الأوضح في هذا الإطار العراق، إذ يعتبر أهم كيان خلقته سلطة الانتداب البريطانية، فقد رسم المتفاوضون في باريس حدوده بالمسطرة خالقين بذالك دولة تضم مختلف الأجناس، ففي الجنوب يقطن ما يسمى بعرب الأهوار الذين يرون أن طهران الشيعية أقرب إليهم من بغداد السنية وفي الشمال يسكن الأكراد في حزام جبلي يربط تركيا بإيران وكانت مطالبهم قد أهملت أيضا في إعادة رسم الحدود الأمر الذي أدى إلى نشأة النزاع الذي أصبح يهدد استقرار المنطقة حتى يومنا هذا... للمزيد في هذا الإطار أنظر، علوي درويش كيال: السيطرة على النفط صراع بين الشرق والغرب في الخليج، عشتار للترجمة والطباعة، الطبعة الأولى٢٠٠٣، ص ٤٨.

١٦. براء ميكائيل: السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط (ترجمة: رندة بعث)، دار المركز الثقافي للطباعة النشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٧.ص١٢.

١٧. جوليا أولمستيد "الشركات الأمريكية تعمل في كولومبيا"، ٥ يوليوز/٢٠٠٢/www.americas.org/

١٨. Daniel Yergin, « The Epic Quest For Oil, Money and Power : Simon and Schuter , New York, ١٩٩١,P١٤

١٩. التقرير الصادر عن الهيئة المعنية بتغير المناخ IPCC: مصادر الطاقة المتجددة والتخفيف من آثار تغير المناخ، الفريق الثالث، دار النشر combridge university priss ٢٠١٤. ص٩.

٢٠. Pierre Kohler: L'imposture verte, Paris, Albin Michel. (٢٠٠٧). p٣٧٨.

دول وقضايا:

د. محمد كاظم علاوي

الأنظمة الدولية:

الاستمرارية والتغيير

توطئة

يحتاج الباحثين في العلاقات الدولية إلى فهم أحداث واتجاهات الماضي؛ فالمفاهيم الجوهرية في هذا الحقل شكلتها وطورتها أحداث تاريخية بالأساس؛ ومعظم الأسئلة التي يطرحها هؤلاء هي نتيجة لأحداث العالم الواقعي غير المتوقعة أو المفسرة. أصول النظام الدولي المعاصر، والى حد كبير، موجودة في الحضارة ذات المركزية الغربية؛ والعلاقات الدولية - النظرية أو التطبيق - متجذرة في التجربة الأوروبية.

هذه الدراسة تقدم مسح موجز للنظام الدولي منذ القرن السابع عشر وحتى الوقت الحاضر. تحديداً، هي تركز على ستة من التواريخ الأساسية والحقب التي ترمز إليها:

١٦٤٨ - صلح ويستفاليا وظهور الدولة القومية (نظام التعددية القطبية)

١٨١٥ - الوفاق الأوروبي (نظام التعددية القطبية)

١٩١٩ - حقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى (نظام التعددية القطبية)

١٩٤٥ - حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية (نظام الثنائية القطبية)

١٩٨٩ - حقبة ما بعد الحرب الباردة (نظام الاحادية القطبية)

تشير كل واحدة من هذه التواريخ إلى نهاية نزاع دولي كبير وبداية عهد جديد لإعادة بناء نظام دولي أكثر استقرارًا. وكما سنرى، هناك نمط متكرر من الصراع، تتبعه محاولة لإعادة تصميم النظام الدولي، وفي النهاية ظهور صراع آخر.

تهدف هذه المراجعة جزئيًا إلى التعريف بالأحداث الرئيسية في تاريخ العلاقات الدولية، واستخرامها لغرض رسم تطور النظام السياسي الدولي الحالي.

٠١ | النظام الدولي

النظام في السياسة الدولية له معان وأشكال متعددة. يعرّف إيكنبيري (Ikenberry) ، النظام الدولي بأنه «القواعد والمؤسسات المتفق عليها الموجِّهة لسلوك الدول، والتي تختلف من حيث النطاق، ودرجة المأسَسَة، وأشكال التعاون، وعدد الدول المهيمنة، والآليات الضامنة لشكله واستقراره». ويضيف، بأن هناك ثلاثة أنماط للنظام: نظام يسوده توازن القوى بين الدول، ونظام يسوده التوافق بين طرفين، ونظام تسوده القيادة المهيمنة.

معيار هذا التصنيف هو عدد الفواعل الرئيسة (الدول العظمى) الموجودة في النظام الدولي خلال فترة زمنية معينة. والترتيبات المحتملة تتضمن: أولا، الأحادية القطبية، (دولة واحدة متفوقة تهيمن على النظام) ؛ ثانيا، الثنائية القطبية (دولتان تملك قدرات متساوية تقريبا) ؛ وثالثا، التعددية القطبية (ثلاثة قوى عظمى - أو أكثر - تملك قدرات متساوية تقريباً) . إذن، توزيع القوة في النظام، والنمو المتباين في قدرات الوحدات الدولية، هي متغيرات حاسمة في تحديد نوع وطبيعة النظام الدولي. بعبارة أخرى، التغيير في بنية النظام الدولي (من الثنائية القطبية إلى التعددية القطبية مثلا) مرهون بتوزيع القدرات بين وحداته.

من ناحية أخرى، تستمر الأناركية في كونها سمة مميزة للنظام الدولي؛ ولهذا صارت توازنات القوى والتحالفات بين الدول هي وسيلة الحفاظ على النظام. وتبعاً لذلك، صارت «الحرب» هي المحرك الأساسي للتغيير في النظام الدولي، لأنها تقوم بتغيير التوزيع القائم للقوة (الوضع الراهن) وتعيد تركيزه في الدول المنتصرة. والتسوية السلمية التي تلي الحرب تعيد ترتيب الأسس السياسية والاقليمية للنظام الدولي؛ أي أنها تنشئ وضع راهن جديد وتوازن يعكس إعادة توزيع القوى في النظام الدولي.

تتفحص المحاور التالية انواع واتجاهات النظم الدولية المعاصرة وفق ظهورها التاريخي.

٠٢ النظام الدولي (١٦٤٨ - ١٩٤٥) :

التعددية القطبية

أصول النظام الدولي المعاصر، بحسب منظري العلاقات الدولية، تعود الى عام ١٦٤٨، وهو العام الذي أنهى فيه صلح وستفاليا ما عرف بـ حرب الثلاثين عام (١٦١٨ - ١٦٤٨) التي دمرت أوروبا. انتهت الحرب، التي بدأت كنزاع ديني بين الكاثوليك والبروتستانت، بعد أن وضعت الاتفاقيات نهاية لحكم السلطة الدينية ووفتحت الباب للسلطات العلمانية. مع هذه الأخيرة، جرت إعادة صياغة لخريطة أوروبا، وبدء الظهور التدريجي للوحدات السياسية التي شكلت أساس الدول الحديثة ذات السيادة.

١٦٤٨: صلح ويستفاليا (ولادة نظام الدولة القومية)

في صلح ويستفاليا (١٦٤٨) عززت أوروبا انتقالها الطويل من العصور الوسطى إلى عالم الدول ذات السيادة. من المؤكد أن ويستفاليا لم تخلق نظام الدول من العدم، لأن مكونات هذا النظام كانت تتراكم ببطئ لقرون حتى حصول التسوية. فمع أن ظهور نظام الدول القومية (النظام الدولي الحديث) يقرن عادة باتفاقيات ويستفاليا، الاّ أن قواعد هذا النظام تشكلت في أوروبا القرن السادس عشر. في النهاية، أنتصر نظام الدول ذات السيادة بجانبين أساسيين:

الأول، أدت الإصلاحات التي تم التفاوض عليها في ويستفاليا إلى حل فعال للإمبراطورية الرومانية المقدسة؛ وترتب على ذلك أن صارت «الدولة» الشكل الوحيد تقريبًا للسلطة الدستورية في أوروبا، ولم تعد سلطتها تواجه تحدٍ جاد من قبل الإمبراطورية. الثاني، وضعت ترتيبات صلح ويستفاليا حداً لفترة الحروب الدينية في أوروبا ودشنت حقبة صارت فيها الصراعات داخل القارة تتعلق باهتمامات دنيوية في المقام الأول (كالأراضي) ؛ لتنهي بذلك حقبة طويلة من التدخل الديني: الاختصار الأكثر شيوعاً - في ذلك الحين - للامتيازات السيادية.

بشكل عام، كان لنظام الدولة القومية الناتج عن ويستفاليا سمات عديدة بارزة: أولاً، تألف من دول متجاورة جرى الاعتراف المتبادل بشرعيتها واستقلالها؛ ثانياً، لم يمتد هذا الاعتراف بالوحدات السياسية خارج نظام الدولة الأوروبية؛ ثالثاً، خضعت فيه العلاقات بين هذه الوحدات للقانون الدولي والممارسات الدبلوماسية؛ رابعاً، أرسى توازن مرن للقوى بين الدول الاوربية. النقطة الأخيرة تمثل مفتاح نظام الدولة القومية: قدرة أي دولة، أو تحالف ما، على موازنة قوة دولة أخرى تسعى لفرض هيمنتها على القارة.

اضافة لمرونته، كان نظام توازن القوى الذي ساد حقبة ما بعد ١٦٤٨ ذاتي التنظيم. كانت الدول الاوربية توازن تلقائيًا قوة الدولة الصاعدة بتشكيل تحالفات مؤقتة. بصياغة أخرى: الدول ومن خلال التصرف الفردي سعياً وراء مصالحها الذاتية، ستحافظ عى السلام في النظام الدولي ككل. في المقابل، يجادل آخرون بأن الصراعات بين الدول الجديدة ذات السيادة اعتمدت بشكل كبير على ضبط النفس، وعلى قدرة الجهات الفاعلة على رؤية فضيلة الحفاظ على توازن القوى، وليس نتجة إنشاء نظام رسمي لتقييد السيادة المكتسبة حديثًا. ما أجبر الأوروبيين أخيرًا على إنشاء النظام هو الثورة والحرب، وتحديداً الثورة في فرنسا (١٧٨٩) والحروب النابليونية التي تلتها.

أنهى غزو نابليون لجزء كبير من القارة الأوروبية أي وهم بالالتزام القاري بسيادة الدولة وتوازن القوى.

بنقيض ذلك، كانت مسيرة نابليون عبر أوروبا جديرة بالملاحظة على وجه التحديد بسبب رفضه لتلك القيم ومحاولته إخضاع الدول المهزومة بالكامل. في الواقع، بدا أن هدف نابليون هو إنشاء إمبراطورية أوروبية جديدة، إلا أنه اخفق بتحقيق طموحاته التوسعية. انتهى عهد نابليون - بشكل أساسي - بعد حملته الفاشلة في روسيا عام ١٨١٢، ليرسل بعدها إلى منفاه الأخير حتى وفاته عام ١٨٢١. في الوقت نفسه اتخذت القوى الأوروبية، مدفوعة مرة أخرى بتجربة الحرب، خطوة جديدة لصياغة تسوية ما بعد الحرب وانشاء نظام دولي قادر على إحلال الاستقرار في القارة.

١٨١٥: الوفاق الأوروبي

أعاد مؤتمر فيينا (١٨١٥) الذي أنهى الحرب تأكيد مبادئ سيادة الدولة ردًا على تحديات الثورة الفرنسية وإمبراطورية نابليون. كان اللاعبون الرئيسيون في فيينا هم أعضاء التحالف الرباعي: بريطانيا، روسيا، النمسا، وبروسيا (ألمانيا) . من نواحٍ عديدة، النظام الذي جرى أنشائه لأوروبا القرن التاسع عشر يشبه نظام القرن الماضي. كان من المقرر أن يظل السلام الأوروبي قائمًا على نظام الدول ذات السيادة. وبالمثل، كان يُفترض أن مفتاح النظام موجود في الحفاظ على توازن القوى بين الدول الرئيسية في النظام. وهو ما دفع لاحقاً، لقبول فرنسا في النظام واعتبرت لاعباً مهماً في الحفاظ على هذا التوازن.

الدرس المستفاد من حقبة نابليون هو أن النظام والأمن وتوازن القوى لا يمكن التعويل علي حدوثها تلقائيًا. ابتداءً من مؤتمر فيينا وفي سلسلة من الاجتماعات اللاحقة، أنشأت القوى العظمى نظام أكثر إدارة للموازنة، عرف باسم الوفاق الأوربي. الافتراض بأن التوازن سيتم الحفاظ عليه من قبل الدول ذات المصلحة الذاتية، والتي تعمل بشكل مستقل، لم يعد مقبولاً، وجرت الاستعاضة عنه بالإشراف الجماعي والحفاظ على التوازن من قبل القوى العظمى.

عاملان رئيسيان ساهما بنجاح نظام الوفاق الاوربي في القرن التاسع عشر: الأول، إجماع القوى العظمى على حفظ الوضع الراهن في أوروبا والحيلولة دون تقويض الالتزام الجماعي بالتسويات الإقليمية التي جرى التوصل اليها عام ١٨١٥. والثاني، وجود دولة موازنة تحرص على استمرار التوازن حتى عندما تتراجع الدول الأخرى. تاريخياً، كانت بريطانيا هي حامل الميزان في أوروبا، وليس من الصدفة أن يسمى القرن التاسع عشر عصر السلام البريطاني (Pax Britannica) .

على الرغم من أن نظام الوفاق الاوربي ظل ساريًا إلى حد ما طوال القرن التاسع عشر، إلاّ أن التغييرات السياسية والاقتصادية التي أعادت تشكيل القارة بحلول منتصف القرن قوضت فعاليته. تنامت قوة «القومية» متحدية المصلحة المشتركة في الاستقرار بين القوى الأوربية. في الوقت نفسه، ارتبط المد القومي المتصاعد بالمطالبة المتزايدة بالسيادة الشعبية (فكرة أن السلطة النهائية وشرعية الدولة تعكس إرادة الشعب) . والنتيجة هي أن الدبلوماسية أصبحت أقل اهتمامًا بمصالح الملوك لصالح مصالح الأمم؛ وبالتالي، جعلت الضغوط المحلية الحفاظ على الوفاق وموازين القوى أكثر صعوبة.

بحلول نهاية القرن التاسع عشر، كان ميزان القوى في أوروبا يأخذ شكلاً جديدًا. انتهى التزام القوى العظمى بالعمل في توافق للحفاظ على النظام والوضع الراهن. كما اختفى نظام توازن القوى بتحالفاته المتغيرة المرنة، وذهب دور بريطانيا كدولة موازنة غير مرتبطة بأي تحالف. وبدلاً من ذلك، ظهر تحالفان متنافسان وصارمان: في عام ١٨٨٢ تم تشكيل التحالف الثلاثي المكون من النمسا (المجر) والدول القومية الموحدة حديثاً الألمانية والإيطالية. ثم ظهر الوفاق الثلاثي لبريطانيا وفرنسا وروسيا كجبهة معارضة. هذا النظام الجامد

كان يتعارض مع الافتراضات الرئيسية لنظام توازن القوى المرن. التوافق والتشاور بين القوى العظمى حل محلها الخلاف والمواجهة: انتهت أيام الوفاق الأوروبي.

جاء الانهيار النهائي لنظام توازن القوى مع الحرب العالمية الأولى. ففي ظل نظام الأحلاف، وحالما وقعت حادثة سراييفو (اغتيال وريث عرش النمسا - هنغاريا عام ١٩١٤) ، احترمت الدول التزاماتها تجاه حلفائها، وأغرقت القارة كلها في الحرب التي توقعها الطرفين قصيرة وحاسمة، لكنها لم تكن كذلك على الإطلاق. مع انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٩) ، تحول الانتباه مرة أخرى إلى شكل النظام الدولي بعد الحرب. وبالضبط كما أدت حرب الثلاثين عامًا إلى إنشاء نظام ويستفاليا، وكما قادت الحروب النابليونية إلى إنشاء وفاق أوروبا، دفعت الحرب العالمية الأولى إلى محاولة إنشاء نظام دولي جديد لإحلال السلم والاستقرار.

١٩١٩-١٩٣٩: سنوات ما بين الحربين

إن أسباب زوال النظام (الأوروبي) متعددة الأقطاب بحلول منتصف القرن العشرين معقدة. لكن المهم في الأمر هو أن هذا النظام فقد قدرته في الحفاظ على توازن القوى بانخراط الدول الكبرى في تحالفين صلبين (المحور / الحلفاء) سرعان ما دخلا في صراع «صفري».

ثلاث إمبراطوريات أوروبية انهارت خلال الحرب العالمية الأولى أو قرب نهايتها، روسيا بالثورة، الإمبراطورية النمساوية - الهنغارية بالتفكيك، والإمبراطورية العثمانية بحروب خارجية واضطرابات داخلية. ومع زوال هذه الإمبراطوريات ذهب النظام الاجتماعي المحافظ في أوروبا، وتكاثرت محله النزعات القومية.

خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الأولى أكثر استياء بعد خضوعها لشروط معاهدة فرساي، التي أنهت الحرب رسمياً. في البدء عوملت بقسوة، لكن منطق السياسة الواقعية لنظام متعدد الأقطاب دفع البريطانيين والفرنسيين إلى السماح لألمانيا بإعادة بناء قوتها في الثلاثينيات. البشاعة التي اتسمت بها الحرب العالمية الأولى كانت سببًا آخر لعدم محاولة بريطانيا العظمى وفرنسا بجدية كبح جماح ألمانيا الصاعدة.

عندما وصل أدولف هتلر إلى السلطة ١٩٣٣ وأعاد تسليح بلاده، استجابت بريطانيا وفرنسا بخجل. أفسح الاثنين الطريق لمطالب هتلر بضم جزء من تشيكوسلوفاكيا على أساس الاعتقاد الخاطئ بأن سياسة الاسترضاء تجاه ألمانيا سوف تحافظ على السلم. تزامن ذلك مع زحف ياباني إلى منشوريا عام ١٩٣١ وبقية الصين عام ١٩٣٧، غزو إيطالي للحبشة عام ١٩٣٥، وتصادم الفاشية والليبرالية والشيوعية. هذه كانت أعراض سنوات ما بين الحربين؛ التي تجاوز فيها النظام الدولي مركزيته الأوروبية. فعلى الرغم من أن أوروبا كانت في الصدارة، إلا أن تغييرات مهمة كانت تحدث في أماكن أخرى. بدأت الدول الأخرى الموجودة، وخاصة اليابان والولايات المتحدة، في لعب دور أكثر أهمية في السياسة الدولية. قوض ذلك سيطرة اوربا المطلقة على النظام الدولي، وقاد الى حرب عالمية ثانية (١٩٣٩) .

٠٥ النظام الدولي (١٩٤٥-١٩٨٩) :

الثنائية القطبية

دمرت الحرب العالمية الثانية النظام الدولي متعدد الأقطاب، وتسببت بتوزيع جديد للقوة. لقد غيرت الحرب الحدود السياسية: امتص الاتحاد السوفييتي دول بحر البلطيق وأجزاء من فنلندة وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا ورومانيا، وقسمت ألمانيا وكوريا، وأخرجت اليابان من معظم آسيا، ووقفت الولايات المتحدة المنتصرة ضد حليفها الاتحاد

السوفييتي. مع انتهاء الحرب العالمية الثانية واجه قادة العالم مرة أخرى مسألة شكل عالم ما بعد الحرب. القضية الأساسية، كما هو الحال في ١٦٤٨ و ١٨١٥ و ١٩١٩، كانت بناء نظام عالمي من شأنه أن يساعد في تجنب حرب أخرى بين القوى. انتهى الأمر بظهور الأمم المتحدة التي كانت تشبه نسخة مؤسسية من الوفاق الاوربي (١٨١٥) ، لكن الأمل بأن يوفروجودها الأساس لنظام دولي جديد، سرعان ما تقوض بسبب الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (الحرب الباردة) والتي تبلور بأثره نظام ثنائي القطب يسيطر عليه الطرفين العظمى.

صعود وهبوط النظام ثنائي القطبية

المصالح الاقتصادية والسياسية المتباينة وفراغ السلطة الناجم عن انهيار بنية توازن القوى القديم أوجد نظام ثنائي القطبية تواجهت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. تسوية ما بعد الحرب قسمت الدول ذات السيادة بشكل تعسفي مثل ألمانيا والنمسا وكوريا. اندمجت العديد من البلدان في مجال النفوذ السوفيتي، وجرى، ردًا على ذلك، إنشاء منطقة نفوذ أمريكية في أوروبا الغربية والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الهادئ، ارتبطت الدول الواقعة فيها طوعًا بالولايات المتحدة.

ردت الولايات المتحدة على ما اعتبرته تهديدًا سوفيتيًا شيوعيًا بـ عقيدة الاحتواء، وسياسة معارضة عالمية للاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية الأخرى. ولهذه الغاية، رعت (حلف الناتو) عام ١٩٤٩؛ فاستجاب السوفيت بأنشاء (حلف وارسو) عام ١٩٥٥. لكن، وبرغم التنافس الشديد، ردع الخوف المتبادل من «السلاح النووي» القوى العظمى عن المواجه المباشرة. فتنافس الطرفان على النفوذ في العديد من المناطق والاقاليم، لينتج عن ذلك أول استقطاب حقيقي للقوة في التاريخ الحديث.

بدءًا من إدارة الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف (١٩٦٤-١٩٨٢) والرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون (١٩٦٩-١٩٧٤) ، أخذت العلاقات بين الطرفين في التحسن بشكل متقطع. قامت الولايات المتحدة بتقييم توازن القوى المتغير، وتحركت لتحسين العلاقات من خلال سياسة الانفراج مع الاتحاد السوفيتي والصين. خلال السبعينيات وأوائل الثمانينيات، استمرت العلاقات في الدفء بين الخصوم.

لاحقاً، قاد وصول ميخائيل جورباتشوف الزعيم السوفيتي عام ١٩٨٥ للسلطة الى إصلاحات مصممة لتخفيف النظام السياسي الشمولي للاتحاد السوفيتي وإعادة هيكلة أنظمته البيروقراطية والاقتصادية المرهقة. بينما كانت أهداف جورباتشوف محدودة، فتح صندوق الأسود للاتحاد السوفيتي وأطلق العنان لقوى خارجة عن إرادته، كانت النهاية الرمزية لحقبة الحرب الباردة هي سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩، الذي تبعه حل ألمانيا الشرقية نفسها عام ١٩٩٠، وسقوط الحكومات الشيوعية الأخرى في المنطقة، وتفكك الجمهوريات المكونة للاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ مع استقالة جورباتشوف من منصبه كرئيس لبلد لم يعد له وجود.

خصائص النظام ثنائي القطبية

من المؤكد أن مصطلح «سلام» ليس أول ما يتبادر إلى الذهن عندما يتذكر المرء تاريخ الحرب الباردة. لقد شهدت تلك الفترة، بعد كل شيء، أكبر تراكم للأسلحة عرفه العالم على الإطلاق، وسلسلة كاملة من الحروب المحدودة والمدمرة، ووفرة من العنف الثوري والعرقي والديني والمدني، بالإضافة إلى المنافسات الأيديولوجية. لكن، وعلى الرغم من الطابع غير العادل والمصطنع بالكامل للتسوية الحاصلة بعد الحرب العالمية الثانية، فقد استمرت الثنائية القطبية ما يقارب النصف

قرن. بالرغم من ذلك عرف توافرت بعض العناصر البنيوية للاستقرار في النظام الثنائي القطب لم تكن موجودة في الأنظمة متعددة الأقطاب التي سبقته:

١. عكس النظام ثنائي القطب بعد الحرب بشكل واقعي حقائق مكان تواجد القوة العسكرية في نهاية الحرب العالمية. بهذا المعنى، التسوية التي انتجت النظام الدولي ثنائي القطبية اختلفت بشكل ملحوظ عن تسوية عام ١٩١٩، التي بذلت القليل من الجهد لاستيعاب مصالح ألمانيا وروسيا السوفيتية.
٢. بنية النظام ثنائي القطب بعد عام ١٩٤٥ كانت بسيطًة لا تتطلب قيادة متطورة للحفاظ عليها، بالقياس الى الأنظمة متعددة الأقطاب في القرن التاسع عشر التي انهارت إلى حد كبير بسبب تعقيدها. اضافة لذلك، فإن بنية النظام الثنائي - بسبب المخاطر الكبيرة - تميل إلى إثارة الشعور بالحذر وضبط النفس، وتثبيط السلوك غير المسؤول.
٣. بسبب بنيته البسيطه نسبيًا، تميل التحالفات في هذا النظام ثنائي القطب إلى أن تكون أكثر استقرارًا مما كانت عليه في القرن التاسع عشر وفي فترة ما بين الحربين (١٩١٩-١٩٣٩) . من اللافت للنظر أن حلفي شمال الأطلسي ووارشو تساوي على المدى الطويل أكثر تحالفات ما قبل الحرب العالمية الأولى ديمومة.
٤. الأسلحة النووية كان لها، بشكل متوازن، تأثير استقرار على النظام الدولي لما بعد الحرب. لقد عملت على تثبيط عملية التصعيد التي أدت، في عصور أخرى، بشكل عرضي إلى الحرب.
٥. الأيديولوجيا، من ناحية أخرى، كانت سمة بارزة للنظام الدولي ثنائي القطبية. ومع ذلك، منذ ظهورهما كقوى عظمى، أظهر الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة قدرة على إخضاع مصالحهم الأيديولوجية لهدف مشترك هو الحفاظ على النظام الدولي.

٠٦ النظام الدولي (١٩١٩-١٩٤٥) :

الأحادية القطبية

مع ظهور روسيا الاتحادية وريثة للاتحاد السوفيتي أُعلن عن انتهاء الحرب الباردة. وهكذا، كان عام ١٩٨٩ - مثل أعوام ١٦٤٨ / ١٨١٥ / ١٩١٩ / ١٩٤٥ - فاصلاً في تاريخ النظام الدولي. في الوقت نفسه، اختلف عام ١٩٨٩ عن التواريخ الرئيسية الأخرى: كانت أعوام ١٦٤٨ و ١٨١٥ و ١٩١٩ و ١٩٤٥ نهاية لحرب عالمية كبرى، بينما لم ينتهى عام ١٩٨٩ بحرب تقليدية، بل فترة توتر (الحرب الباردة) . القوى العظمى لم تبذل جهدًا واعيًا لخلق نظام دولي لمنع حرب كبرى أخرى. لم تسفر نهاية الحرب الباردة عن سلام ويستفاليا أو مؤتمر فيينا أو معاهدة فرساي أو يالطا لتوفير إطار عمل لنظام جديد. ومع ذلك، وفرت التغييرات المستمرة الأساس لعصر جديد من السلام والاستقرار.

لحظة الأحادية القطبية

بعد أن انهارت الثنائية القطبية تحت أقدام الاتحاد السوفيتي، بدأت تتكشف معالم الأحادية القطبية تدريجيا، وسط جدال محتدم حول طبيعة عالم ما بعد الحرب الباردة. تضاربت الآراء حول طبيعة تقاطب النظام بين أولئك الذين تصوروا العالم كأحادي القطبية، وأولئك الذين تصوروه كمتعدد الأقطاب، أو حتى من اعتبروه «نظام هجين» مثل صامويل هانتنجتون، أو «نظام لا قطبي» بتعبير ريشارد هاس.

قبل الانهيار النهائي للاتحاد السوفيتي مباشرة، كتب تشارلز كراوثامر (١٩٩١) مقالًا بعنوان «اللحظة

أحاديـة القطـب»، اختلـف فيـه مـع الافتـراض السـائد بـأن نظامًـا متعـدد الأقطـاب كان يتشـكل ليحـل محـل النهايـة المتوقعـة للقطبيـة الثنائيـة. ولاحـظ أن «عالـم مـا بعـد الحـرب البـاردة مباشـرة ليـس متعـدد الأقطـاب، بـل أحـادي القطـب». مركـز القـوة فيـه هـو الولايـات المتحـدة التـي تمتلـك تأثيـرًا يفـوق أي قـوة أخـرى. بالطبـع، يـدرك العلمـاء بـأن البيئـة الأحاديـة القطبيـة ستفسـح المجـال إلـى التعدديـة القطبيـة فـي النهايـة، إلاّ أنهـم يختلفـون حـول الوقـت الـذي ستسـتغرقه هـذه العمليـة. بمعنـى آخـر يختلفـون حـول متانـة البنيـة الأحاديـة القطبيـة واسـتمراريتها النسـبية.

فـي مقـال بعنـوان «وهـم الأحاديـة القطبيـة»، نشـر عـام ١٩٩٣ توقـع كريسـتوفر لايـن بـأن الأحاديـة القطبيـة «مجـرد فاصـل جيوسياسـي سيفسـح المجال لتعدديـة التقاطـب» بعـد يسـتعيد النظـام الدولـي حالـة التـوازن بوقـت لاحـق. فـي المقابـل، نشـر وليـم وولفـورث عـام ١٩٩٩ مقالـه «اسـتقرار عالـم القطـب الواحـد» عـارض فيهـا الحـج القائلـة بعـدم إمكانيـة اسـتقرار نظـام أحـادي القطبيـة الدوليـة، واختلـف مـع الافتـراض بـأن النظـام الدولـي كفيـل بأعـادة التـوازن الداخلـي لذاتـه، والرجـوع إلـى القطبيـة الثنائيـة أو المتعـددة. يعتقـد ولفـورث بـأن الأحاديـة القطبيـة أكثـر مـن مجـرد «لحظـة» أو فتـرة انتقاليـة أو فاصـل جيوسياسـي، فهـي بنيـة متينـة ومسـتمرة، وعلـى الأرجـح سـتدوم لعقـود طويلـة إذا أحسـن القطـب الواحـد إدارة تفوقـه وهيمنتـه.

فـي الواقـع، لا يقـود سـلوك القـوى الكبـرى فـي العقـود الأخيـرة إلـى موازنـة القـوة الأميركيـة. القطبيـة الأحاديـة لا توجـد بسـبب المقوّمـات التـي تملكهـا الولايـات المتحـدة فقـط، وإنمـا يجـري تعزيزهـا (إن لـم يكـن إعـادةُ إنتاجهـا) مـن خـلال سـلوك الـدول الأخـرى التـي لا تسـعى لموازنـة القـدرات الماديـة التـي تحوزهـا الولايـات المتحـدة. هـذه الأخيـره، نجحـت فـي إقامـة نظـام دولـي مهيمـن، وفـي غيـاب موازنـة داخليـة (زيـادة فـي القـدرات الخاصـة للـدول) أو خارجيـة (ائتـلاف أو تحالـف دول أخـرى) ، فـإن هـذا النظـام الدولـي مرشـح للاسـتمرار.

خصائص النظام أحادي القطبية

أنشـأت السياسـات الدوليـة عـدد مـن الأشـكال للنظـام علـى مـر القـرون. ومـع ذلـك، الشـكل الـذي يبـرز فـي أوضـح صـوره اليـوم يكمـن فـي مفهـوم مؤسسـي ودقيـق للنظـام القائـم علـى رؤى الولايـات المتحـدة فيمـا يتعلـق بالسياسـات العالميـة، تتـم الإشـارة إليـه نموذجيًـا علـى أنـه نظـام ليبرالـي وقائـم علـى القواعـد. ثـلاث خصائـص أساسـية يمكـن تحديدهـا لهـذا النظـام، وكالتالـي:

١. الهيمنـة: الولايـات المتحـدة المهيمـن الفعلـي في النظـام الدولـي أحاديـة قطبيـة، بوصفهـا الدولـة التـي تفـوق قدراتهـا الـدول الأخـرى مجتمعـة. تعطـي الأحاديـة القطبيـة مظهـر مؤسسـاتي للهيمنـة، حيـث تمنحهـا الشـرعية وتصعـب مـن عمليـة الموازنـة بسـبب القـوة المتفوقـة وإغـراء المسـايرة. البنيـة الفوقيـة للنظـام بأكملـه تـم إنشـاؤها لخدمـة رؤيـة الولايـات المتحـدة الراميـة إلـى نظـام تجـاري سـلمي وليبرالـي. وقـد تـم اقتـراح آليـات محـددة وتشـكيلها وتمويلهـا، مثـل المؤسسـات الاقتصاديـة والتحالفـات الإقليميـة، وفـي بعـض الحـالات، كانـت تقـوم الولايـات المتحـدة القويـة بإنفاذهـا. وهكـذا، فرضـت الهيمنـة صراحـة رؤيتهـا علـى الـدول الأقـل نفـوذًا عبـر تلـك الآليـات لتحقيـق مصالحهـا. وبالطبـع، فـأن أي نظـام ذا مغـزى سـيعكس قـوة الهيمنـة ومصالحهـا أو مصالـح عـدد قليـل مـن القـوى الكبـرى.

٢. العولمـة: سـهلت ثـورة الاتصـالات فـي أواخـر القـرن العشـرين حـدوث نمـو دراماتيكـي فـي الاعتمـاد الاقتصـادي المتبـادل. أدى توسـع التجـارة والاسـتثمار العالمييـن، ودمـج المزيـد

من البلدان في هذا النظام العالمي المترابط، إلى عصر ازدهار عالمي غير مسبوق في التسعينيات. هذا التفاعل الاقتصادي يحمل تداعيات سياسية وثقافية. البعض يرى أن التقاطع بين قوى الحفاظ على الثقافة وتلك الخاصة بالعولمة هي مجالات رئيسية للصراع في القرن الحادي والعشرين، ويرى البعض الآخر انها مؤشر لظهور عالم متزايد التجانس والترابط تخفض منسوب الحرب والعنف في السياسة العالمية.

٣. الدمقرطة: إلى جانب العولمة الاقتصادية، في حقبة ما بعد الحرب الباردة، توسع عدد البلدان التي تحكمها أنظمة ديمقراطية إلى مستوى تاريخي. بدأ هذا الاتجاه في السبعينيات، حيث حدثت التحولات الديمقراطية أولاً في جنوب أوروبا، ثم امتدت إلى أمريكا اللاتينية وأجزاء من آسيا وأفريقيا، وحتى دول ما بعد الشيوعية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق.

انتهت حقبة ما بعد الحرب الباردة فجأة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، لترجح اطروحات الواقعيين. أدت الهجمات الإرهابية إلى وقف مفاجئ للتفاؤل الذي أعقب الحرب الباردة بشأن عالم سلمي مرتبط بالديمقراطية والأسواق. وبصرف النظر عن تأثير الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة، فقد كان يرمز إلى تغييرات أكثر عمقًا في النظام الدولي. بدأ الكثيرون في الحديث عن ظهور «حقبة ما بعد الحرب الباردة». بالنسبة للبعض، تبدو فترة التسعينيات، في وقت لاحق، وكأنها حقبة جديدة واضحة المعالم في السياسة العالمية أكثر من كونها فترة انتقالية بين الحرب الباردة وعصر لا يزال في طور التكوين.

| خاتمة

على مدى أربعة قرون منذ صلح وستفاليا، حدثت العديد من الأحداث الدرامية وتغير الكثير في السياسة العالمية: التنمية الاقتصادية، التقدم التكنولوجي، الحروب العالمية، الثورات، انهيار الإمبراطوريات وظهور دول جديدة، ، وإيديولوجيات جديدة، وأشكال جديدة من الحكم. في الوقت نفسه، شهدنا وسط هذا التغيير نمطًا مألوفًا: الحرب والصراع تليها جهود لتصميم نظام دولي لمنع نشوب صراعات مماثلة، يليها انهيار هذا النظام مع الحرب التالية، وهكذا. السؤال المركزي هو ما إذا كانت هذه الجهود المتعددة قد غيرت الطريقة التي يعمل بها العالم؟ وهل أدت إلى إحراز تقدم في خلق عالم أكثر سلام واستقراراً ؟ بالنسبة للواقعيين، لا يختلف عالم القرن الحادي والعشرين جوهريًا عن عالم ١٦٤٨. ظل نظام الدول ذات السيادة الذي نشأ من ويستفاليا سليمًا إلى حد كبير، ولا تزال القوة العسكرية هي العملة الرئيسية للتأثير الدولي، كما أن ظلت المقاربة العملية الوحيدة لمشكلة الحرب. على الرغم من أن الخطاب المثالي بعد الحروب الكبرى وعد في بعض الأحيان بإعادة تصميم النظام الدولي بطرق تتجاوز سياسات القوة، إلا أن الأداء نادرًا ما حقق الوعد. في الواقع، على الرغم من هذا الخطاب المثالي، فأن مناهج النظام الممثلة في ١٦٤٨ و ١٨١٥ و ١٩١٩ و ١٩٤٥ تشترك جميعها في أن الدول ذات القوة الأكبر كانت هي الأكثر أهمية لنظام ما بعد الحرب.

بينما يؤكد الواقعيون على الاستمرارية، يؤكد العديد من نقاد الواقعية (وبالذات الليبراليين) على التغيير. على وجه الخصوص، يلفتون الانتباه إلى التقدم الملحوظ، وإن كان تدريجيًا ولا يزال غير مكتمل، في الانتقال من نظام غير مُدار وغير منظم تمامًا، يقوم على العون الذاتي، نحو مناهج أكثر إدارة للنظام الدولي. في الانتقال من

نظـام تـوازن القـوى الكلاسـيكي إلـى نمـوذج الوفـاق ثـم إلـى الأمـن الجماعـي، كمـا يتجلـى فـي عصبـة الأمـم والأمـم المتحـدة، ابتعدنـا بشـكل ملمـوس، وإن لـم يكـن بالكامـل، عـن حـرب هوبـز ضـد الجميـع.

مصادر البحث

1. Lak, David A. « Great Power Hierarchies and Strategies in Twenty First Century World Politics». In Handbook of International Relations, Edited by Walter Carlsnaes, Thomas Risse and Bet. Simmons. London: SAGE Publications Ltd, 2013. pp. 555577-.
2. Goldstein, Joshua S. , and Jon C. Pevehouse. International relations. Boston: Pearson. 2014.
3. Rourke, John T. , and Mark A. Boyer. International politics on the world stage. New York: McGraw-Hill Higher Education. 2008.
4. Levy, Jack S. "Interstate War and Peace". In Handbook of International Relations, Edited by Walter Carlsnaes, Thomas Risse and Beth A. Simmons. London: SAGE Publications Ltd, 2013. pp. 581606-.
5. Viotti, Paul R. , and Mark V. Kauppi. International relations theory. Boston: Longman/Pearson Education, 2012.
6. Jackson, Richard, Georg Sørensen, and Jørgen Møller. Introduction to international relations: theories and approaches. Oxford University Press, UK, 2013.
7. Gaddis, John. "The Long Peace Elements of Stability in the Postwar International System". International Security, Vol. 10, No. 4 (Spring, 1986) , pp. 99142-.
8. How the World Works (A Brief Survey of International Relations) - Russell Bova P40.
9. Stanford Encyclopedia of Philosophy, in: https: //plato. stanford. edu/entries/ sovereignty/.
10. Mingst, Karen A. , Heather Elko McKibben, and Ivan M. Arreguin-Toft. Essentials of international relations. WW Norton & Company, 2017.
11. Mazarr, Michael J. , Miranda Priebe, Andrew Radin, and Cevallos Astrid Stuth. Understanding the Current International Order: [Building a Sustainable International Order Series] . Rand Corporation, 2016.
12. Mazarr, Michael J. , Miranda Priebe, Andrew Radin, and Cevallos Astrid Stuth. Understanding the Current International Order. Rand Corporation, 2016.

دول وقضايا

إعداد: اللواء الركن المتقاعد الدكتور عماد علوّ

قراءة في نشاط الحركات السلفية الجهادية في افريقيا

المقدمة

استحوذت الظاهرة السلفية في الوطن العربي اهتماما بارزا في السنوات الأخيرة من طرف الباحثين وعدد من المؤسسات البحثية، بمختلف مرجعياتها الفكرية والأيديولوجية، باعتبار أن سياق انتشار وبروز الظاهرة السلفية في الوطن العربي ارتبط بشكل أساسي بالإرهاب والعنف السياسي، وبما أن موضوع السلفية عموما والسلفية الجهادية خصوصا، برز بشكل أساسي مع انتشار العنف السياسي في شمال ووسط القارة الافريقية، فانه من المهم التذكير بأن دول المغرب العربي والساحل الافريقي، تتباين بخصوص التجارب السلفية، سوءا تعلق الأمر بتطورها التاريخي وحضورها المجتمعي وأيضا طريقة تعاطي السلطة معها، إذ نجد عناصر مشتركة وعناصر اختلاف بينها، الأمر الذي يحتاج إلى تدقيق في كل حالة عل حدة، ثم العمل ثانيا على رصد التشابهات والتباينات بين الحركات السلفية في دول المغرب العربي ، خصوصا» وأن ابرز تنظيمات السلفية الجهادية وهو تنظيم داعش الارهابي (تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام)، الذي تعرض الى هزيمة عسكرية كبيرة في العراق وسوريا أزاحته جغرافيا» من البلدين ودفعته إلى البحث عن ملاذات آمنة فاتجه لجمع شتاته الى قارة افريقيا، التي تعاني مجتمعاتها من بطالة وتفشي الفقر وضعف بل وفشل في أنظمة الحكم للعديد من دولها، وهو ما جعلها بيئة خصبة لاحتضان عناصر الحركات السلفية الجهادية وإنشاء معاقل تشكل انطلاقة جديدة لأنشطتها الارهابية...

المبحث الأول

تطور الفكر السلفي الجهادي في افريقيا

ان الحديث عن تنظيمات السلفية الجهادية على مستوى العبور القاري والأيديولوجي، وانطلاقا من السلفية كمنهج في العمل والتفكير فانه يمكن ملاحظة انتشار تنظيمات السلفية الجهادية

عالميا»، بدأ» من أندونيسيا وافغانستان وإقليم وزيرستان في الباكستان مرورا» بدول الشرق الاوسط مثل اليمن وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية، وصولا الى القارة السمراء مثل ليبيا والجزائر والمغرب ومالي ونيجريا ومصر والصومال. الا أنه على الرغم من اختلاف ظروف نشأة هذه الحركات وتوقيتها وأهدافها لكن الأكيد انها تنهل من مرجعيات فكرية واحدة يمكن ان توضع جميعا تحت لواء ما يسمى بـ«الفكر السلفي الجهادي»(١) ، الأمر الذي يحتاج إلى تدقيق في كل حالة على حدة، ثم العمل ثانيا على رصد التشابهات والتباينات بين تلك الحركات السلفية في افريقيا لاسيما وأن أفريقيا تعد مركزًا لحوالي ٦٤ منظمة وجماعة إرهابية ينتشر معظمها من أقصى الساحل الأفريقي بالغرب إلى أقصى الساحل الأفريقي في الشرق، ساهم في ذلك الانتشار تداخل الأفكار المتطرفة مع التركيبة التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والفراغ الأمني في تلك المنطقة. والمتتبع لتاريخ الإرهاب في منطقة الساحل الأفريقي يجده نشأ أولًا في الجزائر عام ١٩٩١ ثم انتقل إلى السودان ليعود مجددًا إلى جنوب الجزائر والتعمق في منطقة الساحل، التي أصبحت اليوم من أكبر البؤر للجهاديين في أفريقيا أجمعها. وفي أعقاب الثورات العربية، وخاصة سقوط ليبيا، ازدادت الأوضاع سوءًا حيث استغلت تلك الجماعات العمليات الكثيفة لتداول الأسلحة بين الفئات المختلفة في توفير إمدادات مستمرة من الأسلحة التي مكنتها من تنفيذ عمليات إرهابية ضخمة في كل من مالي ونيجريا وبوركينافاسو، ذلك فضلاً عن ضعف الرقابة على الحدود الذي سمح لتلك الجماعات بالتنقل من بلد لآخر بمنتهى السهولة، يظهر ذلك جليًا في تقرير مركز «دراسات الإرهاب» بالولايات المتحدة الذي أكد ارتفاع نسبة الهجمات في منطقة الساحل وشمال أفريقيا خلال عام ٢٠١٤ عن سابقتها بنسبة ٢٥٪.وأوضح التقرير الذي حمل عنوان «الإرهاب في منطقة الساحل وشمال أفريقيا سنة ٢٠١٤» أن معدلات العمليات الإرهابية التي طالت تلك المنطقة عرفت ارتفاعًا منقطع النظير، حيث تعرضت لأكثر من ٢٨٩ عملية إرهابية خلال ٢٠١٤، ما يمثل ارتفاعًا بنسبة ٨٠٠٪، مقارنة مع سنة ٢٠٠١، وهي سنة توسيع تنظيم القاعدة لعملياته الإرهابية في مناطق مختلفة من العالم ، كما أنه من ناحية الإطار الفكري، أصبحت معظم تلك الجماعات تتبنى فكر إقامة دولة الخلافة، ويظهر ذلك جليًا في ازدياد ظاهرة مبايعة التنظيمات المحلية لنظيرتها الدولية، أبرزها مبايعة جماعة بوكو حرام لداعش وتجنيد مقاتليها ليقوموا بعمليات لداعش في أفريقيا بعد سنوات عديدة من التبعية الفكرية لتنظيم القاعدة، وهو ما يعكس أن التنظيمات الدولية تسعى لإقامة «حزام إرهابي» بشمال وغرب ووسط أفريقيا . ومن الجدير بالذكر أن دول المغرب العربي والساحل الافريقي، تمثل الوجهة الأقرب والأنسب للسلفية الجهادية عموما» ولـ (داعش الارهابي) خصوصا»، لأسباب عديدة أبرزها ما يلي (٢):

- وجود شبكة ممتدة من التنظيمات الصغيرة والتي تدين بالولاء لتنظيم داعش وتتفق معه بأدبيات الفكر الجهادي.
- وفرت الطبيعة الجغرافية المتشابهة لدول المغرب العربي وقرب المسافات بين مصر وسوريا وليبيا والمغرب العربي عموماً وأوروبا، أرضاً خصبة لتحرك عناصره والاستمرار في التجنيد، بالإضافة الى سهولة تبدل الاسناد والدعم اللوجستي.
- الوضع الأمني الهش في دول المغرب العربي والساحل الافريقي، وفر حواضن مثالية للتغلغل إذ أن المشهد الجهادي يقوم على الانتشار بأماكن التوتر. ودول المغرب العربي والساحل الافريقي، يغلب عليها سمة الاضطرابات والنزاعات لذلك تشكل في مجملها مساحة

لتحرك تلك التنظيمات دون قيود.

- وجود عدة آلاف من العناصر الإرهابية ممن ينحدرون من المنطقة المغاربية ممن تدرب وشارك في القتال في افغانستان وبعد ذلك في سوريا والعراق.

استنادا» لذلك فقد شهدت خريطة التنظيمات السلفية الجهادية في الآونة الأخيرة تغيرات ملحوظة في القارة الافريقية ، يمكن قراءتها عبر تطور مستوى وطبيعة عمليات جماعة أبو الوليد الصحراوي أو ما يعرف بـ" داعش في الصحراء الكبرى" والذى يعد نتيجة مباشرة لعودة بعض المقاتلين من سوريا والعراق والمرتبطين بالتنظيم الرئيسي ، الأمر الذي يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن تنظيمات السلفية الجهادية في غرب ووسط افريقيا، خصوصا» تلك التي ترفع راية تنظيم داعش، وتؤيد فكرة مشروع الخلافة، ولكنها لا ترتبط ارتباطا مباشرا بالتنظيم الأصلي في العراق وسوريا. ومن بينها حركة التوحيد والجهاد، حركة أنصار الدين، وتنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي، سيتزايد تأثيرها ودورها بتنفيذهم عمليات إرهابية في دول المغرب العربي والساحل الافريقي، لاسيما وأنه هؤلاء قد تشبعوا بالفكر التكفيري وتلقوا تدريبات على المواجهات العسكرية وهو ما ينذر ليس بتهديد الأمن الداخلي لدول المغرب العربي ودول الساحل الافريقي فحسب , بل قد يقض مضاجع دول الجوار الجغرافي والإقليمي ويمتد إلى أوروبا والتي ترتبط مع دول المغرب العربي بشريط ساحلي يمتد لمسافة ١٢٠٠ كم مما يرجح إمكانية انتقال بعض هذه العناصر إلى أوروبا، لاسيما فرنسا، وإسبانيا، و زيادة معدلات الهجرة غير الشرعية ، خصوصا» بعد أن انتقلت تلك الجماعات الى غرب ووسط افريقيا ، وتحولت إلى كيانات تشبه الدول، لها هياكل سياسية واقتصادية وعسكرية ولوجستية([٣])، إذ أنها تعتمد على المركزية في تنظيم تحركاتها بحيث تجد القيادة العليا والوحدات الميدانية والوحدة الإعلامية والاتصالات ومصادر التمويل. كما شهدت قدرات وإمكانيات تلك الدول تطورًا مخيفًا، وانتقلت من تنفيذ عمليات مثل «الاختطاف – الاغتيال – التخريب» والتي تتطلب الأسلحة الخفية والعبوات ووسائل الاتصال المحدودة، إلى القدرة على مواجهة القوات النظامية في معارك بالأسلحة المتوسطة والثقيلة ووسائل الاتصال المتقدمة ووسائل التواصل الاجتماعي الحديثة. الملاحظة الأبرز تأتي في التحول النوعي والمادي في إستراتيجية هذه التنظيمات بظهور «النساء الانتحاريات»، حيث بدأت الميليشيات في استخدام النساء في العمليات الإرهابية، وهو الأسلوب الذي استخدمته حركة بوكو حرام في عملياتها شمال نيجيريا ومناطق من الكاميرون.

وتسيطر على منطقة الساحل الأفريقي حاليًا ٥ مجموعات إرهابية مسلحة شديدة الخطورة، ولديها صلات بتنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية(داعش)، يأتي في مقدمتهم تنظيم أو حركة بوكو حرام، وحركة انصار الدين وحركة الجهاد والتوحيد في غرب أفريقيا، والقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وحركة شباب المجاهدين في الصومال. وتؤكد العديد من التقارير الاستخباراتية الغربية أن أعداد الشباب داخل هذه التنظيمات تصل إلى ٤٣ ألف مقاتل، وأن قرابة نصفهم يمتلكون قدرات قتالية عالية ([٤]). وتوضح التقارير أن شبكات التجنيد تنتشر على امتداد مدن دول الإقليم، حيث يتواجد وسطاء التجنيد في قرابة ٤ آلاف مدرسة ومعهد ومؤسسات دينية ذات طابع خيري ودعوي، وتتركز هذه المدارس والمعاهد في مدن: نواكشوط، ونواذيبو، وروصو، ومنطقة الحوضين في موريتانيا، كيدال، ومنكا، وتمبكتو، وتاوديني، وغاو، وليري، وموبتي في مالي، وفي نيامي، وزندر، وأغاديز، وأرليت في النيجر، وفي نجامينا، وأبشا، وفايا في التشاد، وفي واغادوجو،

وبوبو، ديولاسو، ودوري، وهفويا، وتوغان، ونونا في بوركينافاسو. ويكون وسطاء التجنيد في العادة من أبناء البلد يتكلمون اللهجات المحلية، وعلى صلة بالمجتمعات الأهلية الأفريقية؛ وذلك لتسهيل الانتشار من جهة، وعدم لفت الانتباه وتجنبًا للملاحقة..

المبحث الثاني

تنظيمات السلفية الجهادية في افريقيا

كان لظهور الجماعات المتطرفة في قارة أفريقيا المتسمة بمشكلات اجتماعية واسعة النطاق، تداعيات خطيرة على الأمن والاستقرار في عموم القارة السمراء. وقد برز تيار "السلفية الجهادية" ليمثل حالة فريدة من الاهتمام بالتيارات المتطرفة، حيث مثل ذلك مصدرًا رئيسًا لأغلب الحركات والتنظيمات التي نالت من حالة الاستقرار والسلم والأمن الدوليين، وليس في غرب افريقيا فقط، حيث تبنت الجهاد كمنهج للتغيير، والتي يشغل العنف مكانة مركزية لديها. وقد ظهرت هذه التيارات والجماعات السلفية الجهادية، بسبب ضعف النظم الحاكمة، وانطوى نشاطها على تهديد وجودي لدول ومجتمعات غرب افريقيا، الأمر الذي كان من شأنه أن يؤدي إلى تغيير في الخريطة السياسية لقارة افريقيا. ويمتد انتشار الجماعات السلفية الجهادية في القارة السمراء من القرن الأفريقي في الصومال وكينيا إلى غاية بحيرة تشاد التي تضم الكاميرون وتشاد والنيجر ونيجيريا، ويصل إلى غرب ووسط أفريقيا في مالي وبوركينافاسو وغينيا والكونجو الديمقراطية وأوغندا، وفي شمال أفريقيا خاصة في ليبيا. ولم يعد خافيا» أن تنظيمي داعش والقاعدة أعادا الانتشار في أفريقيا خاصة في منطقة الساحل والصحراء بعد الضربات القاصمة التي تلقياها في سوريا والعراق وأفغانستان، بعد سنوات من تفريخ الجماعات المسلحة، والاقتتال بينها ثم توحد عدد كبير منها في إطار استراتيجية «إعادة بناء القدرات»، بشكل أعاد صياغة «خارطة الإرهاب» في القارة السمراء ([٥]).

جماعة بوكو حرام

حركة سلفية جهادية ظهرت في ولاية باوتشي وهي احدى الولايات الست وثلاثين المكونة لنيجيريا. الاسم الرسمي لحركة بوكو حرام هو (جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد)، أما اسم (بوكو حرام) فيتألف من كلمتين الأولى بوكو وتعني باللغة الهوسية «دجل» أو «ضلال»، والمقصود بها «التعليم الغربي»، وحرام وهي كلمة عربية، فبوكو حرام تعني (منع التعليم الغربي) ([٦]).

تعود جذور السلفية الجهادية المتطرفة في نيجيريا إلى سنة ١٩٩٥، بعد أن أنشأ «أبو بكر لاوان» تنظيما سماه (أهل السنة والهجرة)، بولاية «بورنو» الواقعة شمالي البلاد. في يناير ٢٠٠٢، تأسست (جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد) في افغانستان، على يد محمد يوسف، في كناما، ولاية يوبه (هي ولاية زراعية تقع في شمال نيجريا). ومحمد يوسف، داعية نيجيري، ولد في ٢٩ يناير ١٩٧٠ في ولاية يوبي في نيجيريا، وتوفي في ٣٠ يوليو ٢٠٠٩ في مايدوغوري في نيجيريا بعد اعدامه رميا بالرصاص.

تبنت حركة "بوكو حرام" خطابًا يقوم على التحريض على العنف، حيث ارتكز في المقام الأول على مواجهة الدولة النيجيرية بغرض القضاء عليها. ومن خلال عدد من البيانات التي تزايدت بدرجة ملحوظة مع تطور الأحداث، بدا حرص الجماعة على متابعة الأحداث بشكل مستمر، بالإضافة إلى فاعليتها في الداخل النيجيري.

في يوليو ٢٠٠٩ بدأت الشرطة النيجرية في التحري عن الجماعة، بعد تقارير أفادت بقيام الجماعة بتسليح نفسها. تم القبض على عدد من قادة

الجماعة في باوتشي، مما أدى إلى اشتعال اشتباكات مميتة بين قوات الأمن النيجيري وقدر عدد الضحايا بحوالي ١٥٠ قتيل. وبدأت حركة بوكو حرام باستهداف مراكز الشرطة والمؤسسات الحكومية عبر سلسلة هجمات نفذتها في مدينة "مايدوغوري" عاصمة ولاية "برنو". ومنذ ذلك الحين تخوض حركة بوكو حرام من حين لآخر مصادمات مع قوات الأمن في بوشي ومناطق أخرى بالبلاد (٧)..

وكانت توجد علاقات تعاونية بين حركة بوكو حرام والجماعات الأخرى التي تتبنى نفس الأيديولوجية، ومن أهمها: حركة الشباب الصومالية، وتنظيم القاعدة في بلاد المغرب العربي. وبالرغم من التقارب الذي كانت تتغنى به بوكو حرام مع "تنظيم القاعدة" في السابق والتبعية الفكرية له، أعلنت جماعة "بوكو حرام" بزعامة "أبو بكر شيكاو" في مطلع عام ٢٠١٥، ولائها لتنظيم الدولة (داعش) الارهابي، حيث كان لظهور "داعش" الأكثر دموية وعنفا وتراجع إشعاع "تنظيم القاعدة" وعملياتها النوعية أدى بجماعة "بوكو حرام" إلى إتباع الجماعة التي تتماشى وأهدافه المحلية وهي إنشاء دولة الخلافة في شمال نيجيريا المسلم، وهو الأساس الذي تأسست عليه الجماعة "جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد" في رفض كل ما هو غربي وحكومي ومحاربة مؤسسات الدولة وذلك ما تعنيه تسمية "بوكو حرام" بلغة "الهوسا" أي "التعليم الغربي حرام"(٨).

ولايات داعش في شمال وغرب افريقيا

تنظيم «داعش» الإرهابي بعد هزيمته في العراق وسوريا، اتجه للانتشار بشكل واسع في شمال وغرب ووسط إفريقيا، مستغلا الجنوب الليبي ولاية فزان كمنطقة انطلاق ووثوب الى وسط وغرب افريقيا، وأنشأ ٤ ولايات تابعة لخلافته المزعومة في شمال وغرب افريقيا تحت قيادة مركزية بولاية بورنو في نيجيريا، وهي كما يلي: -

١. ولاية غرب إفريقيا تتواجد في نيجيريا والنيجر وتشاد والكاميرون وبوركينا فاسو ومالي.
٢. ولاية أفريقيا الوسطى تضم تنزانيا والكونغو الديمقراطية وموزامبيق.
٣. ولاية سيناء في مصر
٤. ولاية في الجزائر.

وتؤكد تقارير معهد الدراسات الأمنية الإفريقية (٩)، على أن التنظيم يعتمد على شبكة معقدة من الاتصالات والطرق التي تمتد عبر غرب وشمال إفريقيا، بين دول ليبيا والجزائر ومالي والنيجر ونيجيريا، لتسهيل تحركات مقاتليه. ولا يخفى أن هذا التمدد الإرهابي لتنظيم داعش، وتزايد الجماعات الموالية له في جميع أنحاء إفريقيا؛ قد يعقد من جهود التعاون عبر الوطني لمكافحة الإرهاب، فضلًا عن استقطاب وتجنيد أعداد متزايدة من المقاتلين الأجانب من الإقليم وما وراءه بسبب جاذبية الخطاب الجهادي العنيف في ظل بيئة أمنية مضطربة أدت الى دعم قبضة داعش على المسرح الجهادي العنيف في غرب ووسط إفريقيا وهو ما يهدد الاستقرار والأمن الإقليمي.

ولاية غرب افريقيا

في ٢٤ آب /أغسطس ٢٠١٤ أعلنت حركة بوكو حرام الخلافة في مدينة غووزا شمال نيجيريا، أي بعد اجتياح داعش لمناطق واسعة في العراق وسوريا، واعلانها الخلافة من مدينة الموصل. وفي ٨ مارس ٢٠١٥ م بايعت حركة بوكو حرام تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وذلك بحسب بيان صوتي بُث عبر موقع الحركة على تويتر. وجاء الإعلان على لسان زعيم بوكو حرام أبوبكر شيكاو (١٠) Abu-Bakr Shekau. الذي ظل قائداً لـ«بوكو حرام» في الفترة من ٢٠٠٩ وحتى ٢٠١٦، ووصف بأنه «دموي وهمجي». وقال أبوبكر شيكاو في رسالته: «نعلن بيعتنا للخليفة»، وذلك في إشارة إلى أبو بكر

البغـدادي، وأضـاف: «سنسـمع ونطيـع فـي العسـر واليسـر». وفـي ١٢ مـارس ٢٠١٥ قبـل تنظيـم الدولـة الإسـلامية بيعـة الحركـة، وغيـرت الحركـة اسـمها ليصبـح ولايـة غـرب أفريقيـة. إلا أن داعـش سـرعان مـا نبذهـا، وانشـق عنهـا، أي عـن بوكـو حـرام، وأصبـح يُعـرف بـ «الدولـة الإسـلامية فـي غـرب أفريقيـا» فـي عـام ٢٠١٦.

الدولة الإسلامية في غرب أفريقيا

فـي ٤ أغسـطس ٢٠١٦ عيـن تنظيـم الدولـة الإسـلامية أبـا مصعـب البرنـاوي أميـرًا جديـدًا علـى الحركـة (ويعتقـد أنـه ابـن مؤسـس حركـة بوكـو حـرام محمـد يوسـف)، وقالـت مجلـة النبـأ الأسـبوعية التـي يصدرها التنظيـم أن الوالـي الجديـد وعـد بعـدم مهاجمـة المسـاجد والأسـواق التـي يسـتخدمها المسـلمون. الا أن الصـراع داخـل الحركـة سـرعان مـا أدى الـى الإطاحـة بزعيمهـا أبـو مصعـب البرنـاوي(١١)، وأسـفر عـن اختيـار قائـد جديـد هـو (أبـو عبـد اللّٰه بـن عمـر البرنـاوي)، ويشـير لقـب «البرنـاوي» إلـى منطقـة بورنـو شـمال شـرقي نيجيريـا، معقـل «بوكـو حـرام».

ويبـدو أن الإطاحـة بزعيـم ولايـة غـرب افريقيـا أبـو مصعـب البرنـاوي واختيـار أبـو عبـد اللّٰه بـن عمـر البرنـاوي، أميـرا» جديـدا» لهـا، كان نتيجـة للصـراع الداخلـي فـي داخـل التنظيـم الام (حركـة بوكـو حـرام)، ممـا أدى الـى انقسـاماً داخليـاً إلـى فصيليـن. فالفصيـل الأول وهـو «تنظيـم داعـش فـي غـرب أفريقيـا» ويتزعمـه «أبوعبـداللّٰه بـن عمـر البرنـاوي»، ولا يـزال الفصيـل يديـن بالـولاء لتنظيـم الدولـة الأم «تنظيـم داعـش فـي العـراق والشـام المعـروف». أمـا الفصيـل الثانـي وهـو «بوكـو حـرام» يديـن بالـولاء لأبـي بكـر شـيكاو، ويتكـون مـن أتباعـه الذيـن انشـقوا عـن التنظيـم، إثـر رفـض التنظيـم الأم اسـتمرار «شـيكاو» زعيمـاً لتنظيـم داعـش فـي غـرب أفريقيـا. وكلا الفصيليـن قـد كثفـا هجماتهمـا علـى المناطـق الواقعـة شـمالي شـرق نيجيريـا، والمناطـق الحدوديـة لـكل مـن تشـاد، والكاميـرون، والنيجـر المشـاطئة لبحيـرة تشـاد (١٢).

ويحـاول تنظيـم داعـش الارهابـي فـي غـرب افريقيـا، تسـويق نفسـه مـن خـلال تركيـز هجماتـه علـى المواقـع العسـكرية بينمـا فصيـل «بوكـو حـرام» الـذي يبـدو أكثـر تشـدداً لا يفـرق فـي هجماتـه بيـن أهـداف مدنيـة أو عسـكرية. وعلـى هـذا الأسـاس، يقـدم فصيـل «تنظيـم داعـش فـي غـرب أفريقيـا» نفسـه باعتبـاره بديـلاً مدنيـاً ومعتـدلاً لفصيـل «بوكـو حـرام». وقـد دخـل الفصيـلان فـي صـراع مسـلح أدى الـى أعلـن تنظيـم «الدولـة الإسـلامية فـي غـرب أفريقيـا» مقتـل زعيـم جماعـة «بوكـو حـرام» المسـلّحة أبـو بكـر شـيكاو، ولـم تؤكـد جماعـة «بوكـو حـرام» أو الحكومـة النيجيريـة مقتـل أبـو بكـر شـيكاو.

تنظيم داعش في الصحراء الكبرى

بـرز تنظيـم يُعـرف بـ «داعـش فـي الصحـراء الكبـرى»، ويتزعمـه «عدنـان أبـو وليـد الصحـراوي». عندمـا اضطلـع بهجـوم اسـتهدف قـوات أمريكيـة ونيجيريـة فـي منطقـة تونجـو فـي عـام ٢٠١٧، وأسـفر هـذا الهجـوم عـن وقـوع أربعـة قتلـى فـي صفـوف قـوات العمليـات الخاصـة الأمريكيـة، وأكثـر مـن ٢٠ جنديـاً مـن قـوات الأمـن بالنيجـر.

وتجـدر الإشـارة إلـى أن «عدنـان أبـو الوليـد الصحـراوي» كان قـد بايـع داعـش فـي مايو/أيـار عـام ٢٠١٥ بالتزامـن مـع حالـة الزخـم التـي حظـي بهـا التنظيـم، والمكاسـب الميدانيـة التـي اسـتطاع تحقيقهـا فـي كلٍ مـن سـوريا والعـراق، ممـا دفـع كثيـر مـن التنظيمـات مثـل تنظيـم بوكـو حـرام، كمـا سـبقت وأشـرنا إلـى مبايعـة «البغـدادي». وأفضـت تلـك البيعـة إلـى حـدوث انشـقاقات داخليـة فـي صفـوف تنظيـم «المرابطيـن» الـذي ينتمـي لـه «الصحـراوي». وقـد ظلـت تلـك البيعـة معلقـة دون إبـداء أي رد عليهـا من قِبـل تنظيـم «داعـش». وفـي أول ظهـور لـه منـذ عـام ٢٠١٤، أشـاد «البغـدادي» بالزعيـم «الصحـراوي»، وهنـأ

«الإخوة في مالي وبوركينا فاسو على بيعتهم»(١٣). ومن الجدير بالذكر أن تداخل مناطق نفوذ كل من تنظيمي «داعش» في غرب أفريقيا والصحراء الكبرى، أدى الى احتكاكات بين التنظيمين خصوصا بعد إعادة تموضع مقاتلي تنظيم «داعش في غرب أفريقيا» في شمالي غرب نيجيريا بالقرب من قوات تنظيم «داعش في الصحراء الكبرى» بشكل يجعل من الصعوبة بمكان معرفة مناطق نفوذ كل تنظيم على حده (١٤)..

«داعش» جنوب خط الاستواء ولاية أفريقيا الوسطى

تشهد منطقة البحيرات الإفريقية الكبرى، جنوب خط الاستواء، تصاعدا في هجمات مجموعات متطرفة في دول وسط أفريقيا (موزمبيق والكونغو الديمقراطية وتنزانيا)، منذ ٢٠١٧، قبل أن يعلن تنظيم «داعش» الإرهابي تأسيس فرع له بالمنطقة هو (ولاية افريقيا الوسطى)، وهي تسمية مضللة لأن كلًا من موزمبيق وتنزانيا ليستا جزءًا من وسط إفريقيا. وتتألف ولاية إفريقيا الوسطى من جناحين متميزين؛ الأول هو القوات الديمقراطية المتحالفة بزعامة «موسى بالوكو» في الكونغو، والثاني هي حركة الشباب (المعروفة محليًا باسم «أنصار السنة والجماعة») بزعامة التنزاني «أبو ياسر حسن»، وهي مجموعة من المقاتلين متمركزة في مقاطعة كابو ديلجادو شمال موزمبيق (١٥).

وتعيش دول وسط أفريقيا في خضم عوامل متعددة أسهمت في جذب الإرهاب للمنطقة، أبرزها الصراعات السياسية على الحكم، فجمهورية أفريقيا الوسطى تعيش وضعاً متأزماً منذ صراعات ٢٠١٢، وكذلك الكونغو الديمقراطية، والكونغو برازافيل، ونتج عن هذه الأوضاع السياسية بالضرورة تحلل اجتماعي، أفرز المزيد من الفقر والتهميش لمواطني الدول، علاوة على ذلك فإنّ المناجم والثروات المعدنية المنتشرة بوسط أفريقيا لعبت دوراً مهماً في اجتذاب داعش، لينافس القاعدة في عمليات السلب والنهب.

في نيسان/ابريل ٢٠١٩، اعلن تنظيم داعش الارهابي عن قيام (ولاية وسط افريقيا) والتي تشمل الكونغو الديمقراطية وموزامبيق، وقد جاء اعلان داعش عن قيام ولاية وسط افريقيا تزامنا» مع اعلانه المسؤولية عن الهجوم الذي وقع في قرية كمانغو قرب حدود الكونغو مع أوغندا في ٢٠١٩/٤/٢٠، في وقت الذي تعاني فيه الكونغو من العنف وتفشي فيروس إيبولا».

ورغم أن جاهات عديدة أبدت شكوكًا أولية في أن يكون «داعش» هو التنظيم الذي قام بتنفيذ الهجوم أو أوعز بذلك، الا أن كل المؤشرات تدل إلى أن التنظيم يسعى إلى تأكيد وجوده في الكونغو الديمقراطية، ولتعزيز تواجده في القارة الإفريقية بعد هزيمته عسكريًا في سوريا والعراق(١٦).

وكان من مؤشرات قوة وسعة تنظيم داعش في ولاية افريقيا الوسطى» ان تمكن في اكتوبر ٢٠٢٠ من تحرير ١٣٠٠ عنصر تابع له أو متحالف معه من سجن تابع لدولة جمهورية الكونغو الديمقراطية، في مدينة «بيني» شمال شرق الكونغو في أعقاب هجوم متزامن على سجن كانجباي المركزي، وعلى المعسكر الحربي الذي يتولى الدفاع عن السجن (١٧). ويعتقد وجود ٦ آلاف عنصر مسلح لداعش في ولاية وسط أفريقيا، انضموا وبايعوا التنظيم، وقت إقامته لدولة الخلافة المزعومة في سوريا والعراق، وهؤلاء لا يمثلون قوة عسكرية فحسب، بل قوة إيديولوجية تروّج لفكر تنظيم الدولة.

داعش في موزمبيق

تعتبر موزمبيق أحد مسارات تواجد داعش في أفريقيا، وكان أول هجوم باسم تنظيم الدولة(داعش)، على قوات الأمن الموزمبيقية في حزيران (يونيو) ٢٠١٩، وفي نيسان (إبريل) ٢٠٢٠ أعلن تنظيم داعش عبر أحد منابره الإعلامية أنه استطاع السيطرة

على بلدة مويدومبي بمحافظة كابوديلغادو في شمال موزمبيق. وتُعدّ منطقة شمال موزمبيق من أكثر المناطق الغنية بالنفط ([١٨]).

وتعود العلاقة بين حركة الشباب (المعروفة محليًا باسم «أنصار السنة والجماعة»)، في موزمبيق (والتي ليست لها صلات معروفة بالفصيل الصومالي من الشباب المجاهدين المرتبط بالقاعدة والذي يحمل الاسم نفسه)، وولاية داعش في إفريقيا الوسطى إلى أبريل ٢٠١٨، عندما أعلن بعض مقاتلي الشباب في موزمبيق مبايعتهم لداعش. ومع ذلك لم يتم الاعتراف رسميًا بالجناح الموزمبيقي لداعش إلى جانب الفرع الكونغولي إلا في يونيو ٢٠١٩. في عام ٢٠٢٠، توسّع جناح ولاية إفريقيا الوسطى الموزمبيقي بسرعة، وأظهر قدرته على شنّ هجمات متطورة سمحت له بالاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي في كابو ديلجادو، بما في ذلك الاستيلاء في أغسطس ٢٠٢٠ على ميناء موسيمبا دا برايا الاستراتيجي. ومن المعروف أن التنزاني «أبو ياسر حسن» هو الذي يقود التنظيم في موزمبيق وهو على قائمة الإرهاب العالمية وفقًا لتصنيف الخارجية الأمريكية ([١٩]).

كما سيطر داعش على جزيرتين بالمحيط الهندي، تتبعان لدولة موزمبيق، هما جزيرتي ميتيندو وفاميزي، الواقعتين قبالة محافظة كابوديلغادو، وحاول اقتحام مدينة بالما، التي توجد بها قاعدة تطوير الغاز الرئيسية (٦٠ كلم شمال موكيمبوا دا برايا)، وتمكن من عزلها، بحسب وسائل إعلام. وخلفت هجمات داعش مقتل ٢٥٠٠ شخص ونزوح أكثر من ٥٧٠ ألفا آخرين ([٢٠]). كل ذلك دفع الحكومة الموزمبيقية الى اللجوء لاستخدام شركات أمنية خاصة في محاولة لاستعادة السيطرة على مناطق في شمال البلاد، بينها شركتا ««فاغنر» Wagner» الروسية، ([٢١])، و«دايك أدفيزوري جروب» ([٢٢]). الجنوب أفريقية. لكن معهد الدراسات الأمنية في بريتوريا بجنوب أفريقيا يقول إن التحرك العسكري الحكومي، بما في ذلك اللجوء إلى مرتزقة، لم يضع حدًا للهجمات. لكن ليس واضحا ما اذا كان استخدام المرتزقة في الحرب ضد تنظيم داعش الارهابي سيفتح جبهة صراع جديدة بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، أم أن التهديد المشترك لداعش سيدفعهم للتعاون مقابل تقاسم المصالح.

تنظيم داعش في تنزانيا

كانت تنزانيا، التي تحد كابوديلغادو إلى الشمال، هي الدولة الوحيدة التي ردت بسرعة على طلب موزمبيق المساعدة من جيرانها للوقوف ضد تنظيم داعش الإرهابي، حيث قامت بإرسال قواتها إلى الحدود. وهذه الخطوة كانت إجراء» احترازيا يمكن أن يثبت أنه حيوي في الحد من عمليات التنظيمات السلفية الجهادية، وانتشار أنشطتهم في تنزانيا، بعد أن تبين أن بعض المتمردين في تنزانيا لديهم صلات بتنظيم داعش، الذي تمركز وتمدد شمالي موزنبيق، واستطاع بسرعة من الوصول إلى الحدود مع تنزانيا، وهاجم في ١٤ أكتوبر ٢٠٢٠، مركزا أمنيا في مدينة كيتايا، بمنطقة متوارا (جنوب) ([٢٣]). ويبدو أن تصاعد نشاط تنظيم داعش جعله لا يعترف بالحدود، بل يسعى لاستغلال المناطق الحدودية للتحرك بمرونة أكثر، حيث يضم في صفوفه مواطنين من موزمبيق وآخرين من تنزانيا وكينيا وحتى الصومال الأمر الذي بات يشير بوضوح أن هدف تنظيم داعش التمركز في الساحل الإفريقي الشرقي([٢٤])، وحول بحيرة تشاد، ويشكل مثلث موزمبيق تنزانيا الكونغو الديمقراطية (منطقة البحيرات الكبرى)، بؤرة ثالثة لداعش، رغم أنها كانت بعيدة عن مسرح العمليات إلى وقت قريب ، كل ذلك سيؤدي بالتأكيد الى تدخل عسكري دولي لحماية

استثمارات الشركات الاجنبية في وسط وغرب افريقيا، خاصة في حقول الغاز ومناجم الياقوت بموزمبيق، ما سيجعل هذه الدول محل تنافس بين قوى كبرى تحت ذريعة محاربة الإرهاب.

ولا يخفى أن هذا التمدد الإرهابي لتنظيم داعش، وتزايد الجماعات الموالية له في جميع أنحاء إفريقيا؛ قد يعقد من جهود التعاون عبر الوطني لمكافحة الإرهاب، فضلًا عن استقطاب وتجنيد أعداد متزايدة من المقاتلين الأجانب من الإقليم وما وراءه بسبب جاذبية الخطاب الجهادي العنيف في ظل بيئة أمنية مضطربة وهو ما يهدد الاستقرار الإقليمي.

تنظيم القاعدة في افريقيا (جماعة نصرة الإسلام والمسلمين)

وهي منظمة عسكرية سلفية جهادية، تكونت في ٢ مارس ٢٠١٧ بعد اندماج أربع حركات جهادية مسلحة في شمال مالي، عندما أعلن عدة قادة جهاديين هم: إياد أغ غالي (أمير أنصار الدين) وجمال عكاشة (أمير جهة الصحراء ضمن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي) ومحمد كوفا (أمير جبهة تحرير ماسينا) والحسن الأنصاري (مساعد مختار بلمختار أمير تنظيم المرابطون) وأبو عبد الرحمن الصنهاجي (قاضي القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي). هؤلاء أعلنوا تجمعهم واندماجهم في هيكل واحد، وأعلنوا مبايعتهم لأيمن الظواهري (أمير تنظيم القاعدة) وأبو مصعب عبد الودود (أمير تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي) وهبة الله أخوند زاده (أمير تنظيم طالبان) ([٢٥]).

تم اختيار إياد أغ غالي كأمير للتنظيم. علما» أن هذه الحركات المسلحة كانت مقربة من بعضها البعض من قبل اندماجها، وكانوا قد نسقوا البعض من عملياتهم. عبر هذا الاندماج، تريد جماعة نصرة الإسلام والمسلمين أن تثبت موقعها كقوة مهيمنة أمام التأثير المتزايد لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ([٢٦]). وقد تبنت جماعة نصرة الإسلام والمسلمين عدد من الهجمات الارهابية في جمهورية مالي، منها هجوم بوليكاسي في ٥ مارس ٢٠١٧ وهجوم غابة فهيرو في ٥ أبريل٢٠١٧. ومعركة غورما راروس التي وقعت في ١٨ أبريل ٢٠١٧، وهجوم باماكو في ١٨ يونيو ٢٠١٧، وهجوم على دورية بتاريخ ٢١ اغسطس ٢٠١٩، بالقرب من مدينة بوني.

الصراع بين داعش والقاعدة في غرب افريقيا

أن تصاعد التنافس والخلافات الفكرية بين قيادات تنظيمي القاعدة وداعش (أيمن الظواهري وأبو بكر البغدادي)، جعل داعش، يعتبر عناصر القاعدة كفارا ومرتدين ويكفر من لا يكفرهم، فتحول وتطور التنافس الى صراع مسلح بين التنظيمين السلفيين الجهاديين ([٢٧])، وصلت تداعياته الى افريقيا. فبينما تمركز داعش (تنظيم داعش في الصحراء الكبرى) في المنطقة الممتدة جنوب مدينة غاو المالية إلى غرب النيجر وشمال بوركينافاسو، وامتد نشاطه حتى الحدود الجنوبية للجزائر، تمركزت القاعدة (جماعة نصرة الإسلام والمسلمين)، في شمال ووسط مالي خاصة بالقرب من مدينة موبتي (وسط) والحدود مع موريتانيا في الشمال الغربي لمالي، وفي شمال مالي. ويبدو أن احتدام الصراع بين الفصائل الموالية لداعش وبين الفصائل الموالية للقاعدة كان يحدث لأسباب عرقية في اغلب الاحيان. فقد حاول تنظيم داعش في الصحراء الكبرى ، التمدد إلى المعاقل التقليدية لتنظيم جماعة نصرة الإسلام والمسلمين ، الذي رغم تعزيز تحالفه مع «أنصار الدين» الذي يضم مسلحين من قبائل الطوارق، وجماعة جبهة تحرير ماسينا([٢٨])، التي ينحدر أغلب عناصرها من قبيلة الفلاني الإفريقية، إلا أنه دخل لاحقا» في مواجهة مسلحة مع «داعش»، في منطقة بوفيل المالية التي لا تبعد عن الحدود الموريتانية سوى نحو

٥٠ كلم، قبالة منطقة فصالة أقصى جنوب شرق موريتانيا، عندما وقعت اشتباكات بين الطرفين منتصف مارس/ أذار ٢٠٢٠، عندما حاول مسلحون موالون لداعش التمركز في المنطقة التي تخضع للنفوذ التقليدي لجماعة «ماسينا» بقيادة أمادو كوفا([٢٩]).

وقد ازدادت العمليات الإرهابية للتنظيمين بشكل مكثف في ٢٠١٩، في منطقة الحدود بين مالي والنيجر وبوركينافاسو ([٣٠])، في محاولة للسيطرة على مناجم الذهب، واستولى الإرهابيين، على مواقع تعدينية هامة داخل تلك الدول، نظرًا لهشاشة السلطة وضعف الحوكمة في غالبية دول الساحل، وقتل في مايو من نفس السنة ٢٨ جنديا من النيجر في منطقة تيلابيري الحدودية مع مالي([٣١])، ومنذ عام ٢٠١٥ تزايدت هجمات تنظيمي القاعدة وداعش على منجم Essakane، وهو من المناجم الشهيرة والهامة في شمال شرق بوركينافاسو، ويمتد على حدود مقاطعتي "أودالان" Oudalan و" سينو Seno" في منطقة الساحل، ويبعد حوالي ٣٣٠ كم شمال شرق العاصمة واغادوغو (Ouagadougou)، ويبدو ان زحف تنظيمي القاعدة وداعش إلى مناطق دول الساحل الإفريقي ما هو الا محاولة للسيطرة على مناجم الذهب في ظل مناخ الفساد المستشري في دول الساحل، فضلًا عن كونه وسيلة مادية يمكن تشكيلها بعد إذابتها وصهرها ما يسهل تهريبه، خاصة وأن دولًا مثل بوركينافاسو ومالي والنيجر تصدر ما قيمته ٢ مليار دولار من الذهب سنويًّا، فيما تلعب السوق السوداء دورًا كبيرًا في مبيعات الكميات المتبقية من الذهب بعيدًا عن أنظار وسلطة الدولة. وحتى اللحظة لا يوجد حصر دقيق لعدد مناجم الذهب التي يمتلكها الإرهابيون في منطقة الساحل أو الذين يحصلون على قطع منها ([٣٢]).

الخاتمة

حتى الآن، فان تتبُّع نشاط التنظيمات السلفية الجهادية المتشددة في إفريقيا يكشف أن التحولات العميقة التي كانت تستغرق عقودًا في الماضي، أصبحت تحدث مؤخرًا في غضون عام إلى ثلاثة أعوام، ليس فقط على مستوى عدد الهجمات ولكن أيضًا الرقعة الجغرافية، وعلى امتداد هذا التطوُّر قد يحمل المستقبل المزيد من الطفرات، خصوصا» بعد أن فشلت محاولات الجيوش الإفريقية والغربية، المدعومة من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، في إلحاق الهزيمة التنظيمات السلفية الجهادية المتشددة. وأن المطاف انتهى بالقارة الافريقية، وهي تخوض حربًا يبدو أن التنظيمات السلفية الجهادية المتشددة تفوز بها، رغم الانقسامات والاندماجات والتفرُّعات وتحوُّل الولاءات التي تحدث باستمرار في بيئة العمل السلفي الجهادي، وعلى عكس ما قد توحي به خريطة الجماعات الإسلامية المسلحة في القارة، يوجد نوع من التعاون بين هذه المجموعات لتبادل التكتيكات والاستراتيجيات، ومحاولة جادة للتركيز على الأهداف المشتركة، مما عكس بوضوح، زيادة أنشطة كافة التنظيمات السلفية الجهادية المتشددة في القارة السمراء؛ وهي ملاحظة ترسم صورة أكثر سخونة لواقع القارة ومستقبلها. حتى وإن كان نشاط التنظيمات السلفية الجهادية المتشددة لا يزال مُرَكَّزًا جغرافيًا، إلا أنه يتمتع بنوع من التجانس يؤهله لتجاوز الحواجز المكانية. هذا الواقع يفند التوقعات المتعجلة التي يسوقها بعض المحللين، في أعقاب هزيمةٍ في جولةٍ أو تراجعٍ على ساحةٍ، بأن معركةً ما هي نهاية الحرب ضدَّ الإرهاب.

استنادا» الى ما تناولناه في هذه الدراسة، وفي ظل استمرار الاستقطاب الديني وعدم الاستقرار السياسي وهشاشة الأنظمة السياسية في بعض الدول الافريقية وسوء الإدارة وانتشار الفساد وتدخل

القـوى الخارجيـة لتأميـن أكبـر قـدر مـن المصـادر وحشـد أكبـر حجـم مـن النفـوذ، فمـن المتوقـع أن يكـون اسـتمرار بـل وتصاعـد الصـراع مـع التنظيمـات السـلفية الجهاديـة المتشـددة جـزءًا مـن مسـتقبل القـارة الافريقيـة.

| مصادر البحث

المصادر باللغة العربية

١. «داعـش» يوسـع هجماتـه الإرهابيـة نحـو تنزانيـا، جريـدة الشـر الأوسـط، السـبت - ٨ شـهر ربيـع الأول ١٤٤٢ هـ - ٢٤ أكتوبـر ٢٠٢٠ مـ رقـم العـدد [١٥٣٠٦].

٢. انقـلاب أبيـض داخـل «بوكـو حـرام» يزيـح أبـو مصعـب البرنـاوي مـن القيـادة، صحيفـة الشـرق الاوسـط، رقـم العـدد [١٤٧١٨] ، بتاريـخ ١٦ مـارس ٢٠١٩ م .

٣. علـو، عمـاد، الإرهـاب الأسـمر فـي القـارة الافريقية، مطبعـة فـرج، العراق، اربيـل٢٠٢١، ص٢٠.

٤. قاسـم، روعـة، خارطـة انتشـار الحـركات التكفيريـة الارهابيـة فـي العالـم: مـن المحلّية إلى السـلفية الجهاديـة المعولمـة، صحيفـة المغـرب، بتاريـخ١١ اوت/ اغسـطس ٢٠١٥.

الانترنت

١. «القاعـدة» و«داعـش» منافسـة شرسـة علـى النفـوذ فـي أفريقيـا باتبـاع «الشـكل العنقـودي» للقيـادة، علـى الرابـط الالكترونـي، https://bit.ly/٣mdn٢ne.

٢. «داعـش» فـي موزمبيـق.. إرهـاب يمـدد سـنوات الصـراع، علـى الرابـط الالكترونـي، https://bit.ly/٣uEAmVz.

٣. ابـو السـعد، طـارق، مـا هـي مؤشـرات عـودة داعـش فـي أفريقيـا؟، علـى الرابـط الالكترونـي، https://bit.ly/٣٦ObiRg.

٤. ارتـدادات الهزائـم: لمـاذا يسـعى «داعـش» إلـى التمـدد فـي الكونغـو الديمقراطيـة؟، علـى الرابـط الالكترونـي، http://bit.ly/٢YNAIKk.

٥. الإرهـاب مـا وراء الصحـراء. "مبايعـة بوكـو حـرام لداعـش.. مرحلـة جديـدة أم فرقعـة إعلاميـة؟". تقريـر صحفـي من إنجـاز موقـع www.swissinfo.ch. ٢٤ مـارس ٢٠١٥.

٦. بوخـرص ، أنـوار ، القـوة المشـتركة لمجموعـة دول السـاحل الخمـس تُظهـر أن المبـادرات الأمنيـة المرتجلـة تصبـح أكثـر شـيوعاً فـي أفريقيـا، مركـز كارنيجـي للشـرق الاوسـط، علـى الرابـط الالكتروني، https://bit.ly/٣GP١ZAL .

٧. بورنـان، يونـس، بـ ٦ مصـادر تمويـل.. أخطـر ٥ تنظيمـات إرهابيـة فـي أفريقيـا، متـاح علـى الرابط الالكترونـي، https://bit.ly/٣A٤bgAn.

٨. التزانـي، السـيد خالـد ، "الانتشـار العسـكري الأمريكـي فـي أفريقيـا: الدوافـع والرهانـات"، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، علـى الرابـط الالكترونـي: https://bit.ly/٢NXiu٦Y.

٩. تنامـي وجـود ودور الشـركات الأمنيـة الخاصـة فـي أفريقيـا: شـركة «فاغنـر» الروسـية نموذجـاً، علـى الرابـط الالكترونـي، https://bit.ly/٢ZZnZIn.

١٠. جماعـة نصـرة الإسـلام والمسـلمين، موسـوعة ويكبيديـا، علـى الرابـط الالكترونـي، http://bit.ly/٣aru٥md.

١١. الخطيـب، جهـاد عمـر، أيـن يتمركـز تنظيـم داعـش فـي إقليـم غـرب أفريقيـا؟، موقـع العيـن الإخباريـة، متـاح علـى الرابـط الالكترونـي، https://bit.ly/٢KuCIn٩.

١٢. الخولـي، سـهام، عمليـة برخـان.. نهايـة فشـل عسـكري كلـف فرنسـا خسـائر ضخمـة. متـاح على الرابـط الالكترونـي، https://bit.ly/٣m٤uQJa.

١٣. دراسـة ترصـد تحـركات التنظيمـات الإرهابيـة فـي القـارة الأفريقيـة.. وتكشـف أبـرز ٥ جماعـات

متطرفة تنشط بالقارة السمراء وأهم مسارح العمليات في أفريقيا، متاح على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/3uNKaNb .
١٤. ديفيد هيرست: الحرب على الإرهاب لن تتوقف.. بل انتقلت إلى داخل الغرب، https://bit.ly/2ZkXa١٨ .
١٥. ذهب الساحل الأفريقي.. تمويل سخي في يد جماعات العنف، على الرابط الالكتروني ، https://bit.ly/3iuSZ٩D .
١٦. زين، يعقوب، أين يتمركز تنظيم داعش في إقليم غرب أفريقيا؟ موقع مجلس العلاقات الخارجية، تاريخ النشر :٢٤ مايو/ أيار ٢٠١٩، http://bit.ly/2KuCIn٩.
١٧. السيد أحمد، داليا، مؤشر الإرهاب العالمي ٢٠٢٠.. خريطة الانتشار واستراتيجيات المواجهة، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣EhiC٦n.
١٨. عبد الرحمن، د. حمدي، دلالات تمدد «داعش» في أفريقيا الوسطي ، موقع المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، متاح على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣vjr٢cb .
١٩. عسكر، أحمد، الحضور البريطاني في القرن الإفريقي: المصالح والتوجهات والآفاق، مركز سيتا، متاح على الرابط الالكتروني، https://sitainstitute.com/?p=١٠٦٢٣.
٢٠. العلوي، الحسين الشيخ، صراع النفوذ بين القاعدة وتنظيم الدولة في إفريقيا، موقع الجزيرة، متاح على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣s٤٥KgA .
٢١. علي الدين هلال، مكافحة الإرهاب في أفريقيا، على الرابط، https://bit.ly/٣DZw٨eD.
٢٢. فريدوم أُونُووها، التدخل العسكري الفرنسي الإفريقي في مالي والمخاوف الأمنية المتفاقمة، مركز الجزيرة، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٢ZeOHw٢ .
٢٣. لماذا أخفقت التحالفات في لجم الإرهاب بالساحل الإفريقي؟ (تحليل)، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣BI٣gps.
٢٤. لماذا تتوجس أوروبا من تصاعد الإرهاب في موزمبيق. هجمات الجهاديين تهدد استثمارات الشركات الغربية، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣iygqyE .
٢٥. موزمبيق وتنزانيا والكونغو.. مثلث داعش الجديد بإفريقيا (تحليل)، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٢YiyZ٣f .
٢٦. الموسوعة الحرة ويكبيديا، على الرابط الالكتروني، http://bit.ly/٣٩KZgc٥.

المصادر باللغة الإنكليزية

Books

1. Adebajo, Adekeye, ‹Liberia›s Civil War: Nigeria, ECOMOG, and Regional Security in West Africa,› Lynne Rienner/ International Peace Academy, 2002.
2. International Crisis Group, How the Islamic State Rose, Fell and Could Rise Again in the Maghreb, REPORT 178 / MIDDLE EAST & NORTH AFRICA 24 JULY 2017.
3. L. ARONSON, SAMUEL. “AQIM’s Threat to Western Interests in the Sahel.” COMBATING TERRORISM CENTER. (APRIL 2014, VOLUME 7, ISSUE 4).
4. Miller, Phil, REVEALED: The UK military’s overseas base network involves.
5. The Institute for Economics and Peace: (December 2018) “Global Terrorism Index 2018.

6. Wippman, David, ‹Enforcing Peace: ECOWAS and the Liberian Civil War,› in Lori Fisler Damrosch (ed), ‹Enforcing Restraint, Collective Interventions in Internal Conflicts,› New York, 1993.

Internet

7. 145 sites in 42 countries, Daily Maverick, available at: https://bit.ly/3d8ugG1
8. Alex Kassidiaris, The Wagner Group Paradox, Inside Over, 27 December 2019, available at: https: https://bit.ly/2YgfPdJ.
9. Burkina Faso: Increased Jihadist Attacks Spark Record-Breaking Displacement, Eurasia review, 24 July 2021, available at: https://bit.ly/36XJ1HF .
10. Campbell, John, French President Macron Expands on Sahel Drawdown Plan, Council on foreign Relations, 14 July 2021, available at: https://on.cfr.org/3l3nB3Y
11. Irina Malkova, Anton Baev, A Private Army for the President: The Tale of Evgeny Prigozhin's Most Delicate Mission, The Bell, 31 January 2019, available at: https://bit.ly/3uEvLTc.
12. Jacob Zenn, ISIS in Africa: The Caliphate's Next Frontier, https://bit.ly/3l4AOJp1 .
13. Operation NEWCOMBE Explained: Peacekeeping in Mali, Available at: . https://bit.ly/3BD6I4O .
14. Turse, Nick, Exclusive: The US military's plans to cement its network of African bases, Mail& Guardian, 12020/5/, available at: . https://bit.ly/3pPMsan .
15. UK Defence Secretary visits Kenya and Somalia to discuss Al Shabaab, Defence Web, 212021/1/. Available at: https://bit.ly/3b2JPww .
16. UNITED NATIONS, supporting political process and helping stabilize Mali. Available at, https://bit.ly/34VJc8W ز
17. United States Africa Command (U.S. AFRICOM) ، devex, available at:. https://bit.ly/3qWfUwu
18. United States Africa Command, about the command, available at: https://bit.ly/3sSUNMd .

الهوامش:

1 . قاسم، روعة، خارطة انتشار الحركات التكفيرية الارهابية في العالم: من المحلّية إلى السلفية الجهادية المعولمة، صحيفة المغرب، بتاريخ١١ اوت/ اغسطس ٢٠١٥.

2 . علو، عماد، الإرهاب الأسمر في القارة الافريقية، مطبعة فرج، العراق، اربيل٢٠٢١، ص٢٠.

3 . علو، عماد، المصدر السابق، ص٢١.

4 . علو، عماد، المصدر السابق، ص ٢٢-٢٣.

5 . العلوي، الحسين الشيخ، صراع النفوذ بين القاعدة وتنظيم الدولة في إفريقيا، موقع الجزيرة ، متاح على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣s٤٥KgA .

6 . لمزيد من المعلومات ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا، على الرابط الالكتروني، http://bit.ly/٣٩KZgc٥ .

7 . بورنان، يونس، بـ ٦ مصادر تمويل.. أخطر ٥ تنظيمات إرهابية في أفريقيا، متاح على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣A٤bgAn .

8 . الإرهاب ما وراء الصحراء. "مبايعة بوكو حرام لداعش.. مرحلة جديدة أم فرقعة إعلامية؟". تقرير صحفي من إنجاز موقع www. swissinfo.ch. ٢٤ مارس ٢٠١٥.

9 . International Crisis Group , How the Islamic State Rose, Fell MIDDLE / ١٧٨ and Could Rise Again in the Maghreb, REPORT ٢٠١٧ JULY ٢٤ EAST & NORTH AFRICA .

10 . أبو بكر محمد شكوي أو أبوبكر محمد شيكاو قائد حركة بوكو حرام، وأمير تنظيم الدولة الإسلامية في غرب إفريقيا سابقًا. ولد في قرية يعمل أهلها في الزراعة وتربية المواشي قرب الحدود مع النيجر في ولاية يوبه. درس الفقه الإسلامي عند رجال الدين في مايدوغوري عاصمة ولاية بورنو المجاورة. وفي تلك المرحلة تعرف على مؤسس حركة «بوكو حرام»، الداعية محمد يوسف قبل أن يلتحق بها. ترأس شيكاو بوكو حرام عام ٢٠٠٩ م بعد أن أعدمت الشرطة النيجيرية زعيمها السابق محمد يوسف.

11 . انقلاب أبيض داخل «بوكو حرام» يزيح أبو مصعب البرناوي من القيادة، صحيفة الشرق الاوسط، رقم العدد [١٤٧١٨] ، بتاريخ ١٦ مارس ٢٠١٩ م .

12 . يعقوب زين، أين يتمركز تنظيم داعش في إقليم غرب أفريقيا؟ موقع مجلس العلاقات الخارجية، تاريخ النشر :٢٤ مايو/ أيار ٢٠١٩ ، https://bit.ly/٢KuCIn٩ .

13 . الخطيب، جهاد عمر، أين يتمركز تنظيم داعش في إقليم غرب أفريقيا؟، موقع العين الإخبارية ، متاح على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٢KuCIn٩ .

14 . Jacob Zenn, ISIS in Africa: The Caliphate's Next Frontier, https://bit.ly/٣l٤AOJp ..

15 . عبد الرحمن، د. حمدي، دلالات تمدد "داعش" في أفريقيا الوسطى ، موقع المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، متاح على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣vjr٢cb .

16 . ارتدادات الهزائم: لماذا يسعى "داعش" إلى التمدد في الكونغو الديمقراطية؟ ،على الرابط الالكتروني ، http://bit.ly/٢YNAIKk .

17 . طارق ابو السعد، ما هي مؤشرات عودة داعش في أفريقيا؟، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣٦ObiRg .

18 . طارق ابو السعد، ما هي مؤشرات عودة داعش في أفريقيا؟ المصدر السابق.

19 . "داعش" في موزمبيق.. إرهاب يمدد سنوات الصراع، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣uEAmVz .

20 . طارق ابو السعد، المصدر السابق.

21 . أسست شركة "فاغنر" في عام ٢٠١٣ على يد "ديمتري أوتكين"، وهو ضابط استخبارات عسكري روسي سابق، كان قد حصل في عام ٢٠١٦ على وسام الشجاعة من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. ويمتلكها رجل الأعمال الروسي "يفغيني بريغوجين" بالرغم من إنكاره المستمر. وقد سُجِّلت فاغنر في الظاهر شركة تجارية خاصة تسعى إلى تحقيق الربح، وتم تسجيلها في الأرجنتين، ولها مكاتب في كل من بطرسبرغ (المقر) وهونغ كونغ، ومعسكر تدريب في موسكو. وتعد فاغنر ذراعًا سرية لقوات الأمن الروسية، وهي أقرب إلى الجيوش العسكرية الخاصة من الشركات العسكرية بشكلها التقليدي في الفكر الغربي. للمزيد من المعلومات، ينظر،

Irina Malkova, Anton Baev, A Private Army for the President: The Tale of Evgeny Prigozhin's Most Delicate Mission, The Bell, 31 January 2019, available at: https://bit.ly/3uEvLTc

Alex Kassidiaris, The Wagner Group Paradox, Inside Over, 27 December 2019, available at: https: https://bit.ly/2YgfPdJ

وكذلك تنامي وجود ودور الشركات الأمنية الخاصة في أفريقيا: شركة "فاغنر" الروسية نموذجاً، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٢ZZnZIn .

22 . لماذا تتوجس أوروبا من تصاعد الإرهاب في موزمبيق..هجمات الجهاديين تهدد استثمارات الشركات الغربية.على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٣iygqyE .

23 . «داعش» يوسع هجماته الإرهابية نحو تنزانيا، جريدة الشر الأوسط، السبت - ٨ شهر ربيع الأول ١٤٤٢ هـ - ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٠ مـ رقم العدد [١٥٣٠٦].

24 . موزمبيق وتنزانيا والكونغو.. مثلث داعش الجديد بإفريقيا (تحليل)، على الرابط الالكتروني، https://bit.ly/٢YiyZ٣f .

25 . علو، عماد ، الإرهاب الأسمر في القارة الافريقية، مصدر سبق ذكره ، ص١٢١ .

26 . جماعة نصرة الإسلام والمسلمين، موسوعة ويكيبيديا، على الرابط

الالكـتروني، ٣aru٥md/http://bit.ly .

27 . "القاعـدة" و"داعـش" منافسـة شرسـة عـلى النفـوذ في أفريقيـا باتبـاع "الشـكل العنقـودي" للقيـادة، عـلى الرابـط الالكـتروني، https://bit. ٣mdn٢ne/ly .

28 . جبهـة تحريـر ماسـينا هـي جماعـة إسـلامية سـلفية جهاديـة تعمـل في مـالي في يناير ٢٠١٥، عندمـا أعلنـت مسـؤوليتها عـن الهجـمات في وسـط وجنـوب مـالي. وزعيمهـا هـو أمـادو كوفـا، وفي مـارس ٢٠١٧ تحالـف أمـادو كوفـا، مـع قـادة مـن الفـرع الصحـراوي للقاعـدة في المغـرب الإسـلامي، وقـادة تنظيـم المرابطـون وأنصـار الديـن، وأعلنـوا عـن دمجهـم لمنظماتهـم، وتشـكيل جماعـة واحـدة تسـمى جماعـة نـصرة الإسـلام والمسـلمين،في ١٠ ينايـر ٢٠٢٠ وقعـت اشـتباكات مسـلحة بـين أعضـاء موالـين لأمـادو كوفـا وبعـض المنشـقين بالقـرب مـن بلديـة دوجـو داخـل جبهـة تحريـر ماسـينا. وفي مقطـع فيديـو نُـشر وقـد حـدث انشـقاق في جبهـة تحريـر ماسـينا في نهايـة ينايـر ٢٠٢٠، حيـث أعلنـت مجموعـة مـن المقاتلـين بقيـادة مامـادو موبـو بمبايعـة تنظيـم الدولـة الإسـلامية وبيعـة أبي إبراهيـم الهاشـمي القـرشي كخليفـة للمسـلمين وأميـرًا للمؤمنـين. ينظـر، https://bit. ٣A٣oLR٢/ly .

29 . جبهة تحرير ماسينا، المصدر السابق نفسه.

30 . دراسـة ترصـد تحـركات التنظيـمات الإرهابيـة في القـارة الأفريقيـة.. وتكشـف أبـرز ٥ جماعـات متطرفـة تنشـط بالقـارة السـمراء وأهـم مسـارح العمليـات في أفريقيـا، متـاح عـلى الرابـط الالكـتروني، https://bit. ٣uNKaNb/ly .

31 . ذهـب السـاحل الأفريقـي.. تمويـل سـخي في يـد جماعـات العنـف، عـلى الرابـط الالكـتروني، ٣iuSZ٩D/https://bit.ly .

32 . ذهب الساحل الأفريقي، المصدر نفسه.

رؤى وأفكار:

أ.د منعم صاحي العمار

تركيا وديناميكية ادارة التغيير

الملخص

من بين اهم مظاهر التغيير التي خلفتها احداث ١١/ ايلول ٢٠٠١ ، على البيئة الاستراتيجية للشرق الاوسط ، قابلية اطراف بعينها على استخدام مواردها وموجوداتها الملموسة وغير الملموسة للتأثير في مخرجات الاحداث التي شهدتها تلك البيئة لاحقا ، والتي ما ان تواترت باتجاه ما ، حتى اصبحت دواع لاحداث وازمات تالية ضمن دورة (الصراع المستدامة) والتي جعلت من اطرافها مغرمة بهجر العلاقة التبادلية بين القوة والامن لصالح العلاقة بين القدرة والامن بكل ماتستدعيه من منطقة وسطى حيث إدارة الممتلكات وادارة المخاطر معا ، طمعا في حسم صور تشكيل تلك البيئة عبر ضبط متغيراتها العاملة .
لقد نجحت تركيا ، وبقيادات حزب العدالة والتنمية ، بادارة اهدافها وغاياتها بسلمية وانجذاب لابمعارضة وتضاد ولاسيما بعد فطنتها لحتمية فك قيود التعبئة الاقليمية والدولية المضادة لجهودها في فرض ارادتها اقليميا ، مستغلة فراغ القوة في الشرق الاوسط وامتلاكها للمشروع الحضاري ذات الفضاءات المتعددة .

المقدمة :

من بين اهم مظاهر التغيير التي خلفتها احداث ١١/ ايلول ٢٠٠١ ، على البيئة الاستراتيجية للشرق الاوسط ، قابلية اطراف بعينها على استخدام مواردها وموجوداتها الملموسة وغير الملموسة للتأثير في مخرجات الاحداث التي شهدتها تلك البيئة لاحقا ، والتي ما ان تواترت باتجاه ما ، حتى اصبحت دواع لاحداث وازمات تالية ضمن دورة (الصراع المستدامة) والتي جعلت من اطرافها مغرمة بهجر العلاقة التبادلية بين القوة والامن لصالح العلاقة بين القدرة والامن بكل ماتستدعيه من منطقة وسطى حيث إدارة الممتلكات وادارة المخاطر معا ، طمعا في حسم صور تشكيل تلك البيئة عبر ضبط متغيراتها العاملة .
لقد تلقفت اطراف بعينها هذه المهمة ، ومنها تركيا رغم ماافصحت عنه من حساسية مفرطة تجاه مصالحها واهدافها بل وادوارها وماتقوم به من وظائف استراتيجية ، والتي لفّها التغيير ، مماجعلها أمام مهمتين كلاهما عنوان للحيرة ، اولهما : ممارسة سياسات تجهيل الآخر ، والثانية : البحث عن فرص هدنة مقصودة للبحث عن منافذ تأثير مقبلة في منطقة الشرق الاوسط ، لاتصادف الضبط المتعسف من الآخر الاقليمي أوالدولي ، هجرا لما سمّي حينها بـ (التمركز على الذات) لصالح تحويل الرؤى الاستراتيجية الى قانون عملي تّسوق عبره تركيا ذاتها ، إدارة للتغيير وقيادة له لاحقا ، حتى لو تطلب منها ذلك استنبات خيارات مناورة في اللحظات الحرجة ، كما هو الحال مع تبرير وجودها شمال سوريا ، شمال العراق ، البحر الاحمر والخليج العربي ، والاهم علاقاتها المتميزة مع روسيا وتحملها كلّف الغيض الامريكي من جراء ذلك .

لقد نجحت تركيا ، وبقيادات حزب العدالة والتنمية ، بادارة اهدافها وغاياتها بسلمية وانجذاب لابمعارضة وتضاد ولاسيما بعد فطنتها لحتمية فك قيود التعبئة الاقليمية والدولية المضادة لجهودها في فرض ارادتها اقليميا ، مستغلة فراغ القوة في الشرق الاوسط وامتلاكها للمشروع الحضاري ذات الفضاءات المتعددة .

فيا ترى كيف تمكنت تركيا من تجاوز اشكالات الماضي القريب لتصنع من مقدرات الحاضر وتناوب تأثيرها ، ممكنات لمستقبل يجعل منها الدولة / المركز لصناعة التغيير لا الاكتفاء بادارته . وتلك ديناميكية رؤية وقرار قلما مرّت بها دولة في الشرق الاوسط !! .

ولاجل متابعة الاجابة على ماتقدم ، يودنا التحقق مما يلي :

| أولا : انتباهه اولية

لاشك في القول ، أبتداءاً ، ان الادارة ، وجوداً ونظاماً بل وفكرةً ترتبط بالسياسة ، بل وهي رديفة لها ، على حد قول (دانيال جبرين) . وبهذا يتولى القائمون على السياسة بلورتها والاشراف على مفاصلها وتحديد آلياتها وتشكيل مؤسساتها ، لتغدو الادارة بذلك رمية النشأة والفعالية في النظام السياسي ، رغم ماتمثله غاية وسطى ورابطة بين غايات النظام السياسي ، ووسيلة من الوسائل التي يتلمسها في تسويق ذاته وبناء خططه ومشاريعه ، والاهم في تغيير أدائه من حال الى حال .(١)

وإزاء ذلك يرى (فريد ديفيد) ، بالإدارة المعيار الأهم لقياس مدى أهلية النظام السياسي على البقاء لاسيما في زمن التغيير، كونها تعد كشافاً لتعامله مع الظواهر والمواقف والأحداث التي يعج بها ذلك الزمن، وأي تهاون في التماس النظام السياسي للإدارة في تطوير نظم أدائه، كما يقول (تيم هنغان) ، سيفقده القدرة على تفعيل مقومات نشأته ودولته وتعزيز حراكها، ويربك حماسة الشعب / المجتمع طالما بدا الامر لايستقيم الا بأداء مشترك الصناعة والتوسل والرؤية بين الساسة والشعب معا (٢). وهذا ما حذرت منه خطابات قادة حزب العدالة والتنمية منذ عام ٢٠٠٢م، وما جاء على ذكره برنامجه الأساس.

لقد أثبت قادة حزب العدالة والتنمية أهليتهم الفائقة في تقويم العلاقة بين الادارة والسياسة ، ومتابعة مكانتها المتبادلة في سياق مشروعهم الدولاتي ، ليس لأنهم في الغالب متعلمون ومتخصصون في شؤون الإدارة والعلاقات الدولية، بل لأنهم كانوا طموحين للغاية لرؤية تركيا (الدولة الانموذج) وعارفين بدرجة كبيرة إلى أين يتجهون بها (٣) . وإذ يشير (أوغلو) الى «إن خروج تركيا من مرحلة ما بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١م بموقع ومكانة مرتبط بأعتماد رؤية ديناميكية مؤثرة في السياسة الخارجية تقضي لأن تكون تركيا قوة مركزية، وأن على أنقرة أن تتجاوز العوامل المعيقة وفي مقدمتها إرهاب PKK .(٤) فأن (اردوغان) لايتوانى من مماثلته عندما يقول «إن تركيا ستكون رمزا للتعايش والتناغم بين الحضارات والثقافات في القرن ال٢١، لن تحقق تركيا هذا الإنموذج من خلال قوتها الاقتصادية والعسكرية فقط وإنما من خلال قدرتها على المساهمة في بناء القيم المقبولة عالمية وتيسيرعملية نشرها والتفاعل معها عبر أجزاء مختلفة في العالم».(٥)

وهكذا لم يكتف قادة حزب العدالة والتنمية بتبرير صور الاعتماد بين الادارة والسياسة فحسب ، بل وعمدوا الى تأطير توظيف حقائق ارتباط الإدارة بالتغيير، رغم قناعتهم بان تلك الحقائق عدّت ولم تزل من متلازمات الأداء، حيث الفاعلية والكفاية في التأثير، ليزيدوا عليها ويطوروها كأسلوب من الأساليب الاستراتيجية التي يتوسل بها صناع القرار تحقيقا لمصالحهم وتقريبا

لأهوائهم بعد ان حسموا تقييم الاداء كنمط من أنماط القوة غير المنظورة وغير الملموسة التي إذا ما صادفت التوسل بها فإنها تضيف نوعا من المصداقية للافعال الاستراتيجية وتعفي القائمون عليها من العديد من المعوقات (٦). لذا لا غرو أن تمثل الإدارة أسلوبا من أساليب حل المعاضلات الأمنية في الأقاليم / التخوم للدولة التركية لاسيما في الشرق الأوسط الذي رأت حكومات حزب العدالة والتنمية إن التوازن الاستراتيجي فيه لم يعد يرتهن بمعادلات القوة، بل بإدارة التعقيد لقضاياه وأزماته . وأن فك إشكاليات ذلك التعقيد تستدعي تجريب كل أشكال التنسيق وتبادلية الأدوار (تألفات، وتحالفات، وإجماع قوى، وأنتلافات قوى... وحتى أصدقاء...) وكما أفصحت عن ذلك تغييرات الربيع العربي، وهنا يشير (أردوغان) في هذا الصدد «إن الزمن تغير وعلى الكل أن يفهم ذلك... هناك حكومات متخلفة في المنطقة لا تعمل على التغيير» .(٧)

وتبعا لثقل هذه المهمة، أخذت حكومات حزب العدالة والتنمية في إطار توجهها نحو الشرق الأوسط، باتباع نمطين من الإدارة الاستراتيجية لوقائع الحراك الاستراتيجي فيه . الإدارة التكتيكية الهادفة إلى تشييد البيئة الاستراتيجية اللازمة لأحتضان أهدافها الكلية برؤى كفوءة وفاعلة تأخذ بالحسبان المتغيرات العاملة وسرعة توالدها وتخمتها بالتداعيات المضرة. وكذلك الإدارة الوظيفية تحقيقا لهدف الإندماج التركي بالشرق الأوسط كمقترب للقيادة أو تعزيز مكانة تركيا في المدارك الاستراتيجية للقوى الإقليمية الفاعلة فيه (٨). وقد أبدعت السياسة الخارجية التركية في ذلك حتى بدا للجميع ثقل الدور التركي في معالجة قضايا/ أزمات الشرق الأوسط كما تبدى ذلك بوضوح مع أزمة إقليم كردستان العراق في أيلول/سبتمبر عام ٢٠١٧م والأزمة الخليجية كذلك .

وبتزاوج هذين النمطين تمكنت حكومات حزب العدالة والتنمية من مأسسة الأستجابة التركية للمتغيرات الدولية والإقليمية بنمط إدارة متميزة عبر إعادة صياغة وتنظيم أدوات السياسة الخارجية والدفاع والإستخبارات في إستراتيجيتها الشاملة في الشرق الأوسط، طامحة في ذلك أستدامة تأثيرها في وقائعه المتغيرة وأزماته والاقتراب من الدور (القائد) و (الحامي) الإقليمي لذاتية الشرق الأوسط الحضارية .(٩)

وإذا أردنا الحق في ما تقدم، نقول أن أستجابة تركيا للتغيير وهي من النمط المخطط له(١٠)*، لم تكن لتحصل لولا الفرص وهوامش الحركة التي وفرتها حركة التغيير لها، والتي قبضت عبرها على مساحات تجريب محققة لرؤيتها ولذاتية أفعالها. فقد سوغت نوايا الانفتاح وإنهاء القطيعة الاستراتيجية التركية، الدخول في شبكة معقدة وواسعة من التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مواقع متعددة من الشرق الأوسط لما تمتلكه من دينامية ذاتية وقواعد حركية ثابتة تعينها في فعلها. ولهذا لا غرابة في ان تتعاظم مداخل الأتجاه التحالفي في السياسة التركية الخارجية، دولاتيا ومنظماتيا ، لاسيما مع القوى الإقليمية والدولية التي تشاركها في إدارة التوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط، وقضاياه وأزماتها، (١١) من دون القفز على مشتركات الصيرورة التاريخية لتكون تركيا كطرف واصل بين الشرق والغرب أو كوسيط لتدبر التحديات، أو قيمة على إدارة الأخطار/ المخاطر الأهلية في الشرق الأوسط .(١٢) ولاجل ذلك بدت قدرة الاستراتيجية التركية مرهونة بقدرة القائمين عليها على إدارة مايفهم ويدور حولهم من تغيير . وبسبب غور هذه المقاربة ، هو الجوهر الغائي لهذه الدراسة .

| ثانيا : في المفاهيم

التغيير (المعنى والمفهوم)

يبدو لزاماً علينا ، الإشارة الى ان جميع مدلولات كلمة (التغيير) في اللغة العربية تنطوي على معنى التحول في الظاهرة أو ما يمّسها من تبدل، كما وتعني الأشياء وأختلافها. ويشير هذا المعنى إلى دلالات الأختلاف في أي شيء يمكن ملاحظته في مدة زمنية معينة. وهنا تتطابق مدلولات التغيير في اللغة العربية مع مثيلاتها في اللغة الإنجليزية .(١٣)

والتغيير في اللغة العربية، مصدر من صيغة مبالغة مشتق من الفعل (غّير) الشيء، بمعنى حوّله وبدّله بآخر، وكذلك جعله غير ما كان عليه في السابق. والتغيير يعني تحول وتبدل الشيء إلى آخر، وورد ذكر التغيير في القرآن الكريم بأربعة مواضع، موزعة على أربعة سور مدنّية النزول، بالإشتقاقات الآتية: (يغير) بسم الله الرحمن الرحيم «إن الله لا يغير ما في قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (سورة الرعد/الآية ١١). وتدل هذه الآية الكريمة على أن البعد العام والشامل للتغيير يهتم بالإطار الجماعي الذي يشمل مجموعة أفراد ولا ينحصر بفرد واحد فقط، و (يغيروا) بسم الله الرحمن الرحيم «ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم» (سورة الأنفال/الآية ٥٣)، لتدل هذه الآية مرة أخرى على الجماعية في البعد التغييري، و(يغّيرن) (سورة النساء/الآية ١١٩)، و(يتغير) (سورة محمد/الآية ١٥)

وقد وردت للتغيير دلالات متعددة في الأحاديث القدسية للرسول الكريم محمد (ص)، أعمقها وأكثرها شمولا ودلالة، التصحيح، بقوله (ص) : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، وإن لم يستطع فبلسانه، وأن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». وهنا تتداخل مسؤولية الفرد بالذات، والفرد ضمن منظومة المجتمع، والمجتمع ضمن إطار دولي في عملية التغيير تداخلا كبيرا ، إذ أن لكل منهما موقعه في عملية التغيير ومتطلباتها. (١٤)

فيما يشار إلى التغيير باللغة الإنجليزية ب(Change) مقابل (Mutation, Changeability) للتغّير. وكلاهما يحققان القدرة في الفعل ولكنهما يفترقان في توافر الإرادة في الثاني وأنعدامها في الأول (التغيير).

وإذا ما تجاوزنا ثبات مكانة (التغيير) في سنّن الحياة الثابتة، وما يفرضه دوامها من تجدّد وتبدّل في الأدوار والمسؤوليات، وتجاوزنا ثبات الأساس الفلسفي الغربي في تفسير ظاهرة التغيير كما عند أرسطو وإفلاطون و هرقليطس عندما نظّروا إليها من صفاتها الكلية، وما لحقه من تطور للأفكار والسياسات معاً ، الذي جعل ذلك الإجماع، بدوره ينحسر لصالح دلالات فرعية تبعا لإنحسار مهمة الفلسفة كما يقول (كارل ماركس) (١٥)، فإننا نجد أنفسنا أمام مروحة ضخمة من الالتماسات المعنية بالتحديد العلمي لمفهوم التغيير، ولاسيما في ظل الحث المستدام من قبل الساسة في استعمال (التغيير) للوصول إلى تسويغ مقنع لأفعالهم أو إشاعة لتجاربهم وفرض لأنموذجهم في الوجود والحكم على الآخرين، بل وتعنتهم في استعماله كوسيلة لحيازة الأهداف أو كجزء من سياساتهم.(١٦)

ورغم تدخل التفكير الاستراتيجي في عقلنة النظر للتغيير بصورة علمية ، باعتباره بوابة من بوابات الاستقراء للاوضاع او التحسب لمآلاتها او صياغة للمستقبل المستهدف ، الا ان الانقسام بين جمهرة العلماء والمهتمين حول مايعنيه التغيير ظل واضحاً . فهناك من يركز على المدخل العلمي في تفسيره كماهو الحال عند (كارل ماركس) ، وتركيزه على المدخل الاجتماعي ـ السياسي ، وهناك من يلتمس المدخل الاجتماعي ـ الثقافي في تحديده

لمايعنيه التغيير عملياً كما هو الحال عند (غرامشي) . وثمة من يركز على إدراك التغيير كبعد مفسر للمفهوم بكليته لا على تفسيره كمفهوم كما هو الحال عند (كانط) .(١٧)

ومهما يكن من امر ، فان التغيير يعني ابتداءا ذلك «النسق المنظم نحو الصدام مع القيود على أرض الواقع وإزالتها والتأثير عليها بإزالة ما هو فاسد أو متقادم وإحلال ما هو صالح أو متطور «(١٨) ، او «الأنتقال من وضع قائم بالفعل إلى وضع مستهدف لتحقيق أهداف محددة في إطار رؤية واضحة مشتركة « (١٩) أو «مجمل عملية التحول التي قد تتعرض لها البنى السياسية في المجتمع أو طبيعة العمليات السياسية فضلا عن التفاعلات واحتمالات تغيّر الاهداف بين القوى السياسية ، بما يعنيه كل ذلك من تأثير على مراكز القوة بحيث يعاد توزيع السلطة والنفوذ داخل الدولة نفسها أو بين عدة دول».(٢٠)

إدارة التغيير (المعنى والمفهوم)

لقد فتحت الدراسات المستقبلية ، الباب واسعاً أمام مسميات جديدة للتغيير، فلم يعد الأخير مطلباً عادياً، بل هو مشروع استراتيجي يتطلب من القائمين عليه أو الداعين إليه أو حتى الذين يتعرضون إليه، التقرب منه بصيغة الهندسة (الإدارة) ((٢١))، طالما يمثل التغيير حالة انتقال من حال إلى حال، وهذا ما حصل مع العديد من الدول التي رغبت أو تعرضت لحمى الانتقال من وضع لا ديمقراطي استبدادي إلى وضع ديمقراطي، توجب عليها هندسة (تشييد) البيئة الحاضنة للتغيير بكل ما يضمه ذلك التشييد من ضرورة توافر قوى دفع تسنبت استنباتاً عبر التأهيل المقصود للمجتمع((٢٢)).

وتعد إدارة التغيير، وفقاً لما تقدم، مقياساً لمدى نجاح صناع القرار في إدراك موقع دولتهم في البيئة السياسية الدولية، طالما بدا التغيير مستودعاً للقوى المحركة لها ومدخلاً مهماً في تحليلها((٢٣)). ولأجل ذلك أخذت الكثير من الدول الاستنجاد بإدارة التغيير، كمنهج، كاشف لتطلعاتها ومسوقاً لنماذجها الإستراتيجية دولياً وإقليمياً، طالما بدا ذلك المنهج قادر على تقديم صورة واضحة عن العوامل والمحددات التي تؤثر في وجود الدولة وسلوكها((٢٤))، وفي مقدمتها هوية الدولة وخصائصها القومية والقيم السائدة فيها، وما تحوز عليه من قدرات مجتمعية، فضلاً عن البناء والتركيب النفسي اللذان يؤثران في تحديد مدركاتهما حيال الآخر، أو تشكيل صورتها لديه((٢٥)). وكذلك قادر على تجاوز محنة التوقع في الإستراتيجية أو حتى في السياسة الخارجية وصولاً إلى صناعة المستقبل. فتحليل المعطيات والبيانات أو ما يسميه البعض (مصادر الدور) تقوم إدارة التغيير بتوصيفها، بل وتجاوزها لصالح بلوغ المكانة الإستراتيجية التي يعتقد صناع القرار بأنها من استحقاقاتهم الإستراتيجية((٢٦)).

كما ان توقع وتشريح وتحليل النشاطات العملياتية للآخرين. انما هو يقدم وصف لما يتوجب على صانع القرار اتخاذه من أفعال وإجراءات تمارسها الدولة عبر مؤسساتها المختلفة في الخارج لتأدية وظائفها وتحقيق غاياتها، مثلما يقدم صور تحسب لما يقوم به صناع القرار في الدور الأخرى من أفعال وأدوار، تطويقاً لأي اختلال وتنازع، وتعميقاً لصور الالتقاء وقضاياه، فضلا عن تحقيق حالة الاستقرار كحاضنة لأفعالها((٢٧)).

وهكذا تبدو إدارة التغيير عملية شاملة ومتكاملة تبدأ بالتعريف بالتغيير وصولاً إلى تحديد (وصفة) مخطط لتقويمه واستثماره لصالح استمراره بصفته (المولدة) لممارسات حسية وإدراكية، تضمن تأهيل العاملين على التغيير لأداء محفز لرؤية نتائجه، وقد استقامت كخيارات عقلانية لتحقيق الأهداف المرصودة أو المأمولة من التغيير ذاته. عندها تغدو إدارة التغيير وكأنها عملية إدارية متناسقة

الفسح والانتقالات وقابلة للحصر كأنموذج أو كإطار أو كنهج((٢٨)). لذا لا نخطيء بتوسلنا بالادارة لتوظيف انماط إدارة التغيير وطرقها بـ(خيارات الإنشاء والاختيار والتوليد) فيما أضاف إليها آخرون طرق (الاقتباس والاستنساخ والابتكار والإبداع)((٢٩))، لذا لا غرابة أن يكون دعاة إدارة التغيير من دعاة المنهج التجريبي برغم ما يتسلح به بعضهم من نوايا نزوع نحو البراغماتية في أدائهم بل وتوصيف غاياته الأساسية((٣٠)). فيا ترى ما هو المقصود بإدارة التغيير؟.

تعني إدارة التغيير، عموماً، كما يقول (بيترف داركر)، نظام أو مجموعة من الفرضيات الأولية أو المبادئ المقبولة والمستندة على المعلومات أو المعرفة المحدودة التي تم استخلاصها من الملاحظة، طالما بدا هدف أي نظرية أو منهج التحليل التفسيري للظاهرة مع القدرة على توقع طبيعة أو سلوك تلك الظاهرة. وهنا حملت إدارة التغيير مضامين تشبه لحد ما مضامين الإستراتيجية لاسيما في التحسب والتنبؤ بالاستناد إلى قوانين الذاتية((٣١)). الأمر الذي يفسر لنا معاودة الدولة القومية لالتماس إستراتيجياتها القديمة لمعالجة تغييرات جديدة، كما هو الحال مع ديمومة الاستنجاد باستراتيجيات التكيف والمسايرة، الاحتواء، البحث عن الذات، الإصلاح، الشراكة الإستراتيجية، التآلفات الإستراتيجية وغيرها. ومع تعاظم دور الإستراتيجية في بناء الأمم والدول، لم تعد إدارة التغيير ترفا فكريا أو حاجة متولدة لمجابهة ظرف طارئ، بل هي:

أ. نتاج الإحساس بالحاجة إلى ضبط الفعل الاستراتيجي ونتيجته وتنميتها عبر ضمان روافد نجاحه في التأثير، نظرا لأنطلاق الفعل أساسا من قرار هادف ومدروس قائم على مرتكزات واضحة وملموسة وينفذ على وفق خطة مرسومة مسبقة وذات مرونة عالية متجددة الأدوات(٣٢). وهذا ما أفصحت عنه رؤية حزب العدالة والتنمية لإنهاء قطيعة التوجه التركي نحو الشرق الأوسط لـ «تحويل مخزون تركيا التاريخي وموقعها الجغرافي إلى رصيد يعزز السلام والاستقرار في المنطقة بوصفها كلاً متكاملاً « .(٣٣)

ب. استراتيجية بحد ذاتها محملة بخيارات ومعان متعددة تتداخل خصائصها في توليد حالة شاملة تجعل من التغيير ذاته مهمة مستمرة طالما القصد منها يبقى ثابتا حيث التحكّم بالمتغيرات لا التكيّف معها ، وذلك إدراك متميز يراهن صناع القرار عليه لكي لا يضلوا طريقهم في التعامل مع وقائع التغيير على الأرض... ولم يفقدوا وقود المسير نحو المستقبل حتى وأن تسربت الهواجس لديهم بأنه مستهجن ومكلف للغاية . ولعل أفضل ما يفسر تلك المقاربة إصرار تركيا على مواصلة مراقبة تداعيات الأزمة السورية والتعامل معها وفقا لمتطلبات أمنها القومي، وإن جاءت تلك التداعيات برسم متجدد للحركات والتنظيمات الكردية فيها .(٣٤)

يرى (جون كوتر) إن إدارة التغيير، إذا ما نظر إليها بمطمح صناعة التغيير ستحتاج إلى تسلسل هرمي لتثبيت عناوين التغيير وأهدافه لاسيما الوافدة منها، لكي لا يضطر القائمون على إدارتها التماس ممر واحد في التعامل معها، ذلك الاضطرار الذي يحول إدارة التغيير إلى إدارة بالمخاطر التي إذا فقد التركيز حيالها سينقلب قادة الإدارة إلى مقاومين للتغيير ذاته . وهذا ما صادفته تركيا في ليبيا أولا، وفي الأزمة السورية ثانية ولاسيما بعد التدخل التركي فيها والتعمد لتسليح الحركات والمنظمات والفصائل الكردية بالسلاح، والذي عدّ من لدن حكومة (يلدرم /أردوغان) تهديدا خطيرة للأمن القومي التركي لم تنفع معه تكرار حالة الاستنجاد التركية وعلى لسان (أردوغان) بحلف الناتو وفاءً التزاماته الموثقة والمنشئة له .(٣٥)

وكما كانت إدارة التغيير هي الهدف الاسمى المتاح لكل القوى الاقليمية والدولية ، تبعاً لتدافع حقائق السلوك (الدولاتي) السلمية منها والصراعية ، الا انها تبقى حاملة لاشكالية مهمة ، لاسيما في المناطق / الاقاليم المتوترة والمأزومة التي يتوجه عبرها الفاعلون نحو اهداف محددة بعينيها مؤسسين ماأسميناه بـ (التماثل الغرضي في إدارة التغيير) . فالكل وضع التغيير هدفاً له ، حتى بتنا امام مشاريع متصادمة ولكن مخرجاتها متماثلة (٣٦).

ولو أقتربنا من الشرق الأوسط ومن لجّة تعرضه للتغيير مع ثورات الربيع العربي، نجد أن الجميع راهن على إرادة الشعوب (تماثلا غرضيا)، إلا أنهم أفترقوا في الموقف منها، بل وجعلوا منها منصات / مقتربات لزيادة الأفتراق في المدارك والسلوكيات معا، الأمر الذي طبع مقتضيات التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط بطابع توازن التهديد، بكل ما يؤسسه ذلك الحال من سباق تسلح وقوى ومشروعات وتنافس، وهذا ما يرغب به الجميع طالما بدوا يرون بعصف التغيير ميدانا للتباري وفرصة للقيادة.(٣٧) كما تبدى ذلك بوضوح مع تجليات الازمتين السورية والخليجية والتماثل الغرضي للاستراتيجيتين التركية والايرانية على وفق قاعدة القيادة من الاسفل . الامر الذي افقد إدارة التغيير في الشرق الاوسط حوافزها الاستراتيجية . لذا لايخطئ من يصف منهجيتها في الشرق الاوسط بانها أرتدادية مولدة لحالات التأزم والانكشاف الاستراتيجي لصالح القوى الدولية المتنفذة فيه (٣٨).

ثانيا : تركيا وإدارة التغيير,, مقدمات ومقاصد

لقد وجدت تركيا (بإدارة التغيير) ونمذجتها على أساس القواسم الجيو- إستراتيجية والجيو- ثقافية المشتركة في الشرق الأوسط ضرورة لا غنى عنها في إطار البحث التركي عن التوازن الاستراتيجي فيه، مادامت تمثل دليلا على حاجة صناع القرار في الشرق الأوسط ولاسيما بعد ثورات الربيع العربي إلى (ثورة عقلية) تبيح لهم التعاطي الإيجابي مع المتغيرات الداخلية والخارجية، مثلما تتطلب (نسغ المقاومة) لما تولده من أدوات ضارة تزيد من أضطرابات التعامل مع الأحداث بصورة أكبر مما تولده الأخيرة من أضطراب(٣٩) .

وهكذا أنتبهت حكومات حزب العدالة والتنمية إلى هذه الحقيقة لتجعل من طموحها في تشكيل توازن استراتيجي في الشرق الأوسط استراتيجية بناء وصناعة متجددة تأخذ بالحسبان متطلبات شعوب المنطقة ودولها على حد سواء ، تلك الاستراتيجية تستدعي إحلال قيم التنمية والسلام محل التسلح والحروب، قيم الإنسانية محل التذّرر الطائفي والعرقي حتى لو استدعى منها التذكير بالتاريخ وسطوته بوصفه محركاً لإقامة السلم وديمومته، وعلاجا للحاضر وتشييدا للمستقبل ولاسيما حيال القضية الفلسطينية. وهذا ما أشار إليه (أوغلو) بقوله: «إن حل هذه القضية يتمثل في قيام دولة فلسطينية حقيقية وليس شبه دولة.. دولة لها أقتصاد قوي وحيز جغرافي واضح، وإلا فإن المشاكل وعدم الاستقرار ستستمر».(٤٠)

إلا أن العلة في تراجع نموذج إدارة التغيير التركية لا تكمن في قصور الأداء التركي لتحقيق التناغم والتجانس الإيجابي في الشرق الأوسط، بل تكمن بما تفرزه أحداث الشرق الأوسط من تراكم للتغييرات دون معاونة. وهكذا بدت تركيا في مرات عديدة منفردة في مواجهتها للتحديات العاملة في الشرق الأوسط، كما هو الحال سبقها في مكافحة الإرهاب وتواري دورها عندما أصبحت تلك المكافحة جهداً دولياً بامتياز. ذلك التواري الذي أنتهي مع التفهم الأمريكي لمصالح وأهداف تركيا، لتغادر مكانها في أعلى التل وتنزل لسفوح

ميادين المجابهة ضده (٤١) .
تلك المغادرة / النزول ، التي حذر منها (كينيث . ج . بولدنك) مبكراً في إطار تحليله للترادف بين الصراع والدفاع ، عندما قال «قد يغدو التراجع تعبيراً عن رؤية إستراتيجية تحرك جذوة التغيير وتؤطرها استراتيجيا خوفا من الارتداد نحو حالة اللااستقرار من جديد « (٤٢) ، لاسيما في الشرق الاوسط الذي لم تزل قواه الاقليمية الفاعلة تعمد / تعمل على فكرة (الاستقرار التمييزي) لإتمام مصالحها على حساب مصالح قوى المنطقة وعلى التحصن خلف امنها الذاتي دون مقتربات جادة نحو تكاملية الاداء ، مما يعني فقدان جميع تلك القوى قدرة التمكيين لرؤية الامن الاقليمي وقد ساهم في تعزيز توجه الشرق الاوسط نظمياً كأقليم قائم بذاته .(٤٣)
لقد أحست تركيا ومع وصول حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم عام ٢٠٠٢، إن التغييرات التي شهدها العالم وإقليم الشرق الأوسط وآسيا الوسطى مطلع القرن الحادي والعشرين، فضلا عن عودة روسيا كقوة دولية كبرى، تجعلها معنية بالنظر إلى ما يحيق بها من مخاطر وأزمات، تفاديا للدخول فيها (كما حصل مع عدم مشاركة تركيا الولايات المتحدة في احتلالها للعراق عام ٢٠٠٣) (٤٤) ، وتحييدا لانعكاساتها، بل والإسهام في تسويتها عبر مقولة (تصفير المشاكل) كما هو الحال مع موقفها من أزمة البرنامج النووي الإيراني. ولا يمكن لها إتمام ذلك دون رسم لما يتوجب على تركيا تبنيه من أفعال وسلوكيات على وجه الخصوص ، ودون ترسيخ القناعة بإن تركيا بلد مركزي ذو هويات إقليمية متعددة لا يمكن اختزاله في صفة واحدة (٤٥) . وهو ما يعني إنه لا يمكن تفسير تركيا جغرافيا (بين الشرق الأوسط أوربا) وثقافيا (بين الإسلام والعلمانية) بربطها بمنطقة واحدة، بل لا بد من تعزيز قابليتها على الانخراط في المناطق المجاورة بسلسلة من التفاعلات المنتجة التي تعظم المنافع الإستراتيجية التركية في ظل تسلحها بوشائج حضارية وثقافية واسعة ومؤثرة مع تلك المناطق، وهو ما يعكس الحاجة المزاوجة النشطة بين الثقافة والجيو إستراتيجية توطئة لنقل تركيا إلى جغرافية أوسع (٤٦) .
فتركيا على حد قول أوغلو (دولة لا يمكنها الانكفاء على ذاتها، لديها القدرة على تحويل عناصر أزمتها إلى عناصر قوة من خلال الانفتاح على الخارج بثقة جديدة في النفس، شرط أن يكون ذلك في سياق وضعية المركز التاريخي، لذا يتوجب عليها الانخلاع من كونها دولة طرفية (هامشية)، وأن تكتسب وبسرعة وضعيتها كدولة لا تصرف جهودها فقط من أجل حماية استقرارها و كما كان خلال القرن الماضي، بل توظفها لحماية نظامها من خلال الاضطلاع بدور يحمي استقرار ونظم الدول المجاورة) (٤٧) وهذا يعني إن تركيا معنية على وفق خيارها (إعادة التكون / البناء من جديد) تفعيل نموذجها الدولاتي العميق دون خجل من هويتها و دون المساومة عليها، لصالح توظيفه كمدخل للمبادرة في صياغة وزن تركيا الجيو إستراتيجي، أو تسويق استحقاقها ذو العمق الإستراتيجي والحضاري. وهكذا تكون تركيا قد نجحت وعبر ما أسميناه بـ « المبادرة المسؤولة« في الخيار بين تطلعها القومي ودورها الإستراتيجي، في تجاوز العوائق السيكولوجية التي كانت تلف خياراتها في الانفتاح نحو العالم وأقاليمه المتعددة منذ سقوط الخلافة العثمانية ١٩٢٣ (٤٨) ، ذلك التجاوز المبني على (مقاربة عالية التأثير والفاعلية) دون التحلل عن تحالفاتها مع الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة أو عن طموحاتها بالانضمام إلى الاتحاد الأوربي الذي سيجد، عاجلا أم آجلا، بتركيا مركزا مهما يمكن الاستفادة منه لتقنين ومأسسة انفتاحه شرقا لا سيما بعد عودة روسيا لممارسة دورها العالمي (٤٩) .
وإذا كانت تركيا وطوال السنين اللاحقة لوصول

حـزب العدالـة والتنميـة للحكـم فيهـا، قـد اعتمـدت علـى ذاتهـا فـي تكوّنهـا مـن جديـد وتسـويق نموذجهـا إقليميـا وعالميـا، لـم تـزل مصـرة علـى ضـرورة توافـر فهـم سـيكولوجي وثقافـي متيـن الأسـاس مـن العالـم الإسـلامي ووجـود ثابـت فيـه (٥٠) . وسـر ذلـك يكمـن فـي أن تركيـا لـم تعـد تكتفـي بجهودهـا المنفـردة لإتمـام تكونهـا مـن جديـد، بـل تعـول علـى الآخريـن ليجعلـوا منهـا جسـرا أو مركـزا بيـن الغـرب والعالـم الإسـلامي ممـا يفتـح الطريـق أمامهـا للتحـوّل مـن قـوة إقليميـة طامحـة للزعامـة الإقليميـة إلـى قـوة عالميـة مؤثـرة (٥١) ، طالمـا بقيـت الإرادة التركيـة متحفـزة لإتمـام مقصدهـا وطالمـا نجـح حـزب العدالـة والتنميـة مـن تجـاوز إشـكالات القـرن الماضـي حيـث الصـراع بيـن القوميـة والإسـلام (٥٢) . عندهـا فقـط سـتكون تركيـا وفيـة لمـا أرسـاه (أوغلـو) مـن أهـداف فـي مشـروعه الإحيائـي الجديـد (٥٣) الـذي بـدا أسـلوبا مجربـا لإدارة التغييـر الـذي يجابـه تركيـا كدولـة ، ولتثبـت تركيـا ، ان إدارة التغييـر ، لـم تعـد بحاجـة الـى حوافـز أو مسـوغات طالمـا بـدت تمثـل صناعـة لهـا آلياتهـا ومراحلهـا وفواعلهـا ، علـى حـد قـول (أ.نـي . أوتكيـن) . وتلـك نظـرة جديـدة وأن كان نسـغ إدراكهـا حاضـراً تاريخيـاً كماهـو الحـال مـع افعـال التوسـع والطمـوح وحتـى صناعـة العـدو ... الـخ(٥٤) . كمـا واثبتـت ، أيضـاً ، ان النظـر الـى الاسـتراتيجية كمعطـى ليـس ثابتـا ، طالمـا بقيـت الاخيـرة لاتحتكـم الـى قانـون ثابـت علـى حـد قـول (غـاري هـارت) ، لتتجـاوز مهمتهـا الـى أنتـاج فكـر اسـتراتيجي يتناسـب مـع معطيـات كل دولـة حتـى لـو توسـل ذلـك بمسـميات ودواع تأريخيـة او حضاريـة ، طالمـا كان هدفهـا إعـادة بنـاء مكانـة الدولـة الاسـتراتيجية مـن جديـد (٥٥)، حتـى لـوكان ذلـك فعـلا ونيـةً متأخـرة كمـا هـو الحـال مـع جهـود حـزب العدالـة والتنميـة بعـد عـام ٢٠٠٢ . وهـذا ماتوضـح جليـاً فـي تفـرد حـزب العدالـة والتنميـة فـي تسـويق فكرتـه عـن السـلام ، بعـد ان نّظـر لـه ولقضايـاه نظـرة حاذقـة عندمـا عـدّه قياديـه مدخـلا تأهيليـا لتركيـا فـي تطلعاتهـا لتقويـض الصراعـات وتسـويتها كـدرب لبنـاء السـلام ، بوصـف ذلـك مسـارا حتميـا فـي إدارة العلاقـات الدوليـة والاقليميـة(٥٦) . ولـم تكـن تلـك النظـرة قسـرية ، بـل خضعـت كليـا لمتطلبـات إدارة التغييـر ، خاصـة عندمـا اطلق (احمد داود اوغلـو) دعوتـه لـ (تصفيـر المشـكلات) ، والتـي ابدعـت فـي صياغتهـا وتنفيذهـا علـى مرحلتيـن :(٥٧) المرحلـة الأولـى : هـي احتـواء الصراع وتسـويته وتحويله إلـى مقدمـة للسـلام، بمـا فـي ذلـك معالجـة جـذور العنـف. وبهـذا تكـون الدولـة التركيـة، وفـي ذهنهـا صناعـة التغييـر، قـد أعفـت نفسـها ممـا تمتـاز بـه البيئـة الإقليميـة حولهـا مـن تعقيـد وتمـدّد وتقلّـب وعكسـها لصالـح (العدالـة، وتنامـي الثـروة، وتجديـد الهويـة)، والثانيـة، السـعي لصياغـة ديناميـات جديـدة لتأهيـل الـدول للسـلام مأخـوذة بالتوجهـات الجديـدة التـي أفرزتهـا المتغيـرات الدوليـة بعـد أنتهـاء الحـرب البـاردة، ومنهـا إلتمـاس الديمقراطيـة كقـوة دافعـة مـن أجـل تحقيـق السـلام بيـن الـدول والمجتمعـات وبداخلهـا، وتنامـي ظاهـرة الاعتمـاد المتبـادل، ولاسـيما فـي المجـال الاقتصـادي، وتبنـي خيـار مأسسـة التفاعـلات الإقليميـة عبـر منظمـات دوليـة ذات الطبيعـة الحكوميـة والتـي تمكّـن الـدول مـن الاضطـلاع بواجباتهـا، مـن دون نسـيانها للإشـكاليات التـي يمكـن أن تبـرز مـن جـراء ذلـك (٥٨). فضـلا عـن مراقبـة ادوار الأطـراف الخارجيـة، وتحديـد مجـالات ونطـاق أنشـطة بنـاء السـلام، وتحديـد حاجـة الـدول والمجتمعـات إلـى رؤيـة أيديولوجيـة جامعـة مـا بيـن السـلام والعدالـة ولاسـيما فيمـا تعانيـه حوافهـا، ولاسـيما الشـرق الأوسـط مـن تعدديـة عرقيـة وطائفيـة وأزمـة الهويـة، بالاضافـة الـى قلـة خبرتهـا التاريخيـة وثقافتهـا السـلبية حيـال التحـرر السياسـي، كذلـك أنكشـاف دولهـا داخليـا وتعرضهـا للتحديـات البنيويـة المسـتحدثة مـن جـراء ظواهـر التغييـر الدوليـة المتواليـة مثـل العولمـة والحداثـة. الـخ، فضـلا عـن عـدم وجـود نمـاذج محليـة موثوق منهـا لبناء السـلام

(٥٩). وهو ما دفع تركيا لتركز الجهود / المشروعات المبذولة بهذا الصدد على الديناميات الداخلية دون أن تولي اهتماما مناسبا لتشابكات الداخل والخارج فيما يتعلق بأسباب الصراع وتداعياتها.(٦٠)

رابعاً : تركيا وإدارة التغيير ... البحث عن المكنة الاستراتيجية

لاغصاصة في القول ، إن جوهر سياسة حكومات حزب العدالة والتنمية وإن ركزت بمجملها ، أبتداءاً ، على مقتضى صياغة هوية تركية جديدة ، الا انها مالبثت ان افصحت عن ذاتها ، وكأنها بحث عن مكنة إستراتيجية (٦١)* تستودع فيها كل المطامح لإتمام صيرورة الأمة التركية من جديد(٦٢). وإذا كانت التجارب التاريخية تربط ذلك الأمر على توافر الحافز ونمط الاستجابة، كما هو الحال مع ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد عام ١٩٨٩م، واليابان وإيطاليا في النصف الثاني من القرن العشرين، وحتى إيران بعد عام ١٩٧٩م (٦٣)، فإنها في تركيا ربطت على افتراضات متعددة، منها تراكم القوة وضرورة ضبطه، ولاسيما في الدول ذات الطبيعة الأثنية والعرقية والطائفية والتي عادة ما تواجه صعوبات حادة في توظيف ذلك التراكم لصالح التكوّن من جديد، كما هو الحال مع تركيا، وتوصيف المصالح القومية التي غالبا ما تحددها الغايات النهائية لأفعال الدولة وقدرتها على التحكّم بالمتغيرات وأستيعاب مصالح ومطامح أبنائها أولا، كما هو مواجهتها للتحدي الكردي أيضاً، وأخيرا ربطت على القدرة لبناء نموذج مفترض للتفاعل المنضبط خارجيا إذ المشاركة في توازن توليد يضمن لتركيا إدارة إستراتيجية لتحدياتها والأزمات المتوقعة بدعم من التألف المجتمعي من الداخل (٦٤).

وهذا ما قبضت عليه تركيا بنمط قيادة منضبط الأداء كما أفصحت عن ذلك سني حكم حزب العدالة والتنمية، لتؤسس عودة جديدة للروح التي تغذت على العلاقة بين السياسة وإدارة التغيير وصناعته، مادام الأولى معنية بصياغة وتطبيق ما توفره تلك الإدارة من فرص وهوامش حركة لتمكن الدولة من الحصول على الهيبة أو تحقيق أهدافها، لتغدو إدارة التغيير عند مسمياتها النهائية حيث صناعة التغيير ولكن بدلالة الاستقرار.(٦٥)

وبرعت قيادة حزب العدالة والتنمية في تكتيل القدرة الاستراتيجية التركية وعلى مختلف ابعادها عبر العودة بها الى حاضنتها الاستراتيجية التي لم تعد تنظر للقوة بشكلها المجرد، بل إلى وظيفتها المحفزة للدولة لكي تبدا بالتخطيط لأهدافها ومصالحها وما تستطيع كسبه من حرية العمل (الحراك الاستراتيجي)، وبالتالي تصبح القدرة الخارجة من الاستراتيجية في حالة التغذية العكسية أعمق مفهوما من القوة كمفهوم وكواقع، وهذا ما ميز تركيا عن القوى الإقليمية الفاعلة في الشرق الأوسط .٤(٦٦)

وعلى الرغم من سعي قادة حزب العدالة والتنمية الحثيث بهذا الاتجاه، ماخوذين ب(تركيز القدرة)، إلا أنهم مازالوا حياري في تصريف أنماط التأثير غير المحسوسة التي تعترض إفصاح الأتراك عن قدراتها، كما هو الحال مع انقلاب ٢٠١٦م، داخليا وتداعيات الأزمة السورية وما قدمته من تعظيم للتحدي الكردي، فضلا عن المعوقات التي تعترض مسيرة انضمامهم للاتحاد الأوربي، والتي كانت بفعلها بوابة لارتباك المعطيات الإدراكية لمنازعة الأتراك لذاتهم وفقا لمبادئ أتاتورك ١(٦٧) .

وبخط مستقيم مواز، كان لتركيا دورا كبيرا في فرض إرادتها ضبطاً لقواعد التفاعل البيئي بين القوى الإقليمية الفاعلة في الشرق الأوسط، وتثويرا لقدراتها الإستراتيجية الذائية، حتى بدت بمنزلة القيادة الأولى بين المتساوين. وتلك وأن ردها البعض إلى صلادة وضع حزب العدالة والتنمية

داخلياً ، ولاسيما بعد فشل إنقلاب ٢٠١٦م، إلا أن الحقيقة تبقى تدين لقيادة أردوغان ومنذ عام ٢٠١٠م، حيث حادثة أسطول الحرية، الذي عبر بسلوكياته الأدائية عما يحمله من فائض إدراك وقوة، جعلته قادرا على فرض الإرادة التركية إقليميا ولاسيما وهو يتسلح بمنظومة قيمية لها نصيب كبير من المقبولية والمرغوبية، مع سيادة التوجه نحو مكافحة الإرهاب، مما جعل أدواره المتعددة، وإن عذت مولدة للمشكلات لا مصفّرة لها، عوائد صافية ما تلبث أن تتراكم محققة دفقا متصاعدا من القدرة الاستراتيجية التركية باتجاه تشييد مسارات ضبط جديدة للتوازن الإستراتيجي ولكن تحت قيادتها بكل ما يوحي ذلك التشييد من صناعة للتغيير.٢(٦٨)

وهذا يعني أن تركيا لم تمنعها قيود الهوية ولا وجهتها الغربية ولا عقيدتها العلمانية من تأسيس أنظمة أداء طورت عبرها اتجاهات سياستها الخارجية التي نجحت في تجاوز محنة التحدي لها من لدن أي طرف، ولاسيما بعد شعور الجميع بأن تركيا طرف مهم في أية استراتيجية خروج (Exit Strategy) ٣(٦٩) من المآزق الإستراتيجية من دون الالتفات إلى ما يؤسسه ذلك الوجود من إغراء بالتمدّد الزائد للدور التركي مادام سلوكها السياسي الخارجي ضروريا ومتناسبا وفعالا وعادلا، مقربة لدواعي سيادة نظرية (السلام الديمقراطي) (Democratic peace Theory)، لتغدو تركيا الدولة/الأمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في الشرق الأوسط (Indispensable Nation) .١(٧٠)

وقد أسسّ هذا الحال ، تحفزاً تركياً طاغياً لاستثمار مكنتها في هذا السبيل ، طمعاً في قيادة التغيير لا الاكتفاء بادارته ، ملوّحةً بقدرتها وامكاناتها والاهم ماصادفته سلوكياتها واتجاهات سياستها الخارجية من مقبولية في رسم حدود حركتها الاستراتيجية في كل ساحات الحواف ، ومنها منطقة الشرق الاوسط ، وفي تحريك مجساتها الحسية والادراكية لقيادة التغيير فيها / فيه والذي بقي لحقبة غير قصيرة من الزمن عصياً عليها بسبب الهيمنة الامريكية هناك ٢(٧١) . الامر الذي جعل قادة حزب العدالة والتنمية ، متحررين نوعا ما من معضلة ندرة الخيارات التي أبتليت بها الاستراتيجية التركية في توجهها نحو الشرق الاوسط ، كما حصل من موقف تركيا من الاحتلال الامريكي ـ البريطاني للعراق عام ٢٠٠٣ ٣(٧٢)، مجسدة بالتمام ماأسماه البعض بـ « النمط الاوروبي من القيادة « .٤(٧٣)

ولو حاولنا تحليل سر تهافت قيادات حزب العدالة والتنمية لكي يجعلوا من تركيا (الدولة / القائدة للتغيير) لابد من استعارة وصف الباحث الانكليزي (جوزيف . سي . إيغبولم) عندما قال « ان الصفة الاخيرة (الدولة / القائدة للتغيير) ، غالباً ما تقع ضمن جهود الدولة للتسلح بصفتها المميزة، بالاعتماد على ما تراه من « أهلية مضمونة وتوقيت مناسب ووظيفة مستهدفة، وحيز أداء يفترض أن يكون ميدانا لتسويق تأثيرها « ١(٧٤)، فيما رأى (فيليب سادلر)، أن هذه المتطلبات تعد تالية لما تفترضه (قيادة التغيير) من شروط، أولها قدرة الدولة على حجز مكانة لها في انتشار القوة، وثانيهما قدرتها على إدامة التأثير مادام الأخير هدفا بحاجة إلى استدامة، وثالثهما، حاجة الدولة الطامحة لقيادة التغيير إلى مرجعية تضمن استمرارها بذلك، معبر عنها بتضامن القيم المشتركة التي غالبا ما يعبر عنها بالتضامن الجمعي المعبر بدوره عن الهوية الواحدة الذي سيصبح عنوانا لشروع الدولة بالتغيير».٢(٧٥)

ولهذا كثيرا ما توصف قيادة التغيير بكونها تآلف قوى إستراتيجي يعبر عن قدرة الدولة في التأثير في سلوك الدول الأخرى، وتوجيه نشاطها وفقا لرؤاها ٣(٧٦). وعلى الرغم ثبات مما يعنيه ذلك التعريف، إلا أن درجة إلتماسه متغيرة من دولة إلى أخرى، تبعا لقدراتها اولا، ولضخامة الأهداف المبتغاة من وراء مشروعها التغييري ثانيا وأدواتها

المستخدمة في ذلك ثالثا . لذا لا غرو أن تعد (قيادة التغيير) نمطا من أنماط الادارة الإستراتيجية (٧٧)٤.

وهذا يعني أن قيادة التغيير ليس هدفا أوليا ناتجا عن مصفوفة الآمال والرغبات، بل هو نتاج القدرة على ضبط مسارات التفاعل بين العديد من المتغيرات وتقليل حدة التناقض بينها معززة بعنوان واحد ومرجعية واحدة وأن تعددت أبعاده. وهنا تبدو قيادة التغيير الشغل الشاغل للقادة وصناع القرار وحتى النخب السياسية، اللذين ما أن يقبضوا على ممكنات دورهم في هذا الصدد، رؤية وتعريفا وتنبؤا بالمستقبل، تراهم يعلنون عن برامجهم للتغيير وفقا لنمط الأستجابة المخطط لها سلفاً .٥(٧٨)

وإزاء ذلك وجدت قيادات حزب العدالة والتنمية ذاتها معنية بتحقيق تكافؤ بين مكانة تركيا التأريخية ومكانتها الجيواستراتيجية، كضرورة لإدامة تأثيرها السياسي داخلية وخارجيا ٦(٧٩)، لذا عمدت وبمختلف عناوينها ومؤسساتها الرسمية والحزبية إلى تشكيل الذات التركية على قدم المساواة مع أندادها الإقليميين في الشرق الأوسط، وكذلك الأوربيين، تدفعها بذلك معايير الأنضمام للأتحاد الأوربي وضرورة تلبيتها، وحسم هويتها ذات الألوان والاتجاهات من دون التنازل عن (أوربة) عنوانها الإستراتيجي، فضلا عن الحرص على تحقيق إنجاز ملموس على صعيد المكاسب المتحصلة أو المتوقعة من دون الالتفات إلى تأويلات الديمقراطية بقصد كسر مقاومة العلمانيين والعسكر على النهج الذي تبناه حزب العدالة والتنمية الذي أخذ من الحداثة هدفا لا خاتمة لمطامح الأتراك كما كان أيام العثمانيين أو حتى أيام (أتاتورك).(٨٠)

حال أستشعار قيادات حزب العدالة والتنمية بتأريخية منهجهم، حتى أستثاروا عزائم غالبية المجتمع التركي، ناقلين إحساسهم بضرورة إعادة هيبة التاريخ الغابر، إلى النخب السياسية محققين عصفا أدائيا وفكريا كبيرا لتدبر ما ينبغي لتركيا شغره من موقع في التفاعلات الإقليمية والدولية، ولاسيما في الشرق الأوسط، محققين أستجابة مقصودة لما يمر به من تغيير، وما تفصح عنه بيئته الإستراتيجية إذ ملئ الفراغ الإستراتيجي في الشرق الأوسط، وإعادة التموضع وإحتواء الاندفاع الإيراني والسعودي وإدامة التحالفات مع بقية دول المنطقة، وصولا إلى مكانتها الريادية في ضبط تفاعلاته، ليغدو التوجه التركي نحو الشرق الأوسط وقد امتلك منذ البداية شروط القيادة الإقليمية، ومابرح فضاء تلك التفاعلات يبيح التلون في الأدوات المصرفة لذلك الطموح (٨١) .

ويرى أستاذ العلاقات الدولية في جامعة غازي عنتاب التركية (Saban Kardas) من جانبه، أن طموح تركيا لقيادة التغيير في الشرق الأوسط، وأن مثل ميعادا لتركيا لإعلان نفسها كـ(قوة وسطى) دليلها الأمن، إلا أن المصلحة القومية لم تزل تمثل لها ناموسا حركيا ، لتتوائم مطامحها التاريخية في صف واحد. فهي لم تزل دولة محورية كما أرادها أتاتورك، لها منظومتها الفكرية وهويتها وتأخذ بالديمقراطية، وتقبض على فرشة واسعة من الوظائف لم تستنزفها الأحداث بل هي من يتلاعب بمعيارية مخارجاتها. ولم تزل أيضا دولة المركز القادرة على تصريف شواغلها وشواغل الأخرين أيضا، بعد أن تمكنت قيادات حزب العدالة والتنمية من تحويل النظر لعمق تركيا الجيوبولتيكي من منظار الجبرية الجغرافية إلى الديناميكية التاريخية التي منحت تركيا طاقة فائقة في فرض ذاتها ترفدها مكنة قيادية وإرادة سياسية جعلت من قيادتها للتغير ميدانا لتسويق ذاتها بوصفها أنموذجا قادرا على إدارة تفاعلات الشرق الأوسط(٨٢). وهذا ما عبر عنه الرئيس التركي السابق عبد الله غول بقوله: «إذا لم نأخذ رسن (مقود) القيادة فأن الأخرين سوف يحاولون ملئها على طريقتهم ويتدخلون في شؤوننا».

وهكـذا تبـدو مطامـع تركيـا فـي قيـادة التغييـر، مرشـدة لفاعليتهـا الاسـتراتيجية والتاريخيـة لتنميـة وإدراك ذاتهـا وتأهيـل الآخريـن لمماثلـة عزمهـا كمـا يقـول (أردوغـان) « مشـاركتنا بحشـد القـوى لبلـوغ الهـدف الكبيـر» حيـث السـلام والتـوازن الاسـتراتيجي، لاسـيما يبعـده النفسـي الـذي بـدا التوجـه نحـو بنـاءه مـن جديـد مطلبـا إقليميـا ودوليـا .(٨٣)

وممـا أعطـى لقيـادات حـزب العدالـة والتنميـة فرصـة لسـفورهم بمطمحهـم إذ القيـادة الإقليميـة، مـا يسـميه (توماس شـيلينغ) ب(طغيـان القـرارات الصغيـرة) (٨٤) لـدى أندادهـا فـي الشـرق الأوسـط . فعلـى الرغـم مـن اسـتمرار التمـدد الإيرانـي فـي الشـرق الأوسـط والضـد السـعودي المقابـل لـه، لـم يصـادف ذلـك المطمـح (القيـادة) حتـى هـذه اللحظـة قـرارات حاسـمة لتوجيـه دفتـه لتفـادي المواجهـة بيـن القطبيـن الإقليمييـن وإعـادة الاسـتقرار الميـزان القـوى الإسـتراتيجي فـي المنطقـة. وعلـى الرغـم مـن عقلانيـة مـا يقدمـه الطرفـان مـن مقتربـات رؤيـة وفعـل لتفـادي المواجهـة بينهمـا علـى الرغـم مـن اتسـاع ملامحهـا فـي سـاحات متعـددة، ماخوذيـن بأطروحـة (ظـل العمـق) مـن دون أنغمـاس كبيـر يؤدي إلـى المواجهـة، فـإن طغيـان القـرارات الصغيـرة لديهمـا انتـج قـرارا ضمنيـا غيـر عقلانـي يعـزز اسـتمرار حالـة الاختـلال فـي التـوازن الإسـتراتيجي في الشـرق الأوسـط. وقـد تزامـن ذلـك مـع أدراك قيـادات حـزب العدالـة والتنميـة فـي قراءتهـا للوضـع الدولـي ومـا يمـر بـه مما أسـماه البعـض ب(عصـر تحـول القـوة إلـى فاعليـن كثـر) (٨٥) ومـا صاحـب سـيادة هـذا العصـر مـن ملامـح تغييـر أهمهـا انتشـار القـوة، جعـل الأوضـاع الإقليميـة، ولاسـيما فـي الشـرق الأوسـط تتشـابك وتتعقـد بصـورة ملموسـة، الأمـر الـذي أدى كمـا يقـول (إيـان بريمـر): إلـى عـدم تمكـن قـوة واحـدة أو تحالـف معيـن مواجهـة تحديـات قيادتـه (٨٦) . وهـذا يعنـي أن القـوى الدوليـة الكبـرى أخفقـت فـي إدارة التغييـر فـي الشـرق الأوسـط، علـى الرغـم مـن عـدم رضاهـا عـن التوزيـع الحالـي للقـوة، وهـو مـا جعلهـا تبحـث عـن منافـذ خـلاص مـن هـذه المحنـة كمـا حصـل مـع أنسـحاب الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي ظـل إدارة (أوبامـا) مـن الشـرق الأوسـط تاركـة إدارة أوضاعهـا المجـال أأدوار القـوى الإقليميـة (٨٧)، كمـا أشـارت إلـى ذلـك مؤسسـة سـتراتفور الأمريكيـة عندمـا ذكـرت فـي دراسـة لهـا «سـتتخلى واشـنطن عـن المسـؤولية والنفـوذ فـي المنطقـة، وستنسـحب لتديـر الموقـف بمبيعـات أسـلحة وحوافـز وعقوبـات اقتصاديـة، وسـتكون المنطقـة، ولأول مـرة منـذ الحـرب العالميـة الأولـى، فـي قيـد تطويـر تـوازن قـوى إقليمـي مسـتقل بذاتـه(٨٨). وقـد أعطـى هـذا الأمـر فرصـة لتركيـا فـي ظـل تصاعـد ازمـات الشـرق الأوسـط إلـى تولـي مهمـة القيـادة الإقليميـة، مـن دون تكليـف بنـاء علـى إحساسـها بفـراغ القيـادة الناجـم عـن فـراغ الرؤيـة لـدى القـوى الدوليـة (٨٩)

وهـذا الأمـر بقـدر مـا أسـس مقدمـة لـدورة انتقاليـة فـي ميـزان القـوى الإسـتراتيجي في الشـرق الأوسـط، إلا أن التمـاس قـواه، لاسـيما بعـد ثـورات الربيـع العربـي، للبعـد الجيوسياسـي كـدرب للهيمنـة ولاسـيما بعـد الرهـن المتعمـد لذلـك الميـزان بالبعـد المجتمعـي / الدينـي مـن دون البعـد الجيـو- إسـتراتيجي(٩٠)، فسـح المجـال أمـام تركيـا لأداء دورهـا القيـادي فـي الشـرق الأوسـط، لاسـيما مـع تصاعـد النزعـة الإقليميـة لـدى قـواه الفاعلـة، حتـى تحـول الشـرق الأوسـط بكليتـه إلى جزيـرة منعزلـة مليئـة بالتصارعـات مـن دون قواعـد منظمـة لهـا (٩١). وهكـذا كانـت فوضويـة الأوضـاع الإقليميـة فـي الشـرق الأوسـط، سـببا لكـي تقـدم تركيـا ذاتهـا لقيـادة التفاعـلات فـي الشـرق الأوسـط فـي ظـل مـا تعانيـه دولـه مـن انهيـار وإخفـاق حكوماتهـا فـي أداء أدوارهـا التنمويـة وتصاعـد دور الحكومـات المحليـة والمليشـيات الداعيـة إلـى تثويـر الصراعـات الأهليـة .(٩٢)

فـي ظـل هـذه التحديـات، التـي مثلـت لتركيـا محطـات اختبـار إجرائيـة لنموذجهـا / طموحهـا فـي

قيادة التغيير في الشرق الأوسط، عمدت تركيا إلى تبني دور هندسة الأوضاع الإقليمية في الشرق الأوسط بعيدا عما يلوحها من كلف، وفي ذهن قياداتها حيازة الأهداف عن بعد وبضمان ورضي جميع الأطراف. وهذا ما كشفته الزيارات المتكررة ل(أردوغان) لمعظم دول المنطقة للمدة ٢٠١٤-٢٠١٧م، على الرغم مما عانته تركيا من تحديات داخلية بعد تظاهرات (تقسيم) التي كانت جرس إنذار لمنحنيات الإنحدار لصعود التيارات الإسلامية فيها وفي الإقليم برمته،(٩٣) والذي واجهته تركيا باستبدال جذوته بالتحفز لمحاصرة التهديد الكردي الذي ظل ذات مكانة كبيرة في المدرك التركي حتى أثناء محاربة داعش، ليتساوى العنوانان حتى هذه اللحظة في خطابات أردوغان، لاسيما بعد عملية غصن الزيتون في سوريا عام ٢٠١٨م، التي أرادت منها تركيا مخالفة توجهات الإدارة الأمريكية في إعادة النظر بخارطة الشرق الأوسط وحدود دوله بعد ما أرساه داعش من وقائع محفزة لرؤية الشرق الأوسط وكأنه (عالم من مناطق النفوذ الغامضة والمتداخلة على حد قول وزير الدفاع الأمريكي السابق (تشتاك هيغل).(٩٤)

وهكذا تحملت تركيا وزر تلك المهمة بالاعتماد على ما تمتلكه من مقومات قيادة، مثلتها مقومات القوة التركية بامتياز، حتى بات الأمن القومي التركي وكانه كشافا ، تبعا لتعدد معانيه ودلالاته وتراكيبه ومهامه، للأمن الإقليمي في الشرق الأوسط. فالنظرة واحدة، مادامت الانشغالات، والتهديدات والفرص، واحدة بدءا من الانعتاق وصولا لإعادة البناء، فضلا عن تحمّلها وزر التصدع السياسي الإسلامي وثقل المردود المنظماتي / الحركي لها.(٩٥)

وضمن هذا الإطار، وجدت آليات القوة الناعمة دورها في توصيف العلاقات التركية الخليجية التي ظلت وعلى الرغم من كثافة التعاون السياسي والثقافي والاقتصادي فضلا عن العسكري، ذات بعد تأثير مجتمعي الغاية، على الرغم من حدة/الاندفاع الموقفي في إدارة التغيير في الشرق الأوسط، بعد أن علّت دول الخليج العربية التزاماتها الغربية على التزاماتها حيال تركيا (٩٦). وهذا ما كشفته بوضوح الأزمة القطرية الخليجية عام ٢٠١٧م، فيما ظلت علاقاتها في هذا الإطار رهينة المواقف السياسية مع إيران و (إسرائيل). مما يعني أن تركيا وأن نجحت في تسويق ذاتها / أنموذجها في قيادة التغيير في الشرق الأوسط، إلا أنها لم تستطع لحد هذه اللحظة عكس مخرجاتها لصالح قيادة التوازن الاستراتيجي فيه، وهذا ما يسوغ لنا لجوء تركيا إلى إستخدام أدوات القوة الصلبة لحيازة تلك المهمة وتقريب هدفها في جعل انقرة محور السياسات الإقليمية، كما هو الحال مع حملتها ضد أكراد سوريا عبر ما يسمى بعملية (غصن الزيتون).(٩٧)

لا جدال في أن قيادة التغيير بالأدوات الوسائل الصلبة (الخشنة) تعد من أقسى أنواع القيادة، ليس لكلفها بل لأن الإرث العقابي في التماس القوة لم يزل حاضرا في مدركات شعوب الشرق الأوسط، ونخبها القيادية / السياسية (٩٨) . إلا أن قيادات حزب العدالة والتنمية وان لم تكن لتعول عليها كثيرا، إلا أن واقعية الوقائع في الشرق الأوسط جعلتها تلتمس التفكير فيها، طالما تلقت تركيا أنعكاساتها كتهديدات لأمنها القومي، حتى بدا التماسها لها وكانها جزءاً من (الإذعان الإكراهي) لإدامة دورها في إدارة التغيير وقيادته، اللتان لا يخرجان عن كونهما صراع من أجل المكانة والإنسجام معها لا من أجل القوة فحسب.(٩٩)

وإذا حاولنا استخلاص أهداف تركيا من وراء التماسها للقوى الصلبة، فإننا سنجد سعيا تركيا واضحا للخلاص من فوضى أنتشار القوة في الشرق الأوسط، ولتغدو مهمة إعادة هيكلية توازن القوى الاستراتيجي في المنطقة محصورة بين ثلاثة قوي رئيسة هي: إيران و(إسرائيل) والسعودية، فضلا

عـن تركيـا التـي ستسـعى لاسـتغلال مجـالات النفـوذ المتقاطعـة بينهـا مـن أجـل إعـلان نفسـها الدولـة القائـدة أو القطـب المسـؤول عـن ضبـط ميكانزمـات (نظـم) التفاعـل والتغييـر في الشـرق الأوسـط ولاسـيما بعـد توجههـا نحـو النظـام الرئاسـي الـذي سـيتيح لأردوغـان مبـررات كثيـرة للتدخـل فـي المنطقـة بقصد إعـادة تفكيكهـا مـن جديـد، لتغـدو تركيـا نـدا للولايات المتحـدة الأمريكيـة فيهـا. وهـذا المطمـح ولـو صحـت أفتراضاتـه سـتكون تركيـا قـد قبضـت علـى كل المرتسـمات الإسـتراتيجية لقيـادة التغييـر فـي الشـرق الأوسـط.

| الخاتمة :

الاتـراك وعبـر التاريـخ كانـوا ، لاسـيما صنـاع القـرار منهـم ، حـداة التغييـر وكسـب نتائجـه لصالحهـم مأخذويـن بفكـرة سـرمدية واحـدة ، انهـم يمتلكـون المحفـزات بـل والمقومـات لكسـب جولاتـه لصالحهـم . فكلمـا نجحـوا فـي بنـاء دولتهـم علـى ركام انهيـار الامبراطوريـة العثمانيـة ، نجحـوا فـي بنـاء مكانتهـم أبـان الحـرب البـاردة ، ليلتفتـوا تاليـا الـى تشـكيل الصـورة اللاحقـة لنهايتهـا .

ماشـخصت ابصارهـم لتكملـة مسـيرة انجازاتهـم فـي العقـد اللاحـق لانتهـاء الحـرب البـاردة لتشـكيل (العالـم التركـي) عـاودوا القبـض علـى محـركات التغييـر الدوليـة والاقليميـة مـع إطلالـة القـرن الحـادي والعشـرين ، ليؤسسـوا مـن زحمـة المتغيـرات نموذجـا لهـم ، وليعمـدوا الـى تسـويقه كمتغيـر هـام ينبغـي تبنيـه فـي اقاليمهـم المجـاورة التـي عـدت عمقـا اسـتراتيجيا لهـم وكأنهـم قادتهـا .

ومـن المثيـر ، ماتبعتـه قيـادات حـزب العدالـة والتنميـة مـن خطـط وتدابيـر لاخـراج طموحاتهـم مـن رؤيتـه النظريـة الـى رؤيتـه الواقعيـة ، ليـس بصيغـة الدفعـة الواحـدة ، بـل بصيغـة توليـد (الموجـات التغييريـة) لصالـح (العثمنـة) ، مناوبـة وتبـادلا بـل وحتـى تداخـلا .والاخيـرة ماهـي الااقترابـا لتعزيـز عملية انتقالهـم مـن (قـوة اقليميـة) الـى (قـوة عالميـة) ، حاسـمين بذلـك جدالهـم الداخلـي والخارجـي . لتغـدو تركيـا لاعبـا مهمـا ليـس فـي السـاحتين الاقليميـة والدوليـة ، بـل ومشـاركا فـي تحديـد هيكليـة النظـام الدولـي وتوصيفهـا طالمـا بـدا النمـوذج الاوراسـي ، فضـلا عـن الشـرق اوسـطي يمثـل نظـرة داخليـة لهمـا وناطقـا باسـم شـعوبهما مقابـل نمـاذج تعـد وافـدة عليهمـا . وهكـذا واصلـت تركيـا إدارتهـا للتغييـر (صناعـة وقيـادة) تحـت سـقف حلمهـا بالمسـتقبل .

الهوامش:

1. Daniel Guerin , No Gods , No Masters , Anthology of Anarchism , AKP , Turkey , ٢٠٠٦ , pp. ٧٣-٧١ .

2. Tim Hannagan, Management Concept and Practices, Pitman publishing,London, ١٩٩٥, pp. ٣٣-٢٧.

3. موربال ميراك فايسباخ وجمال واكيم، السياسة الخارجية التركية تجاه القوى العظمى والبلاد العربية منذ العام ٢٠٠٢ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص٤٤.

4. نقلا عن: محمد نور الدين، السياسة الخارجية... أسس ومرتكزات، في محمد عبد العاطي (محرر)، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج ، الدار العربية للعلوم (ناشرون) ، بيروت ، ٢٠١٠، ص١٣٧ .

5. نقلا عن: على حسين باكير ، تركيا: الدولة والمجتمع ، في محمد عبد العاطي (محرر) ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦

6. شوقي ناجي جواد، مبادى الإدارة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دائرة المعاهد الفنية، بغداد، د.ت، ص ٢١ ـ ٢٣ .

7. نقلا عن: بشير هادي عبد الرزاق، سياسة تركيا الخارجية تجاه منطقة المشرق العربي ما بعد عام ٢٠٠٢، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠١٢، ص٢٨٥ .

8. للمزيد عن أنماط الإدارة الاستراتيجية وأثرها في التخطيط الاستراتيجي، ينظر: خالد محمد بني حمدان ووائل محمد صبحي ادريس، الاستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي، منهج معاصر، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧، ص ٣٨٥-٣٨٦. وعن حالة تركيا بعد عام ٢٠٠٢، ينظر: معمر منعم العمار، الدولة واستراتيجية إدارة التغيير، مكتبة السنهوري ، بغداد ، ٢٠١٩ ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

9. يرد البعض ذلك إلى ما يتمتع به (أردوغان) من موهبة إدارية وقيادية يتساوى في ذلك مع (أتاتورك). للمزيد ينظر: سويز جاغاتياي، ملك تركيا، أردوغان بعد داود أوغلو، مركز البيان للدراسات والتخطيط، شبكة المعلومات الدولية على الرابط الآتي : www.bayancenter.org.

10. * عن صفات هذا النمط ، ينظر معمر منعم العمار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٩ ومابعدها .

11. وهذا ما بدأته تركيا مع دول الخليج أولا. ينظر: محمد السعيد ادريس، تركيا والأمن في الخليج، مجلة أوراق الشرق الأوسط، العدد ٤٣، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٧.

12. وهي بذلك تماثل نموذجها في القوقاز مما ينبئ بتكاملية الاستجابة التركية. للمزيد ينظر:
Alenander Jackson, The limits of Good Intertions, The Caucasus As Test Case for Turkish Foreign policy, Turkey policy Quarterly, No.4, 2010, p.p.88-90

13. رحالي جحيلة، التغيير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٧، جامعة محمد خضيرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٠، ص٣.

14. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٣ ، دار النشر المصري ، القاهرة ، ١٩٨٥، ص٦٩٢. وكذلك: فؤاد افرام البستاني، منجد الطلاب، الطبعة الثامنة، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٥٣١.

15. Hermann Strasser & Susan C. Randall, An Introduction to Theories of SocialChange, London, Routledge, ١٩٨١, p.٣٦

16. جورج سورس، العولمة، ترجمة: هشام الدجاني، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٣، ص٩٨ ومابعدها .

17. عن هذه المداخل واسانيد دعاتها ، ينظر : كيرت ليوين ، دينامية الجماعة والتغيير الاجتماعي ، في : إمتياي أنزوني و أنيا أنزوني ، التغيير الاجتماعي ، ج١ ، ترجمة : احمد حنونة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٤ . وكذلك : جون توماسون ، العولمة والثقافة ؛ تجربتنا الاجتماعية في الزمان والمكان ، ترجمة : إيهاب عبد الرحيم محمد ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٧ . وكذلك برهان غليون ، نقد السياسة ؛ الدولة والدين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٦ .

18. نقلا عن: سناء الخولي، التغيير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤٣ .

19. نقلا عن: أرثرمارويك، الحرب والتحول الاجتماعي في القرن العشرين، ترجمة: سمير عبد الرحيم، دار المأمون للترجمة والطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٣.

20. نقلا عن: إنصاف جميل الربضي، التحولات السياسية والاقتصادية في دول أوربا الشرقية، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٥، ص٥٨-٥٩.

21. ( ) تركي إبراهيم، هندسة التغيير، دار العارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص١٧

22. ( ) خليل العناني، إشكالية التغيير في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٦ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣، ص١٦٧

23. ( ) هنا يرى البعض إن إدارة التغيير، قد أخذت تقنيتها الأدائية من إدارة الدولة لأمنها طالما بدت عناصر قوتها جزء من عناصر القوة في المجتمع الدولي. للمزيد ينظر: عبد المنعم المشاط، نظرية الأمن القومي الدولي المعاصر، دار الموقف العربي ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص٢٧-٢٨. وكذلك أحمد يوسف القرعي، بطرس غالي وتجربة إصلاح الأمم المتحدة، مصدر سبق ذكره، ص١٢٤-١٢٦

24. ( ) Peter Morriss, power Aphilosophical analysis, Manchester university press, UK, ٢٠٠٢ P ٥٦-٥٧.

25. ( ) أحمد القطامين، الإدارة الإستراتيجية، مفاهيم وحالات تطبيقية، ط١ ، دار مجدلاوي للنشر ، عمان ، ٢٠٠٣، ص٦٤. وهنا يرى البعض إن إدارة التغيير غالباً ما تتأثر بثلاثية العوامل (البناء التنظيمي، ثقافة البناء الدولة وإدارتها، الموارد). المصدر نفسه، ص١٣٦

26. ( ) J. Storey and K. Sisson, Looking to the future, in J. Storey (ed), New prespective on Human Resource management,

Roultedge, London, ١٩٨٩, p. ٢٠١.
27. ( ) Roll, Wright, Strategic management concepts, prentice, Hall INC, New York, ١٩٩٨, p. ٣٢.
28. ( ) وهـذا مـا يتسـق مـع مـا يعنيـه مصطلـح الإدارة في فقههـا، حيـث يعـبر الكثـير مـن علـماء الإدارة وفقهائهـا بـأن إدارة التغيـير، هـي النهـج الإداري الـذي يعنـي برصـد أسـباب التغيـير في بيئـة وأدواتـه ومؤشراتـه بقصـد السـيطرة عـلى مجريـات عمليـة التغيـير وتوجيههـا. للمزيـد ينظـر: قحطـان الخفاجـي، المتغـير القيمـي في التخطيـط الاسـتراتيجي، الأمـن الوطنـي العراقـي إنموذجـاً، (قـراءة نظريـة)، قضايا سياسـية ، العـدد ١٦ ، بغـداد ، ٢٠٠٩ ، ص٤٣
29. ( ) منعـم صاحـي العـمار، التفكـير الاسـتراتيجي وإدارة التغيـير، مقاربـة في المقدمـات، قضايـا سياسـية ، العـدد ٢٢ ، بغـداد ، ٢٠١٠ ، ص٥
30. ( ) ناهـدة إسـماعيل، دور عمليـات إدارة المعرفـة وتعزيـز الميـزة التنافسـية، بحـوث مسـتقبلية ، جامعـة الزيتونـة ، عـمان ، ٢٠٠٦، ص٣٦
31. ( ) بيـترف داركـر، الإدارة للمسـتقبل، التسـعينات ومـا بعدهـا، ترجمـة : حليـب بطـرس ، ط٢ ، الـدار الدوليـة للنـشر ، القاهـرة ، ١٩٩٨، ص٥٠١-٥٠٢
32. John P. Kotter, A Force for Change: How leadership Differs from management, London, Rouledge, ١٩٩٣, p.١٢.
33. أحمـد داود أوغلـو، العمـق الاسـتراتيجي، موقـع تركيـا عـلى السـاحة الدوليـة ، ط١ ، ترجمـة محمـد جابـر ثلجـي وطـارق عبـد الجليـل ، الـدار العربيـة للعلـوم ، بـيروت ، ٢٠١٠، ص ٤٨٧.
34. John. P. Kotter, Leading Change Publisher, Harvard Business school, ١٩٩٦, p١٨٧.
35. عبـد الأمـير رويـح، مـا تبعـات الحـدود بـين تركيـا وأمـيركا؟، شـبكة النبـا للمعلوماتيـة، متوفـر عـلى الرابـط التـالي: http://annabaa.org/arabic/reports/١٤٣٤٦.
36. منعـم صاحـي العـمار ، التفكـير الاسـتراتيجي وإدارة التغيـير ، مقاربـة في المقدمـات ، مصـدر سـبق ذكـره ، ص ٣ـ ٥ .
37. عـارف محمـد خلـف، الـدور الـتركي الإقليمـي، مجلـة جامعـة تكريـت للعلـوم القانونيـة والسياسـية، العـدد ٢، جامعـة تكريـت، العـراق، ٢٠١٠، ص٤. وكذلـك: حسـام مطـر، تركيـا في الـشرق الأوسـط بـين الطمـوح وقيـود النفـوذ، مجلـة شـؤون الأوسـط، العـدد ١٤٤، مركـز الدراسـات الاسـتراتيجية والبحـوث والتوثيـق، بيـروت، ٢٠١٣، ص١٦٤.
38. طهمـورث غلامـي ، مسـتقبل العلاقـات الايرانيـة ـ التركيـة ، منافسـة اسـتراتيجية ام تعـاون ؟ ، مختـارات ايرانيـة ، العـدد ١٥٢ ، مركـز الاهـرام للدراسـات السياسـية و الاسـتراتيجية ، القاهـرة ، ٢٠١٣ ، ص ٧٠.
39. ويبـدو أن قيـادات حـزب العدالـة والتنميـة كانـوا يخشـون تحـول الزمـن ضدهـم، عـن تلـك الخشـية عمومـا، ينظـر: الفـن توفلـر، صدمـة المسـتقبل، المتغـيرات في عـالم الغـد، ترجمـة: محمـد عـلي نصيـف، الطبعـة الأولى، دار النهضـة للطباعـة والنـشر، القاهـرة، ١٩٧٤، ص٤٨٦ ومـا بعدهـا.
40. نقـلا عـن: بشـير هـادي عبـد الـرزاق، سياسـة تركيـا الخارجيـة، مصـدر سـبق ذكـره، ص١٩٩.
41. منعـم العـمار، جـوف المحنـة، دراسـة في اقتفـاء اثـر الـذات العراقيـة ، مكتبـة الغفـران ، بغـداد ، ٢٠١٦ ، ص٨٥.
42. K .G. Boulding , Conflict and Defens , A General Theory , New York Harper , Tourch book , ١٩٦٣ , p p. ٧-٩
43. هـذا ماافرزتـة ثـورات (الربيـع العـربي) عندمـا بـدأت وكأنهـا ثـورات ارتداديـة عـلى الامـن الاقليمـي في الـشرق الاوسـط . للمزيـد ينظـر : احمـد تهامـي عبـد الحـي ، المفاجـآت الادراكيـة لجيـل الثـورات العربيـة ، مجلـة السياسـة الدوليـة ، العـدد ١٨٤ ، مؤسسـة الاهـرام ، القاهـرة ، ٢٠١١ ،ص ١٥ ومابعدهـا .
44. عـن تفاصيـل ذلـك الموقـف، ينظـر أحمـد داود أوغلـو، العمـق الإسـتراتيجي، مصـدر سـبق ذكـره، ص ٢٢. وكذلـك جراهـام فولـر، الجمهوريـة التركيـة الجديـدة، تركيـا كدولـة محوريـة في العـالم الإسـلامي، الطبعـة الأولى، مركـز الإمـارات للدراسـات والبحـوث الإسـتراتيجية، أبـو ظبـي، ٢٠٠٩ ، ص ١٥٥ - ١٥٩.
45. عـلي حسـين باكـير، تركيـا الدولـة والمجتمـع والمقومـات الجيـو سياسـية والجيـو إسـتراتيجية النمـوذج الإقليمـي والارتقـاء العالمي، في مجموعـة باحثين، تركيـا بـين تحديـات الداخـل ورهانـات الخـارج، الـدار العربيـة للعلـوم ناشرون (بـيروت) ومركـز الجزيـرة للدراسـات الإسـتراتيجية (الدوحـة)، ٢٠١٠، ص١٧.
46. Alexander Jackson, The limits of Good intentions, The Caucasus As test case for Turkish foreign policy, Turkey policy Quarterly, No. ٤, ٢٠١٠, p.p. ٨٨ - ٩٠.
47. أحمد داود أوغلو، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠٩ و ٦١١ .
48. نضـال حميـد جهـاد، الـدور الإقليمـي لتركيـا بـين محـددات الناتـو والتطلـع القومـي، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، كليـة العلـوم السياسـية، جامعـة النهريـن، ٢٠١٣، ص ٥
49. أمـر اللـه أيشـلر، مغـزى التحـولات في تركيـا ومسـتقبل العلاقـات التركيـة - الغربيـة، مركـز دراسـات الـشرق الأوسـط، عـمان، محـاضرة لأكـبر مستشـاري رئيـس الـوزراء الـتركي بتاريـخ ٢٠١١/١/٥ ، شـبكة المعلومـات الدوليـة، عـلى الرابـط: http://www.mesc.com.jo
50. نقـلا عـن جراهـام فولـر، الجمهوريـة التركيـة الجديـدة، تركيـا كدولـة محوريـة في العـالم الإسـلامي، مصـدر سـبق ذكـره، ص ٦٥.
51. أحمد داود أوغلوا، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.
52. محمـد السـعيد ادريـس، تركيـا والأمـن في الخليـج، مجلـة أوراق الـشرق الأوسـط، المركـز القومـي الدراسـات الـشرق الأوسـط، القاهـرة، العـدد ٤٣، ٢٠٠٩، ص١٧.
53. نقـلا عـن عـلي حسـين باكـير، تركيـا الدولـة والمجتمـع، مصـدر سـبق ذكـره، ص١٠.
54. للمزيـد ينظـر : ا.بي . أوتكـين ، النظـام العالمـي للقـرن الواحـد والعشرين ، ترجـم يونـس كامـل الديـب وهاشـم حـمادي ، دار المركـز الثقـافي ، دمشـق ، ٢٠٠٧ ، ص ١١ ومابعدهـا .
55. غـاري هـارت ، القـوة الرابعـة؛ الاسـتراتيجية الكـبرى للولايـات المتحدة في

القرن الحادي والعشرين ، ترجمة : محمد محمود النوبة ، دار العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٧ ومابعدها .

56. رسول طوسسون و آخرون ، الاسلاميون في تركيا ومشروع التغيير (ندوة) ، مجلة شؤون الاوسط ، العدد ١٢٧ ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٣ ومابعدها .

57. Bulent Aras & Hakan Fidan , Turkey and Eurasia , Frontiers of a new Geographic Imagination , News perpective on Turkey , No., ٤٠ . ٢٠٠٩ , p.٢٠١.

58. هاتين المرحلتين، بدا الحث باتجاههما منذ منتصف تسعينيات القرن المنصرم، عندما بدأت تركيا تقترب الشرق الأوسط ومن آسيا الوسطى بالتوازي . للمزيد ينظر: منعم صاحي العمار ، السياسة الخارجية التركية المعاصرة، نظرة في سر الدينامية المؤثرة، نشرة مركز الدراسات الدولية، العدد ١٥، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٦ . وكذالك تانسو تشيلر، السياسة الخارجية التركية في نهجها الدؤوب، ترجمة: سميرة إبراهيم، نشرة مركز الدراسات الدولية، العدد ١٥، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٣٦.

59. يرى العديد من الكتاب أن (الفوضى التي حدثت ما بعد احتلال العراق، دفعت تركيا للانغماس بشكل أعمق في الشرق الأوسط). للمزيد ينظر: عمر تشبينار، سياسات تركيا في الشرق الأوسط بين الكمالية والعثمانية الجديدة، مصدر سبق ذكره، ص ٢.

60. أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، ٢٠٠٩، ص١١٣.

61. * ونعني بها القدرة على أمتلاك أسباب القوة وتوظيفها للتحكم في ارادة الآخرين وأفعالهم، وهي بذلك ممارسة عملية تعنى بالتوظيف الإستراتيجي للموارد بمعاونة الإرادة والعقل الاستراتيجيين، وهنا تؤدي القيادة / صناع القرار دورا في تلك العملية، فإن نجحوا في ذلك تساوت عمليتا إنتاج القدرات أو الكشف عن حقيقتها، وإذا لم يحدث ذلك، فإن الفجوة بين العمليتين تبدو واضحة للعيان، فيخف التأثير وتتواضع الإرادة . للمزيد ينظر : معمر العمار ، الدولة واستراتيجية إدارة التغيير ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٥ .

62. بيكولاس لوبرون، تركيا: جغرافية قوة صاعدة، ترجمة: محمد الإدريسي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٣٤، مركزدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

63. معمر العمار، الدولة واستراتيجية إدارة التغيير، مصدر سبق ذكره ، ٢٠١٤ ، ص ٤١٠

64. للمزيد عن هذه الأفكار، ينظر: دلال محمد السيد، إنتشار القوة وحدود تغيير موازين القوى الإقليمية، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٠، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠١٥، ص١٣ وما بعدها.

65. محمود سمير الرنتيسي، السياسة التركية في ضوء التحولات الداخلية، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٢، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠١٥، ص١٥٨-١٦٢

66. [٤] Henri J. BARKEY, Turkish foreign policy and the middle east. Ceri strategy paper, No.١٠, ٢٠١٠, p.o.fr sciences po.www :at

67. [١] يرى البعض أن قادة حزب العدالة والتنمية افسدوا مشروعهم مع ما قدموه من مواقف حيال (ثورات الربيع العربي) ، وعادوا يستنزفون أطروحتهم (العمق الاستراتيجي) بصيغة التهديدات لا الفرص. للمزيد ينظر: مراد يشيلطاش واسماعيل نعسان السياسة الخارجية التركية في ظل التحولات الإقليمية، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة ٢٠١٣، شبكة المعلومات الدولية، على الرابط التالي : www.aljazeera.net.

68. [٢] عدّ ذلك دربا لهيمنة تركية قادمة. ينظر: سعد عبيد السعيدي، العرب والعثمنة الجديدة، كراسات استراتيجية، العدد ١٣، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٣، ص ٣٣-٣٤.

69. [٣] مرت جهود تركيا في الشرق الأوسط بالعديد من محطات التعويق، ولاسيما في نهاية حكم (بوش الأبن)، إلا أن إدارة (أوباما) وانسحابها غير المعلن من الشرق الأوسط، فتح بوابات واسعة لإمكانية أداءها دورا إقليميا ودوليا مؤثرا ، كانت محصلة أفعاله رضا أمريكي نسبي وإن تعثر في قضايا معينة ما لبث أن عاود مكانته. عن إرث تلك العلاقة ينظر: حميد مرتضوي، تركيا والولايات المتحدة، الشراكة الصعبة، الطبعة الأولى، جنديان للدراسات الإستراتيجية، طهران، ٢٠٠٩، ص٦٤. وكذلك: ستيفن فلانجان، التقييمات التركية للقوة الأمريكية، سلسلة ترجمات، العدد ٦٩، ترجمة مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠١١، ص١٣٤، ساعدها في ذلك الاتحاد الأوربي، ينظر: ودكا جاكوب وسارة كوسميس، الاتحاد الأوربي وتركيا في عصر ما بعد الربيع العربي، رسم خريطة المصالح الإستراتيجية في الجوار المضطرب، مجلة روية تركية، العدد ٢، ٢٠١٤، ص٣١-٣٢. وعن مضمون هذا المصطلح وبداية إستخدامه أمريكيا ومكانة تركيا فيه، ينظر: محمد كمال، عودة الانعزالية ، التداعيات المحتملة للثنائية الفكرية على سياسات إدارة أمريكية جديدة، مجلة السياسة الدولية، ملحق تحولات استراتيجية، العدد ٢٠٦، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠١٦، ص١٠.

70. [١] وهذا مصطلح استخدمه (فوكوياما) للإشارة إلى ثقل الأمم في السياسة الدولية، ويعد نقيضاً لما استخدمه (هنتنغتون) عن وصف تركيا للمزيد ينظر:

Franeis Fukuyama (ed), Nation Building: Beyond Afghanistan and IraqBaltimor, The John Hopkins university Press, 2006, p.p.30-32.

71. [٢] محمد زاهد جول ، التجربة النهضوية التركية ؛ كيف قاد حزب العدالة والتنمية تركيا الى الامام ، مركز نماء للبحوث والدراسات ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٢٨ ـ ٣٠ .

72. [٣] Abdull Gul , Turkey s Role A changing Middle East Environ.Ment Mediterranean Quarterly , No.١ . ٢٠٠٤ , p.٧.

73. [٤] عن هذا النمط من القيادة ومستدعياته واشتراطاته ، ينظر : حسين عبد الحميد احمد رشوان ، التغييرالاجتماعي والتنمية السياسية في

المجتمعات النامية ، ط١ ، دار المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ١٥ ومابعدها .

74. [1] Joseph C. Ebegbulem, Corruption and leadership Crisis in Afirca, International Journal of Business and social science, No.11, ٢٠١٢, p.٢٢٢.

75. [2] فيليب سادلر، القيادة، ترجمة: هدى فؤاد، الطبعة الأولى، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٦٥.

76. [3] هاشم حمدي رضا، إدارة التحول والقيادة الفعالة، الطبعة الأولى، دار الراية للطباعة والنشر، عمان، ٢٠١٠، ص ١٨٧.

77. [4] ياسر عبد الحسين، القيادة في السياسة الخارجية الأمريكية بعد الحرب الباردة، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤،ص ٢١.

78. [5] اني . أوتكين، النظام العالمي للقرن الحادي والعشرين، ترجمة : فاضل زكي ، دروب للنشر ، بغداد ، ١٩٩٧، ص١٤.

79. [6] George Friedman, Turkey's strategic and Geopolitical, Weekly Report, Austin Stratfor Global intelligence institute, U.S.A, ٢٠١٢, p.p.٥-٣.

80. احسان داغي، لماذا تحتاج تركيا إلى نظام ما بعد الكمالية؟، مجلة رؤية تركية، العدد ٤، اسطنبول، ٢٠١٢، ص٣٤ـ٣٦. أن "اتخاذ حزب العدالة والتنمية، التحديث هدفا لا غاية يمثل واحد من أمرين كانا سببا في نجاح تجربته السياسية الحد الآن. للمزيد ينظر: جمال خاشقجي، أمران وراء نجاح واستمرار الحركة الإسلامية في تركيا بقيادة أردوغان، شبكة المعلومات الدولية على الرابط الآتي : www.turkpress.co

81. يرى البعض إن التوجه التركي نحو الشرق الأوسط مثل متنفسا للطموحات التركية في التمدد فيه. للمزيد ينظر: محمد حسين يونس، العثمانيون سفاحون لم يهذبهم أتاتورك، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، بكة المعلومات الدولية، على الرابط الآتي: www.ssreaw.org

وكذلك: عماد قدورة، تركيا ومسألة التدخل العسكري بين الضغوط والقيود، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠٠٤، ص٧.

82. Saban Kardas, Turkey Regional Power Facing a Changing International System, Turkish studies, No.٤, ٢٠١٣, p.p ٦٣٧-٦٦٠.

83. نقلا عن: كاظم هاشم نعمة، تركيا القوة الوسطى ؛ من أتاتورك الى اردوغان ، آمنة للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠١٧، مصدر سبق ذكره، ص ١١٠ و ٨٦ على التوالي .

84. عن تلك الفكرة ينظر: جان فرانسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية ، ط١ ، ترجمة : جورج كتورة ، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص٨٦٥.

85. Joseph Nye, The Future of Power, Public affairs New York , library of Congress, ٢٠١١. p.p.١٠٩-١١٢.

86. ابان بريمر، عالم بلا قيادة، كل أمة لنفسها ؛ الرابحون والخاسرون في عالم المجموعات الصفرية ، ترجمة : فاطمة الذهبي ، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص٩.

87. ريتشارد هاس ومارتن أنديك ووالتر رسل ميد، عهد أوباما، سياسة أمريكية للشرق الأوسط، دراسات عالمية ، مركز الامارات للدراسات الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ٢٠٠٩، ص ١٤ ـ ١٩

88. The Full Report for state for , ٢٠١٠-٢٠٢٠ :Decade forecast can be a ccessed from: http://www. ٢٠١٠-٢٠٢٠ :decade fore cast f /strat for.com

89. أيان بريمر، عالم بلا قيادة، مصدر سبق ذكره، ص١٨٥.

90. ابرتران بديع، زمن المذلولين، باثولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة : ماجد جبور ، المركز العربي للابحاث ، بيروت – الدوحة ، ٢٠٠٤، ص ٢٢٧.

91. توماس فريدمان. العالم مسطح، تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٥٣وما بعدها.

92. لم يخف قادة حزب العدالة والتنمية، أعجابهم بالأنموذج البرازيلي وإعجابهم بقدرة البرازيليين على توليد الخيارات الإقليمية والدولية لمصلحتهم. عن ذلك الأمر ينظر: مجموعة باحثين، البرازيل القوة الصاعدة في أمريكا اللاتينية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠، ص١١٥ وما بعدها.

93. موريال ميراك فاياخ وجمال واكيم، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٨-٢٤٠.

94. نقلا عن: منعم العمار، جرف المحنة، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥.

95. علاء عبد الحفيظ محمد، النسق السياسي العقيدي لرجب طيب اردوغان، مجلة رؤية استراتيجية، العدد٥، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠١٣، ص٢٣-٢٨، وكذلك: ادريس بووانو، الإسلاميون الجدد في تركيا، دار الوحدة الإسلامية، الرباط، ٢٠٠٧، ص١٥-١٦

96. احمد نوري النعيمي، تركيا والخليج قطر انموذجا : عقدة الجيوبولتك والتنافس الاقليمي ، مركز بلادي ، العراق ، ٢٠١٨، ص ١٧٩-١٧٤ .

97. محمد ابو سعدة ، مابعد عفرين ؛ امريكا- تركيا الى اين ، تقديرات سياسية ، المعهد المصري ، القاهرة ، ٢٠١٨، ص ٦-٩ .

98. مكسيم لوفايفر، السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة: حسن حيدر، دار العويدات للنشر بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٢١ وما بعدها.

99. عن مضمون هذا المصطلح، ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٥. وكذلك: أمر الله أوزلو، من الطريق الجهادي المريع إلى الملاذ الجهادي الأمن: سياسات تركيا الجهادية والأمن الرغبي، مركز البيان للدراسات والتخطيط، العراق، ٢٠١٦، ص١٢-١٣.

نسيبة يونس

زميل زائر في المجلس الاوربي للعلاقات الخارجية وباحثة في مجال السياسة العراقية, والحوكمة, والوساطة السياسية, وتحقيق الاستقرار, وادماج الشباب ومكافحة التطرف.

ترجمة: د. نصر محمد- فيصل عبد اللطيف

تحذير مبكر: كيف يتسنى للعراق التأقلم مع التغير المناخي؟

| ملخص تنفيذي

- العراق يواجه خطرا كبيرا يعاني فيه من اسوء اثار ازمة المناخ, بما في ذلك ارتفاع درجات الحرارة ونقص المياه الحاد.
- مع تقلص الاراضي الصالحة للزراعة واختفاء المهن الزراعية, ينزح الكثير من العراقيين الى المدن بحثا عن العمل. الامر الذي يزيد من الضغط على الخدمات, ويرفع من اسعار الغذاء, ويفاقم التوترات الاجتماعية ويؤدي الى التظاهرات والعنف.
- ضعف منظومة الحكم في العراق تحول دون تحسين ادارة المياه, ومنع الصراعات بين المحافظات والصراعات القبلية, وجذب الاستثمار والخبرات اللازمة لخلق وظائف صديقة للبيئة والتكيف مع التحول المناخي.
- الوعي العام بالمخاطر المناخية يزداد, الا ان قلة قليلة من القيادات السياسية تضع هذه الامر من ضمن اولوياتها.
- لقد حاول العراق مرارا الوصول الى توافقات حول القضايا المتعلقة بالمياه مع دول المنبع مثل تركيا وايران, اللتان تقومان ببناء السدود التي تؤثر على واردات المياه الى العراق, واللتان تعتقدان ايضا بان العراق العراق يدير حصته من المياه بشكل سيء.
- على العراقيين والاوربيين العمل سويا على تحسين الحوكمة السيئة في العراق والتفكير بخلق بعض السبل الكفيلة بانشاء نظام انذار مبكر لتشخيص الصراعات المحتملة التي قد تشتعل كنتيجة لتأثيرات التغير المناخي.

| مقدمة:

لقد نبهت سلسلة من الاحداث الدراماتيكية التي حصلت خلال الاشهر الستة الماضية الرأي العام العراقي الى حقيقة ومخاطر التغير المناخي. تسعة عواصف ترابية اكتسحت البلاد خلال فترة ثمانية اسابيع فقط, متسببة باغلاق الدوائر الحكومية والمطارات وتعطيل النشاط الاقتصادي ودخول الاف من البشر الى المستشفيات. خلايا من جماعة تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) استغلت انحسار مدى الرؤية الذي تسببت به العواصف لشن هجمات على قوات الامن العراقي.

ومع مطلع سنة ٢٠٢٢, اشعلت الاخبار الواردة بشأن الجفاف التام لبحيرة ساوة في محافظة المثنى الى موجة من الاسى والحنين الى الماضي حيث تحسر المواطنون المحليون والمعلقون على تأثير الجفاف على مصادر معيشة السكان وهوية المحافظة. يضاف الى ذلك القصص المفزعة التي تلت ذلك والتي تناولت الانخفاض الحاد بمستويات المياه في بحيرة حمرين في محافظة ديالى وزيادة التلوث في بحيرة الرزازة في محافظة كربلاء.

وبالعودة الى سنة ٢٠١٨, فقد تراجعت جودة المياه في مدينة البصرة بشكل كبير مع ارتفاع مستويات

المياه في الخليج الفارسي مع تقلص تدفقات مياه انهار المنبع والتراجع كميات الامطار الامر الذي اسهم في زيادة نسبة الملوحة في نهر شط العرب. ادى ذلك الى دخول ما يقارب ١٢٠,٠٠٠ نسمة الى المستشفيات ودفع بالاف المواطنين الى الانضمام الى المظاهرات الجماهيرية المناهضة للسلطات المحلية والفدرالية. وقد تصدت قوات الامن والجماعات المسلحة ذات الارتباطات السياسية باستخدام العنف, متسببه بقتل ٣١ شخصا على الاقل واصابة المئات الاخرين. كما ادى التعامل السيء مع هذه الازمة الى اضعاف فرص رئيس الوزراء حيدر العبادي بالحصول على فترة ثانية كرئيس للوزراء, بالاضافة الى اضعاف شرعية مؤسسات الدولة, وتمكين الجماعات المسحلة من شن حملة اغتيالات بالضد من الناشطين والمتظاهرين.

هذه الاحداث في المحصلة جلبت قضية التغير المناخي الى النقاشات السياسية في العراق- لكن قادة البلادة لم يقوموا حتى اللحظة باي خطوة ذات معنى في هذا المجال. وذلك على الرغم من الخطورة الجدية لاثار التغير المناخي على العراق على المدى البعيد والمتوسط. في عام ٢٠١٩, صنف تقرير للامم المتحد العراق خامس بلد في العالم مهدد من ناحية وفرة الماء والغذاء والعرضة للارتفاع الحاد في درجات الحرارة. فدرجات الحرارة في العراق ترتفع بمعدل سبع مرات اعلى من المعدل العالمي, في الوقت الذي يتوقع فيه تناقص معدلات تساقط الامطار بمعدل ٩ بالمئة مع حلول عام ٢٠٥٠. في الوقت ذاته, تواجه البلاد ارتفاعا في معدل نمو السكان يبلغ حوالي ضعفي المعدل العالمي, بمعدل ٢,٢٥ بالمئة سنويا, ليبلغ عدد سكان العراق خمسون مليون نسمة في سنة ٢٠٣٠ وسبعون مليون نسمة في عام ٢٠٥٠.

هذه التغيرات بدورها تقود الى حدوث حركة هجرة ضخمة من الريف الى المدينة, مسببة ضغطا هائلا على الخدمات المحدودة وفرص العمل في المناطق الحضرية, ومشعلة اضطرابات اجتماعية ومغذية للصراعات والتنافس بين المحافظات والقبائل. في بعض الحالات ساهمت هذه التحولات في تمكين الجماعات المتطرفة الى كسب موطئ قدم في المناطق الريفية المسحوقة. تكبح الحوكمة المعطوبة وضعف القطاع الخاص والنقص في الاستثمار الاجنبي المباشر قدرة البلاد على اتخاذ جهد مركز يعالج كلا من اسباب واثار التغير المناخي. فالحوكمة السيئة تتسبب في الهدر المائي, ويجعلها في موضع ضعف حيال دول المنبع, تركيا وايران, اللتان تقومان ببناء السدود التي تجعل من الوضع في العراق اكثر سوءا. على العراق وبصورة عاجلة الموافقة على تخصيص اموال كبيرة لاعمال سياسة مناخية فعالة. وبامكان الاوربيون تقديم الدعم باشكال متعدده- بكل تأكيد في المجال التقني, بالاضافة الى اقناع القادة السياسين في العراق بفوائد هذه السياسة ليس فقط في معالجة اثار المناخ المتغير بل وايضا في تحسين الحوكمة الداخلية وتنويع مصادر الاقتصاد الوطني.

سياسات واقتصاديات التغير المناخي في العراق

السياسات:

العراق الان عالق في فترة من الشلل السياسي: حيث مرت تسعة اشهر منذ الانتخابات البرلمانية في شهر اكتوبر ٢٠٢١, ولم تتشكل حكومة جديدة حتى الان. مؤخرا, عقد الاضطراب المشهد السياسي بعد انسحاب اعضاء الكتلة الصدرية-الكتلة الاكثر نجاحا في الانتخابات- من البرلمان بصورة جماعية. وعلى الرغم من ان العراق يتمتع الان من العوائد الغزيرة المتأتية من فترة الارتفاع في اسعار النفط, الا انه حتى تشكيل حكومة جديدة ستبقى الدولة عاجزة قانونيا عن تمرير موازنة جديدة توزع من خلالها التخصيصات-سواء لمعالجة مسالة التغير المناخي او غيرها من القضايا التي تحتاج الى استثمارات والتزامات طويلة الامد.

حتى ومع مجيء حكومة جديدة في نهاية المطاف, فانه من غير الواضح اذا ماكانت قضية المناخ ستلقى

الاهتمام والدعم الذي تحتاجه ومن اعلى المستويات. فالتنافس السياسي محتدم بشكل كبير, تحديدا بين الجماعات الشيعية المسلحة- والتي تتحكم في معظم المناطق المتأثرة بالتغير المناخي لكن سلم اولوياتها يشتمل على قضايا مختلفة. هذه الفوضى السياسية يفاقمها فهم محدود لمعنى التغير المناخي لدى النخب الحاكمة في البلاد.

بعض الاصوات المهمة تدعو الى الاستثمار في مجال المناخ, بما في ذلك قيادات متقدمة في الوسط السياسي العراقي. ففي شهر نوفمبر من عام ٢٠٢١, تبنت الحكومة الفيدرالية مبادرة الرئيس برهم صالح المعروفة بمشروع اعادة احياء مابين النهرين. ولاول مرة يضع هذا المشروع خطة طموحة لمعالجة اكثر اثار التغير المناخي حدة في البلاد. ان الرئيس برهم صالح هو مناصر شديد لسياسة التكيف مع التغير المناخي. ففي مقابلة له مع المؤلفة, قال: «ان حجم المشكلة(التغير المناخي) كبير جدا كمدخل للصراع وانعدام الاستقرار, وستصبح تدريجيا قضية سيجدها السياسيون في العراق تستحق الاهتمام.»[1]

لقد تضمنت مقترحات الرئيس صالح مبادرة الاستخدام الامثل للمياه, برنامج اعادة التشجير, وخطط للاستثمار في الطاقة الخضراء. وبالرغم من ان الرئيس نجح باقناع الحكومة تبني مشروع احياء بلاد ما بين النهرين كاطار عمل سياسي يخصص له التمويل اللازم وتتسنى امكانية اعماله, الا انه ينبغي على القادة السياسيين ان يكونوا مستعدين لتخصيص الاموال اللازمة في هذه المبادرات طويلة الامد. وان كان صناع القرار في العراق مقيدين في الوقت الحاضر لعدم قدرتهم على تمرير الموازنة, الا ان اغلبهم باي حال من الاحوال يفضلون السعي نحو تقديم هبات شعبوية قصيرة المدى, مثل توفير التعيينات في القطاع الحكومي العام.

وزير المالية العراقي, علي علاوي, قام ايضا باطلاق برنامج اصلاحي عرف بالورقة البيضاء والذي يسعى من خلاله الى وضع الاقتصاد العراقي في مسار تنموي مستدام يوفر من خلاله التمويل من الانفاق العام للاستثمار في مجال الاستجابة الى تحديات التغير المناي. وبهذه الطريقة, سيتسنى للقادة احداث التغيير عن طريق زيادة الوعي بهذه المسالة في اوساط النخب السياسية.

وبالرغم من قتامة المشهد, الا ان مشروع اعادة احياء بلاد ما بين النهرين وغيره من المبادرات المطروحة مثل مبادرة علي علاوي تدل على ان التغير المناخي بدا اخيرا تلقي بعض الاهتمام على اعلى المستويات في السياسية العراقية. وفي اي وقت ستتوصل فيه المؤسسة السياسية العراقية الى اتفاق حول تشكيل حكومة جديدة, سيكون من المهم بالنسبة لها ان تضع على من ضمن اولوياتها تمويل واعمال هذه المبادرات الطموحة الهادفة الى معالجة قضية التغير المناخي. فالاثار الواسعة المترتبة على ازمة المناخ ستعني في نهاية المطاف ان القادة العراقيين لايمكنهم الاستمرار بتجاهل الازمة.

المواقف السياسية

بالرغم من صعوبة القياس الدقيق لدرجة الوعي بالتغير المناخي, الا ان الرأي العام العراقي منتبه لاثاره. فالمخاوف تتزايد سواء بين الرعاة البدويين الذين يعانون من شحة تساقط الامطار او صيادي الاسماك المعتمدين على البحيرات التي يتناقص مائها. قطاعات كبيرة من المواطنين بثوا معاناتهم اليومية وعلاقة ذلك بالتغير المناخي: قضايا مثل شحة المياه تكون دافعا لخروج التظاهرات بشكل متكرر. ويعتقد الناس بان الحكومات المتعاقبة والسلطات المحلية اداروا ملفة البيئة بشكل سيء وفشلوا بالاستجابة الى ازمة المناخ.

من المرجح ان قضية التغير المناخي ستأخذ اهتماما اوسع في المستقبل. ففي الفترة التي اعقبت الحرب على داعش مباشرة, قضايا مثل الفساد والتعليم والاقتصاد واعادة البناء جائت في مقدمة الاهتمامات المحلية. ولكن, مع انحسار الصراع وتحوله الى جزء من الماضي ومع وضوح الاضرار التي تسبب بها التغير

المناخي, ازداد اهتمام العامة بالمواضيع المتعلقة بالبيئة. فخلال العواصف الترابية التي غطت البلاد في النصف الاول من عام ٢٠٢٢, امتلأت وسائل التواصل الاجتماعي بالمنشورات التي تشير الى ان التغير المناخي هو السبب وراء هذه العواصف. يضاف الى ذلك دور المتغير السكاني, حيث ان الشباب العراقي اكثر وعيا اليوم بهذا الموضوع, فقد وجد استطلاع برنامج الامم المتحدة للتنمية ان ٦٧ بالمئة من الشباب البالغة اعمارهم دون الثمان عشر سنة في العراق يؤمنون ان حالة المناخ في العراق وصلت الى مراحل طارئة.

الاقتصاد وتقليل انبعاثات الكاربون

اذا ما حصل وتوافق الرأي العام ورأي النخب على تنفيذ خطة عمل جدية في مجال المناخ, فان اي تقدم في هذا المجال سيحتاج الى استثمار اجنبي مباشر. ولكن مالم وحتى تقوم نخبة البلاد السياسية باتخاذ الخطوات اللازمة لتحويل العراق الى بيئة جاذبة للاستثمار (الامر الذي رفضت هذه النخبة القيام به مراراً) ستبقى الحكومة الفيدرالية (والحكومات المحلية) مفتقرة الى الموارد الكافية للاستثمار في مجالات خزن المياه, وايقاف وعكس عملية التصحر, وتحسين امن الطاقة عن طريق تطوير امكانيات العراق الهائلة من الطاقة المتجددة.

يمكن ان تساعد عملية الاصلاح الاقتصادي في هذا المجال كما هو الحال مع اي مجال اخر. فخلال العقد الماضي, ساهمت عوائد النفط باكثر من ٩٩ بالمئة من صادرات العراق و ٨٥ بالمئة من الموازنة الحكومية. وقد اشار وزير المالية العراقي علي علاوي الى انه ما اذا وصل العالم الى تصفير الانبعاثات بحلول عام ٢٠٥٠, فان عوائد الدول المنتجة للنفط ستنهار بنسبة ٧٥ بالمئة. ومن المرجح ان تتوفر فرص مهمة نتيجة الابتعاد عن النفط – الذي يهيمن على الاقتصاد في العراق لكن نسبه التشغيل فيه لا تتجاوز ١ بالمئة في عموم البلاد. على العكس من ذلك, فان الانتقال الى الطاقة الخضراء يمكن ان يسهم في توفير فرص عمل كثيرة.

ولكن الطبيعة الاحادية الشديدة للاقتصاد العراقي تجعله مرهونا بالتحول العالمي نحو تقليل انبعاثات الكاربون: فصفقة الاتحاد الاوربي الخضراء, وغيرها من الدوافع نحو الاستغناء عن الكاربون, يمكن ان يكون لها اثار جيبولوتيكية خطيرة على الاقتصاديات المعتمدة على الصادرات الكاربونية. وعلى الرغم من كون العراق احد الدول الموقعة على اتفاقية باريس لتقليل الانبعاثات عالميا, الا انه تعهد بخفض انبعاثاته من الغازات الدفيئة بنسبة متواضعة تبلغ واحد بالمئة مع حلول سنة ٢٠٣٥. ونسبة تخفيض اضافية تبلغ ١٣ بالمئة لكنها مشروطة بالدعم الدولي المقدم الى العراق. ويرى وزير المالية العراقي ان هذا الدعم هو ركن اساسي لضمان ان التحول العالمي نحو الاستغناء عن الكاربون لن يحمل في طياته اثارا سلبية على امن واستقرار العراق والمنطقة. وقد حذر مسؤولون عراقيون الدول المتقدمة والدول التي لا يعتمد اقتصادها على الهايدروكاربونات من الدفع نحو تحول سريع في هذا المجال.

ويبقى هنالك الكثير لفعله من اجل تأمين الاستثمار اللازم لغرض تنويع مصادر الاقتصاد العراقي. يأتي في مقدمة ذلك معالجة اوجه القصور العميقة في نظام الحوكمة في العراق بما في ذلك تقليل الفساد. مثل هذه الخطوات ستساعد البلاد ايضا في كسب الاستثمار اللازم للتكيف مع التغير المناخي ووسائل التخفيف من اثاره, التي ستوفر بدورها فرص العمل وتقلل من التوتر الاجتماعي.

الحوكمة الضعيفة في العراق والقدرة على الاستجابة للتغير المناخي

الحوكمة

كما تم ملاحظة ذلك, يفتقر العراق ثقافة سياسية قادرة على الاستجابة للتحديات التي يفرضها التغير المناخي او لتطوير خطة تحول اقتصادي. لكن مثل هذه المشاكل برزت جزئيا بسبب ضعف نظام الحوكمة الموجود في العراق وعدم القدرة على تحويل السياسة الى تطبيق عملي من ناحية الخدمات والضوابط والبنى التحتية.

ان الاسعار المرتفعة للنفط تعني ان العراق قادر على توفير الاستثمار اللازم للتكيف مع التغير المناخي وتخفيف اثاره. لكن, حتى لو رغبت حكومة العراق المستقبلية ان توفر تخصيصات كافية في الموازنة في هذا الاتجاه, ستكون بحاجة الى معالجة مسألة الضعف في الحوكمة. هذا الضعف سيحول دون تخفيف بعض من ابعاد التغير المناخي التي يمكن السيطرة عليها, فيما لو ارادت ان توائم بين سياستها والموارد من جهه و بين منظومة الحكم والهياكل الخاصة بتطبيق السياسات.

الضعف في منظومة الحوكمة موجود على المستويين المحلي والوطني. على سبيل المثال, تبرز التوترات عادة بين المؤسسات الحكومية حول مسألة توزيع المياه, كما حدث بين محافظتي ميسان والكوت, ومحافظتي المثنى والقادسية وذي قار.وقد اشتكى مسؤولون من المحافظات الجنوبية مثل ميسان والمثنى بان المحافظات التي تقع الى الشمال من محافظاتهم يأخذون اكثر من حصتهم في المياه, مؤثرين على الماء الوارد اليهم. في شهر اذار ٢٠١٧, قام محافظ المثنى فالح الزيادي بارسال جرافات وقوى امن لازالة السدود المائية في قضاء الحمزة التابع لمحافظة القادسية, مخاطرا باشعال صدام مسلح. وقد لاحظ محافظ ذي قار السابق يحيى الناصري بان» المحافظات تتصرف بشكل فردي (بموضوع المياه), الامر الذي ينذر بحدوث كارثة».

اما على المستوى الوطني, فوزارة الزراعة هي المسؤولة عن الري, اكثر من وزارة الموارد المائية نفسها, الامر الذي يقود الى غياب الوضوح في مسألة وضع وتطبيق السياسات المتعلقة بحفظ المياه وتحديث تقنيات الري. هذا الامر بالغ الاهمية كون العراق يستخدم في الوقت الحالي طرق ري تتسبب بهدر كبير في المياه. ومن الحيوي جدا ان يقوم العراق بحفظ المياه عن طريق تحديث انظمة الري الخاصة به, وهي مهمة تقدر تكلفتها حسب وزارة الموارد المائية مابين ٥٠-٧٠ مليار دولار على مدى السنوات الثلاث عشر القادمة. ومن اجل القيام بذلك, هناك حاجة لوجود نهج حكومي وطني موحد يرافقه تعاون من سلطات المحافظات لمساعدة المزارعين المحليين في جميع انحاء البلاد للتحول بسرعة الى تقنيات واطئة الكلفة من شانها ان تساهم في تقليل كمية المياه المستخدمة.

الاثار الاجتماعية

ان شحة المياه في المناطق الريفية (يفاقهما سوء ادارة المياه في العراق) لها تأثيرات متعددة. فقد تتسبب هذه الشحة بالتصحر, حيث تتحول الاراضي الخصبة الى اراضي قاحلة. هذه الظاهرة تهدد حوالي ٩٢ بالمئة من الاراضي الزراعية, ومن الممكن ان تقود الى حدوث موجات هجرة جماعية داخلية, و لربما دولية, في المستقبل. ان الهجرة الداخلية من الريف الى المناطق الحضرية تكون مدفوعة بشكل رئيس بالانهيار الحاصل في مجالات العمل في الريف, الامر الذي يحدث عندما لا تكون هناك كمية كافية من المياه لزراعة الاراضي. ووفقا لحسابات البنك الدولي فان تناقص مصادر المياه في العراق بنسبة ٢٠ بالمئة من الممكن ان يتسبب بتراجع الطلب على العمالة الزراعية بنسبة ١١,٨ وخفض الناتج القومي ٦,٦ مليار دولار, او حوالي ٤ بالمئة.

هذا ايضا له تأثير على الامن الغذائي: فشحة

المياه والجفاف يتسببان بالفشل المتكرر في انتاج المحاصيل: في سنة ٢٠٢١, ٣٧ بالمئة من المزارعين ذكروا بانهم واجهوا فشلا في زراعة محصول الحنطة في حين ذكر ٣٠ بالمئة منهم فشل زراعة الحنطة لديهم. الجفاف كذلك يؤثر بشكل حاد على المزارعين الرعويين, حيث ان الفشل في زراعة المحاصيل يدفع باسعار اعلاف الماشية الى الارتفاع كما تتسبب شحة المياه بانتشار الامراض التي تنتقل عن طريق الشرب والتي تفتك بالماشية. اصحاب المزارع الصغيرة والمجتمعات البدوية هم الاقل قدرة على استيعاب الصدمات التي تصيب موارد دخولهم والتي يتسبب بها الجفاف وبالتالي هم الاكثر تأثرا من اثار التغير المناخي.

ان الصعوبات البيئية ترفع من مستويات التوتر الاجتماعي وتضع الدولة الضعيفة اصلا تحت الضغط. فهي تساهم في الاضطرابات عن طريق افراغ المناطق الريفية من سكانها, وزيادة الطلب على الخدمات في المناطق الحضرية ورفع السخط المحلي على النخب الحاكمة. كما ان الزيادة في وفرة العاملين بالاجر اليومي ممن لم يستطيعوا ان يجدوا عملا في مجال الزراعة يخلق تنافسا على العمل في مجالات اخرى, كالعمل في مجال البناء في المناطق الحضرية. مثل هذا التنافس يسبب بدوره توترا بين الافراد النازحين والمجتمعات التي تحتضنهم في عدد من المحافظات مثل كربلاء وصلاح الدين وديالى.

في بعض المناطق, قادت التوترات الى صدامات مسلحة كما حدث الامر في مناطق في محافظة ذي قار ومحافظة ميسان حول منطقة شط العرب في الجنوب, حيث اندلعت اعمال العنف عندما قام النازحون برعي قطعان الجاموس في اراضي لا يمتلكون حق الرعي فيها. ومن المرجح ان تزداد الصراعات المحلية المدفوعة بالتوترات بين النازحين والمجتمعات المستضيفة لهم مع استمرار تدفق موجات الهجرة, وارتفاع معدلات السكان بصورة محمومة, في الوقت الذي تصارع في السلطات لتوفير الخدمات الاساسية التي يحتاجها السكان الحضريون والذين تتزايد اعدادهم باستمرار. كما ان التنافس على السكن المحدود في المناطق الحضرية يزداد حدة نتيجة لموجات الهجرة الداخلية, والتي تتسبب بزيادة نمو العشوائيات في المدن المتأثرة بموجات الهجرة هذه. في الوقت ذاته, هؤلاء المهاجرون بسبب التحولات المناخية غالبا ما يكونوا فقراء ومهمشين ويميلون الى التجمع في اجزاء من المدن تتصف بالفقر وانعدام الامن وقلة الخدمات. مثل هكذا تحولات تترك العراق تحت رحمة التحولات والاحداث الدولية: فحوالي نصف مؤونة الطعام في البلاد يتم استيرادها, ومع اندلاع الحرب في اوكرانيا, ساهم ذلك في ارتفاع اسعار المواد الغذائية. ووفقا لبرنامج الغذاء العالمي, هنالك ٢,٤ مليون عراقي الان في حاجة ماسة الى المساعدة الغذائية والمعيشية. فقد ارتفعت اسعار بعض المواد الغذائية في العراق بنسبة ٢٠ بالمئة. وقد زادت بغداد من الاثمان التي تقوم بدفعها للمزارعين وقدمت منح الى العوائل ذات الدخل المحدود لحمايتهم من الاثار المحتملة لهذا الارتفاع. لكن هذا النوع من الحلول غير قابل للاستمرار. عزام علوش, الخبير المناخي ومستشار الرئيس العراقي, اقترح للكاتبة ان تقوم الحكومة بتحويل الدعم التي تقوم بتقديمه الى القطاع الزراعي بعيدا عن شراء المنتجات الزراعية باسعار مرتفعة واعادة توجه هذا الدعم لتحفيز المزارعين على تبني تقنيات ري جديدة.[٢] الامر الذي سيكون بحد ذاته بلا شك تحديا كبيرا من الناحية السياسية, لكنه اذا ما تم وضعه ضمن سياق تقوم من خلاله الحكومة باتخاذ خطوات حازمة لحفظ المياه في العراق وكسب تأييد الشعب العراقي لهذه المسيرة, فبالامكان ان تفتح هذه السياسة الكثير من الاحتمالات.

وبشكل عام, يقود الفشل الحكومي في العراق الى حدوث موجات من التظاهرات العارمة. وقد استمرت هذه الموجات مع شجب المواطنين لفشل الدولة في الاستجابة الملائمة لجملة من التحديات, التي تفاقم الكثير منها بفعل اثار التغير المناخي.

فعلى سبيل المثال, منذ اكتوبر عام ٢٠١٩ وصعودا وما اصبح يعرف بمظاهرات تشرين التي اشعلتها جملة من المظالهم بما في ذلك غياب فرص العمل للشباب العراقي-فاقمتها ضياع سبل العيش في المناطق الريفية نتيجة لشحة المياه واندثار القطاع الزراعي. هذا التحدي زاد حدة عندما ردت الدولة والفواعل اللادولتية على المظاهرات بعنف صادم, متسببه بقتل اكثر من ٦٠٠ مظاهر واصابة اكثر من ٢٠,٠٠٠ شخص. هذه الاستجابة اضرت بمصداقية الحكومة العراقية وادت الى استقالة رئيس الوزراء عادل عبد المهدي, ومهدت السبيل لتشكيل حكومة تصريف اعمال جديدة.

وعليه, مع كل موجة من موجات التظاهر والعنف ستتقوض شرعية الحكومة العراقية وتزداد فقدان الثقة بين المواطنين العراقيين بالعملية السياسية. هذه الهوة التي تتسع بين النخب السياسية والمواطنين العراقيين كانت واضحة جدا في الاقبال المتدني في الانتخابات البرلمانية التي حدثت في اكتوبر ٢٠٢١.

بالاضافة الى مظاهرات تشرين, التي اجتاحت وسط وجنوب العراق, تضرب الاحتجاجات المحلية المحافظات بين الحين والاخر كاستجابة الى التحديات التي يفرضها التغير المناخي. على سبيل المثال, في اذار ٢٠٢٢, حدثت مظاهرة في ناحية السلام بمدينة ميسان احتجاجا على شحة وتلوث المياه في نهر البتراء, الامر الذي تسبب بانتشار امراض التايفوئيد, الجرب, وغيرها من الامراض الجلدية بين السكان المحليين. واستمرت التظاهرات بالحدوث في محافظة ذي قار, قام المتظاهرون خلالها بقطع الطرق الرئيسية للتعبير عن غضبهم على نقص الخدمات, بما في ذلك عدم وفرة الماء الكافي. منطقة كوردستان هي الاخرى شهدت مظاهرات, على الرغم من عدم تمتعها بالتغطية الاعلامية الكافية, مثل تظاهرات مدينة السليمانية في شهر حزيران ٢٠٢١ بعد انتشار الامراض المنقولة عن طريق المياه.

يضاف الى ذلك, ان الدولة تفشل بشكل متكرر في ضمان توفر الطاقة الكهربائية الضرورية لتغطية الكثير من الاحتياجات, بما في ذلك تشغيل اجهزة التبريد خلال درجات الحرارة الحارقة في الصيف والتي تصل الى ٥٠ درجة مئوية. انقطاع التيار الكهربائي في جنوب العراق دفع سكان مدينة العمارة في ميسان سنة ٢٠٢١ الى الاعراب عن غضبهم عن طريق اشعال النيران في الاطارات امام دائرة صيانة الكهرباء. هذه المظاهرات امتدت الى مناطق عديدة واجبرت وزير الكهرباء ماجد حنتوش على الاستقالة.

بالاضافة الى ذلك فانه من المتوقع ان تعصف الاضطرابات بالبلاد مع زيادة نمو السكان في المناطق الحضرية, وارتفاع درجات الحرارة, وفشل الدولة بتقديم الخدمات. هذه التحديات ستكون اخف حدة اذا ماكانت الحكومة قادرة على تطبيق السبل اللازمة لتخفيف التوتر الاجتماعي, وثانيا, اذا ما كانت الحكومة قادرة على رسم منهاج عمل يمكن ان ينقل العراق من العزلة الى الريادة في مجال تبني اقتصاد جديد لايعتمد على الكاربون ويخلق الكثير من فرص العمل الصديقة للبيئة ويحسن من الامن الغذائي للعراق.

| الاثار الامنية

ان الاثار المجتمعة للحرمان الناتج عن التغير المناخي من ناحية الماء والغذاء وفرص العمل والخدمات مع ضعف الدور الحكومي او غيابه في اجزاء كثيرة من البلاد- جعل بعضا من المجتمعات الريفية في العراق عرضة للتجنيد من قبل الجماعات المسلحة التي تقدم تحديدا هذا النوع من الاحتياجات. على سبيل المثال, الجفاف المنتشر بشكل واسع في محافظتي الانبار ونينوى في سنة ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ اتى على الكثير من الوظائف الريفية وساهم في نجاح جهود تنظيم القاعدة بتجنيد الشباب المتأثرين بفعل ذلك للالتحاق بهم.

كما ساهمت شحة المياه في نمو تنظيم الدولة الاسلامية. في بدايات ظهورها, استجابت داعش الى الظروف الجوية الشديدة عن طريق تقديم الدعم

الى المجتمعات الريفية المتضررة. وتضمن ذلك توزيع الغذاء خلال الجفاف الذي حدث في عام ٢٠١٠ وتوزيع الاموال بعد العواصف الترابية التي دمرت حقول الباذنجان بالقرب من كركوك في ٢٠١٢. وبسبب ذلك, كان المزارعون من ابرز الداعمين الاوائل لتنظيم داعش. كما ساهمت شحة المياه في دعم سردية داعش الطائفية, عن طريق دفع التنظيم للمجتمعات المحرومة من المياه في المناطق السنية للتصديق بانهم مهملون من قبل الحكومة التي من المفروض ان الشيعة يهيمنون عليها. على سبيل المثال, في محافظة صلاح الدين, كان الاقضية والنواحية من اكثر المناطق التي شهدت نجاحا للتنظيم في تجنيد ابنائها مثل منطقة الثرثار, حيث تشح المياه, مقارنة بالمناطق التي تكون فيها المياه اكثر وفرة.

وقد ادركت الحكومة في العراق الدور الذي يلعبه التغير المناخي في دفع عملية التجنيد لدى التنظيمات المتطرفة. في نيسان ٢٠٢١, ذكر وزير الدفاع جمعة عناد بان ازمة المناخ توثر على النازحين وتدمر الارض الزراعية وترفع من البطالة وتقود الشباب نحو الجريمة والارهاب, تاركة اولئك الذين لايحصلون على فرص عمل او يمتلكون سبل العيش « فريسة سهلة لداعش». لكنها فشلت حتى اللحظة بالقيام بفعل حقيقي لمنع استمرار ذلك من الحدوث.

النزوح الذي يتسبب به المناخ يؤثر على المحافظات العراقية المحررة من داعش, مثل نينوى وكركوك, ويقوض جهود اعادة الحياة الى هذه المناطق. هنالك حاليا ١,٢ مليون مدني عراقي نازح داخليا بسبب الصراع مع داعش, وتأثير التغير المناخي يمكن ان يعني بقاء النازحين او ارغامهم على النزوح مرة اخرى. اعتبارا من شهر ديسمبر ٢٠٢١, تظهر البيانات بان ٣٠٠ عائلة (مايقارب ١٨٠٠ شخص) من الذي عادوا الى نينوى بعد نزوحهم خلال الصراع مع داعش, نزحوا مرة اخرى نتيجة للجفاف. معظم هذه العوائل هي من المناطق الريفية الجنوبية للمحافظة ولم تكن قادرة على توفير الغذاء لمواشيهم بسبب شحة سقوط الامطار.

وتقف تأثيرات التغير المناخي كاحد الدوافع خلف تجنيد المتطوعين الى الجماعات السياسية المسلحة, التي لها اثر مزعزع على منظومة الحكم وتقوض سيطرة الدولة. في البصرة, على سبيل المثال, الالتحاق بالجماعات المسلحة جزئيا هو احد مخرجات التدهور البيئي حول شط العرب مع غيرها من الاثار المألوفة للبطالة والنزوح وتدمير الحياة الريفية. بعض هذه الجماعات المسلحة منخرطة في نشاطات غير شرعية مثل تهريب المخدرات, والعنف السياسي. وتحد هذه الجماعات من قدرة الحكومة العراقية على لجم الصراعات المحلية وتقديم الخدمات.

اخيرا فان التنافس على المياه في المناطق الريفية يساهم في اذكاء الصراع المسلح بين الجماعات القبلية. مثل هذه الخلافات القبلية المتعلقة بالمياه تحدث بشكل رئيس في المناطق الريفية في جنوب العراق. على الرغم من وجود دوافع كثيرة للنزاعات القبلية, الا ان الخلافات حول الوصول الى مصادر المياه هو من اكثر الاسباب شيوعا وراع اندلاع العنف. ففي بعض الحالات قامت قبائل رئيسية بتحويل مجرى المياه الى اراضيها الزراعية, متسببه بخلق توترات معالقبائل الاخرى التي لا تمتلك مياها كافية تلبية احتياجاتها. وقد تم تسجيل الكثير من الحوادث في شمال البصرة تتعلق بالخلافات القبلية حول المياه ممتدة لعقود من الزمن ومتسببه بقتل واصابة العشرات من الاشخاص, حيث تذكر شخصيات محلية بان شحة المياه هي السبب وراء حوالي ١٠ بالمئة من الخلافات القبلية القائمة. ان حوادث النزاعات القبلية في تصاعد مستمر, فقد تضاعف الرقم في الفترة بين ٢٠١٩ و٢٠٢٠, ثم شهدت صعودا اخرا في سنة ٢٠٢١. مايزيد على نصف الحوادث المسجلة في سنة ٢٠٢١ حدثت في اكثر ثلاث محافظات تعاني من شحة المياه: البصرة, ذي قار, وميسان. وفي بعض الحالات, قادت الصراعات القبلية الى اندلاع حالات نزوح سكاني. ففي الفترة بين ديسمبر ٢٠٢١ و اذار ٢٠٢٢, في ناحية الحي, محافظة واسط, نزحت ٢٥ عائلة نتيجة للخلافات

القبلية حول الوصول الى مصادر المياه.
في الكثير من الحالات, كانت الحكومة غير راغبة او غير قادرة على التدخل, وفي بعض الاحيان استخدمت الجماعات القبلية العنف المباشر بالضد من السلطات الحكومية حول قضايا تتعلق بالمياه. مثلا, في مدينة الموصل, اشارت بعض التقارير ان سكان بعض القرى قاموا بتسليح انفسهم ومنعوا السلطات من بناء الابار في القرى المجاورة خوفا من ان يؤدي هذا الامر الى تقليل مصادر المياه الخاصة بهم. في شهر ديسمبر ٢٠٢١, وخلال تظاهرة على نقص المياه, اطلق رجال من قبيلة الشويلات بالقرب من حقل الغراف النفطي صاروخا و اسلحة رشاشة على دورية الشرطة القريبة من القناة الاروائية في قضاء الرفاعي. ومع حصول الجماعات القبلية على الاسلحة الثقيلة, فانهم يشكلون تحدياً متزايدا لسلطات الشرطة المحلية.
وضع العراق الاقليمي بخصوص القضايا المناخية
تُعرف المنطقة التي يقع فيها العراق من الناحية الهيدرولوجية بحوض دجلة والفرات. وهي معرضة على نحو خاص لندرة المياه، إذ تُظهر صور الأقمار الصناعية ان المياه الجوفية في الحوض تتناقص بوتيرة أسرع من أي حوض آخر على مستوى العالم تقريباً. وإذ من الصعب التأكد مستويات الانحسار الدقيقة، بسبب تقلب المناخ، والجفاف، وتغير مستويات المياه، والبناء على المجاري المائية- الان الاتجاه واضح. وتشير التقديرات إلى أن تدفق المياه في نهري دجلة والفرات يمكن أن يتقلص بنسبة ٣٠ في المائة و٦٠ بالمائة على التوالي بحلول نهاية القرن. وسيستمر ارتفاع درجات الحرارة و وانحسار هطول الأمطار في تعزيز هذا النمط بالنسبة لجميع دول الحوض، ولكن العراق بوصفه دولة مصب فانه معرض على نحو خاص للتغيرات التي تجريها دول المنبع. إذ تؤكد هاتان الدولتان، ولاسيما تركيا وإيران، أن العراق يحصل على نصيبه العادل من المياه غير انه يسئ ادارتها. وفي غضون ذلك يستمر الطلب على المياه في النمو تساوقاً مع عدد سكانه. وتتفاقم ندره المياه في العراق بسبب الأنشطة في الدول المجاورة بما في ذلك تطوير البنية التحتية وبناء السدود وتحويل الروافد في تركيا وإيران. ان انحسار تدفق المياه من هذين البلدين يقلل من امكانية الحصول على المياه في العراق ويؤثر سلباً على علاقات بغداد معهم. وقد هدد نائب رئيس البرلمان، حاكم الزاملي مؤخراً بمقاطعة البضائع التركية والإيرانية وقطع العلاقات الاقتصادية مع البلدين بسبب انخفاض تدفق المياه. وعلى الرغم من ان مثل هذا الاجراء المبالغ فيه غير مرجح إلى حد كبير، إلا ان التصريح يفصح عن أن القضية يمكن أن تكون بمثابة صرخة لاستنهاض السياسيين الشعبويين وتعقيد العلاقات عبر الحدود.

تركيا

تحتل تركيا أهمية خاصة بالنسبة لقضية تقاسم المياه مع العراق، نظراً لأن الحجم الهائل من المياه ينبع منها. إذ يتدفق من تركيا حوالي ٩٠ بالمائة من المياه من نهر الفرات و ٤٠ بالمائة نهر دجلة، كما وتنبع الروافد الأخرى التي تنضم الى نهر دجلة من تركيا. لقد اجبر تغير المناخ تركيا على الحفاظ على حصة أكبر من مياهها، الامر الذي أدى إلى قيام انقرة بتنفيذ بنية تحتية واسعة النطاق على مجاريها المائية منذ تسعينات القرن المنصرم. ويشمل هذا مشروع الاناضول المثير للجدل في جنوب شرق البلاد والذي أدى إلى بناء ٢٢ سداً على نهري دجلة والفرات.
وأجرى العراق وتركيا سلسلة من حوارات تقاسم المياه منذ ستينيات القرن الماضي. لكن لم ينجح أي منهم من التوصل إلى اتفاق يهدئ مخاوف بغداد بشأن امدادات المياه من تركيا. وتنطوي مذكرة التفاهم التي تم المصادقة عليها مؤخراً بين العراق وتركيا والتي تلتزم بموجبها بضمان التدفق السليم على تحد؛ فهي تنص على ان انقرة ستسمح بالتدفق العادل للمياه ولكنها لاتحدد المستوى الدقيق له. وفي غضون ذلك يسير بناء البنية التحتية في تركيا بوتيرة متسارعة. وقد حذرت وزارة الموارد العراقية في تشرين الثاني /

نوفمبر بعد يومين فقط من افتتاح الرئيس التركي، رجب طيب اردوغان سد اليسو الضخم على نهر دجلة، من أن أنقرة تخطط بالفعل لبناء سد جديد آخر على النهر نفسه.

وتعزز التوترات بين تركيا والعراق بشأن تقاسم المياه وتعقد التوترات في المجالات الأخرى بين البلدين، ولاسيما بشأن وجود حزب العمال الكوردستاني في شمال العراق. فقد شنت الحزب تمرداً ضد الدولة التركية منذ عدة عقود وتعدها انقرة أكبر تهديد لها. ولمحاربة هذه الجماعة، انشأت تركيا العديد من القواعد العسكرية في العراق وقامت بانتظام بعمليات ضد حزب العمال الكوردستاني داخل العراق، وأخرها عملية « قفل المخلب» وشنت تركيا غارات جوية في كوردستان ومحافظة نينوى الضعيفة المتنازع عليها. وتمثل مثل هذه العمليات تحدياً للسيادة العراقية وتضعف حكم بغداد، الأمن، والقدرة السياسية وكذلك الاهتمام الذي يمكن أن يركز على قضايا مثل تغير المناخ.

تؤدي قضية المياه إلى تفاقم صراع تركيا مع حزب العمال الكوردستاني. فقد وصفت وسائل الاعلام الموالية للحكومة في تركيا صراحة بان البنية التحتية الجديدة مثل سد اليسو على أنها تعيق حزب العمال الكوردستاني، لكن على المدى الطويل من المرجح أن تؤدي مثل هذه المشاريع إلى تكثيف تهجير الكورد داخل تركيا وزيادة دعم الجماعة هناك. يجري العراق مفاوضات مع تركيا لشراء معدات عسكرية مقابل زيادة تدفق المياه وسحب القوات التركية من قاعدة بالقرب من الموصل. وسيظل حزب العمال الكوردستاني، في هذه الصورة المعقدة، والقضايا المرتبطة بها كورقة تأثير وخلاف في مناقشات تقاسم المياه بين تركيا والعراق.

وجدير بالذكر أيضاً ان المسؤولين الأتراك كانوا في الماضي على اتم الاستعداد لاستعمال موقع تركيا بوصفها دولة منبع للضغط على دول المصب للمشاركة في عمليات مكافحة حزب العمال الكوردستاني، او القبول بها. فعلى سبيل المثال وقعت سوريا في عام ١٩٨٧ اتفاقية مع سوريا اشترطت فيها صراح اطلاق المياه على دمشق شرط انهاء الدعم لحزب العمال الكوردستاني.

إيران

ان الجوانب المهمة للعلاقة بين العراق وإيران، في سياق تغير المناخ، تشمل تقاسم المياه، واعتماد العراق على الواردات بأسعار معقولة من إيران، وإمدادات الطاقة.

تعد إيران مصدراً حيوياً ولكن محفوفاً بالمخاطر بالنسبة للمياه بالنسبة للمحافظات الجنوبية في العراق. ويتدفق نهرا الكارون والكرخة، اللذان ينبعان من غرب إيران، في شط العرب بالقرب من البصرة. غير أن إيران تقوم على نحو متزايد بتحويل روافدها لتلبية احتياجاتها المحلية من المياه وقد حذر وزير الموارد المائية، مهدي رشيد الحمداني، في مناسبات عديدة من أن العراق يخطط لرفع دعوى قضائية دولية ضد إيران بسبب خفض امدادات المياه، والاعتراض على بناء البنية التحية في ايران على الانهار التي تتدفق الى العراق. كما هدد برفع قضية إيران إلى محكمة العدل الدولية أو رفع قضية أمام هيئات حقوق الانسان مثل مجلس حقوق الانسان التابع للأمم المتحدة. وزعم الوزير العراقي، في كانون الأول / ديسمبر، ان العراق كان يتلقى ١٠ بالمائة فقط من المياه التي تلقاها في السابق من إيران، وقال ان الوزارة « اكملت الاجراءات الفنية والقانونية كافة للدعوى القضائية» وأعدت تقريراً من ثماني صفحات بشأن انتهاكات إيران أعدته لجنة من الخبراء.

ومع ذلك بدا ان العراق لم يتخذ مثل هذا الاجراء، وسيكون من شبه المستحيل على بغداد لان تقوم بمسعى من هذا القبيل على نحو واقعي، نظراً لنفوذ إيران الواسع على النخبة السياسية في العراق. ومهما يكن من امر، يرفض المسؤولون الايرانيون الاتهام بان طهران تحد من امدادات المياه على جارتها، وطالب

البعض من العراق أن يركز على الحد من تدفق المياه من تركيا. وقد أخبر مستشار رفيع المستوى الحكومة العراقي الباحثة انه على الرغم من أن الحمداني كان صريحاً في انتقاده لإيران، إلا ان هذه مسرحيات سياسية في المقام الأول تظهر في أوقات الخلاف الداخلي في العراق[٣]. ووجد الوزير المقرّب سياسياً من التيار الصدري، انه من الملائم توجيه مثل هذه الانتقادات، إلى حد ما، بسبب تدهور سمعة إيران في أوساط الجمهور العراقي.

وتعد الواردات الغذائية عاملاً مهماً في هذه العلاقة أيضاً. إذ يتهم ناشطون إيران بتجويع العراق لتدمير القطاع الزراعي في البلاد وإغراق السوق العراقية بالمنتجات الزراعية الإيرانية. وقد أدت مثل هذه المزاعم إلى دعوات من منظمات المجتمع المدني لمقاطعة البضائع الإيرانية، فيما استهدفت احتجاجات تشرين (بعنف أحياناً) رموز النفوذ الإيراني في العراق، بما في ذلك السفارات والقنصليات. وفي سياق العقوبات الدولية الشديدة المفروضة على الاقتصاد الإيراني، كان سوق العراق مصدراً حيوياً للسيولة بالنسبة لطهران. كما أن قلة المحاصيل وتلفها وتراجع غلة المنتجين العراقيين جعل اعتماد الاسواق العراقية على المواد الغذائية التي تصدرها إيران أرخص وأكثر موثوقية، الامر الذي زاد من اعتماد العراق على جارته الكبيرة.

كما تفاقم الغضب الشعبي خلال موجات الحر في الصيف عندما أوقفت إيران على نحو دوري تزويد العراق بالطاقة بسبب تأخر سداد فواتير الكهرباء. ورافقت الاحتجاجات على انقطاع الكهرباء في عام ٢٠١٨ احراق المتظاهرين ليافطات لشخصيات إيرانية ومكاتب أحزاب سياسية مرتبطة بإيران في مشاهد تكررت بشراسة خلال احتجاجات تشرين. ان الدافع وراء الغضب الشعبي هو الرأي العام السائد بأن الجماعات المسلحة العراقية القوية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بإيران لدرجة أنها تعطي الأولوية لإيران على حساب المصالح العراقية. وعلى النحو الموضح آنفاً، فان العراق بلد معرض على نحو خاص لتغيرات المناخ، وغير مهيأ للتعامل مع هذه الآثار. وليس من المستبعد أن يضاعف الفاعلون الإيرانيون جهودهم لاستعمال الجماعات السياسية والمسلحة العراقية لقمع معارضة المجتمع المدني التي تسعى إلى معالجة هذه الآثار. وإذا اتخذ العراق المزيد من الجهود المنسقة صوب معالجة نقاط الضعف المناخية، سيزيل متغيراً واحداً يعقد علاقته الأوسع مع إيران.

حكومة اقليم كوردستان

هناك توترات سياسية مستمرة بين حكومة اقليم كوردستان والحكومة الاتحادية في بغداد. وقد سعت حكومة اقليم كوردستان في مناسبات عديدة إلى استعمال موقعها كأرض منبع كنقطة ضغط في المفاوضات مع بغداد. فعلى سبيل المثال، عندما تنشأ خلافات بشأن الموازنة مع الحكومة الاتحادية، اقترح المسؤولون الكورد في بعض الاحيان خفض تدفق المياه الى العراق، بما ذلك في عامي ٢٠١٤ و٢٠٢٠، حتى انهم وصفوا المياه بأنها «ورقة رابحة قوية». فخلال خلاف على الثروة الحيوانية في عام ٢٠١٦، اثارت التهديدات الكوردية رد فعل غاضب من بغداد، حيث اتهمت الحكومة الاتحادية حكومة اقليم كوردستان بتقويض حقوق الانسان وانتهاك الدستور العراقي.

وبات تقاسم المياه أيضاً بؤرة توتر في المناطق المتنازع عليها. فعلى سبيل المثال، سبق للمزارعين العرب في كركوك أن اتهموا السلطات الكوردية بتعمد تقليص المياه في مزارعهم لإجبارهم على ترك أراضيهم. كما تم الابلاغ عن توترات في اوساط العرب والتركمان والكورد بشأن المياه في كركوك في الماضي. كانت المنطقة تحت السيطرة الفدرالية منذ استفتاء الاستقلال الكوردي عام ٢٠١٧ والمواجهة العسكرية اللاحقة. ومع ذلك ماتزال الأرض محل نزاع وفي أي تصعيد مستقبلي يمكن أن تكون المياه نقطة نفوذ ونزاع.

وتؤدي البنية التحتية، كما هو الحال مع العلاقة مع

تركيا، دوراً، إذ اعربت الحكومة الاتحادية عن غضبها من حكومة اقليم كوردستان لمواصلتها بناء سدود دون موافقتها. واشتكت وزارة الموارد المائية في بغداد في نيسان / ابريل عام ٢٠٢٢ من ان حكومة اقليم كوردستان وقعت، دون علمها، اتفاقية مع شركة صينية لبناء اربعة سدود جديدة. وقد حدث ذلك في سياق التوترات المتصاعدة بين أربيل وبغداد بعد أن قضت المحكمة الاتحادية العليا بان تصدير حكومة اقليم كوردستان للنفط والغاز كان غير دستوري، الأمر الذي تسبب في حالة من الذعر والغضب في حكومة الاقليم. ونظراً لأن الحكومة الاتحادية بدأت الآن في اتخاذ تدابير لتنفيذ قرار المحكمة، فمن المرجح أن تستعمل حكومة اقليم كوردستان سيطرتها على تدفق المياه في المنبع كنقطة ضغط في المفاوضات المستقبلية.

العلاقات الاقليمية الاخرى

شارك العراق في الحوارات الاقليمية بشان امكانية اتخاذ إجراءات منسقة للحد من تأثير العواصف الترابية. وكان الحمداني قد أعلن عن عقد اجتماع في بغداد مع إيران وتركيا لبحث موضوع المياه على الرغم من عدم تحديد موعد حتى الآن. ان مثل هذه المبادرات الاقليمية هي سبيل مهم لمعالجة قضية تغير المناخ وبناء فهم اقوى لتأثيرها المشترك والحاجة الى التعاون الاقليمي بدلاً من المنافسة. كما انها تحدث في وقت يؤدي فيه العراق دوراً رئيساً في الجمع بين دول المنطقة المختلفة من أجل الحوار السياسي والأمني. ويمكن لبغداد أن تعمل على توسيع مثل هذه المبادرات لتشمل النُهُج الاقليمية للتخفيف من وطأة تأثير المناخ.

إجراءات من أجل العراق

يتعين على الحكومة العراقية بذل المزيد من الجهد لإدارة التنافس على المياه بين مؤسسات الحكومة المحلية. ويمكنها أن تفعل ذلك عبر انشاء اطار تنسيقي لضمان التوزيع العادل للمياه، ربما اعتماداً على تقييم واضح ومستقل لاحتياجات كل منطقة. ويجب أن يتضمن ذلك أيضاً آليات لتسوية المنازعات للمساعدة تقليل التوترات المتعلقة بالمياه بين السلطات المحلية المختلفة.

يتعين على المؤسسات المالية العراقية- على وجه الخصوص، وزارة المالية العراقية وآليات مكافحة الفساد والهيئات التابعة- زيادة الجهود لتحسين بيئة الاستثمار في العراق. سيكون هذا أمراً حاسماً في مساعدة الاقتصاد على التكيف بعيداً عن الوقود الأحفوري. ويتعين التركيز على نحو خاص على توفير بيئة إيجابية للاستثمار في الاقتصاد الأخضر، بما في ذلك وضع تدابير لفهم وتحديد امكانيات الطاقة الخضراء في العراق. وينبغي أن يتماشى ذلك مع الاعتراف بأن الفساد متجذر بعمق في البلاد، ومن ثم سيكون تحسين بيئة الاستثمار عملية طويلة الأمد وبطيئة.

يتعين على الفواعل العراقيين التعامل مع أي حوارات بشأن المياه أو مفاوضات متعلقة بالمناخ بحسن نية، بما في ذلك عبر الكف عن التصريحات والتهديدات القانونية غير الضرورية ضد جيران العراق بشأن انتهاكات المياه. ويتعين على المسؤولين الامتناع عن استعمال هذه القضية لإثارة قواعدهم السياسية المحلية، وعوضاً عن ذلك التعامل مع أي مخاوف عبر القنوات الدبلوماسية الرسمية. وهذا من شأنه أن يفضي إلى تأثير سياسي أكبر ويحول دون تسيس قضية تؤثر على العراق بأكمله وليس على قطاعات معينة من المجتمع.

أخيراً يتعين على الحكومات المحلية والوطنية تنظيم حملات لإعداد الجمهور للتأثير المحتمل لتغير المناخ وزيادة الوعي بخطورة موقف العراق. يتعين أن تهدف مثل هذه الحملات إلى بناء توافق في الآراء بشأن معالجة القضية، ومن ثم دفع الاعضاء الأكثر تردداً من النخبة السياسية الى العمل. ويجب على الاحزاب السياسية والأفراد المرتبطين بحركة الاحتجاج،

الذين فاز بعظمهم بمقاعد برلمانية في تشرين الأول / أكتوبر أن يضعوا مثل هذه القضايا في مقدمة مواقفهم السياسية. وهذا من شأنه أن يساعد في توليد الزخم وكذلك تقديم حل لبعض أزمات الخدمات الاجتماعية والعامة التي خيبت آمال الكثير من الجمهور العراقي.

| إجراءات لأوروبا

تلتزم الدول الأوروبية بدعم الاستقرار في العراق، وستكون معالجة تأثير المناخ مساهمة مهمة في هذا الهدف. يمكن للأوروبيين تقديم خبرات متخصصة لدعم العراق للاستجابة على نحو أفضل للمشاكل المتعلقة بالمناخ. لكن يجب التأكيد على أهمية اعطاء الأولوية السياسية للطابع المحلي للقضية، واشراك الجمهور على نحو مباشر في المسائل المناخية وتعزيز الحوكمة الداخلية، وتنويع الاقتصاد، ومتابعة الحوارات الاقليمية بمزيد من التركيز.

العمل السياسي

يمكن للدول الأوروبية، في المقام الأول وعلى المستوى السياسي، أن تشجع الأحزاب العراقية على تشكيل حكومة جديدة. يجب عليهم البحث عن الفرص ضمن العمليات المتصلة بتشكيل حكومة جديدة لحث القادة السياسيين على تبني أجندة مناخية جادة وتمويلها. ويمكن للاتحاد الأوروبي بوصفه شريكاً وثيقاً للعراق أن يأخذ زمام المبادرة في هذا الصدد، مع تقديم خبراته في رسم السياسات.

ويتعين على الاتحاد الأوروبي إضفاء الطابع الرسمي على تغير المناخ بوصفه جزءاً أساسياً من مشاركته في العراق. وعلى الرغم من ان الاتحاد الأوروبي رائداً في هذا المجال، غير ان القليل من وثائق استراتيجية الاتحاد بشأن العراق تشير صراحة الى تغير المناخ، بما في ذلك اتفاقية الشراكة والتعاون بين الاتحاد الأوروبي والعراق وتوصيات الاتحاد الأوروبي بشأن العراق. وتعترف الدول على نحو منفرد مثل السويد رسمياً بالتداعيات السياسية والاجتماعية للتغيير البيئي، ولكن لايوجد إطار عمل مماثل للاتحاد الأوروبي. كما ان جعل موضوع تغير المناخ أولوية واضحة من شأنه أن يشجع الدول الأعضاء على مواصلة العمل بشأن هذه القضية. كما يمكن للدول الأعضاء أن تنشر خبراتها ذات الصلة عند مساعدة العراق، فعلى سبيل المثال تركز دبلوماسية هولندا مع العراق على إدارة المياه والأغذية والزراعة.

ويمكن للاتحاد الأوروبي أيضاً أن ينظر في توسيع دور البعثة الاستشارية للاتحاد الاوروبي في العراق EUAM المكلفة حالياً بتقديم المشورة للمسؤولين في مكتب مستشار الامن الوطني ووزارة الداخلية بشأن الاصلاح الامني. ويمكن أن يشمل الدور الموسع للبعثة الاستشارية للاتحاد الاوروبي في العراق انشاء وحدة خاصة مهمتها دعم الحكومة العراقية لتحديد المخاطر الامنية ذات الصلة بالمناخ ومعالجتها. وعند الضغط من أجل التزام سياسي من جانب اللاعبين العراقيين، يتعين على الحكومة الأوروبية التنسيق والعمل مع الجهات الدولية الفاعلة الأخرى ذات وجهات النظر المماثلة. فعلى سبيل المثال أعلن مؤخراً عن مشروع مشترك بين المملكة المتحدة وكندا صمم لمساعدة بغداد على الوصول الى الأهداف التي تعهدت بها اتفاقية باريس من شأنه أن يوفر الزخم الكافي لعمليات التكيف. يتعين على الحكومات البحث في امكانية انشاء مبادرات أخرى من هذا القبيل.

الاقتصاد والإصلاح

يمكن للدول الأوروبية أن تواصل تكثيف جهودها لدعم تنويع الاقتصاد العراقي، بما في ذلك تشجيع الاستثمار الخاص الأوروبي ونقل المهارات التقنية في مجال الطاقة الخضراء. يتعين أن تستمر مجموعة من الجهات الفاعلة الأوروبية، بما في ذلك جمعيات الأعمال في العمل مع الحكومة العراقية لتحسين بيئة الاستثمار في البلاد لجذب الاستثمار الأجنبي المباشر إلى قطاعات الزراعة والطاقة الخضراء وإدارة المياه. ويمكن

أن يأخذ الاتحاد الأوروبي زمام المبادرة في هذا الصدد. وهي تعقد بالفعل ورش عمل مع أصحاب المصلحة العراقيين في إطار مشروع مبادرات مكافحة الفساد والتحكيم التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، والذي يهدف إلى توفير بيئة استثمارية آمنة. يتعين أن يوسع هذا العمل مع إيلاء تركيز خاص إضافي على تسهيل الاستثمار الأخضر.

ويمكن للدول الأوروبية تزويد القادة السياسيين العراقيين وكبار موظفي الخدمة المدنية بالدعم الفني والتدريب ونقل التكنولوجيا، ولاسيما تحديث تقنيات الري وتعزيز قدرة المراكز الحضرية على الصمود أمام الهجرة الريفية. ويمكن للحكومة العراقي والمانحين الأوروبيين في هذا الصدد التعاون مع منظمات المجتمع المدني المحلية لمساعدة المزارعين على تحقيق هذا التحول.

التوترات المحلية وأنظمة الانذار المبكر

يمكن للدول الأوروبية ان تساعد وبنحو مباشر في تقليل التوترات المحلية الناتجة عن تغير المناخ عبر توفير مساعدة محددة الهدف. فعلى سبيل المثال لن يكون لمشروع الاتحاد الاوروبي الذي أُعلن عنه مؤخراً لتحسين جودة المياه في البصرة عواقب بيئية إيجابية فحسب، بل قد يقلل أيضاً من الاستياء المدني في المدينة. وبالمثل أيضاً فأن مبادرات الاستثمار الأوروبية المشتركة الجديدة لمساعدة المناطق الحضرية على تحسين تقديم الخدمات والاستعداد لاستيعاب المهاجرين من الريف يمكن أن يخفف التوترات المحلية ويمنع من نشوب النزاعات الأهلية.

ويمكن للدول الأوروبية أن تدعم الحكومة العراقية بنحو اكبر عبر العمل معها لتطوير آليات للتعرف والاستجابة للإشارات المبكرة من المجتمعات المحلية بشأن حركيات الصراع المحددة الناشئة عن تأثير تغير المناخ. ويمكن أن ينجح هذا عبر الجمع بين بيانات الأقمار الصناعية والارصاد الجوية، مثل هطول الأمطار والجفاف المتوقع، مع توفر قنوات لتدفق المعلومات التي تتيح للمجتمعات بالإبلاغ عن التوترات، ولاسيما بشأن الموارد- ومن ثم تسليط الضوء على الخطر المحتمل للسلطات. توجد بالفعل آليات مماثلة في منطقة الساحل، ويمكن أن تساعد في منع اندلاع الصراع المحلي. وبالمثل يمكن للدول الأوروبية مساعدة الحكومة العراقية على انشاء قدرات آليات التنسيق المحلية للاستجابة للنزاع على المياه بين المحافظات وتطويرها.

ويمكن لمنظمات المجتمع المدني المحلية التي تعمل مع المزارعين على ادارة المياه ان تتعاون مع الهيئات الاعلامية الحكومية لزيادة الوعي في اوساط الجمهور العراقي بشأن أهمية الحفاظ على المياه وسبل القيام بذلك.

والأهم من ذلك فان الجهود الأوروبية لإقناع الحكومة العراقية بإعطاء الأولوية للري المائي يمكن أن يكون لها تأثير حقيقي على الخيارات التي تتخذها- ولاسيما اذا وضع الأوروبيين هذا(وربما اجراءات أخرى) من حيث مساعدة العراق على حماية سيادته. من المرجح ان تحظى أفكار «استعادة العراق مكانة العراق في المنطقة» بقبول لدى النخبة السياسية والجمهور على حد سواء.

الدعم الإقليمي

تستطيع الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، مثل هولندا والسويد، تقديم خبرة خاصة في إدارة المياه، ويمكن للجهات الفاعلة الأوروبية الأخرى دعم الحكومة العراقية للتفاوض بشأن اتفاقيات تقاسم المياه العادلة مع تركيا وإيران. وعلى الرغم من أن هذا من المحتمل أن يكون جهداً معقداً وطويل الأمد، إلا أنه يمكنهم القيام عبر تدريب اصحاب المصلحة العراقيين على التفاوض بشأن مناقشة الموضوع مع شركائهم الاتراك والإيرانيين. كما يمكنهم أيضاً دعم عمليات التفاوض التي تجري، بما في ذلك توفير الوساطة إذا طلب منهم القيام بهذا الدور.

إذا ما اتخذ العراق خطوات حقيقية للحفاظ على

المياه يمكن للدول الأوروبية أن تساعد في الوساطة لتجديد الحوار بين تركيا والعراق بشأن تقاسم المياه ويمكن أن تشجع كلا الطرفين على فصل قضية المياه عن نقاط الصراع الأخرى، مثل غارات تركيا عبر الحدود على حزب العمال الكوردستاني. يتعين على الدول الأوروبية أيضاً دعم الحوارات الإقليمية وتشجيعها بشأن مجتمعو متنوعة من المبادرات المتعلقة بالمناخ، والتي من شأنها أن تعود بفوائد كبيرة على المدى المتوسط.

الملاحظات والتوصيات:

- يواجه العراق تحد خطير يتمثل بشحة المياه والاثار الناجمة عن التغير المناخي، تنذر بتداعيات اقتصادية وسياسية.
- يرتبط التغير المناخي في العراق بالمشكلة المتمثلة بتقاسم الموارد المائية مع الدول المتشاطئة على نهري دجلة والفرات ولاسيما إيران وتركيا التي تستعمل هذه القضية كورقة ضغط وقد حذت حكومة اقليم كوردستان حذوهما في ذلك.
- ينطوي الاتفاق الأخير مع تركيا بشأن المياه عبر توقيع مذكرة تفاهم على تحدٍ لأنها وان نصت على ضرورة ضمان تركيا التدفق العادل للمياه إلا انها لاتحدد على وجه الدقة مستوى ذلك.
- يتعين على الحكومة العراقية العمل على كيفية استثمار الحصة المائية للعراق واستكمال المشاريع المتوقفة والبدء بمشاريع جديدة، فضلاً تبني كل الاجراءات التي من شأنها أن تضمن الاستثمار الأمثل للمياه.

الهوامش

١- مقابلة اجرتها المؤلفة مع الرئيس برهم صالح, حزيران ٢٠٢٢.

٢- مقابلة اجرتها المؤلفة مع عزام علوش, حزيران ٢٠٢٢

٣- مقابلة أجرتها المؤلفة مع مستشار في الحكومة العراقية في ايلول, سبتمبر ٢٠٢١

ثانيسيس كامباني

زميل اقدم ومدير في برنامج السياسية الدولية في مؤسسة القرن بنيويورك.
يعمل في كلية الشؤون الدولية في جامعة كولومبيا.

ترجمة: فيصل الياسري

السعي لدفع العراق

نحو تطبيع العلاقات مع اسرائيل اتى بنتائج عكسية

| ملخص تنفيذي

ان فكرة تطبيع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل هي فكرة غير محبذه من قبل غالبية الشعب العراقي, بالرغم من احتفاظ البعض من القادة السياسيين والاحزاب بارتباطات سرية مع اسرائيل تتراوح بين العلاقات التجارية مع الشركات الاسرائيلية الى الشراكات الاستخبارية الدولية. ان العراق بلد ديمقراطي تعددي, اسميا على اقل تقدير, على العكس من دول الخليج العربي التي وقعت على الاتفاقيات الابراهيمية. فلا وجود لحاكم وراثي او دكتاتور عسكري يمكن ان يفرض السياسات حتى في القضايا الجوهرية مثل الامن الوطني. ان التضامن مع فلسطين والقومية العربية ازدهر تاريخيا في العراق بين مختلف المكونات المجتمعية للبلاد بكافة اشكالها الاثنية والطائفية. لكن وحتى انعقاد مؤتمر اربيل, لم تكن اسرائيل يوما ما موضوعا مدرجا على جدول الاعمال الوطني. وتظهر خطوة البرلمان العراقي هذه كيف ان السياسات التي لا تحظى بالشعبية بين الناس لا يمكن فرضها في الانظمة الديمقراطية, على الاقل ليس بنفس الدرجة المتاحة في الانظمة الملكية والدكتاتوريات العسكرية. ومن الناحية التطبيقية, فانه من غير الواضح الى اي درجة سيسهم هذا القانون في التغيير. حيث يحتوي القانون على ثغرات عديدة تتيح على سبيل المثال الاتصالات بين الاسرائيليين والعراقيين التي يتم تخويلها مسبقا من قبل الحكومة العراقية. كما انه يحتوي على الكثير من الجعجعة الخطابية, مثل احتمال تطبيق حكم الاعدام, من دون الايضاح الكافي ما هو نوع الاتصال مع الاسرائيليين الذي يخضع للرقابة والعقوبة.

بالامكان تذكر المؤتمر الدعائي الذي عقد في شهر ايلول من سنة ٢٠٢١ عندما تجمع مجموعة من العراقيين في مدينة اربيل من اجل الترويج لتطبيع العلاقات مع اسرائيل. ولم يمض وقت طويل بعد انتهاء المؤتمر الا وقد اسرع معظم المشاركين فيه بادانته والتبرء منه. فقد ادعى الكثير من الحاضرين بانهم تعرضوا للتضليل والخداع حول غرض التجمع, حيث تم الزعم بانه معقود لغرض مناقشة المصالحة في العراق وليس اسرائيل. بعض المشاركين تعرضوا للتهديد بالملاحقة القانونية وفقا لقانون العقوبات العراقي لسنة ١٩٦٩ الخاص بمنع تطبيع العلاقات مع اسرائيل, وبالرغم من ذلك لم يتم ادانة اي منهم بصورة رسمية. وبعد انعقاد المؤتمر بفترة قصيرة, قام الكاتب بتحذير وكالات الانباء بان هذا المؤتمر لم يكن الا حيلة لصرف الانظار عن الازمات الاكثر الحاحا وقد يقوي من عضد المشتددين في العراق وفي الشرق الاوسط, وحتى في واشنطن.

ويبدو ان منظمي المؤتمر اعتقدوا بانه يمكن ان يدفع بالتغيير في السياسة الخارجية للعراق, بل وحتى يعجل في الحاق العراق بالاتفاقيات الابراهيمية. وفي الحقيقة, ان ما قاموا به حقق تماما ما هو عكس ذلك: فقد قاموا بدفع مسألة العلاقات مع اسرائيل الى اعلى المراتب في الاجندة السياسية, عن طريق خلق حالة من الغضب وردة الفعل بين العراقيين والطبقة السياسية.

ففي الاسبوع الماضي, قام البرلمان العراقي بتمرير قانون جديد يجرم التطبيع بصيغة اكثر حدة واكثر تخصيصا من قانون سنة ١٩٦٩, والذي يمنع العراقيين وباي صفة من الدعوة للاعتراف باسرائيل, لكنه لم يتم تطبيقه الا في فترات متقطعة.

في حين يذهب القانون الجديد الى مدى ابعد, حيث يمنع اتصال اي مواطن عراقي مع الاسرائيليين. واذا ما تم تطبيق هذا القانون بشكل كلي, فان القانون الجديد لن يمنع اي اتصال مع المسؤولين الاسرائيلين فحسب, انما يمنع المواطنين العراقيين من التواصل مباشرة مع الاسرائيليين على وسائل التواصل الاجتماعي, بالاضافة الى منع شراء الخدمات والسلع من الشركات الاسرائيلية. وفي بعض الحالات, قد يواجه العراقيون الذين تتم ادانتهم بانتهاك القانون الجديد بعقوبة الاعدام.

ان فكرة تطبيع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل هي فكرة غير محبذه من قبل غالبية الشعب العراقي, بالرغم من احتفاظ البعض من القادة السياسيين والاحزاب بارتباطات سرية مع اسرائيل تتراوح بين العلاقات التجارية مع الشركات الاسرائيلية الى الشراكات الاستخبارية الدولية.

ولربما اساء منظمو اجتماع اربيل تقدير اهمية الحفاظ على سرية الانفتاح في مراحله الاولى. فقد اسست بلدان الخليج شبكة واسعة من العلاقات التجارية مع اسرائيل خلال العقود القليلة الماضية, موسعة علاقاتها الثنائية تدريجيا لتشمل الشراكات الدفاعية والامنية, ولتأخذ في بعض الحالات شكل التطبيع الكامل.

لكن العراق حالة تختلف تماما عن الحال في دول الخليج. اولا وبالدرجة الاساس, ان العراق بلد ديمقراطي تعددي, اسميا على اقل تقدير, على العكس من دول الخليج العربي التي وقعت على الاتفاقيات الابراهيمية. فلا وجود لحاكم وراثي او دكتاتور عسكري يمكن ان يفرض السياسات حتى في القضايا الجوهرية مثل الامن الوطني.

ان التضامن مع فلسطين والقومية العربية ازدهر تاريخيا في العراق بين مختلف المكونات المجتمعية للبلاد بكافة اشكالها الاثنية والطائفية. لكن وحتى انعقاد مؤتمر اربيل, لم تكن اسرائيل يوما ما موضوعا مدرجا على جدول الاعمال الوطني. وتلوم بعض الفصائل الميليشاوية التي ترتبط بعلاقات مقربة مع ايران والتي لاتمتلك الكثير من الاتباع المؤامرات الاسرائيلية كسبب وراء الاحداث في العراق, عاكسةً الدعاية الايرانية المعادية لاسرائيل. وبعض الحركات الاكثر شعبية, مثل التيار الصدري, تشير باصابع الاتهام تحو اسرائيل بالاضافة الى الولايات المتحدة وغيرها من القوى الاجنبية, للوقوف وراء بعض الاحداث في العراق والمنطقة بشكل اوسع. ولكن بالمجمل, لم تكن اسرائيل محط تركيز خطاب هذا التيار, وبدرجة اقل محورا لنشاطاتها.

لكن, اذا لم تكن اسرائيل محط اهتمام اغلب العراقيين, فان عمق موقف الرأي العام المعادي لتطبيع العلاقات مع اسرائيل ادى الى خلق رد فعل عنيف تجاه مؤتمر اربيل. والذي ادى بدوره الى تحفيز حدوث اجماع برلماني حول قانون تجريم التطبيع, حتى بين البرلمانيين الذي كان لديهم بعض الاعتراضات حوله. وصاغ السيد مقتدى الصدر القانون الذي تم تمريره في السابع والعشرين من شهر ايار, وصوت عليه الاعضاء الكرد والسنة الذي يميل بعضهم سرا الى ابقاء الامر بعيدا عن التداول بل وحتى يؤيد بعضهم توسيع الروابط التجارية والاستخباراتية مع اسرائيل.

وتظهر خطوة البرلمان العراقي هذه كيف ان السياسات التي لا تحظى بالشعبية بين الناس لا يمكن فرضها في الانظمة الديمقراطية, على الاقل ليس بنفس الدرجة المتاحة في الانظمة الملكية والدكتاتوريات العسكرية. ويتضمن الموقعون على الاتفاقات الابراهيمية مجموعة من الدول الشمولية التي لديها مصالح امنية مشتركة مع اسرائيل, ولا

تأخذ بعين الاعتبار معاناة الفلسطينيين ودولة فلسطين كواحدة من الاعتبارات السياسية الملحة. ولن يذهب التطبيع الى مديات ابعد, بكل حال من الاحوال, مال يتغير الرأي العام في الشرق الاوسط- ومن غير المرجح ان يحدث تغير كبير في الرأي العام لصالح اسرائيل مادامت احتلالها لغزة والضفة الغربية مستمرا والفلسطينيون مستمرون بالعيش كمواطنين من الدرجة الثانية.

ومن الناحية التطبيقية, فانه من غير الواضح الى اي درجة سيسهم هذا القانون في التغيير. حيث يحتوي القانون على ثغرات عديدة تتيح على سبيل المثال الاتصالات بين الاسرائيليين والعراقيين التي يتم تخويلها مسبقا من قبل الحكومة العراقية. كما انه يحتوي على الكثير من الجعجعة الخطابية, مثل احتمال تطبيق حكم الاعدام, من دون الايضاح الكافي ما هو نوع الاتصال مع الاسرائيليين الذي يخضع للرقابة والعقوبة. مثلا, هناك تواجد تجاري اسرائيلي رسمي وتجاري في المناطق الكردية راسخ وان كان سريا, الامر الذي يضع موضع السؤال فيما اذا كانت سلطات فرض القانون في بغداد ستحاول محاسبة الكرد المرتبطين بهذه المصالح.

وفي اغلب الاحتمالات فان القانون لن يتم استخدامه بالضد من الشخصيات القوية المقربة من الطبقة الحاكمة في العراق, لكن سيتم استخدامه كعصا سياسية ولربما كاداة لخنق النقاد, والمعارضين, ولربما حتى رجال الاعمال. ومن الممكن ان تستخدم الفصائل السياسية هذا القانون لتشويه سمعة خصومها من خلال اتهامهم بالتروي للتطبيع او اقامة علاقات سرية مع اسرائيل. فالسياسيون النخبويون هم يتهمون بالفعل شخصيات المجتمع المدني والناشطين بالعمالة لجهات اجنبية: ومن غير المستبعد رؤية نفس هذه الفصائل السياسية مطاردة ناقديها عن طريق اتهامهم بالسعي الى او امتلاك علاقات مع اسرائيل. ولم يكن رد فعل الولايات المتحدة للقانون مثمرا ايضا: في الوقت الذي ابدت فيه الولايات المتحدة مخاوفها من ان يهدد القانون حرية التعبير, فانها قامت بمساواة نقد اسرائيل بمعاداة السامية. اما العراقيون فلديهم اسباب اخرى للقلق. فمن المرجح ان تكون هناك بعض ردود الافعال الدولية بالضد من القانون الجديد. حيث يمكن ان يعقد القانون الجديد او يعرقل الاستثمارات الاجنبية والعلاقات التجارية التي تعود بالنفع على العراق. ومن شبه المؤكد ان هذا القانون سيقوي من عضد الفصائل الميليشياوية المتشددة في العراق. ولربما وهو الامر الاكثر خطورة, سيمنح هذا القانون وسيلة اضافية لمطاردة المعارضين وغيرهم من المنتقدين للحكومة.

| التوصيات والملاحظات:

- على السلطة التنفيذية في البلاد الرد على الانتقادات الدولية الموجهة نحو قانون تجريم التطبيع بان بان القانون تم تشريعه والتصويت من قبل جهة منتخبة ديمقراطيا ومفوضة من الشعب.
- على السلطات العراقية تنويه الرأي العالمي بان المواقف السياسية والقوانين المناهضة لاسرائيل لاتنبع من معاداة السامية ولا تعني باي شكل من الاشكال انها موجهة بالضد من ابناء الديانة اليهودية الموسوية في العالم باي شكل من الاشكال.
- ضرورة اصدار ملاحق وتعليمات لقانون تجريم التطبيع توضح بالتفصيل حدوده و اليات تطبيقه, بالاضافة الى بيان الغاية التشريعية ودوافع سن القانون المتمثلة بايقاف معاناة الشعب الفلسطيني وايجاد حلول عادلة ونهائية لقضيته.

كتب ورؤى

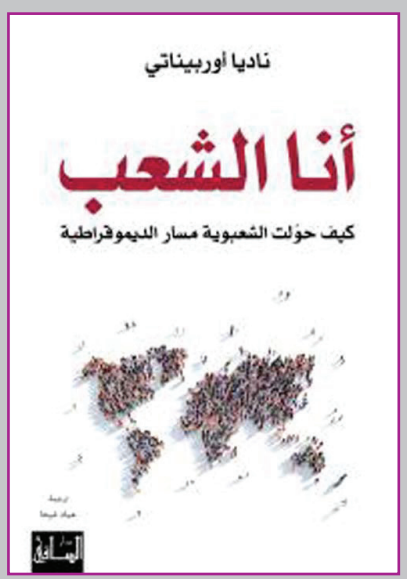

ناديا اوربيناتي: «أنا الشعب» كيف حولت الشعبوية مسار الديمقراطية؟

عرض الكتاب: نور خالد .

| مقدمة الكتاب:-

وهـذا الكتـاب يتنـاول الشـعبوية بوصفهـا مشـروع حكـم؛ وينبغـي النظـر اليهـا بوصفهـا تحـولا فـي ركائـز الديمقراطيـة الحديثـة الثـلاث: الشـعب، مبـدا الاغلبيـة، والتمثيـل. اذ ينطلـق الكتـاب مـن سـؤالا مفـاده: كيـف تحـول الشـعبوية مسـار الديمقراطيـة التمثيليـة؟؟

ظهـرت الحـركات الشـعبوية فـي كل الديمقراطيـات تقريبـا وهـي ليسـت حديثـة العهـد بـل ظهـرت الـى جانـب سـيرورة الدمقرطـة فـي القـرن التاسـع عشـر. وان القـدرة التـي تمتلكهـا الحـركات الشـعبوية لبنـاء نظـام خـاص مـن داخـل الديمقراطيـة الدسـتورية فهـو نـوع جديـد للحكـم التمثيلـي ولكنـه «مشـوه»!.

ان مصطلـح الشـعبوية ليسـت ايديولوجيـة او نظامـا سياسـيا محـددا، بـل انهـا بالأحـرى سـيرورة تمثيليـة تتكـون عبرهـا ذات جمعيـة بحيـث يكـون فـي مقدورهـا الوصـول الـى السـلطة. ويمكـن ان تتخـذ الشـعبوية صـورا شـتى بكونهـا طريقـة لممارسـة السياسـة فهـي رهنـا للفتـرات الزمنيـة والامكنـة ولكنهـا مغايـرة للأشـكال السياسـية غيـر الديمقراطيـة ذلـك لأنهـا تؤطـر نفسـها كمحاولـة لبنـاء ذات جمعيـة بموافقـة النـاس الطوعيـة وكمحاولـة للتشـكيك فـي نظـام اجتماعـي باسـم مصالـح النـاس.. يقـول « ارنسـتو لاكلاو « ان الحكومـات الشـعبوية كافـة تسـمى نفسـها باسـم زعيمهـا. اذ يقـوم الخليـط الشـعبوي علـى شـرطين هويـة الـذات الجمعيـة والخصـال المحـددة للزعيـم الممثـل الذي يجسـد تلـك الـذات ويجعلهـا مرئيـة. وان التكويـن التمثيلـي للشـعبوية ذو طابـع خطابـي وهـو مسـتقل عـن الطبقـات الاجتماعيـة والايديولوجيـات التقليديـة. ويـروج الشـعبويون للتحشـيد الدائـم للجمهـور (جمهـور المتلقيـن) لدعـم الزعيـم المنتخـب فـي الحكومـة او يعدلـون الدسـتور القائـم بطـرق تحـد تقييـدات سـلطة الاغلبيـة فـي صنـع القـرار، اي تسـعى الشـعبوية الـى احتـلال حيـز السـلطة التأسيسـية. بينمـا السياسـة الشـعبوية تسـعى الـى تمثيـل مصالـح ورغبـات النـاس العادييـن الذيـن يشـعرون بـان جماعـات النخبـة المترسـخة تتجاهـل شـواغلهم.

طـرح سـؤالا: اي نـوع مـن النتائـج الديمقراطيـة تـؤدي اليهـا الشـعبوية؟ اذ كانـت الديمقراطيـة التمثيليـة اليـوم هـي البيئـة التـي تتطـور فيهـا الشـعبوية وهدفهـا المنشـود ويتنافـس الزعمـاء الشـعبويون والحـركات الشـعبوية مـع باقـي الفاعليـن السياسـيين بخصـوص تمثيـل الشـعب ويسـعون الـى الفـوز الانتخابـي كـي يثبتـوا ان الاشـخاص الذي يمثلونهـم هـم الشـعب الصالـح وانهـم يسـتحقون الحكـم مـن اجـل مصلحتـه. فضـلا عـن ان الشـعبوية لا تطعـن فـي ممارسـة الانتخابـات لكنهـا بالأحـرى تحولهـا الـى احتفـال بالأغلبيـة وزعيمهـا والـى نمـط جديـد مـن اسـتراتيجية الحكـم النخبـوي قائـم علـى تمثيـل مباشـر بيـن النـاس والزعيـم وفـي هـذا التأطيـر تعمـل الانتخابـات كاسـتفتاء شـعبي او كتزكيـة.

لـذا تتمحـور نظريـة هـذا الكتـاب: ان الديمقراطيـة الشـعبوية هـي اسـم نمـط جديـد مـن الحكـم التمثيلـي يرتكـز علـى ظاهرتيـن وهـي: علاقـة مباشـرة بيـن الزعيـم واولئـك الـذي يعرفهـم الزعيـم بانهـم «صالحـون او اخيـار» مـن بيـن اعضـاء المجتمـع وتحويـل سـلطة مفرطـة لجمهـور المتلقيـن واهدافهـا المباشـرة هـي العقبـات التـي تتعـرض لهـا تطـور هاتيـن الظاهرتيـن. هيئـات صنـع الـراي الوسـيطة كالاحـزاب، وسـائل الاعـلام المعتمـدة، الانظمـة ذات الطابـع المؤسسـي المخصصـة لرصـد السـلطة السياسـية ومراقبتهـا. وهنـاك عـدة اسـباب لنجـاح مقترحـات الشـعبوية فـي الديمقراطيات هـي ان الديمقراطيـة الحزبيـة اخفقـت فـي تحقيـق الوعـود التـي قطعتهـا الديمقراطيـات الدسـتورية وتنامـي اللامسـاواة الاجتماعيـة والاقتصاديـة وتنامـي اوليغاركيـة مسـتفحلة وجشـعة تجعـل السـيادة سـرابا.

| في الفصل الأول:- كان بعنوان (من مناهضة مؤسسة الحكم الى مناهضة السياسة)

ان العدائيـة الموجهـة الـى مؤسسـة الحكـم السياسـية والـذي يمتلـك القـدرة علـى ربـط مختلـف النخـب الاجتماعيـة وتقويـض المسـاواة السياسـية. اذ تسـتغل الشـعبوية المشـاعر المولـودة مـن الديمقراطيـة. فـان

المطلب الاساسي لجميع الحركات الشعبوية هو التخلص من مؤسسة الحكم.

يتناول الكتاب جدلية الاغلبية والاقلية التي تشتق منها الديمقرطية لمناهضة مؤسسة الحكم. بينما الشعبوية تشتق من افتراض وجود تجمعات وعداوة مستقطبة ومحددة مسبقا. وان الركيزة التي تبنى عليها الشعبوية البرنامج السياسي الذي ستستكمله اذ حصلت على الأغلبية. أي بمعنى الديمقراطية الشعبوية لا يمكن تصورها خارج ثنائية الأكثرية (التي لا تمسك بمقاليد السلطة) والأقلية المتنفذة (التي تمتلك بمقاليد السلطة السياسية والاجتماعية) هذا هو المحفز للنزعة الى مناهضة مؤسسة الحكم بنمطها الشعبوي.

هناك هدفين للحركة الشعبوية أولا اسقاط الطبقة السياسية. وثانيا استخدام الدولة لتحقيق مشروعا ترسخ تجمعها اكان ذلك امة او شعبا). وان من مكوناتها هو (صناعة النزعة الفئوية) اذ يصعب اختزالها بحزب. فهي تعبر عن سياسات مناوئة وصانعة لمجتمع معبأ، ينبغي ان يتجنب التسيس كليا لأنه مكرس كما يفترض به لإدارة احتياجات الشعب. ان الشعبوية السياسية او الشعبوية في السلطة هي مشروع واع الحكم ما بعد الحزبي، ينبغي خدمة مصالح الأكثرية دون انتاج مؤسسة حكم جديدة. فان الهدف الشعبوي هو الحفاظ على الشعب (جمهورا وامة) من تلوث يقوم به خارجيين او بنخب محلية.

الفصل الثاني :- كان بعنوان (الشعب الحقيقي واغلبيته)

تحدثت الكاتبة في هذا الفصل تحليل المحاجات التي استنبطها المنظرون والزعماء الشعبويون في محاولتهم اثبات ان الشعب الشرعي لا يتوافق الا مع جزء من الكل. تستفيد الشعبوية من عدم التعيين البنيوي للشعب الديمقراطي: احد خاصيات الديمقراطية الاكثر جذبا وغرابة. من اجل اكتسابه وتغيير طابعه غير المحدد. كما ان الشعبوية تستفيد من حقيقة انه في وسع الخطابات والزعماء والحركات بناء مفهوم "الشعب" بما يتضمن من التباس. في التعريفات الحديثة ثلاثة معان اساسية للشعب، الاولى: الشخص الاعتباري او صاحب السيادة الجمعية وتسن القوانين بأسمه وتفرض. اي تخويل شرعي للنظام السياسي والقانوني. الثاني: الهيئة الاجتماعية التاريخية التي تعيش في ارض معينة وتتماهى احيانا مع الامة. هذا ذات مقاربات اجتماعية بوصفها كيانا عضويا يتمتع بقيمة اخلاقية. الثالث: الجماعة السياسية او هيئة الناخبين التي تطالب بكونها وكيلا سياسيا وتحقق ذلك عبر حركات الراي والاحزاب والممثلين. اي الذات الجمعية الذي يجري باسمها التنافس السياسي بين الاحزاب او الحركات من اجل الحكم. فالشعبوية تعمل في الحالة الثانية والثالثة اذ ان تصورها للشعب يتطابق مع الشعب الصالح. فهي تتعلق بوحدة الشعب ومطالبة بسلطة الاغلبية ضمن اطار تمثيلي خاص. يحلل هذا الفصل الطرق التي تجري بها هاتان العمليتان اذ ينظر في مصادرة معنى الشعب بوصفه شخصية اعتبارية ومصادرة معنى مبدا الاغلبية بوصفه اجراء. اطروحة الكاتبة هي ان الشعبوية لا تستعمل ركائز الديمقراطية فحسب بل تشوهها!. بسبب ان المعنى الديمقراطي للشعب تعني جميع المواطنين.

ان مقولة "الشعب هو صاحب السيادة " كما ينص كثير من الدساتير الحديثة. ان الموضع الاساس التي تتسلل منه الشعبوية هي السمة الاساسية هي الفجوة بين السيادة والحكومة التي لا تعمل الا عبر التمثيل. فان الفصل بين السيادة وممارسة سلطة الدولة وبين الدستور والحكومة. يمكن جعله كتمييز بين ما يملكه الشعب دائما اي سلطة سيادية غير محددة وما يفعله الممثلون اي ممارسة مؤقتة لوظائف الدولة.

وفق مبدا الاغلبية وحكم الاغلبية فالشعبوية لا تستخدم الاغلبية كمنهج لكشف الطرف المنتصر في تنافس على الحكم وحجم المعارضة وانما تستخدمها كقوة تدعي انها تعبر عن الاشخاص الصالحين. وتعلن بان الديمقراطية ليست اقل ولا اكثر من قوة الاغلبية

او سلطة حكمها. ان حكم الاغلبية هو اجراء اي منهج لصنع قرارات جماعية ويمثل قوة اي قوة الجزء الاكثر عددا من المجتمع .

الفصل الثالث: بعنوان (الزعيم وراء الأحزاب)

يطرح هذا الفصل في مقدمته تساؤلات هل تعامل الشعبوية بوصفها أيديولوجية واسلوبا او بوصفها حركة استراتيجية لاعادة تشكل تخويل السلطة السياسية؟ فاذا كانت قراءة أيديولوجية فهي تصمم للإجابة على سؤال وجودي ماهي الشعبوية؟ اما القراءة الاستراتيجية فهي مصممة للإجابة عن سؤال مختلف ماهي الاستراتيجية الشعبوية للاستيلاء على السلطة؟ وماذا تفعل الشعبوية بالمؤسسات الديمقراطية؟.

ويعتبر التمثيل السياسي هو بذاته دحض للديمقراطية الشعبوية والديمقراطية التمثيلية قائمة بنيويا على الأحزاب والتحزب بهذه السبل وكل منها يستلزم التعددية المتأصلة في التمثيل . اما الديمقراطية الشعبوية فهي نقيض الديمقراطية التمثيلية ويكمن جوهر تناقضها في إعلانها كونها تمثيلا بوصفه تجسيدا بدلا من كونها تمثيلا تفويضيا. فالقضية ليست هل الزعماء الشعبويون يقبلون التمثيل او يرفضونه؟ لأنه لا وجود للشعبوية دون وجود شخص يزعم تمثيل الشعب. القضية في نوع التمثيل الذي يفعله الزعيم الشعبوي وان التمثيل بوصفه تجسيدا هو النموذج الشعبوي وهنا محل الاختلاف بين الديمقراطية التمثيلية والشعبوية. و تخلق فكرة التمثيل بوصفه تجسيدا زعيما غير مسؤول وسياسة لا يمكن مراقبتها وديناميه مركزية الخطاب الشعبوية وقدرة زعيمها على فرض المعتقد.

اذ ينشط الزعيم الشعبوي عاطفيا ودعائيا في سعية اليومي لاعادة الاستلاء على تخويل الشعب بالسلطة. من خلال بناء الذاتية الشعبوية أي هو من صناع الذات الجمعية. وتسمى أنظمة الحكم الشعبوية كافة باسم "زعيمها". يردد الزعيم الشعبوي بطريقة ما صدى الشخص الكارزمي الذي بينه عالم الاجتماع "ماكس فيبر" في اعماله. وهو التشخص الذي يعمل على احياء السياسة البرلمانية عبر قدرته الخطابية و اشراك الجماهير. تتعذر معرفة هل الزعيم الشعبوي كاريزمي حقا؟ ليس في وسع احد تحديد كاريزما الزعيم الا الشعب. غير ان استقبال الشعب لا يسجل بالضرورة خصائص الفاعل الموضوعة فهو يسجل الخصائص الرمزية والمتخيلة التي تخلقها عين كلمات وسردية الفاعل. وان الزعماء الشعبويون لا يصعدون عندما ينمو الاقتصاد ويشعر المواطنون انهم على تواصل مع المؤسسات الديمقراطية. انما يصعدون في أوقات تردي الأوضاع الاقتصادية وفي أوقات يشهد المواطنون فيها انتهاكات جسيمة للمساواة وعدم مبالاة ممثليهم. فيصبح قوة الصوت الاكثر اعلى في الدولة أي مما يجعل الشعبوية صرخة في مواجهة ازمة الشرعية في الديمقراطية التمثيلية .

ويمكن التمييز بين الشعبوية كحركة من حركات المجتمع المدني، وبين الشعبوية كحركة تبتغي الحكم. كما ان هذه الحالات قد تتخذ صورة خطاب احتجاجي دون التخطيط لسلطة شعبوية. بحسب التصنيفات السوسيولوجيا يمكن اعتبار الشعبوية سياسة للأشخاص العاديين بوساطة زعماء غير عاديين يشكلون هيئات عادية .

خلاصة القول: ان فهم التمثيل بوصفه تجسيدا هو مفتاح ادراك معجزة زعيم يفلت من فخ مؤسسة الحكم بالتنصل من المسؤولية السياسية . ان شخص الزعيم والحزب هما المكونان الاساسيان الديمقراطية شعبوية. وان الاخير في السلطة هي نوع من التمثيل المباشر من الجوانب كافة.

الفصل الرابع :- بعنوان (التمثيل المباشر)

اذ يتفحص هذا الفصل نمط التمثيل الذي تفعله الحركات الشعبوية مع امثله توضيحية لحالتين معاصرتيين

للأحزاب المناهضة للأحزاب هي " حركة النجوم الخمس" و" بوديموس" في أوروبا اذ يوضح عبرهما نزعة الزعامة المفرطة عبر الفجوة الرقمية. اذ تزعم كل من النجوم الخمس وبوديموس انهما شعبوية ويستخدمان وسائط الاعلام الجديد . اذ تطرح تساؤلات ومنها :- كيف يمكن الأكثرية ان تصل الى السلطة دون المرور بلحظة وسيطة أي اللحظة التي تعيد انتاج مؤسسة الحكم على نحو لا يقام؟ كيف يمكن ان يؤدي التمثيل مباشرة بالنظر الى انه مهيكل بطريقة ذاتية المنشأ كشكل غير مباشر وتوسطي من اشكال الوجود السياسي؟

هناك فرق بين التمثيل التفويضي من الناحية التقنية هو نمط السياسي للتمثيل الذي تعتمده ديمقراطية الأجزاء وتحوله الشعبوية مفادها" ان هذا التحول يتمثل في تطوير نمط مباشر من التمثيل وليس نمط مباشر من الديمقراطية ينظم هذا النمط الجديد من مستويات التمثيل مستوى راسيا من تخويل السلطة كما الحال مع التمثيل التفويضي لكنه نمط ينجح في القاء كامل التباعد عن الشعب بخلاف التمثيل التفويضي. وان الشعبوية لا تعارض الحكم التمثيلي لكنها بالأحرى تعارض طريقة الوصول الى هذا الحكم. اذ تسعى الى إعادة استقلالية الموطنين لسياسة. لكنها تسعى الى بناء علاقة مباشرة بين الممثل والممثّل. وان هدف التمثيل الشعبوي في نمط توسطي للتمثيل التفويضي وليس في الانتخابات او الحكم غير المباشر على نحو اعم. هذا رغم ان الحاجة الى تحقيق توازن بين الزعامة والحزب تبرز كأساس ولاسيما في الديمقراطيات المعاصرة ينزع الى الخضوع لهيمنة سلطة الجمهور .

من جانب اخر صعود ديمقراطية شبكة الانترنيت افول الهيئات الوسيطة.وان الشبكات الرقمية الثورية هي واحده من عوامل عدة تكمن خلف النهضة الشعبوية ويسهل استراتيجات حركات ما بعد الأحزاب بشتئ الطرق الجديدة. اذ تفتح شبكة الانترنيت حقلا جديدا في وعينا الجمعي. الديمقراطية الرقمية مرحلة متقدمة من الديمقراطية الرقابية التي يفترض بها ان تحل محل الأسلوب القديم للديمقراطية المباشرة.

فهناك حربا تدور بين العالم القديم والعالم الجديد يمثل العالم القديم ديمقراطية الأحزاب والسياسة الحزبية والتمثيل السياسي. اما الجديد فيمثله مواطنون احرار مرتبطون افقيا عبر الشبكة من غير منظمات وسيطة ولا انقسام بين الداخل والخارج فلا ترغب شبكة الانترنيت في الوسطاء. يعتقد "كاس ر. سانستيس" ان الانترنيت قادر على انتاج حشود على طراز حشود "كوستاف لوبون" مع أعضاء الجماعة يبدو انهم يظهرون دعما لا يتزعزع لقضية او ايمانا راسخا بحقيقة مفترضة رغم ان معظمهم يشككون في سرائرهم في هذه القضية او الحقيقة. يثبت الانترنيت قدرته على صهر المشاركة والتمثيل وهو يفعل هذا على نحو سريع وزهيد التكلفة بالنسبة الى المواطنين الافراد. تمثل الشعبوية في وقتنا الراهن سياسة ميسورة التكلفة وهذا احد أسباب نجاحها.

ختاما:- يعطي هذا الكتاب اضاءات و اطروحات وافكار كثيرة حول الشعبوية والديمقراطية . وهذه القراءة لا تمنع من الرجوع للكتاب والاستفادة منه.

المعهـد العراقي للحـوار

بغداد / الجادرية / شارع الوزراء
07905400123
Head@hewariraq.com

شروط النشر

• تقبل البحوث ذات الصلة بالدراسات الاستراتيجية , السياسية, الامنية, العسكرية, الاقتصادية .. والتي تتصف بالبعد التحليلي والستراتيجي وباللغتين العربية والانجليزية.
• يشترط ألا يكون البحث قد سبق نشره, أو قدم للنشر لجهات أخرى.
•يراعى في البحث اعتماد الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
• ان لا يزيد البحث عن ٣٠ صفحة مطبوعة (A٤), بما في ذلك الهوامش, والمراجع , والملاحق.
• يقدم البحث بنسخة الكترونية مصححة طباعياً.
• يرسل الباحث موجزاً بسيرته العلمية , ورقم الهاتف والبريد الالكتروني.
• تكتب الهوامش بأرقام متسلسلة , وتوضع في نهاية البحث مع قائمة المراجع.
• تطبع الجداول والرسوم البيانية على صفحات مستقلة , مع تحديد مصادرها ويشار إلى مواقعها في متن البحث.
• تقوم هيئة التحرير بالمراجعة اللغوية , وتعديل المصطلحات بالشكل الذي لا يخل بمحتوى البحث أو مضمونه.

إجراءات النشر:

• يتم الاعلان عن ملف العدد والموضوعات الاخرى عبر موقع المعهد وصفحته على الفيس بوك ويعمم كتاب على الوزارات والجامعات والكليات ذات العلاقة وينشر في مواقع التواصل الاجتماعي .
• تعنون المراسلات والبحوث والدراسات باسم رئيس تحرير .
• ينم إخطار الباحث بتسلم بحثه.
• يقوم المحرر المختص براجعة وتحرير البحث بعد إجازته من هيئة التحرير.
• يخبر الباحث بصلاحية البحث للنشر من عدمه.
• ينم النقاش مع الباحثفيما اذا وجدت ملاحظات على البحث.
• تصبح البحوث والدراسات المنشورة ملكاً للمعهد العراقي للحـــــوار ومجلة حوار الفكر ولا يحق للباحث إعادة نشرها في مكان اخر دون الحصول على موافقة تحريرية من المعهد.

المعهد العراقي للحوار

- مركز تفكير وابحاث مستقل ، مشروعه بناء الدولة على أسس صحيحة
- يتيح مساحة حرية واسعة للباحثين والمفكرين دون قيود
- ليس له اتجاه سياسي محدد ولا يؤمن باحادية المسار للبناء
- غير حكومي يسعى لوضع تصورات صحيحة لصانع القرار

غير ربحي وعتمد على الشراكة مع المؤسسات والشركات لتنفيذ برامجه